طبقات الشافعية الكبرى

لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي

٧٢٧ - ٧٧١ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو

الدكتور محمود محمد الطناحي

الجزء الثاني

طبعة مصححة منقحة

مجتمعة الفهارس

الطبعة الأولى
فى دار إحياء الكتب العربية
١٣٨٣ - ١٣٩٦ هـ = ١٩٦٤ - ١٩٧٦ م

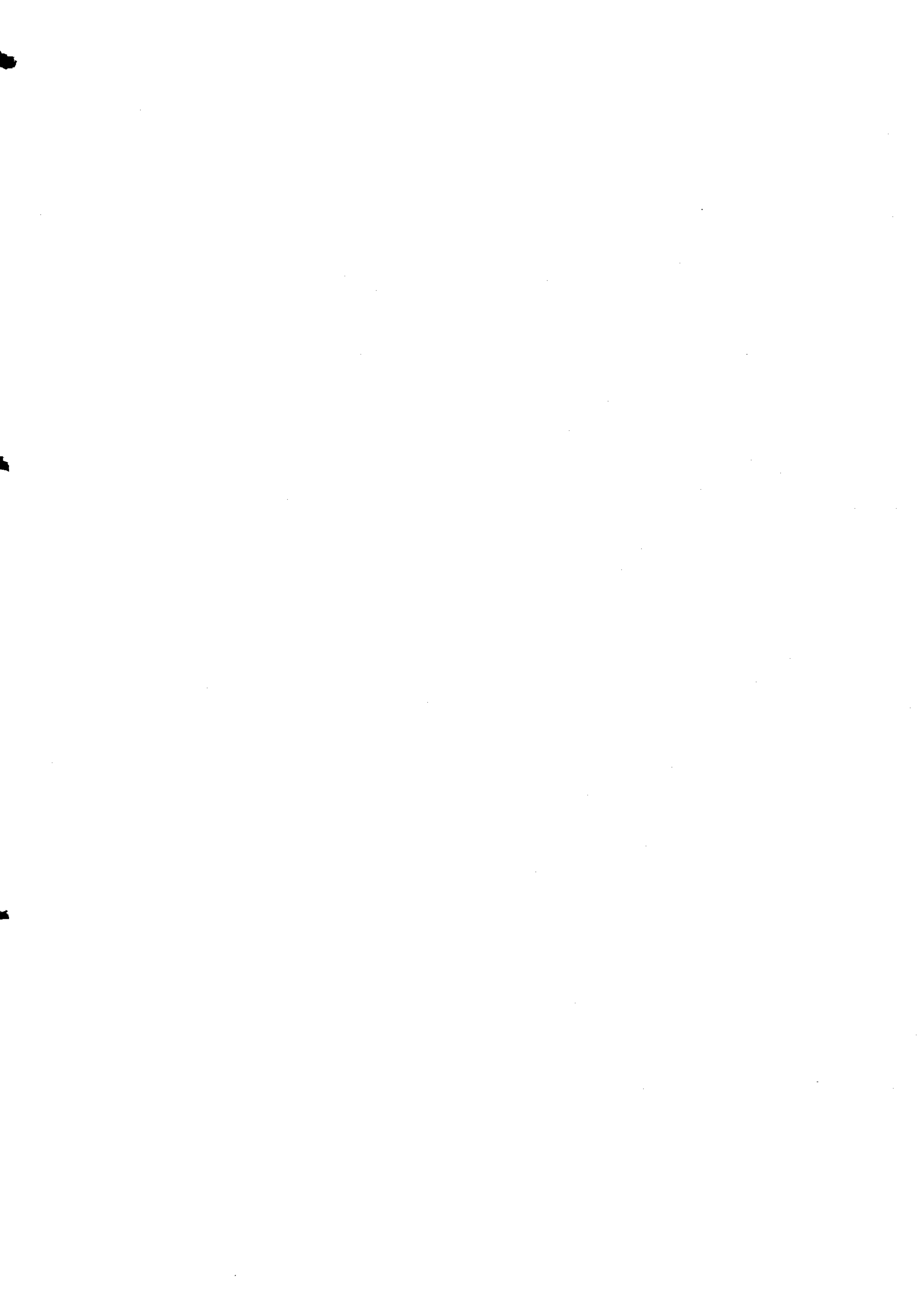
الطبعة الثانية
فى هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

الطبقـة الأولى

فى الذين جالسوا الشافعىّ رضى الله عنه

وتملَّوا بمعاينة وجهه الكريم ، وتخلَّوا إلا عن معاناة فضله العظيم ، وتحلَّوا من صحبته بحَلْى لا يزينه العِقد الفريد ، ولا الدرّ النظيم ، إنما هو نور سطع ضياؤه وأشرق ، ولمع سناؤه وأبرق ، وخلع عليهم ملابس السندس والإستبرق



١
أحمد بن خالد الخلّال
أبو جعفر البغدادىّ العسكرىّ*

قاضى الثَّغْر .

روى عن الشافعىّ ، وسفيان بن عُيَيْنَة ، وغيرهما .

حدّث عنه التِّرمذىّ ، والنَّسائىّ ، وغيرهما ، وقالا : لا بأس به .

قال أبو حاتم الرَّازىّ : كان خيِّرا ، فاضلا ، عدلا ، ثِقَة ، صدوقًا ، رضًا .

وقال الحاكم : كان مِن جِلَّة[1] الفقهاء والمحدِّثين .

مات سنة ست ، وقيل : سبع وأربعين ومائتين .

٢
أحمد بن سِنان بن أسد بن حِبّان القَطَّان
أبو جعفر الواسِطِىّ الحافظ**

له مُسْنَد مُخرَّج على الرِّجال .

روى عن الشافعىّ ، وأبى معاوية ، ووَكيع ، وعبد الرحمٰن بن مَهْدِىّ ، وخلق .

روى عنه البخارىّ ، ومسلم ، وأبو داود ، والنَّسائىّ ، وابن ماجة ، ويحيٰى بن صاعد ، وابن خُزَيمة ، وابنه جعفر بن أحمد بن سِنان ، وعلىّ بن عبد الله بن مُبَشِّر ، وعبد الرحمٰن بن أبى حاتم .

وقال فيه ابن أبى حاتم : هو إمام أهل زمانه .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٤/ ١٢٦ ، تهذيب التهذيب ١/ ٢٧ .

(١) فى الأصول : أجلة .

** له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/٩٣ ، تهذيب التهذيب ١/٣٤ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٧ ، شذرات الذهب ٢/١٣٧ ، العبر ٢/١٦ .

وقال أبوه أبو حاتم : ثِقَة ، صدوق .

وقال ابن مَاكُولا ، والدَّارَقُطنيّ : كان من الثِّقات الأثبات .

وقال أبو عُبَيْد الآجُرِّىّ : سألتُ أبا داود عن أحمد بن سِنان وبُنْدار ، فقدّم ابن سِنان على بُنْدَار .

وقال أبو عبد الله الحاكم فى « فضائل الشافعىّ » : إن بعض مشايخه بمَرْو حدّثه : أن ابن سِنان كان يُقاس بابن المُبارك فى زمانه .

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : تُوُفِّىَ سنة ست ، ويقال : سنة ثمان ، ويقال : سنة تسع وخمسين ومائتين .

قال جعفر بن أحمد بن سِنان : سمعت أبى ، يقول : ليس فى الدنيا مُبْتَدِع إلا يبغض أصحاب الحديث ، وإذا ابتدَع الرجل نُزِعت[1] حلاوة الحديث من قلبه .

قال ابن أبى حاتم : سمعت ابن سنان ، يقول : رأيت الشافعىّ أحمر الرأس واللِّحية . يعنى أنه استعمل الخِضاب اتِّباعًا للسُّنَّة .

٣

أحمد بن صالح المصرىّ

أبو جعفر الطَّبرىّ الحافظ ، أحد أركان العلم ، وجهابِذة الحُفَّاظ*

قال أبو سعيد بن يونس : كان أبوه جنديا من أجناد طَبَرِسْتان ، فوُلد له أحمد بمصر سنة سبعين ومائة .

قلتُ : سمع سُفيان بن عُيَيْنَة ، وعبد الله بن وَهْب ، وحَرَمِىّ بن عُمارة ، وعَنْبَسة ابن سعيد ، وابن أبى فُدَيك ، وعبد الرزّاق ، وعبد الله بن نافع ، والشَّافعىّ .

---

(١) فى الأصول : نزع . والمثبت من ترجمته فى تذكرة الحفاظ .

* له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٧٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٩/١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٠ ، شذرات الذهب ١١٧/٢ ، طبقات القراء ٦٢/١ ، العبر ٤٥٠/١ . النجوم الزاهرة ٣٢٨/٢ .

وروى عنه البخاريّ ، وربما روى عن رجل عنه ، وروى عنه أيضًا أبو داود ، وعَمْرو النَّاقد ، والذُّهْليّ ، ومحمد بن عبد الله بن نُمَيْر ، ومحمود بن غَيْلان ، وأبوزُرْعَة الدِّمشقىّ ، وصالح جَزَرة ، وأبو إسماعيل التِّرمذىّ ، وأبو بكر بن أبى داود ، وخلق .

ودخل بغداد ، وناظر بها أحمد بن حنبل .

قال أبو زُرْعة : سألنى أحمد بن حنبل : مَن بمصر ؟ فقلت : أحمد بن صالح . فسُرّ بذكره ، ودعا له .

وقال البخاريّ : هو ثِقة ، ما رأيتُ أحدا يتكلم فيه بحُجّة .

وقال يعقوب الفَسَوِىّ[1] : كتبتُ عن ألف شيخ وكَسْر[2] ، حجتى فيما بينى وبين الله رجلان : أحمد بن حنبل ، وأحمد بن صالح .

وقال ابن وارَة الحافظ : أحمد بن حنبل ببغداد ، وأحمد بن صالح المصرىّ بمصر ، والنُّفَيْلِىّ[3] بحَرّان ، وابن نُميَر بالكوفة ، هؤلاء أركان الدين .

وقد تكلّم النَّسائىّ فى أحمد بن صالح ، فقال : ليس بِثِقَة ، ولا مأمون ، تركه محمد بن يحيى ، ورماه يحيى بن مَعِين بالكذب .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب : يقال : كان آفة أحمد بن صالح الكِبْر ، وشَراسة الخُلُق ، ونال النَّسائىَّ منه جفاءٌ فى مجلسه ، فذلك الذى أفسد بينهما .

قال ابن عَدِىّ : سمعت محمد بن هارون البَرْقىّ ، يقول : حضرتُ مجلس أحمدبن صالح ، وطَرَد النَّسائىّ من مجلسه ، فحمله على أن تكلّم فيه .

قال ابن عدىّ : وكان النَّسائىّ يُنْكِر عليه أحاديثَ منها :

---

(١) فى المطبوعة : العتوى ، وهو خطأ صوابه من ج ، والعبر ١/٤٥٠ . وهو بفتح الفاء والسين ، وفى آخره واو ، نسبة إلى فسا مدينة من بلاد فارس . اللباب ٢/٢١٥ .

(٢) فى المطبوعة : وكبير . والمثبت من ج ، ومن ترجمته فى تذكرة الحفاظ ، وتهذيب التهذيب .

(٣) بضم النون وفتح الفاء وسكون الياء تحتها نقطتان وبعدها لام ، نسبة إلى الجد . اللباب ٣/٢٣٤ .

عن ابن وهب ، عن مالك ، عن سُهَيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .

والحديث فقد رواه يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب .

قال ابن عدىّ : وأحمد من حفّاظ الحديث ، وكلام ابن مَعين فيه تحامل . وأراد بكلام ابن معين ما ذكره معاوية بن صالح عنه ، أنه سأله عن أحمد بن صالح فقال : رأيته كذّابا يخطِر فى جامع مصر .

قلت : وقد ذُكر أن الذى ذكر فيه ابن مَعِين هذه المقالة هو أحمد بن صالح الشمُّونى[1] ، وهو شيخ بمكة ، كان يضع الحديث ، وأنه لم يعن أحمد بن صالح هذا ؛ فإن هذا كان من أقرانه فى الحفظ والإتقان ، ويترجّح عليه فى حديث أهل مصر والحجاز . وذكر أيضًا أنه كانت بينه وبينه منافرة دنيوية .

قال ابن عدىّ : وأما سوء ثناء النَّسائىّ عليه فلما تقدم . قال : ولولا أنى شرطت أن أذكر فى كتابى كلّ مَن تكلّم فيه متكلِّم ، لكنت أُجل أحمد بن صالح أن أذكره .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الخليلىّ فى كتاب « الإرشاد » : ابن صالح ثِقَة حافظ ، واتّفق الحفّاظ على أن كلام النَّسائىّ فيه تحامل ، ولا يقدح كلام أمثاله فيه ، وقد نقم على النَّسائىّ كلامه فيه .

وقال ابن العربىّ فى كتاب « الأحوذى » : إمام ثِقَة من أئمة المسلمين ، لا يؤثِّر فيه تجريح ، وإن هذا القول يحطّ من النَّسائىّ أكثر مما حطّ من ابن صالح .

قلت : وكذا قال الباجِىّ .

قلت : أحمد بن صالح ثِقَة إمام ، ولا التفات إلى كلام مَن تكلّم فيه . ولكنا ننبهك هنا على :

---

(١) يقال أيضا : الشمومى ، بالميم قبل الياء . انظر تهذيب التهذيب ١/٤٢ .

(قاعدة فى الجرح والتعديل)

● ضرورية نافعة لا تراها فى شيء من كتب الأصول ، فإنك إذا سمعت أن الجَرْح مقدَّم على التعديل ، ورأيت الجرح والتعديل ، وكنت غِرًّا بالأمور أو فَدْما مقتصرا على منقول الأصول حسبتَ أن العمل على جرحه ، فإياك ثم إياك ، والحذرَ كل الحذرَ من هذا الحسبان ، بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكّوه ، وندر جارحه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه ، من تعصّب مذهبىّ أو غيره ، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب ، أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلِم لنا أحدٌ من الأئمة ؛ إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون .

وقد عقد الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الكتاب « العلم[1] » بابًا فى حكم قول العلماء بعضهم فى بعض ، بدأ فيه بحديث الزبير رضى الله عنه : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ » الحديث . وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : استمعوا علم العلماء ولا تُصَدِّقوا بعضَهم على بعض ، فوالّذى نفسى بيده لهم أشدُّ تغايرا من التُّيوس فى زُرُوبها .

وعن مالك بن دِينار : يؤخذ بقول العلماء والقُرّاء فى كل شيء ، إلا قول بعضهم فى بعض .

قلت : ورأيت فى كتاب « معين الحكام » لابن عبد الرفيع من المالكية : وقع فى المبسوطة من قول عبد الله بن وهب أنه لا يجوز شهادة القارئ على القارئ - يعنى العلماء - لأنهم أشدّ الناس تحاسدًا وتباغيًا .

وقاله سفيان الثورىّ ، ومالك بن دينار . انتهى .

ولعل ابن عبد البَرّ يرى هذا ، ولا بأس به ، غير أنا لا نأخذ به على إطلاقه . ولكن نرى أن الضابط ما نقوله من أن ثابت العدالة لا يُلتفت فيه إلى قول مَن تشهد القرائن بأنه متحامَل عليه ؛ إما لتعصّب مذهبىّ أو غيره .

---

(١) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله . وهذا الكلام فى الجزء الثانى منه ١٥٠ .

هذا وقد نشر شيخنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، هذه القاعدة ، وحرَّرها تحريرا عاليا .

ثم قال أبو عمر بعد ذلك : الصحيح فى هذا الباب أن مَن ثبتت عدالته وصحّت فى العلم إمامتُه وبالعلم عنايتُه لم يُلتفت فيه إلى قول أحد ، إلا أن يأتىَ فى جَرْحته ببيّنة عادلة ، تصح بها جرحته على طريق الشهادات . واستدل بأن السلَف تكلّم بعضهم فى بعض بكلام ؛ منه ما حمل عليه الغضب[1] أو الحسدُ ، ومنه ما دعا إليه التأويلُ واختلافُ الاجتهاد فيما لا يلزم المقولَ فيه ما قال القائل فيه .

وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف ؛ تأويلا واجتهادا .

ثم اندفع ابن عبد البر فى ذكر كلام جماعة من النظراء بعضهم فى بعض ، وعدم الالتفات إليه لذلك ؛ إلى أن انتهى إلى كلام ابن مَعين فى الشافعى ، وقال : إنه مما نُقِم على ابن مَعين وعِيب به . وذكر قولَ أحمد بن حنبل : من أين يعرف يحيى بن مَعين الشافعىَّ ؟ هو لا يعرف الشافعىّ ، ولا يعرف ما يقوله الشافعىّ ، ومَن جهل شيئًا عاداه .

قلت : وقد قيل إن ابن مَعين لم يرد الشافعىّ ، وإنما أراد ابن عمه ، كما سنحكيه إن شاء الله تعالى فى ترجمة الأستاذ أبى منصور ، وبتقدير إرادته الشافعىّ فلا يُلتفت إليه وهو عارٌ عليه ، وقد كان فى بكاء ابن مَعين على إجابته المأمون إلى القول بخَلْق القرآن ، وتحسّره على ما فرط منه ما ينبغى أن يكون شاغلًا له عن التعرّض إلى الإمام الشافعىّ ، إمام الأئمة ، ابن عمِّ المصطفى ﷺ .

ثم ذكر ابن عبد البَرِّ كلام ابن أبى ذيب ، وإبراهيم بن سعد[2] فى مالك بن أنس ، قال : وقد تكلم أيضًا فى مالك عبدُ العزيز بن أبى سَلَمة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ومحمد بن إسحاق ، وابن أبى يحيى ، وابن أبى الزِّناد ، وعابوا أشياءَ من مذهبه ، وقد برأ الله عزّ وجل مالكا عما قالوا ، وكان عند الله وجيها .

قال : وما مثل من تكلّم فى مالك والشافعىّ ونظائرهما إلا كما قال الأعشى[3] :

كناطحٍ صخرةً يومًا ليقلعَها فلم يَضِرْها وأوهىَ قرنَهُ الوَعِلُ

---

(١) فى المطبوعة : التعصب . والمثبت من ج ، د . وجامع بيان العلم . وفيه بعض اختلاف .

(٢) وهكذا فى جامع بيان العلم . ويرى شيخنا أبو غدة أن الصواب « سعد بن إبراهيم » وذكر تحقيقا طويلا فى القاعدة ١٧ - ٢٠ .

(٣) ديوانه ٦١ . وفيه : ليفلقها . وفى الأصول : قرنها ، وأثبتنا رواية الديوان .

أو كما قال الحسن بن حُميد :

يا ناطحَ الجبل العالى ليكلمَه ... أشفقْ على الرأس لا تُشفقْ على الجبلِ

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول[1] :

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالِمًا ... وللناسِ قالٌ بالظُّنون وقِيلُ

وقيل لابن المبارك : فلان يتكلم فى أبى حنيفة فأنشد :

حسدوك أن رأوك فضلك الله ... بما فُضِّلتْ به النُّجباءُ[2]

وقيل لأبى عاصم النَّبيل : فلان يتكلم فى أبى حنيفة ، فقال : هو كما قال نُصَيب :

* سلمتَ وهل حيٌّ على الناس يسلَم *

وقال أبو الأسود الدُّؤَلى :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيَه ... فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ

ثم قال ابن عبد البر : فمن أراد قبول قول العلماء الثِّقات بعضهم فى بعض فلْيقبل قول الصحابة بعضهم فى بعض ، فإن فعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا . وخسر خسرانًا مبينا .

قال : وإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمه [رشده][3] فليقف عندما شرطناه ، فى أن لا يقبل فى صحيح العدالة المعلوم بالعلم عنايتُه قولَ قائل لا برهان له .

قلت : هذا كلام ابن عبد البر ، وهو على حسنه غير صافٍ عن القَذى والكدر ، فإنه لم يزد فيه على قوله : إن من ثبتت عدالته ومعرفته لا يُقبل قول جارحه إلا ببرهان . وهذا قد أشار إليه العلماء جميعًا ، حيث قالوا : لا يُقبل الجرح إلا مفسَّرا . فما الذى زاده ابن عبد البر عليهم ؟ وإن أومأ إلى أن كلام النظير فى النظير ، والعلماء بعضهم فى بعض مردود مطلقا ، كما قدمناه عن « المبسوطة » فليفصح به ، ثم هو مما لا ينبغى أن يؤخذ هذا على إطلاقه ، بل لابد من زيادةٍ على قولهم : إن الجرح مقدم على التعديل . ونقصانٍ من قولهم : كلام النظير فى النظير مردود .

---

(١) ديوانه ١٢١ .

(٢) لابن قيس الرقيات . فى ديوانه ٩١ .

(٣) زيادة من ج ، د .

والقاعدة معقودة لهذه الجملة ، ولم يَنحُ ابن عبد البر فيما يظهر سواها ، وإلا لصرّح بأن كلام العلماء بعضهم فى بعض مردود ، أو لكان كلامه غير مفيد فائدةً زائدة على ما ذكره الناس ، ولكن عبارته كما ترى قاصرة عن المراد .

فإن قلت : فما العبارة الوافية بما ترون[1] ؟

قلت : ما عرّفناك أولا من أن الجارح لا يُقبل منه الجرح ؛ وإن فسّره[2] فى حقّ من غلبت طاعاته على معاصيه ومادحوه على ذامِّيه ، ومزكّوه على جارحيه ، إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة فى الذى جرحه ؛ من تعصّب مذهبى ، أو منافسة دنيوية ، كما يكون من النظراء ، أو غير ذلك ، فنقول مثلا : لا يُلتفت إلى كلام ابن أبى ذيب فى مالك ، وابن مَعين فى الشافعىّ ، والنّسائىّ فى أحمد بن صالح ، لأن هؤلاء أئمة مشهورون ، صار الجارح لهم كالآتى بخبر غريب ، لو صح لتوفّرت الدواعى على نقله ، وكان القاطع قائما على كذبه .

ومما ينبغى أن يُتفقّد عند الجرح حالُ العقائد واختلافها ، بالنسبة إلى الجارح والمجروح ، فربما خالف الجارح المجروح فى العقيدة فجرحه لذلك ، وإليه أشار الرافعىّ بقوله : وينبغى أن يكون المزكّون بُرآء من الشَّحْناء والعصبيّة فى المذهب ، خوفًا من أن يحملهم ذلك على جرح عَدل أو تزكية فاسق ، وقد وقع هذا لكثير من الأئمة ، جَرَّحوا بناءً على معتقدِهم وهم المخطئون ، والمجروح مصيب . وقد أشار شيخ الإسلام سيد المتأخرين تقى الدين ابن دقيق العِيد فى كتابه « الاقتراح » إلى هذا ، وقال : أعراض المسلمين حُفْرة من حُفَر النار ، وقف على شَفيرها طائفتان من الناس ، المحدِّثون والحكّام[3] .

قلت : ومن أمثلة ما قدمنا قول بعضهم فى البخارىّ : تركه أبو زُرعة وأبو حاتم ، من أجل مسألة اللفظ . فيالله والمسلمين ! أيجوز لأحد أن يقول البخارىّ متروك ! وهو حامل

---

(١) فى المطبوعة : الواقية مما ترون . وأثبتنا ما فى ج ، د .

(٢) فى ج : قسره . والمثبت من : المطبوعة ، د .

(٣) الاقتراح ٣٤٤ .

لواء الصناعة ، ومقدَّم أهل السنة والجماعة ! ثم يالله والمسلمين ، أتُجعل مُمادحه مَذامّ ! فإن الحق فى مسألة اللفظ معه ، إذ لا يستريب عاقل من المخلوقين فى أن تلفُّظه من أفعاله الحادثة التى هى مخلوقة لله تعالى ، وإنما أنكرها الإمام أحمد رضى الله عنه لبشاعة لفظها .

ومن ذلك قول بعض المجسِّمة[1] فى أبى حاتم ابن حِبّان : لم يكن له كبير دين ، نحن أخرجناه من سِجِسْتان ، لأنه أنكر الحدَّ لله . فياليت شِعْرى من أحق بالإخراج ؟ من يجعل ربّه محدودا أو من ينزِّهه عن الجسمية ؟ !

وأمثلة هذا تكثر ، وهذا شيخنا الذهبىّ رحمه الله من هذا القَبيل ، له علم وديانة ، وعنده على أهل السنة تحمّل مفرط ، فلا يجوز أن يعتمد عليه .

ونقلت من خط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائىّ رحمه الله ما نصه : الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبىّ لا أشك فى دينه وورعه وتحرِّيه فيما يقوله الناس ، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ، ومنافرة التأويل ، والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك فى طبعه انحرافًا شديدا عن أهل التنزيه ، وميلا قويًا إلى أهل الإثبات ، فإذا ترجم واحدًا منهم يُطنب فى وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ، ويبالغ فى وصفه ، ويتغافل عن غلطاته ، ويتأول له ما أمكن ، وإذا ذكر أحدا من الطَّرَف الآخر كإمام الحرمَين ، والغزالىّ ونحوهما ، لا يبالغ فى وصفه ، ويكثر من قول من طعن فيه ، ويعيد ذلك ويبديه ، ويعتقده دِينا ، وهو لا يشعر ، ويُعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها ؛ وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها . وكذلك فعله فى أهل عصرنا ، إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول فى ترجمته : والله يصلحه ، ونحو ذلك . وسببه المخالفة فى العقائد . انتهى .

والحال فى حق شيخنا الذهبىّ أزيد مما وصف، وهو شيخنا ومعلِّمنا، غير أن الحقّ أحقُّ أن يُتَّبع. وقد وصل من التعصّب المفرط إلى حدّ يُسخر منه. وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين، وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية، فإن غالبهم أشاعرة، وهو إذا وقع بأشعريٍ لا يُبقى ولا يذَر . والذى أعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند

---

(١) هو يحيى بن عمار . وسيأتى فى الجزء الثالث ١٣٢ .

مَن لعل أدناهم عنده أوجه منه . فالله المسئول أن يخفِّف عنه ، وأن يلهمهم العفو عنه ، وأن يشفعهم فيه .

والذى أدركنا عليه المشايخ النهىُ عن النظر فى كلامه ، وعدم اعتبار قوله ، ولم يكن يستجرى أن يُظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يُعاب عليه .

وأما قول العلائىّ رحمه الله : « دينه وورعه وتحرّيه فيما يقوله » ، فقد كنت أعتقد ذلك ، وأقول عند هذه الأشياء [إنه][1] ربما اعتقدها دينا ، ومنها أمور أقطعُ بأنه يعرف بأنها كذب ، وأقطع بأنه لا يختلقها ، وأقطع بأنه يحب وضعها فى كتبه لتنتشر ، وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها ، بغضا للمتحدث فيه ، وتنفيرا للناس عنه ، مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ، ومع اعتقاده أن هذا مما يوجب نصر العقيدة التى يعتقدها هو حقا ، ومع عدم ممارسته لعلوم الشريعة ، غير أنى لما أكثرت بعد موته النظر فى كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه ، توقفت فى تحرِّيه فيما يقوله ، ولا أزيد على هذا غير الإحالة على كلامه ، فلينظرْ كلامَه من شاء ، ثم يبصر هل الرجل متحرٍّ عند غضبه أو غير متحرّ ، وأعنى بغضبه : وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين ، من الحنفية ، والمالكية[2] والشافعية ، فإنى أعتقد أن الرجل كان إذا مد القلم لترجمة أحدهم غضب غضبا مفرطا ، ثم قرْطم[3] الكلام ومزّقه ، وفعل من التعصّب مالا يخفى على ذى بصيرة ، ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغى ، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقَل معناها لما نطق بها ، ودائما أتعجب من ذكره الإمام فخر الدين الرازىّ فى كتاب « الميزان » فى الضعفاء ، وكذلك السيف الآمِدىّ ، وأقول : يالله العجب ! هذان لا رواية لهما ، ولا جرَّحهما أحد ، ولا سُمع من أحد أنه ضعّفهما فيما ينقلانه من علومهما ، فأىّ مدخل لهما فى هذا الكتاب ؟

ثم إنا لم نسمع أحدا يسمى الإمام فخر الدين بالفخر ، بل إمّا الإمام ، وإما ابن الخطيب ، وإذا تُرجم كان فى المحمّدين ، فجعله فى حرف الفاء ، وسماه الفخر ، ثم حلف فى آخر الكتاب

---

(١) زيادة من ج ، د .

(٢) من هنا سقط فى ج .

(٣) قرطم الكلام : قطعه .

أنه لم يتعمد فيه هوى نفسه ، فأى هوى نفس أعظم من هذا ؟ فإما أن يكون ورّى فى يمينه ، أو استثنى غير الرواة ، فيقال له : فلِم ذكرت غيرهم ؟ وإما أن يكون اعتقد أن هذا ليس هوى نفس ، وإذا وصل إلى هذا الحد والعياذ بالله فهو مطبوع على قلبه .

ولنعُد إلى ما كنا بصدده فنقول :

● فإن قلت : قولكم لا بد من تفقد حال العقائد هل تعنون به أنه لا يُقبل قول مخالف عقيدة فيمن خالفه مطلقا ؛ سواء السنّى على المبتدِع وعكسه ، أو غير ذلك ؟

قلت : هذا مكان مُعضل ، يجب على طالب التحقيق التوقّف عنده لفهم ما يُلقى عليه ، وأن لا يبادر لإنكار شىء قبل التأمل فيه .

واعلم أنا عنينا ما هو أعمّ من ذلك ، ولسنا نقول : لا تُقبل شهادة السنّى على المبتدِع مطلقا ، مَعاذ الله ؛ ولكن نقول : مَن شهد على آخر ، وهو مخالف له فى العقيدة أوجبت مخالفتُه له فى العقيدة ريبةً عند الحاكم المنتصر ، لا يجدها إذا كانت الشهادة صادرة من غير مخالِف فى العقيدة ، ولا ينكر ذلك إلا فَدْمٌ أخرق .

ثم المشهود به يختلف باختلاف الأحوال والأغراض، فربما وضح غرض الشاهد على المشهود عليه إيضاحا لا يخفى على أحد، وذلك لقربه من نصر معتقَده، أو ما أشبه ذلك، وربما دَقّ وغمض، بحيث لا يدركه إلا الفَطِن من الحكّام، ورُبَّ شاهدٍ من أهل السنة ساذَج، قد مقت المبتدِع مقتا زائدا على ما يطلبه الله منه، وأساء الظنّ به إساءةً أوجبت له تصديقَ ما يبلغه عنه، فبلغه عنه شىء، فغلب على ظنه صدقُه؛ لما قدمناه فشهد به، فسبيل الحاكم التوقّف فى مثل هذا إلى أن يتبيّن له الحال فيه، وسبيل الشاهد الورع - ولو كان من أصلب أهل السُّنَّة - أن يعرض على نفسه ما نُقل له عن هذا المبتدِع وقد صدّقه وعزم على أن شهد عليه به، أن يعرض على نفسه مثل هذا الخبر بعينه، وهذا المخبر بعينه لو كان عن شخص من أهل عقيدته هل كان يصدّقه؟ وبتقدير أنه كان يصدّقُه فهل كان يبادر إلى الشهادة عليه به؟ وبتقدير أنه كان يبادر فلْيوازن ما بين المبادرتين، فإن وجدهما سواء فدونه، وإلا فلْيعلم أنَّ حظ النفس داخَلَه، وأزيد من ذلك أن الشيطان استولى عليه،

فخيَّل له أن هذه قُرْبة وقيام فى نصر الحق ، ولْيعلم مَن هذه سبيله أنه أُتى من جهل وقلة دين .

وهذا قولنا فى سنّىٍّ يجرِّح مبتدِعا ، فما الظنّ بمبتدِع يجرِّح سنِّيًّا ! كما قدمناه . وفى المبتدعة لا سيّما المجسِّمة زيادةٌ لا توجد فى غيرهم ، وهو أنهم يرون الكذب لنُصرة مذهبهم ، والشهادة على من يخالفهم فى العقيدة بما يسوءه فى نفسه وماله بالكذب ، تأييدًا لاعتقادهم ، ويزداد حَنَقُهم وتقرّبهم إلى الله بالكذب عليه ، بمقدار زيادته فى النيل منهم ، فهؤلاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم .

فإن قلت : أليس أن الصحيح فى المذهب قبولُ شهادة المبتدِع إذا لم نكفّره ؟

قلت : قبول شهادته لا يوجب دفع الرِّيبة عند شهادته على مخالِفه فى العقيدة ، والرِّيبة توجب الفحص والتكشّف والتثبّت ، وهذه أمور تُظهر الحق إن شاء الله تعالى إذا اعتمدتْ على ما ينبغى .

وفى تعليقة القاضى الحسين : لا يجوز أن يُبغض الرجلَ لأنه من مذهب كذا ، فإن ذلك يوجب ردّ الشهادة ، انتهى .

ومراده لأنه من مذهب من المذاهب المقبولة ، أما إذا أبغضه لكونه مبتدِعا فلا تردّ شهادته .

واعلم أن ما ذكرناه من قبول شهادة المبتدع هو ما صححه النووىّ ، وهو مصادم لنص الشافعىّ على عدم قبول الخطَّابية ، وهى طريقة الأصحاب ، وأصحاب هذه الطريقة يقولون : لو شهد خطّابىّ ، وذكر فى شهادته ما يقطع احتمال الاعتماد على قول المدّعِى ، بأن قال سمعت فلانا يقرّ بكذا لفلان ، أو رأيته أقرضه قُبلت شهادته . وهذا منهم بناء على أن الخطّابى يرى جواز الشهادة لصاحبه إذا سمعه يقول : لى على فلان كذا فصدّقه ، وإليه أشار الشافعىّ .

وقد تزايد الحال بالخطَّابية ، وهم المجسِّمة فى زماننا هذا ؛ فصاروا يرون الكذب على مخالفيهم فى العقيدة ، لا سيّما القائم عليهم بكل ما يسوءه فى نفسه وماله . وبلغنى أن كبيرهم استُفتى فى شافعىٍّ ؛ أيشهد عليه بالكذب ؟ فقال : ألستَ تعتقد أن دمه حلال ؟ قال : نعم ، قال : فما دون ذلك دون دمه ! فاشهد وادفع فساده عن المسلمين .

فهذه عقيدتهم ، ويرون أنهم المسلمون ، وأنهم أهل السنة ولو عُدّوا عددا لما بلغ علماؤهم – ولا عالم فيهم على الحقيقة – مبلغا يعتبر . ويكفِّرون غالب علماء الأمة ، ثم يعتزون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وهو منهم برىء ! ولكنه كما قال بعض العارفين ، ورأيته بخط الشيخ تقى الدين ابن الصلاح : إمامان ابتلاهما الله بأصحابهما وهما بريّان منهم ؛ أحمد ابن حنبل ابتُلى بالمجسِّمة ، وجعفر الصادق ابتُلى بالرافضة .

ثم هذا الذى ذكرناه هو على طريقة النووىّ رحمه الله . والذى أراه أن لا تُقبل شهادتهم على سُنّى[1] .

فإن قلت : هل هذا رأى الشيخ أبى حامد ومَن تابعه ، أن أهل الأهواء كلّهم لا تُقبل لهم شهادة ؟

قلت : لا ، بل هذا قول بأن شهادتهم على مخالفيهم فى العقيدة غير مقبولة ، ولو كان مخالفهم فى العقيدة مبتدعا ، وهذا لا أعتقد أن النووىّ ولا غيره يخالف فيه . والذى قاله النووىّ قبول شهادة المبتدِع إذا لم نكفِّره على الجملة ، أما أن شهادته تُقبل بالنسبة إلى مخالِفه فى العقيدة مع ما هناك من الرِّيبة ، فلم يقل النووىّ ولا غيره ذلك .

فإن قلت : غاية المخالفة فى العقيدة أن توجب عداوة ، وهى دينية ، فلا توجب رد الشهادة .

قلت : إنما لا توجب ردَّ الشهادة من المحق على المبطِل ، كما قال الأصحاب : تقُبل شهادة السنّى على المبتدِع ، وكذا من أبغض الفاسق لفسقه ، ثم سأعرفك ما فيه ، وأما عكسه وهو المبتدِع على السنّى فلم يقله أحد من أصحابنا .

ثم أقول فى ما ذكره الأصحاب من قبول شهادة السنّي على المبتدِع : إنما ذلك فى سنّى لم يصل فى حق المبتدِع وبغضه له إلى أن يصير عنده حظّ نفس قد يحمله على التعصُّب عليه ، وكذا الشاهد على الفاسق . فمن وصل من السنّى والشاهد على الفاسق إلى هذا الحد

---

(١) فى د : على شىء .

لم أقبل شهادته عليه ؛ لأن عندهما زيادةً على ما طلبه الشارع منهما أوجبت عندى الرِّيبة في أمرهما ، فكم من شاهد رأيته يُبغض إنسانا ويشهد عليه بالفسق تديّنا ، وجاءنى وأدَّى الشهادة عندى باكيًا وقت تأديته الشهادة على الدِّين ، فَرِقا خائفًا أن يُخسف بالمسلمين ؛ لوجود المشهود عليه بين أظْهُرنا . وأنا والذى نفسى بيده أعتقد وأتيقّن أن المشهود عليه خيرٌ منه . ولا أقول إنه كذب عليه عامدًا ، بل إنه بنى على الظن ، وصدّق أقوالا ضعيفة أبغض المشهودَ عليه بسببها ، فمنذ أبغضه لحقه هوى النفس ، و استولى عليه الشيطان ، وصار الحامل له فى نفس الأمر حظّ نفسه وفيما يخطر له الدين .

هذا ما شاهدته وأبصرته ولى فى القضاء سنين عديدة ، فلْيتق الله امرؤ وقف على حفرة من حُفَر النار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، قد جعلنى الله قاضيا ومحدِّثا ، وقد قال ابن دَقيق العِيد : أعراض الناس حفرة من حُفَر النار ، وقف عليها المحدِّثون والحكام .

● ومما يؤيد ما قلته أن أصحابنا قالوا : مَن استباح دم غيره من المسلمين ولم يقدر على قتله فشَهد عليه بقتْل[1] لم يُقتل . ذكره الرُّويانىّ فى « البحر » فى باب « مَن تجوز شهادته » نقلًا عن بعض أصحابنا ساكتًا عليه ، ولا يُعرف فى المذهب خلافه .

فإن قلت : قد قال عَقيبه : ومن شَتم متأوّلا ثم شهد عليه ، قُبِل ، أو غير متأوّل ، فلا .

قلت : يعنى بالقبول بعد الشتم متأولا الشهادة بأمر معين ، ونحن نعلم أنه لا يحمله عليها بغضٌ ، فليس كمن وصفناه .

ومما ينبغى أن يُتفقَّد عند الجرح أيضاً حال الجارح فى الخبرة بمدلولات الألفاظ ، فكثيرًا ما رأيت من يسمع لفظة فيفهمها على غير وجهها . والخبرة بمدلولات الألفاظ ، ولا سيّما الألفاظ العُرفية التى تختلف باختلاف عرف الناس ، وتكون فى بعض الأزمنة مدحًا ، وفى بعضها ذمًّا ، أمر شديد لا يدركه إلا قعيدٌ بالعلْم .

ومما ينبغى أن يُتفقد أيضا حالُه فى العلم بالأحكام الشرعية ، فرُبَّ جاهلٍ ظنّ الحلال حراما فجرّح به . ومن هنا أوجب الفقهاء التفسير ليتوضح الحال .

---

(١) فى المطبوعة : فقتل . والمثبت من د .

وقال الشافعيّ رضى الله عنه : حضرت بمصر رجلا مزكّيا يجرح رجلا ، فسُئل عن سببه وأُلحّ عليه فقال : رأيته يبول قائما . قيل : وما فى ذلك ؟ قال : يردّ الريحُ من رَشاشه على يده وثيابه فيصلّى فيه . قيل : هل رأيته قد أصابه الرَّشاشُ وصلّى قبل أن يغسل ما أصابه ؟ قال : لا ، ولكن أُراه سيفعل .

قال صاحب « البحر » : وحُكى أن رجلا جرح رجلا وقال : إنه طيّن سطحه بطين استخرج من حوض السبيل .

ومما ينبغى أيضا تفقده ، وقد نبّه عليه شيخ الإسلام ابن دَقيق العِيد ، الخلافُ الواقع بين كثير من الصوفية وأصحاب الحديث ، فقد أوجب كلامَ بعضهم فى بعض[1] ، كما تكلّم بعضهم فى حق الحارث المُحاسِبِىّ وغيره ، وهذا فى الحقيقة داخل فى قسم مخالفة العقائد ، وإن عده ابن دقيق العيد غيره .

والطامّة الكبرى إنما هى فى العقائد المثيرة للتعصّب والهوى ، نعم وفى المنافسات الدنيوية على حُطام الدنيا ، وهذا فى المتأخّرين أكثر منه فى المتقدّمين ، وأمر العقائد سواء فى الفريقين .

وقد وصل حال بعض المجسِّمة فى زماننا إلى أن كتب شرح « صحيح مسلم » للشيخ محيى الدين النووىّ ، وحذف من كلام النووىّ ما تكلم به على أحاديث الصفات ، فإن النووىّ أشعرىُّ العقيدة ، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذى صنّفه مصنّفه .

وهذا عندى من كبائر الذنوب ؛ فإنه تحريف للشريعة ، وفتح باب لا يُؤمن معه بكتب الناس وما فى أيديهم من المصنفات ، فقبّح الله فاعلَه وأخزاه ، وقد كان فى غُنية عن كتابة هذا الشرح ، وكان الشرح فى غُنية عنه .

ولنعد إلى الكلام فى الجارحين على النحو الذى عرّفناك .

فإن قلت : فهذا يعود بالجرح على الجارح ؛ حيث جَرح لا فى موضعه .

قلت : أما من تكلّم بالهوى ونحوه فلا شك فيه ، وأما من تكلم بمبلغ ظنه ، فهنا

---

(١) الاقتراح ٣٣٨ .

وقفة محتومة على طالب التحقيقات ، ومَزَلَّة تأخذ بأقدام من لا يبرأ عن حوله وقوّته ، ويكِل أمره إلى عالم الخفيّات .

فنقول : لا شك أن من تكلّم فى إمام استقر فى الأذهان عظمتُه ، وتناقلت الرواة مَمادحه ، فقد جر الملام إلى نفسه ، ولكنا لا نقضى أيضًا على من عُرفت عدالته إذا جَرح من لم يُقبل منه جرحه إياه بالفسق ، بل نجوّز أمورا :

أحدها : أن يكون واهما ، ومن ذا الذى لا يَهِم ؟

والثانى : أن يكون مُؤوِّلا ، قد جرح بشىء ظنه جارحا ، ولا يراه المجروح كذلك ؛ كاختلاف المجتهدين .

والثالث : أن يكون نقَلَه إليه من يراه هو صادقا ، ونراه نحن كاذبا . وهذا لاختلافنا فى الجرح والتعديل ، فربَّ مجروح عند عالم مُعدَّل عند غيره ، فيقع الاختلاف فى الاحتجاج حسب الاختلاف فى تزكيته ، فلم يتعين أن يكون الحامل للجارح على الجرح مجرّد التعصّب والهوى حتى يجرحه بالجرح .

ومعنا أصلان نستصحبهما إلى أن نتيقن خلافهما : أصل عدالة الإمام المجروح الذى قد استقرت عظمتُه ، وأصل عدالة الجارح الذى يُثْبِت ، فلا يُلتفت إلى جرحه ، ولا نجرحه بجرحه . فاحفظ هذا المكان فهو من المهمات .

فإن قلت : فهل ما قررتموه مخصِّص لقول الأئمة إن الجرح مقدَّم ؛ لأنكم تستثنون جارحا لمن هذا شأنه ، قد نَدَر بين المعدِّلين ؟

قلت: لا ، فإن قولهم: الجرح مقدَّم ، إنما يعنون به حالة تعارض الجرح والتعديل ، فإذا تعارضا ، لأمر من جهة الترجيح قدمنا الجرح ؛ لما فيه من زيادة العلم ، وتعارضهما هو استواء الظن عندهما ؛ لأن هذا شأن المتعارضيْن ، أما إذا لم يقع استواء الظن عندهما فلا تعارض ، بل العمل بأقوى الظَّنَّين من جرح أو تعديل . وما نحن فيه لم يتعارضا ؛ لأن غلبة الظن بالعدالة قائمة ، وهذا كما أن عدد الجارح إذا كان أكثر قُدّم الجرح

إجماعا ، لأنه لا تعارض والحالة هذه . ولا يقول منا أحد بتقديم التعديل ؛ لا من قال بتقديمه عند التعارض ولا غيره .

وعبارتنا فى كتابنا « جمع الجوامع » وهو مختصر جمعناه فى الأصلين ، جَمع فأوعى : والجرح مقدَّم إن كان عدد الجارح أكثر من المعدِّل إجماعا ، وكذا إن تساويا ، أو كان الجارح أقل . وقال ابن شعبان[1] بطلب الترجيح . انتهى .

وفيه زيادة على ما فى مختصرات أصول الفقه ، فإنا نبهنا فيه على مكان الإجماع ، ولم ينبهوا عليه ، وحكينا فيه مقالة ابن شعبان من المالكية ، وهى غريبة لم يشيروا إليها ، وأشرنا بقولنا يُطلب الترجيح إلى أن النزاع إنما هو فى حالة التعارض ، لأن طلب الترجيح إنما هو فى تلك الحالة .

وهذا شأن كتابنا « جمع الجوامع »- نفع الله به - غالبا ظننا أن فى كل مسألة فيه زياداتٍ لا توجد مجموعة فى غيره ، مع البلاغة فى الاختصار .

إذا عرفت هذا علمت أنه ليس كلّ جرح مقدما .

وقد عقد شيخنا الذهبىّ رحمه الله تعالى فصلا فى جماعة لا يُعبأ بالكلام فيهم ، بل هم ثقات على رغم أنف من تفوّه فيهم بما هم عنه بُرَآء ، ونحن نورد فى ترجمته محاسن ذلك الفصل[2] ، إن شاء الله .

ولنختم هذه القاعدة بفائدتين عظيمتين ، لا يراهما الناظر أيضا فى غير كتابنا هذا .

إحداهما : أن قولهم : لا يُقبل الجرح إلا مفسَّرا ، إنما هو أيضا فى جرح من ثبتت عدالته واستقرت ، فإذا أراد رافعٌ رفعها بالجرح قيل له : ائت ببرهان على هذا . أو فيمن لم يُعرف حاله ولكن ابتدره جارحان ومزكِّيان ، فيقال إذ ذاك للجارحين : فسِّرا ما رميتماه به . أما من ثبت أنه مجروح فيُقبل قول من أطلق جرحه ؛ لجريانه على الأصل المقرر عندنا ، ولا نطالبه بالتفسير ، إذ لا حاجة إلى طلبه .

والفائدة الثانية : أنا لا نطلب التفسير من كل أحد، بل إنما نطلبه حيث يَحتمل الحال شكًّا إمّا لاختلاف فى الاجتهاد، أو لتهمة يسيرة فى الجارح، أو نحو ذلك مما لا يوجب

---

(١) هو أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان . فقيه مالكى . توفى سنة ٣٥٥ . الديباج المذهب ٢ / ١٩٤ .

(٢) ٩ / ١١١ .

سقوط قول الجارح ، ولا ينتهى إلى الاعتبار به على الإطلاق ، بل يكون بَيْنَ بَيْنَ ، أمَّا إذا انتفت الظنون واندفعت التهم ، وكان الجارح حَبْرا من أحبار الأمة مبرأ عن مظانّ التهمة ، أو كان المجروح مشهورا بالضعف ، متروكا بين النقاد ، فلا نتلعثم عند جرحه ، ولا نحوج الجارح إلى تفسير ، بل طلبُ التفسير منه والحالة هذه طلبٌ لِغيبة لا حاجة إليها .

فنحن نقبل قول ابن مَعين فى إبراهيم بن شعيب المدنىّ ، شيخ روى عنه ابن وهب : إنه ليس بشىء . وفى إبراهيم بن يزيد المدنىّ : إنه ضعيف ، وفى الحسين بن الفرج الخياط : إنه كذاب يسرق الحديث . وعلى هذا ، وإن لم يبيِّن الجرح ؛ لأنه إمام مقدَّم فى هذه الصناعة ، جرح طائفة غير ثابتى العدالة والثَّبت . ولا نقبل قوله فى الشافعىّ ، ولو فسّر وأتى بألف إيضاح ؛ لقيام القاطع على أنه غير محق بالنسبة إليه .

فاعتبر ما أشرنا إليه فى ابن مَعين وغيره ، واحتفظ بما ذكرناه تنتفع به .

ويقرب من هذه القاعدة التى ذكرناها فى الجرح والتعديل :

(قاعدة فى المؤرخين)[1]

نافعة جدا . فإن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس ، ورفعوا أناسا ؛ إما لتعصّب أو لجهل ، أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به ، أو غير ذلك من الأسباب .

والجهل فى المؤرخين أكثر منه فى أهل الجرح والتعديل . وكذلك التعصب قلَّ أن رأيت تاريخا خاليا من ذلك .

وأما تاريخ شيخنا الذهبىّ غفر الله له ، فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصّب المفرط ، لا واخذه الله ، فلقد أكثر الوقيعة فى أهل الدين ، أعنى الفقراء الذين هم صفوة الخلق ، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ، ومال فأفرط على الأشاعرة ، ومدح فزاد فى المجسِّمة . هذا وهو الحافظ المِدْرَه والإمام المبجّل ؛ فما ظنك بعوامّ المؤرخين !

فالرأى عندنا ألا يُقبل مدح ولا ذم من المؤرخين إلا بما اشترطه إمام الأئمة وحبر الأمّة ، وهو الشيخ الإمام الوالد رحمه الله حيث قال ، ونقلته من خطه فى مجاميعه :

---

(١) حكاها عنه السخاوى ، فى الإعلان بالتوبيخ ١٣١ .

يشترط فى المؤرخ الصدقُ[1] ، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى ، وألا يكون ذلك الذى نقله أخذه فى المذاكرة ، وكتبه بعد ذلك ، وأن يسمّى المنقول عنه . فهذه شروط أربعة فيما ينقله .

ويشترط فيه أيضا لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يُطَوّل فى التراجم من المنقول ويقَصِّر ، أن يكون عارفا بحال صاحب الترجمة ؛ علما ودينا وغيرهما من الصفات ، وهذا عزيز جدا ، وأن يكون حسن العبارة ، عارفا بمدلولات الألفاظ ، وأن يكون حسن التصور ، حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، وأن لا يغلبه الهوى فيخيِّل إليه هواه الإطناب فى مدح من يحبه والتقصير فى غيره ، بل إما أن يكون مجردا عن الهوى وهو عزيز ، وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ويسلك طريق الإنصاف .

فهذه أربعة شروط أخرى ، ولك أن تجعلها خمسة ؛ لأن حسن تصوره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف ، فيُجعل حضور التصور زائدا على حسن التصور والعلم . فهى تسعة شروط فى المؤرخ ، وأصعبها الاطلاع على حال الشخص فى العلم ، فإنه يحتاج إلى المشاركة فى علمه والقرب منه ، حتى يعرف مرتبته . انتهى .

وذكر أن كتابته لهذه الشروط كانت بعد أن وقف على كلام ابن مَعين فى الشافعىّ ، وقول أحمد بن حنبل : إنه لا يعرف الشافعىّ ، ولا يعرف ما يقول .

قلت : وما أحسن قولَه : ولما عساه يُطَوّل فى التراجم من المنقول ويقَصِّر . فإنه أشار به إلى فائدة جليلة ، يغفل عنها كثيرون ، ويحترز منها الموفَّقون ، وهى تطويل التراجم وتقصيرها ؛ فربّ محتاطٍ لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولا ، ثم يأتى إلى من يُبغضه فينقل جميع ما ذُكر من مَذامّه ، ويحذف كثيرا مما نُقل من مَمادحه ، ويجىء إلى من يحبه فيعكس الحال فيه ، ويظن المسكين أنه لم يأت بذنب ؛ لأنه ليس يجب عليه تطويل ترجمة أحد ، ولا استيفاء ما ذكر من مَمادحه ، ولا يظن المغترّ أن تقصيره لترجمته بهذه النية ، استزراءٌ به ، وخيانة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين فى تأدية ما قيل

---

[1] حكاه عنه الصفدى ، فى الوافى بالوفيات ١/ ٤٦ .

فى حقه ؛ من حمد وذم ، فهو كمن يُذكر بين يديه بعض الناس فيقول : دعونا منه ، وإنه عجيب ، أو الله يصلحه ، فيظن أنه لم يغتبه بشىء من ذلك ، وما يظن أن ذلك من أقبح الغِيبة .

ولقد وقفت فى تاريخ الذهبىّ رحمه الله على ترجمة الشيخ الموفَّق بن قُدامة الحنبلىّ ، والشيخ فخر الدين بن عساكر ، وقد أطال تلك وقصّر هذه ، وأتى بما لا يشك لبيب أنه لم يحمله على ذلك إلا أن هذا أشعرىّ وذاك حنبلىّ ، وسيقفون بين يدى رب العالمين .

وكذلك ما أحسنَ قولَ الشيخ الإمام : وأن لا يغلبه الهوى . فإن الهوى غَلَّاب ، إلا لمن عصمه الله .

وقوله : فإمّا أن يتجرد عن الهوى ، أو يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه . عندنا فيه زيادة ، فنقول :

قد لا يتجرد عن الهوى ، ولكن لا يظنه هوى ، بل يظنه لجهله أو بدعته حقا ، وذلك لا يتطلب ما يقهر هواه ؛ لأن المستقر فى ذهنه أنه محقٌّ ؛ وهذا كما يفعل كثير من المتخالفين فى العقائد بعضهم فى بعض ، فلا ينبغى أن يُقبل قول مخالف فى العقيدة على الإطلاق ، إلا أن يكون ثِقة ، وقد روى شيئًا مضبوطًا عاينه أو حققه .

وقولنا : مضبوطًا . احترزنا به عن رواية ما لا ينضبط من التُّرَّهات ، التى لا يترتب عليها عند التأمّل والتحقق شىء .

وقولنا : عاينه أو حققه . ليخرج ما يرويه عمن غلا أو رخّص ؛ ترويجًا لعقيدته .

وما أحسن اشتراطه العلم ومعرفة مدلولات الألفاظ ، فلقد وقع كثيرون لجهلهم بهذا . وفى كتب المتقدّمين جرح جماعة بالفلسفة ، ظنًّا منهم أن علم الكلام فلسفة ، إلى أمثال ذلك مما يطول عَدُّه .

فقد قيل فى أحمد بن صالح الذى نحن فى ترجمته : إنه يتفلسف . والذى قال هذا لا يعرف الفلسفة .

وكذلك قيل فى أبى حاتم الرازىّ[1] ، وإنما كان رجلا متكلما .

---

(١) يرجّح شيخنا عبد الفتاح أبو غدة أن المقول فيه هو « أبو حاتم بن حِبّان البُسْتىّ » المترجم فى ١٣١/٣ ، فهو الذى ينسب إلى الفلسفة وعلم الكلام . قاعدة فى الجرح والتعديل ٨٠ .

وقريب من هذا قول الذهبىّ فى المِزِّىّ ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى ترجمة المِزِّىّ فى الطبقة السابعة أنه يعرف مَضايق المعقول ، ولم يكن المِزِّىّ ولا الذهبىّ يدريان شيئاً من المعقول .

والذى أُفتى به ، أنه لا يجوز الاعتماد على كلام شيخنا الذهبىّ فى ذم أشعريٍّ ولا شكر حنبليٍّ . والله المستعان .

توفى أحمد بن صالح سنة ثمان وأربعين ومائتين .

٤

أحمد بن أبى سُرَيج الصَّبَّاح النَّهْشَلِىّ

وقيل : أحمد بن عمر بن الصباح . أبو جعفر الرازىّ البغدادىّ*

سمع شُعيب بن حرب ، وأبا معاوية الضرير ، وابن عُلَيّة ، ووكيعا ، والشافعىّ ، وجماعة .

روى عنه البخارىّ ، والنَّسائىّ ، وأبو داود ، وأبو بكر بن أبى داود ، وأبو زُرْعَة ، وأبو حاتم ، وغيرهم .

قال النَّسائىّ : ثِقَة .

وقال أبو حاتم : صَدُوق .

* * *

---

* له ترجمة فى تهذيب التهذيب ٤٤/١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٠ ، طبقات القراء ٦٣/١ . وقد ذكر صاحب طبقات القراء أن ابن سريج توفى سنة ٢٣٠ ، بينما ينقل ابن حجر فى التهذيب من خط الذهبى أنه مات بعد الأربعين ومائتين .

٥

أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشى
أبو عبيد الله المصرى ، الملقب بَبَحْشَل*

روى عن عمه عبد الله بن وهب ، وعن الشافعىّ ، وجماعة .

حدّث عنه مسلم فى الصحيح ، وأبو حاتم الرازىّ ، وابن خُزَيمة ، وابن جرير .

توفى سنة أربع وستين ومائتين .

٦

أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السَّرْح القرشىّ الأموىّ
مولاهم أبو الطاهر المِصْرىّ الفقيه**

روى عن سفيان بن عُيَيْنَة ، والشافعىّ ، وابن وَهْب ، وغيرهم .

وعنه مسلم ، وأبو داود ، والنَّسائىّ ، وابن ماجة ، وطائفة آخرهم أبو بكر بن أبى داود .

وكان من جلّة العلماء ، شرح « موطّأ مالك » ، وتفرّد عن ابن وهب بحديث ، فقال :

حدثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ بَنِى آدَمَ سَيِّدٌ ، وَالرَّجُلُ سَيِّدُ أَهْلِهِ ، وَالْمَرْأَةُ سَيِّدَةُ بَيْتِها » .

هذا حديث صحيح غريب .

توفى أبو الطاهر لأربع عشرة خلت من ذى القعدة ، سنة خمسين ومائتين .

---

* له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ١/ ٥٤ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٤ ، شذرات الذهب ٢/ ١٤٧ ، العبر ٢٨/٢ .

وبحشل : بفتح الموحدة وسكون المهملة بعدها شين معجمة ، لقب له . انظر التهذيب .

** له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٩ ، تهذيب التهذيب ١/ ٦٤ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٤ ، شذرات الذهب ١٢٠/٢ ، العبر ٤٥٥/١ . وفيه : البصرى ، وفى سائر المصادر : المصرى .

٧

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيّان
ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازِن بن شَيبان بن ذُهْل
ابن ثعلبة بن عُكَابة[1] بن صَعب بن علىّ بن بكر بن وائل*

هكذا نسبه ولده عبد الله ، واعتمده الحافظ أبو بكر الخطيب وغيره ، وأما قول عباس الدُّورِىّ ، وأبى بكر بن أبى داود : إن الإمام أحمد كان من بنى ذُهْل بن شَيبان . فغلّطهما الخطيب ، وقال : إنما كان من بنى شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، قال : وذُهْل بن ثعلبة هو عم ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة .

هو الإمام الجليل أبو عبد الله الشَّيبانىّ المَرْوَزِىّ ، ثم البغدادىّ ، صاحب المذهب ، الصابرُ على المحنة ، الناصر للسُّنَّة ، شيخ العصابة ، ومقتدَى الطائفة ، ومن قال فيه الشافعىّ فيما رواه حَرْمَلة : خرجت من بغداد ، وما خلَّفت بها أفقهَ ولا أورعَ ولا أزهدَ ولا أعلَم من أحمد .

وقال المُزَنِىّ : أبو بكر يوم الرِّدَّة ، وعمر يوم السَّقيفة ، وعثمان يوم الدار ، وعلىّ يوم صِفِّين ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا زُرْعة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ، فقلت : وما يدريك ؟ فقال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .

وعن أبى زُرْعَة : حزر كتب أحمد يوم مات فبلغت اثنى عشر حِمْلا وعِدْلا ، ما كان على ظهر كتاب منها : حديث فلان ، ولا فى بطنه : حدثنا فلان ، وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٧ ، تهذيب التهذيب ١/ ٧٢ . الجمع بين رجال الصحيحين ٥ ، حلية الأولياء ١٦١/٩ ، شذرات الذهب ٩٦/٢ ، طبقات الحنابلة ٤/١ . طبقات الشيرازى ٧٥ ، طبقات القراء ١١٢/١ ، العبر ٤٣٥/١ . مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزى . النجوم الزاهرة ٣٠٤/٢ ، وفيات الأعيان ٤٧/١ .

(١) عكابة كدخانة . القاموس (ع ك ب) .

وقال قُتَيبة بن سعيد : كان وكيع إذا كانت العَتَمَة ينصرف معه أحمد بن حنبل ، فيقف على الباب فيذاكره ، فأخذ ليلة بِعضادَتى[1] الباب ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، أريد أن ألقي عليك حديث سفيان ، قال : هاتِ ، قال : تحفظ عن سفيان ، عن سَلَمة بن كُهَيل كذا ؟ قال : نعم ، حدثنا يحيى ، فيقول : سَلَمة كذا وكذا ، فيقول : حدثنا عبد الرحمن ، فيقول : وعن سَلَمة كذا وكذا ، فيقول : أنت حدثتنا ، حتى يفرُغ من سَلَمة .

ثم يقول أحمد : فتحفظ عن سَلَمة كذا وكذا ؟ فيقول وكيع : لا ، ثم يأخذ فى حديث شيخ شيخ .

قال : فلم يزل قائما حتى جاءت الجارية ، فقالت : قد طلع الكوكب ، أو قالت الزُّهَرة .

وقال عبد الله : قال لى أبى : خذ أىّ كتاب شئت من كتب وَكيع ، فإن شئت أن تسألنى عن الكلام ، حتى أخبرك بالإسناد ، وإن شئت بالإسناد ، حتى أخبرك عن الكلام .

وقال الخَلّال : سمعت أبا القاسم بن الجَبُّلىّ[2] – وكفاك به – يقول : أكثر الناسِ يظنون أن أحمد إذا سئل كأنَّ علمَ الدنيا بين عينيه .

وقال إبراهيم الحربىّ : رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخِرين .

وقال عبد الرزّاق : ما رأيت أفقهَ من أحمد بن حنبل ، ولا أورع .

وقال عبد الرحمن بن مَهدِىّ : ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكّرت به سفيان الثَّوْرِىّ .

وقال قُتيبة : خير أهل زماننا ابن المبارك ، ثم هذا الشاب ، يعنى أحمد بن حنبل .

وقال أيضًا : إذا رأيتَ الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سُنَّة .

وقال أيضًا ، وقد قيل له : تضم أحمد إلى التابعين ؟ فقال : إلى كبار التابعين .

وقال أيضًا : لولا الثَّورىّ لمات الورع ، ولولا أحمد لأحدثوا فى الدين .

---

(١) عضادتا الباب – بكسر العين – : ناحيتاه . اللسان ٣/٢٩٤ .

(٢) بفتح الجيم وضم الباء المشددة : نسبة إلى « جَبُّل » بلدة بين بغداد وواسط . واسمه : إسحاق بن إبراهيم . المشتبه ١٣٦ ، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٧٨ .

وقال أيضًا : أحمد إمام الدنيا .

وقال أيضًا ، كما رواه الدَّارَقُطنيّ فى أسماء من روى عن الشافعيّ : مات الثَّوْرِىّ ومات الورع ، ومات الشافعيّ وماتت السُّنَن ، ويموت أحمد ابن حنبل وتظهر البِدَع .

وقال أبو مُسْهِر ، وقد قيل له : هل تعرف أحدًا يحفظ على هذه الأمَّة أمر دينها ؟ قال : لا أعلمه ، إلا شابٌّ فى ناحية المشرق ، يعنى أحمد بن حنبل .

وعن إسحاق : أحمد حجة بين الله وخلقه .

وقال أبو ثور ، وقد سئل عن مسألة : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا .

فهذا يسير من ثناء الأئمة عليه ، رضى الله عنه .

وُلد سنة أربع وستين ومائة ببغداد ، جىء به إليها من مَرْو حَمْلا .

● وتفقه على الشافعيّ وهو الحاكى عنه أنه جَوّز بيع الباقِلَاء فى قِشْرَيه[1] .

● وأن السيد يلاعن أمته . وكان يقول : ألا تعجبون من أبى عبد الله يقول : يلاعن السيّد عن أم ولده .

واختلف الأصحاب فى هذا ؛ فمنهم من قطع بخلافه ، وحَمل قول أحمد على أن مراده بأبى عبد الله إما مالك ، وإما سفيان .

وضعّف الرُّويانيّ هذا بأنه رُوى عنه أنه قال : ألا تعجبون من الشافعيّ .

ومنهم من تأوله بتأويل آخر .

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : طلبت الحديث سنة تسع وسبعين .

قلت: ومن شيوخه هُشَيم، وسفيان بن عُيَيْنه، وإبراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد، ويحيى القَطّان، والوليد بن مسلم، وإسماعيل بن عُلَيّة، وعلى بن هاشم بن البَرِيد[2] ، ومُعتمر بن سليمان، وغُنْدَر، وبشر بن المفضّل، وزياد البَكّائىّ، ويحيى بن

---

(١) فى د : قشرته . والمثبت من المطبوعة والطبقات الوسطى .

(٢) بفتح الباء الموحدة . المشتبه ٦٦٨ .

أبى زائدة ، وأبو يوسف القاضى ، ووَكيع ، وابن نُمَير ، وعبد الرحمن بن مهدىّ ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، والشافعىّ ، وخلْق .

وممن روى عنه : البخارىّ ، ومسلم ، وأبو داود ، وابناه صالح وعبد الله .

ومن شيوخه :. عبد الرزاق ، والحسن بن موسى الأشيب . قيل : والشافعىّ فى بعض الأماكن التى قال فيها : أخبرنا الثقة .

وقد كنت أنا لما قرأت « مسند الشافعىّ » على شيخنا أبى عبد الله الحافظ سألته فى كل مكان من تلك ، فكان بعضها يتعين أن يكون مراده به يحيى بن حسان ، كما قيل إنه المقصود به دائما ، وبعضها يتعين أنه يريد به إبراهيم بن أبى يحيى ، وبعضها يتردد ، وذلك معلّق عندى فى مجموع مما علقته عن شيخنا رحمه الله ، وأكثرها لا يمكن أنه يريد به أحمد بن حنبل ، مثل قوله : أخبرنا الثقة عن أبى إسحاق ، فلا يمكن أن يريد به أحمد ، بل إما إبراهيم بن سعد ، أو غيره .

ومثل قوله : أخبرنا الثقة عن ابن شِهاب ، يحتمل مالكا ، وابن سعد ، وسفيان ابن عُيَيْنة ، ولا ثالث لهم فى أشياخ الشافعىّ .

ومثل قوله : الثقة عن مَعْمَر ، فهو إما هشام بن يوسف الصَّغانىّ ، أو عبد الرزاق .

ومثل قوله : الثقة من أصحابنا عن هشام بن حسان ، قال شيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحافظ : لعله يحيى القَطّان .

ومثل قوله : الثقة عن زكريا بن إسحاق ، عن يحيى بن عبد الله ، قال لى محمد ابن أحمد الحافظ : إنه يحيى بن حسان التِّنِّيسىّ .

ومثل مواضع أُخر تركتها اختصارا .

وروى عنه من أقرانه ، على بن المَدينىّ ، ويحيى بن مَعِين ، ودُحَيْم الشامىّ ، وغيرهم .

قال الخطيب : ولد أبو عبد الله ببغداد ، ونشأ بها [وبهامات][1] وطلب العلم ، ثم رحل

---

(١) زيادة من الطبقات الوسطى ، عن نسخة محفوظة بمعهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية مصورة عن مكتبة رضا رامبور ، نسخت فى القرن الثامن بخط نسخ نفيس ، وعدد لوحاتها ٤٤٥ .

إلى الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة ، واليمن ، والشام ، والجزيرة .

قلت : وألف « مسنَده » ، وهو أصل من أصول هذه الأمة .

قال الإمام الحافظ أبو موسى محمد بن أبى بكر المَدِينىّ رضى الله عنه : هذا الكتاب - يعنى مسند الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيبانىّ ، قدّس الله روحه - أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتُقى من أحاديث كثيرة ، ومسموعات وافرة ، فجُعل إماما ومعتَمدا ، وعند التنازع ملجأ ومستنَدا . على ما أخبرنا والدى وغيره رحمهما الله أن المبارك بن عبد الجبار أبا الحسين كتب إليهما من بغداد ، قال :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البَرْمَكِى ، قراءةً عليه ، أخبرنا أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حَمْدان بن عمر بن بَطّة ، قراءةً عليه ، حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رَجا ، حدثنا موسى بن حَمدون البَزّار ، قال : قال لنا حنبل بن إسحاق : جمعنا عمى - يعنى الإمام أحمد - لى ولصالح ولعبد الله وقرأ علينا المسنَد ، وماسمعه منه - يعنى تاما - غيرُنا ، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا ، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه ، فإن كان فيه وإلا ليس بحجة[1] .

وقال عبد الله بن أحمد رضى الله عنهما : كتب أبى عشرة آلاف ألف حديث ، لم يكتب سوادا فى بياض إلا حفِظه .

وقال عبد الله أيضا : قلت لأبى : لم كرهتَ وضع الكتب وقد عملت المسنَد ؟ فقال : عملت هذا الكتاب إماما ، إذا اختلف الناس فى سنّةٍ عن رسول الله ﷺ رُجِع إليه .

وقال أيضا : خرَّج أبى المسنَد من سبعمائة ألف حديث .

قال أبو موسى المدينىّ : ولم يخرِّج إلا عمّن ثبت عنده صدقه وديانته ، دون من طُعِن فى أمانته .

ثم ذَكر بإسناده إلى عبد الله ابن الإمام أحمد ، رضى الله عنهما ، قال : سألت أبى

---

(١) خصائص المسند ، لأبى موسى المدينى ٩ - ١٣ .

عن عبد العزيز بن أبان ، فقال : لم أخرِّج عنه فى المسنَد شيئا ، لمّا حدّث بحديث المواقيت تركته .

قال أبو موسى : فأما عدد أحاديث المسنَد فلم أزل أسمع من أفواه الناس أنها أربعون ألفا ، إلى أن قرأت على أبى منصور بن زُرَيق ببغداد ، قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب ، قال : وقال ابن المنادى : لم يكن فى الدنيا أحدٌ أرْوى عن أبيه منه ، يعنى عبد الله ابن الإمام أحمد ابن حنبل؛ لأنه سمع المسنَد وهو ثلاثون ألفا، والتفسير وهو مائة ألفٍ وعشرون ألفا ، سمع منها ثلاثين ألفا[1] ، والباقى زيادة ، فلا أدرى هذا الذى ذكر ابن المنادى أراد به مالا مكرّر فيه ، أو أراد غيره مع المكرر ، فيصح القولان جميعا ، والاعتماد على قول ابن المنادى دون غيره .

قال : ولو وجدنا فراغا لعددناه إن شاء الله تعالى . فأما عدد الصحابة رضى الله عنهم فيه فنحو من سبعمائة رجل .

قال أبو موسى : ومن الدليل على أن ما أودعه الإمام أحمد رضى الله عنه مسنَده قد احتاط فيه إسنادا ومتنا ، ولم يورد فيه إلا ما صح سنده ما أخبرنا به أبو علىّ الحدّاد.

قال : أخبرنا أبو نُعيم ، وأخبرنا ابن الحُصَين ، أخبرنا ابن المُذْهِب ، قالا : أخبرنا القَطِيعىّ ، حدثنا عبد الله ، قال : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعبة عن أبى التَّيَّاح ، قال : سمعت أبا زُرْعَة يحدّث عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يُهْلِكُ أُمَّتِى هٰذَا الْحَىُّ مِنْ قُرَيْشٍ » قالوا : فما تأمرنا يا رسولَ الله ؟ قال : « لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ » .

قال عبد الله : قال لى أبى فى مرضه الذى مات فيه : اضرب على هذا الحديث ، فإنه خلاف الأحاديث[2] عن النبى ﷺ ، يعنى قوله ﷺ « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا » .

---

(١) الذى فى خصائص المسند : « ثمانين ألفًا والباق وِجادَةً وذكره » .

(٢) فى د : الحديث .

وهذا مع ثقة رجال إسناده حين شذَّ لفظه عن الأحاديث المشاهير أمر بالضرب عليه ، فكان على ما قلناه . آخر ما ذكره أبو موسى المَدينيّ رحمه الله مختصرا .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب رحمه الله تعالى : أخبرنا الحسين بن شُجاع الصوفيّ ، قال : أخبرنا عمر بن جعفر بن محمد بن سَلْم[1] ، حدثنا أحمد بن عليّ الأَبَّار[2] ، قال : سمعت سفيان بن وَكيع يقول : أحمد عندنا مِحنة . من عاب أحمد عندنا فهو فاسق .

وقال الخطيب أيضا : حدثني الحسن بن أبي طالب ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، حدثنا محمد بن عليّ المُقْرِى ، قال : أنشدنا أبو جعفر محمد بن بدينا الموصليّ ، قال : أنشدني ابن أَعْيَن في الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه :

أَضحى ابنُ حنبلَ محنةً مأمونةً ... وبحبِّ أحمدَ يُعرف المتنسِّكُ
وإذا رأيتَ لأحمدٍ متنقِّصًا ... فاعلم بأنّ سُتورَه ستُهتَّكُ

روى كلام سفيان بن وَكيع وهذين البيتين الإمام الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن عساكر رحمه الله في بعض تصانيفه ، فقال :

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن منصور الفقيه ، وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن خَيْرون ، قالا : أخبرنا الخطيب . فذكرهما .

وأما زهد الإمام أحمد رضي الله عنه ، وورعه ، وتقلّله من الدنيا ، فقد سارت بأخباره الرُّكبان .

وقد أفرد جماعة من الأئمة التصنيف في مناقبه ، منهم البَيْهَقيّ ، وأبو إسماعيل الأنصاريّ ، وأبو الفرج بن الجَوْزِيّ .

---

(١) في المطبوعة : مسلم . والمثبت من د . ومن طبقات القراء ٤٤/١ في ترجمة أخيه . وقال : سلم ، بسكون اللام

(٢) بفتح الألف وتشديد الباء المنقوطة بواحدة وفي آخرها الراء نسبة إلى عمل الإبر التي يخاط بها الثياب . اللباب ١٧/١ .

توفى رحمه الله سنة إحدى وأربعين ومائتين ، لا ثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وقد غلط ابن قانع وغيره فقالوا : ربيع الآخر .

قال المَرُّوذِىّ : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء ، لليلتين خلتا من ربيع الأول ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا يسلِّمون عليه ويردّ عليهم ، وتسامع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل ببابه وبباب الزقاق الرابطةَ وأصحاب الأخبار ، ثم أغلق باب الزقاق ، فكان الناس فى الشوارع والمساجد ، حتى تعطّل بعض الباعة ، وحِيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور ، وطرز الحاكة[1] ، وربما تسلّق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب ، وجاءه حاجب ابن طاهر ، فقال : إن الأمير يقرئك السلام ، وهو يشتهى أن يراك ، فقال : هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين أعفانى مما أكره . وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر ، والبُرُد تختلف كلّ يوم . وجاء بنو هاشم ، فدخلوا عليه وجعلوا يبكون عليه ، وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يُؤْذَن لهم . ودخل عليه شيخ فقال : اذكر وقوفك بين يدى الله ، فشَهِق أبو عبد الله ، وسالت الدموع على خَدَّيه .

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال : ادعوا لى الصبيان ؛ بلسان ثقيل ، فجعلوا ينضمون إليه ، فجعل يشمّهم ويمسح بيده على رؤوسهم ، وعينه تدمع ، وأدخلت الطَّست تحته ، فرأيت بوله دما عَبيطا[2] ، ليس فيه بول ، فقلت للطبيب فقال : هذا رجل قد فتّت الحزنُ والغمّ جوفَه .

واشتدّت علّته يوم الخميس ، ووضّأته فقال : خلِّل الأصابع . فلما كانت ليلة الجمعة ثقُل وقُبِض صدرَ النهار . فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأنّ الدنيا قد ارتجّت ، وامتلأت السِّكك والشوارع .

قال المَرُّوذىّ : أُخرجت الجنازة بعد مُنصرَف الناس من الجمعة .

---

(١) فى المطبوعة : وطور الحالة . وأثبتنا ما فى د . والطرز : هو الموضع الذى تُنسَج فيه الثياب .
(٢) أى طريا .

قال موسى بن هارون الحافظ : يقال : إن أحمد لما مات مُسحت الأرض المبسوطة التى وقف الناس للصلاة عليها ، فحُصر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر ، سوى ما كان فى الأطراف والأماكن المتفرِّقة .

قلت : وقيل فى عدد المصلِّين عليه كثير ، قيل : كانوا ألف ألف وثلثمائة ألف ، سوى مَن كان فى السفن فى الماء . كذا رواه خُشْنام[1] بن سعيد .

وقال ابن أبى حاتم : سمعت أبا زُرْعة يقول : بلغنى أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذى وقف عليه الناس حيث صُلِّى على أحمد ، فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ألف .

وعن الوَرْكانىّ[2] ، وهو رجل كان يسكن إلى جوار الإمام أحمد ، قال : أسلم يوم مات أحمد من اليهود والنصارى والمجوس عشرون ألفا ، وفى لفظ : عشرة آلاف .

قال شيخنا الذهبىّ : وهى حكاية مُنكَرة تفرّد بها الوَرْكانىّ والرّاوى عنه . قال : والعقل يُحيل أن يقع مثل هذا الحادث فى بغداد ، ولا يرويه جماعة تتوفَّر دواعيهم على نقل ماهو دونه بكثير ؛ وكيف يقَع مثل هذا الأمر ولا يذكره المَرْوَزِىّ ، ولا صالح ابن أحمد ، ولا عبد الله ، ولا حنبل ، الذين حكوا من أخبار أبى عبد الله جزئياتٍ كثيرة ؟

قال : فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفس لكان عظيما ، ينبغى أن يرويه نحو من عشرة أنفس .

أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظَفَّر بقراءتى عليه ، أخبرنا عبد الواسع بن عبد الكافى الأَبْهَرِىّ إجازة ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أبى جعفر بن علىّ القُرَظىّ[3] سماعا ، أخبرنا القاسم بن الحافظ أبى القاسم علىّ بن الحسن بن هِبَة الله بن علىّ بن عساكر ، أخبرنا عبد الجبّار بن محمد بن أحمد الخُوَارِىّ ، إجازة ، وحدثنا عنه به أبى سماعا .

---

(١) بضم الخاء والشين المعجمتين . اللباب ٣٧٥/١ .

(٢) بفتح الواو وسكون الراء وفتح الكاف وسكون الألف وبعدها نون ، نسبة إلى محلة بأصبهان ، وقرية من قرى قاشان عند قم . اللباب ٢٦٩/٣ .

(٣) فى د . القرطبى . وانظر اللباب ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤ .

ح : قال ابن المُظَفَّر : وأخبرنا يوسف بن محمد المِصرىّ ، إجازة ، أخبرنا إبراهيم بن بركات الخُشُوعِىّ ، سماعا ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم ، إجازة ، أخبرنا عبد الجبّار الخُوَارِىّ ، حدثنا الإمام أبو سعيد القُشَيْرِىّ ، إملاءً ، حدثنا الحاكم أبو جعفر محمد بن محمد الصَّفَّار ، أخبرنا عبد الله بن يوسف قال : سمعت محمد بن عبد الله الرازىّ ، قال : سمعت أبا جعفر محمد المَلَطِىّ[1] ، يقول : قال الربيع بن سليمان : إن الشافعىّ رضى الله عنه خرج إلى مصر فقال لى : يا ربيع خذ كتابى هذا فامض به ، وسلّمه إلى أبى عبد الله ، وائتنى بالجواب .

قال الربيع : فدخلت بغداد ومعى الكتاب ، فصادفت أحمد ابن حنبل فى صلاة الصبح ، فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب ، وقلت : هذا كتاب أخيك الشافعىّ من مصر ، فقال لى أحمد : نظرتَ فيه ؟ فقلت : لا ، فكسر الختم وقرأ ، وتغرغرت عيناه ، فقلت له : أيش فيه أبا عبد الله ؟ فقال : يذكر فيه أنه رأى النبى ﷺ فى النوم فقال له : اكتب إلى أبى عبد الله فاقرأ عليه السلام ، وقل له : إنك ستُمْتحن وتُدعَى إلى خلْق القرآن ، فلا تجبهم فيرفعَ الله لك عَلَما إلى يوم القيامة ، قال الربيع : فقلت له : البشارة يا أبا عبد الله ، فخلع أحد قميصيه الذى يلى جلده فأعطانيه ، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر ، وسلّمته[2] إلى الشافعىّ رضى الله عنه فقال : أيش الذى أعطاك ؟ فقلت : قميصه ، فقال الشافعىّ : ليس نفجعك به ، ولكن بُلَّه وادفع إلىّ الماء لأتبرَّك به .

قال العباس بن محمد الدُّورِىّ. سمعت أبا جعفر الأنبارىّ يقول: لما حُمل أحمد يُراد به المأمون، اجتزت فعبرت الفُرات إليه، فإذا هو فى الخان، فسلّمت عليه فقال: يا أبا جعفر، تعنَّيت. فقلت: ليس هذا عناء. قال، فقلت له: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فو الله إن أجبت إلى خلْق القرآن ليجيبنّ بإجابتك خَلْق من خَلْق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعنّ خَلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت،

---

(١) بفتح الميم واللام وفى آخرها طاء مهملة . نسبة إلى مدينة ملطية . كانت من ثغور الروم . اللباب ١٧٦/٣ .

(٢) فى الأصول : وسلمت .

ولا بدّ من الموت ، فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء . فجعل أحمد يبكى وهو يقول : ما شاء الله ما شاء الله ! قال : ثم قال لى أحمد : يا أبا جعفر أعِدْ علىّ ما قلت ، قال : فأعدت عليه ، قال : فجعل أحمد يقول : ما شاء الله ما شاء الله .

وقال دَعْلَج بن أحمد السِّجِسْتانىّ : حدثنا أبو بكر السُّهْرَوَرْدِىّ بمكّة قال : رأيت أبا ذَرٍّ بِسُهْرَوَرْد ، وقد قدم مع واليها ، وكان مُقَطَّعا بالبَرص ، يعنى وكان ممن ضَرب أحمد بين يدى المعتصم . قال : دُعينا فى تلك الليلة ونحن خمسون ومائة جَلّاد ، فلما أُمرنا بضربه كنا نغدوا على ضربه ونمر ، ثم يجىء الآخر على أثره ، ثم يضرب .

وقال دَعْلَج أيضًا : حدثنا الخضر بن داود : أخبرنى أبو بكر النَّحّامىّ[1] قال : لما كان فى تلك الغداة التى ضُرب فيها أحمد بن حنبل زُلْزِلنا ونحن بعَبَّادان .

وقال البخارىّ : لما ضُرب أحمد كنا بالبصرة ، فسمعت أبا الوليد يقول : لو كان هذا فى بنى إسرائيل لكان أُحدوثة .

ذكر الداهية الدهياء ، والمصيبة الصمّاء

وهى محنة علماء الزمان ، ودعاؤهم إلى القول بخلْق القرآن ، وقيام الأحمدَين :

ابن حنبل الشَّيبانىّ وابن نصر الخُزاعىّ ، رضى الله عنهما ،

مقام الصِّدِّيقين . وما اتفق فى تلك الكائنة من أعاجيب

تتناقلها الرواة على ممرّ السنين

كان القاضى أحمد بن أبى دُؤاد ممن نشأ فى العلم ، وتضلّع بعلم الكلام ، وصحب فيه هَيّاج بن العلاء السلمىّ ، صاحب واصل بن عطاء أحد رءوس المعتزلة ، وكان ابن أبى دُؤاد رجلا فصيحا . قال أبو العَيناء : ما رأيت رئيسا قطُّ أفصح ولا أنطق منه ، وكان كريما مُمدَّحا . وفيه يقول بعضهم[2] :

---

(١) بفتح النون والحاء المشددة وبعد الألف ميم ، نسبة إلى النحمة ، وهى السعلة ، وقيل النحنحة . انظر اللباب ٢١٧/٣ .

(٢) هو أبو تمام . ديوانه ١ / ٣٧٤ .

لقد أنسَتْ مساوِىَ كلِّ دهر   محاسنُ أحمد بن دُؤادِ
وما طوَّفتُ فى الآفاق إلّا   ومن جَدْواك راحلتى وزادِى
يُقيم الظَّنُّ عندك والأمانى   وإن قَلِقت ركابى فى البلادِ

وكان معظَّما عند المأمون أمير المؤمنين ، يقبل شفاعاته ، ويصغى إلى كلامه . وأخباره فى هذا كثيرة .

فدس ابن أبى دُؤاد له القول بخلْق القرآن ، وحسّنه عنده ، وصيره يعتقده حقا مبينا ، إلى أن أجمع رأيه فى سنة ثمان عشرة ومائتين على الدعاء إليه ، فكتب إلى نائبه على بغداد ، إسحاق بن إبراهيم الخُزاعى ، ابن عم طاهر بن الحسين ، فى امتحان العلماء ، كتابا يقول فيه :

وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر ، من حَشْو الرعيّة وسِفْلة العامة ، ممن لا نظر له ولا رويّة ، ولا استضاء بنور العلم وبرهانه ، أهل جهالة بالله وعمىٍ عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه ، وقصور أن يَقدُروا الله حقّ قدره ، ويعرفوه كُنه معرفته ، ويفرّقوا بينه وبين خَلقه ، وذلك أنهم ساوَوا بين الله وبين خلقه ، وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا على أنه قديم ، لم يخلقه الله ويخترعه ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[1] فكلّ ما جعله الله فقد خلقه ، كما قال : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ﴾[2] ، وقال : ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾[3] فأخبره أنه قَصَص لأمور أحدثه بعدها . وقال : ﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾[4] والله محكِمُ كتابه ومفصّله ، فهو خالقه ومبتدعه ، ثم انتسبوا إلى السنة ، وأنهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكُفر ، فاستطالوا بذلك وغرّوا[5] به الجهّال ، حتى مال قوم من أهل السَّمْت الكاذب ، والتخشّع لغير الله إلى موافقتهم ، فنزعوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وَليجة إلى ضلالهم .

إلى أن قال: فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شرّ الأمة، المنقوصون من التوحيد حظا،

---

(١) سورة الزخرف ٣ .

(٢) سورة الأنعام ١ .

(٣) سورة طه ٩٩ .

(٤) سورة هود ١ .

(٥) فى د : وغرروا . والمثبت من المطبوعة .

أوعية الجهالة ، وأعلام الكذب ، ولسان إبليس الناطق فى أوليائه ، والهائل على أعدائه من أهل دين الله . وأحقُّ أن يُتَّهم فى صدقه ، وتُطرح شهادته ، ولا يوثق به مَن عمى عن رشده وحظه من الإيمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضلّ سبيلا ، ولَعَمْر أمير المؤمنين إنّ أكذب الناس مَن كذب على الله ووحيه ، وتخرّص الباطل ، ولم يعرف الله حقّ معرفته ، فاجمع مَن بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا ، وامتحنهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يعتقدون فى خلق الله وإحداثه ، وأعلمهم أنى غير مستعين فى عمل ، ولا واثق بمن لا يوثَق بدينه .

فإذا أقروا بذلك ووافقوا ، فمُرهم بنَصّ من بحضرتهم من الشهود ، ومسألتهم عن علمهم فى القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك .

وكتب المأمون إليه أيضًا فى إشخاص سبعة أنفس ، وهم :

محمد بن سعد ، كاتب الواقدىّ ، ويحيى بن مَعين ، وأبو خَيثمة ، وأبو مسلم ، مستملى يزيد بن هارون ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبى مسعود ، وأحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقىّ .

فأُشخصوا إليه ، فامتحنهم بخلْق القرآن ، فأجابوه ، فردهم[1] من الرَّقّة إلى بغداد ، وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولا ، ثم أجابوه تَقِيّة .

وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ، ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة . ففعل ذلك ، فأجابه طائفة ، وامتنع آخرون .

فكان يحيى بن مَعين وغيره يقولون : أجبنا خوفاً من السيف .

ثم كتب المأمون كتابا آخر من جنس الأول إلى إسحاق، وأمره بإحضار من امتنع، فأحضر جماعة، منهم أحمد ابن حنبل ، وبِشر بن الوليد الكِندىّ، وأبو حسان الزَّيادىّ،

---

(١) فى د : فزودهم . والمثبت من المطبوعة .

وعلى بن أبى مُقاتل ، والفضل بن غانم ، وعبيد الله بن عمر القَواريرىّ ، وعلى بن الَجعْد ، وسَجّادة ، والذَّيّال بن الهيثم ، وقُتيبة بن سعيد ، وكان حينئذ ببغداد ، وسَعْدُوية الواسطىّ ، وإسحاق بن أبى إسرائيل ، وابن الهَرْش[1] ، وابن عُلَيّة الأكبر[2] ، ومحمد بن نوح العِجْلِىّ ، ويحيى بن عبد الرحمن العُمَرِىّ ، وأبو نصر التَّمّار ، وأبو مَعْمر[3] القَطِيعىّ ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، وغيرهم ، وعرض عليهم كتاب المأمون ، فعَرّضوا ووَرَّوْا[4] ، ولم يجيبوا ولم ينكروا .

فقال لِبشر بن الوليد : ما تقول ؟ قال : قد عرّفت أمير المؤمنين غير مرّة . قال : والآن فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب . قال : أقول كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ! أمخلوقٌ هو ؟ قال : ما أُحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه .

ثم قال لعلى بن أبى مُقاتل : ما تقول ؟ قال : القرآن كلام الله ، وإن أمرنا أمير المؤمنين بشىء سمعنا وأطعنا .

وأجاب أبو حسان الزِّيادىّ بنحو من ذلك .

ثم قال لأحمد ابن حنبل : ما تقول ؟ قال : كلام الله ، قال : أمخلوقٌ هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد على هذا .

ثم امتحن الباقين ، وكتب بجواباتهم .

وقال ابن البَكّاء الأكبر : أقول : القرآن مجعول ومحدَث ؛ لورود النص بذلك . فقال له إسحاق بن إبراهيم : والمجعول مخلوق ؟ قال : نعم . قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق .

---

(١) بفتح الهاء وسكون الراء . انظر اللباب ٢٨٧/٣ .

(٢) يلاحظ أن ابن علية ، الإمام أبا بشر إسماعيل توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وأن فتنة خلق القرآن بدأت على يد المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين ، كما ذكره ابن السبكى . انظر العبر ٣١٠/١ ، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ٣٨٥ . لكنه جاء أيضًا « ابن علية الأكبر » هكذا فى تاريخ الطبرى ٨/ ٦٣٧ .

(٣) فى المطبوعة ، د : أبو معتمر . والمثبت من المناقب ، ومن ترجمته فى العبر ٤٢٣/١ .

(٤) فى المطبوعة : فرضوا وولوا ووروا . وأثبتنا ما فى د .

ثم وجّه بجواباتهم إلى المأمون ، فورد عليه كتاب المأمون :

بلغنا ما أجاب به متصنِّعة أهل القِبلة ، وملتمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل ، فمن لم يُجب أنه مخلوق ، فامنعه من الفتوى والرواية .

ويقول فى الكتاب : فأما ما قال بِشر ، فقد كذب ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه فى ذلك عهد ، أكثر من إخبار أمير المؤمنين من اعتقاده كلمةَ الإخلاص ، والقول بأن القرآن مخلوق ؛ فادع به إليك ، فإن تاب فأشهر أمره ، وإن أصرّ على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده فاضرب عنقه ، وابعث إلينا برأسه .

وكذلك إبراهيم بن المهدىّ فامتحنه ، فإن أجاب وإلا فاضرب عنقه .

وأما على بن أبى مُقاتل فقل له : ألست القائل لأمير المؤمنين إنك تحلِّل وتحرِّم .

وأما الذَّيّال فأعلمه أنه كان فى الطعام الذى سرقه من الأنبار ما يشغله .

وأما أحمد بن يزيد أبو العَوّام ، وقوله إنه لا يحسن الجواب فى القرآن ، فأعلمه أنه صبى فى عقله ، لا فى سنّه ، جاهل سيُحسن[1] الجواب إذا أُدِّب ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك .

وأما أحمد بن حنبل فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى مقالته ، واستدل على جهله وآفته بها .

وأما الفضل بن غانم فأعلمه أنه لم يَخْفَ على أمير المؤمنين ما كان فيه بمصر ، وما اكتسب من الأموال فى أقل من سنة ، يعنى فى ولايته القضاء .

وأما الزِّيادىّ فأعلمه أنه كان منتحلا ولاء دَعِيّ ، فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزياد بن أبيه . وإنما قيل له الزِّيادىّ لأمر من الأُمور .

قال : وأما أبو نصر التَّمّار ، فإن أمير المؤمنين شبّه خساسة عقله بخساسة مَتْجَره .

وأما ابن نوح وابن حاتم[2] ، فأعلمهم أنهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد ،

---

(١) فى المطبوعة : يستحسن . وأثبتنا ما فى د .

(٢) فى تاريخ الطبرى ٨ / ٦٤٢ ، زيادة : « والمعروف بأبى معمر » .

وأن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم فى الله إلا لإرْبائهم ، وما نزل به كتاب الله فى أمثالهم لاسْتحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا ، وصاروا للنصارى شبها .

وأما ابن شُجاع فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه ما استخرجتَه[1] من المال الذى كان استحلّ من مال الأمير على بن هشام .

وأما سَعْدُوية الواسطىّ فقل له : قبّح الله رجلا بلغ به التصنّع للحديث ، والحرص على الرياسة فيه ، أن يتمنّى وقت المحنة .

وأما المعروف بسَجّادة ، وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من العلماء القول بأن القرآن مخلوق ، فأعلمه أن فى شغله بإعداد النَّوى ، وحَكِّه لإصلاح سَجّادته ، وبالودائِع التى دفعها إليه على بن يحيى وغيره ، ما أذهله عن التوحيد .

وأما القَوارِيرىّ ففيما تَكَشَّف من أحواله وقبوله الرِّشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته ، وسخافة عقله ودينه .

وأما يحيى العُمَرىّ ، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن على بن عاصم ، فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سَلفه لم ينتحل النِّحلة التى حُكيت عنه ، وأنه بعدُ صبى يحتاج إلى أن يُعلَّم .

وقد كان أمير المؤمنين وجّه إليك المعروف بأبى مُسْهر ، بعد أن نَصَّه أمير المؤمنين عن محنته فى القرآن ، فجَمْجَم عنها ولجلج فيها ، حتى دعاه أمير المؤمنين بالسيف ، فأقرّ ذميما ، فانصُصْه عن إقراره ، فإن كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره .

ومن لم يرجع عن شركه ممن سمّيت بعد بِشر وابن المهدىّ ، فاحملهم موثوقين إلى عسكر أمير المؤمنين ؛ ليسألهم ، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف .

قال: فأجابوا كلهم عند ذلك إلا أحمد بن حنبل، وسَجّادة، ومحمد بن نوح، والقَوارِيرىّ، فأمر بهم إسحاق فقيِّدوا، ثم سألهم من الغد؛ وهم فى القيود، فأجاب سَجّادة، ثم عاودهم ثالثا، فأجاب القواريرىّ، ووجّه بأحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح المضروب إلى طَرَسُوس. ثم بلغ المأمون أنهم أجابوا مكرَهين، فغضب وأمر بإحضارهم

---

(١) فى الأصول : « أنه صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه استخرجه ... » وصححنا العبارة من تاريخ الطبرى ٨ / ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

إليه ، فلما صاروا إلى الرَّقَّة بلغتهم وفاة المأمون ، وكذا جاء الخبر بموت المأمون إلى أحمد ولطف الله وفرّج .

وأما محمد بن نوح فكان عديلا لأحمد بن حنبل فى المَحمَل ، فمات فغسّله أحمد بالرَّحْبة ، وصلى عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى .

وأما المأمون فمرض بالروم ، فلما اشتد مرضه طلب ابنه العباس ليقدَم عليه ، وهو يظن أنه لا يدركه ، فأتاه وهو مجهود .

وقد نفذت الكتب إلى البلدان فيها : من عبد الله المأمون وأخيه أبى إسحاق الخليفة مِن بعده ؛ بهذا النص . فقيل إن ذلك وقع بأمر المأمون ، وقيل بل كتبوا ذلك وقت غَشْيٍ أصابه ، فأقام العباس عنده أياما حتى مات .

وكان المأمون قد كتب وصية تطول حكايتها ، ضَمّنها تحريض الخليفة بعده على حمل الخلق على القول بخلق القرآن . ثم توفى فى رجب ، ودفن بطَرَسُوس ، واستقل أمير المؤمنين المعتصم بالخلافة . فكان من سعادة المأمون موته قبل أن يحضر أحمد بن حنبل إلى بين يديه ، فلم يكن ضَرْبه على يديه .

وكانت هذه الفتنة عظيمة الموقع . وأول من امتُحن فيها من العلماء عَفّان بن مسلم الحافظ ، ولما دُعى وعرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع ، قيل : قد رسمنا بقطع عطائك ، وكان يُعطَى ألف درهم فى كل شهر ، فقال ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[1] وكانت عنده عائلة كبيرة ، قيل : فدق عليه الباب داقٌّ فى ذلك اليوم لا يُعرف ، وقال : خذ هذه الألف ، ولك كل شهر عندى ألف يا أبا عثمان ، ثبّتك الله كما ثبّتّ الدين ، ثم امتحن الناس بعده .

قال محمد بن إبراهيم البُوشَنْجِىّ : سمعت أحمد ابن حنبل يقول : تبينتُ الإجابة فى دعوتين ؛ دعوت الله أن لا يجمع بينى وبين المأمون ، ودعوته أن لا أرى المتوكّل ، فلم أر المأمون ، مات بالبَذَنْدُون[2] وهو نهر الروم ، وأحمد محبوس بالرَّقَّة ، حتى بويع المعتصم بالروم ، ورجع فرُدّ أحمد إلى بغداد .

---

(١) سورة الذاريات ٢٢ .

(٢) بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون ، قرية ببلاد الثغور ، بينها وبين طرسوس يوم . معجم البلدان ١/٥٣٠ .

وأما المتوكل فإنه لما أحضر أحمد دار الخلافة ليحدّث ولده ، قعد له المتوكل فى خَوْخَة[1] حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد .

قال صالح : لما صَدَر[2] أبى ومحمد بن نوح إلى طَرَسُوس رُدّا فى أقيادهما ، فلما صارا إلى الرَّقّة حُملا فى سفينة ، فلما وصلا إلى عانات[3] توفى محمد ، فأُطلق عنه قيده ، وصلّى عليه أبى .

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحدا على حداثة سنه وقدر علمه أقْوَم بأمر الله من محمد بن نوح ، وإنى لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير . قال لى ذات يوم : يا أبا عبد الله ، اللهَ اللهَ ، إنك لست مثلى ، أنت رجل يُقتدَى بك ، قد مدّ الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله ؛ أو نحو هذا . فمات وصلّيت عليه ودفنته ، أظنه قال : بعانة .

قال صالح : صار أبى إلى بغداد مقيّدا ، فمكث بالياسريّة[4] أياما ، ثم حُبس بدار اكتُرِيَتْ له[5] عند دار عُمارة ، ثم نُقل بعد ذلك إلى حبس العامة فى درب الموصليّة ، فقال : إنى كنت أصلّى بأهل السجن وأنا مقيَّد ، فلما كان فى رمضان سنة تسع عشرة حُوّلتُ إلى دار إسحاق بن إبراهيم .

[وأما حنبل بن إسحاق][6] فقال : حُبس أبو عبد الله فى دار عُمارة ببغداد ، فى إسطبل لمحمد بن إبراهيم ، أخى إسحاق بن إبراهيم ، وكان فى حبس ضيّق ، ومرض فى رمضان ، فحُبس فى ذلك الحبس قليلا ثم حُوّل إلى حبس العامة ، فمكث فى السجن نحوًا من ثلاثين شهرا ، فكنا نأتيه ونقرأ عليه كتاب الإرجاء[7] وغيره فى الحبس ، فرأيته يصلّى بأهل الحبس

---

(١) الخوخة : كوة تؤدى الضوء إلى البيت . القاموس (خ و خ) .

(٢) فى المطبوعة « صار » والمثبت من د .

(٣) عانات : قرى بالفرات وجزائر . مراصد الاطلاع ٩١٢ .

(٤) فى المطبوعة ، د : بالناصرية . وهو خطأ صوابه من المناقب ٣١٧ . قال ياقوت : الياسرية ، منسوبة إلى ياسر ، اسم رجل : قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان . معجم البلدان ١٠٠٢/٤ .

(٥) فى المطبوعة ، د : بدار التريب عند . والتصويب من المناقب ٣١٧ .

(٦) ساقط من المطبوعة ، وهو من : د .

(٧) فى الأصول « الأرجائى » وكتاب الإرجاء لبشر المريسىّ .

وعليه القيد ، وكان يُخرج رجله من حَلْقَة القيد وقت الصلاة والنوم .

وكان[1] يوجّه إلىّ كل يوم برجلين ، أحدهما يقال له أحمد بن رَباح ، والآخر أبو شعيب الحَجَّام ، فلا يزالان يناظرانى[2] ، حتى إذا أرادا الانصراف دُعى بقيد فزيد فى قيودى ، قال : فصار فى رِجْله أربعة أقياد .

قال أبى : فلما كان فى اليوم الثالث دخل علىّ أحد الرجلين ، فناظرنى ، فقلت له : ما تقول فى عِلْم الله ؟

قال : عِلْم الله مخلوق .

فقلت له : كفرتَ .

فقال الرسول الذى كان يحضر من قِبَل إسحاق بن إبراهيم : إنّ هذا رسول أمير المؤمنين .

فقلت له : إن هذا قد كَفَر .

فلما كان فى الليلة الرابعة وجّه – يعنى المعتصم – ببُغا الذى كان يقال له الكبير إلى إسحاق فأمره بحملى إليه ، فأُدخلت على إسحاق ، فقال : يا أحمد ، إنها والله نفسُك ، إنه لايقتلك بالسيف ، إنه قد آلى إن لم تجبه أن يضربك ضربًا بعد ضرب ، وأن يلقيك[3] فى موضع لا تُرى فيه شمس ولا قمر ، أليس قد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[4] ، أفيكون مجعولا إلّا مخلوقا[5] ؟

قلت : فقد قال تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[6] أفخلقهم ؟

قال : فسكت .

فلما[7] صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان ، أخرجت [وجىء][8] بدابة، فحُملت عليها وعلىَّ الأقياد، ما معى أحد يمسكنى، فكدت غير مرة أن أخِرّ على وجهى؛

---

(١) القائل هو الإمام أحمد . انظر المناقب ٣١٩ .

(٢) فى المطبوعة ، د : ولا نرى لأن نناظر أبى . والتصويب من المناقب .

(٣) فى المطبوعة ، د : يقتلك . والمثبت من المناقب . وفيها : فى موضع لا ترى فيه الشمس .

(٤) سورة الزخرف ٣ .

(٥) فى المطبوعة : لا مخلوقا ، والمثبت من : د ، المناقب .

(٦) سورة الفيل ٥ .

(٧) قبل هذا فى المناقب : ثم قال : اذهبوا به .

(٨) زيادة من المناقب .

لثِقَل القيود ، فجيء بى إلى دار المعتصم ، فأُدخلت حجرة ، وأُدخلت إلى بيت ، وأُقفل الباب علىّ ، وذلك فى جوف الليل ، وليس فى البيت سراج ، فأردت أن أتمسّح للصلاة ، فمددت يدى ، فإذا أنا بإناء فيه ماءٌ وطَسْت موضوع ، فتوضّأت وصلّيت .

فلما كان من الغد أخرجتُ تِكّتى من سَراويلى ، وشددت بها الأقياد أحملها ، وعطفت سراويلى . فجاء رسول المعتصم فقال : أجب ؛ فأُخذ بيدى ، وأدخلنى عليه ، والتِّكّة فى يدى أحمل بها الأقياد ، وإذا هو جالس ، وابن أبى دُؤاد حاضر ، وقد جمع خلقا كثيرا من أصحابه ، فقال له ، يعنى المعتصم : أدْنِه أدْنِه ، فلم يزل يدنينى حتى قربت منه ، ثم قال لى : اجلس . فجلست وقد أثقلتنى الأقياد ، فمكثت قليلا ، ثم قلت : أتأذن لى فى الكلام ؟ فقال : تكلّم .

فقلت : إلى ما دعا الله ورسوله ؟

فسكت هُنَيْئة[1] ثم قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

فقلت : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله .

ثم قلت : إن جَدّك ابن عباس يقول : لما قدم وفد عبد القَيْس على رسول الله ﷺ سألوه عن الإيمان ، فقال : « أتَدْرُونَ مَا الإيمَانُ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « شَهَادَةُ أنْ لا إله إلا اللهُ وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإقَامُ الصَّلاةِ ، وَإيتاءُ الزَّكَاةِ ، وَأنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنْ الْمَغْنَمِ » .

قال أبى : قال ، يعنى المعتصم : لولا أنى وجدتك فى يد مَن كان قَبلى ما عرضت لك ، ثم قال : يا عبد الرحمن بن إسحاق : ألم آمرْك برفع المحنة ؟ فقلت : الله أكبر ، إن فى هذا لفَرَجا للمسلمين .

ثم قال لهم : ناظروه ، كلّموه ، يا عبد الرحمن كلِّمه .

فقال لى عبد الرحمن : ما تقول فى القرآن ؟

---

(١) هكذا فى الأصول . قال صاحب القاموس : والهنيئة فى صحيح البخارى : أى شيء يسير وصوابه ترك الهمزة . القاموس (هـ ن ء ، هـ ن و) .

قلت له : ما تقول فى عِلم الله ؟

فسكت .

فقال لى بعضهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[1] والقرآن أليس هو شىء ؟

فقلت : قال الله : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[2] فدمّرت إلا ما أراد الله .

فقال بعضهم : [قال الله عز وجل][3] ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾[4] أفيكون محدَثا إلا مخلوقا ؟

فقلت : قال الله ﴿ صٓ والْقُـرْآنِ ذِى الذِّكْرِ ﴾[5] فالذكر هو القرآن ، وتلك ليس فيها ألف ولا لام .

وذكر بعضهم حديث عِمْران بن حُصَيْن : أن الله عز وجل خلَق الذِّكْر .

فقلت : هذا خطأ . حدثنا غير واحد أن الله كتب الذِّكْر .

واحتجوا بحديث ابن مسعود : « مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْض أَعْظَمَ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِىِّ » .

فقلت : إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ، ولم يقع على القرآن[6] .

فقال بعضهم : حديث خَبَّاب[7] « يَا هَنْتَاه ، تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ » .

فقلت : هكذا هو .

قال صالح بن أحمد : فجعل أحمد بن أبى دُؤاد ينظر إلى أبى كالمغضَب .

قال أبى: وكان يتكلم هذافأردّ عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبى دُؤاد، فيقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضالٌّ مضلٌّ مبتدِع، فيقول:

---

(١) سورة الزمر ٦٢ .

(٢) سورة الأحقاف ٢٥ .

(٣) زيادة من المناقب ٣٢٢ .

(٤) سورة الأنبياء ٢ .

(٥) سورة ص ١ .

(٦) الذى فى المناقب ٣٢٢ : إنما يوقع الخلق ... ولم يقع على حرف القرآن .

(٧) فى المناقب ٣٢٢ : حدثنا حديث خباب .

كلِّموه ، ناظروه ، فيكلِّمنى هذا فأرد عليه ، ويكلمنى هذا فأرد عليه ، فإذا انقطعوا يقول لى المعتصم : ويحك يا أحمد ! ما تقول ؟ فأقول : يا أمير المؤمنين أعطونى شيئًا من كتاب الله أو سنَّة رسول الله ﷺ ، حتى أقول به . فيقول ابن أبى دُؤاد : أنت لا تقول إلا ما فى كتاب الله أو سنَّة رسول الله !

فقلت له : تأوّلتَ تأويلا فأنت أعلم ، وما تأوّلتُ ما يُحبَس عليه وما يُقيّد عليه .

ثم إن المعتصم دعا أحمد مرتين فى مجلسين يطول شرحهما ، وهو يدعوه إلى البِدْعة ، وأحمد رضى الله عنه يأبى عليه أشدّ الإباء .

قال أحمد رضى الله عنه : ولما كانت الليلة الثالثة قلت : خليقٌ أن يحدث غدا من أمرى شيء ، فقلت لبعض من كان معى الموكَّل بى : ارتَدْ لى[1] خيطا ، فجاءنى بخيط فشددت به الأقياد ، ورددت التِّكَّة إلى سراويلى مخافة أن يحدث من أمرى شيء فأتعرّى .

فلما كان من الغد فى اليوم الثالث وجَّه إلىّ ، فأُدخلت فإذا الدار غاصّة ، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع وقوم معهم السيوف ، وقوم معهم السِّياط ، وغير ذلك ، ولم يكن فى اليومين الماضيين كثير أحد من هؤلاء ، فلما انتهيت إليه قال : اقعد ، ثم قال : ناظروه ، كلِّموه ، فجعلوا يناظرونى ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، وجعل صوتى يعلو أصواتهم ، فجعل بعض مَن على رأسه قائم يُومى إلىّ بيده ، فلما طال المجلس نحّانى ، ثم خلا بهم ، ثم نحّاهم وردّنى إلى عنده ، وقال : ويحك يا أحمد ! أجبنى حتى أطلق عنك بيدى ، فرددت عليه نحوًا مما كنت أرد ، فقال لى : عليك ، وذكر اللعن ، وقال : خذوه واسحبوه واخلعوه . قال : فسُحبت ثم خُلعت .

قال: وقد كان صار إلىّ شَعَر من شَعَر النبى ﷺ فى كم قميصى، فوجّه إلىّ إسحاق ابن إبراهيم : ما هذا المصرور فى كمك ؟ قلت : شَعَر من شَعَر رسول الله ﷺ .

---

(١) فى المطبوعة ، د : أريد لى . والتصويب من المناقب .

قال : وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه علىّ ، فقال لهم ، يعنى المعتصم : لا تخرقوه . فنزع القميص عنى ، قال : فظننت أنه إنما دُرِئ عن القميص الخرق ، بسبب الشعَر الذى كان فيه .

قال : وجلس على كرسىّ ، يعنى المعتصم ، ثم قال : العُقَابَين[1] والسِّياط ، فجىء بالعُقابين ، فمدَّت يداى ، فقال بعض مَن حضر خلفى : خذ بأىّ[2] الخشبتين بيديك ، وشد عليهما ، فلم أفهم ما قال ، فتخلعتْ يداى .

وقال محمد بن إبراهيم البُوشَنْجِىّ : ذكروا أن المعتصم لَانَ فى أمر أحمد ، لما عُلِّق فى العُقابين ، ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته فى أمره ، حتى أغراه ابن أبى دُؤاد وقال له : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخِطْتَ قوله ، فهاجه ذلك على ضربه .

قال صالح : قال أبى : لما جىء بالسِّياط نظر إليها المعتصم وقال : ائتونى بغيرها ، ثم قال للجلّادين : تقدموا ، فجعل يتقدم إلىّ الرجل منهم فيضربنى سوطين ، فيقول له : شدّ ، قطع الله يدك . ثم يتنحّى ، ويتقدم الآخر فيضربنى سوطين ، وهو يقول فى كل ذلك : شدّ ، قطع الله يدك . فلما ضُربت تسعةَ عشرَ سوطا قام إلىّ ، يعنى المعتصم ، فقال : يا أحمد ، علامَ تقتل نفسك ؟ إنى والله عليك لشَفيق .

قال : فجعل عُجَيف ينخسنى بقائمة سيفه ، ويقول : أتريد أن تغلب هؤلاء كلّهم .

وجعل بعضهم يقول : ويلك ! الخليفة على رأسك قائم . وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين دمه فى عنقى اقتله ، وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين أنت صائم ، وأنت فى الشمس قائم ، فقال لى : ويحك يا أحمد ! ما تقول ؟ فأقول : أعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أقول به ، فرجع وجلس وقال للجلاد : تقدم وأوجِع، قطع الله يدك . ثم قام الثانية ، فجعل يقول : ويحك يا أحمد ! أجبنى . فجعلوا يقبلون علىّ ويقولون : يا أحمد

---

(١) العقابان : خشبتان يشبح الرجل بينهما الجلد . اللسان ١ / ٦٢١ .
(٢) فى المطبوعة ، د : فأتى . والصواب من المناقب .

إمامك على رأسك قائم . وجعل عبد الرحمن يقول : من صنع من أصحابك فى هذا الأمر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول : ويحك ! أجبنى إلى شىء لك فيه أدنى فرج ، حتى أطلق عنك بيدى ، فقلت : يا أمير المؤمنين أعطونى شيئًا من كتاب الله . فرجع وقال للجلّادين : تقدموا ، فجعل الجلاد يتقدم ، ويضربنى سوطين ، ويتنحى ، فى خلال ذلك يقول : شدّ ، قطع الله يدك .

قال أبى : فذهب عقلى ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أُطلقت عنّى . فقال لى رجل ممن حضر : إنا كببناك على وجهك وطرحناك على ظهرك ودُسناك . قال أبى : فما شعرت بذلك . وأتونى بسَوِيق ، فقالوا لى : اشرب وتقيّأ ، فقلت : لا أفطر .

ثم جىء بى إلى دار إسحاق بن إبراهيم ، فحضرت صلاة الظهر ، فتقدم ابن سَماعة فصلى ، فلما انفتل من الصلاة قال لى : صليتَ والدم يسيل فى ثوبك ، فقلت : قد صلى عمر وجرحه يَثْعَب دما .

قال صالح : ثم خلّى عنه ، فصار إلى منزله ، وكان مكثه فى السجن مذ أُخذ وحُمل إلى أن ضُرب وخلِّى عنه ثمانية وعشرين شهرًا .

ولقد أخبرنى أحد الرجلين اللذين كانا معه قال : يا ابن أخى ، رحمة الله على أبى عبد الله ، والله ما رأيت أحدا يشبهه ، ولقد جعلت أقول له فى وقت ما يوجَّه إلينا بالطعام : يا أبا عبد الله أنت صائم ، وأنت فى موضع تَقِيَّة[1] ؛ ولقد عطش فقال لصاحب الشراب : ناولنى . فناوله قدحًا فيه ماء وثلج ، فأخذه ونظر إليه هُنَيئة ، ثم رده ولم يشرب ، فجعلت أتعجب من صبره على الجوع والعطش ، وهو فيما هو فيه من الهول .

قال صالح : كنت ألتمس وأحتال أن أوصّل إليه طعاما أو رغيفا فى تلك الأيام فلم أقدر .

وأخبرنى رجل حضره أنه تفقده فى هذه الأيام الثلاثة وهم يناظرونه ، فما لحن فى كلمة . قال : وما ظننت أن أحدا يكون فى مثل شجاعته وشدة قلبه .

---

(١) فى المطبوعة ، د : تعبة . والمثبت من المناقب .

وروى أنه لما ضُرب سوطا قال : بسم الله ، فلما ضُرب الثانى قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . فلما ضُرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق . فلما ضُرب الرابع قال ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾[1] فضربه تسعة وعشرين سوطا .

وكانت تِكّة أحمد حاشية ثوب ، فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته ، فرمى بطَرْفه إلى السماء وحرّك شفتيه ، فما كان بأسرع من ثبوت السراويل على حاله ، لم تتزحزح .

قال الراوى[2] : فدخلت على أحمد بعد سبعة أيام ، فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك وقد انحل سراويلك فرفعتَ طَرْفك نحو السماء فثبت ، ما الذى قلت ؟ قال قلت : اللهم إنى أسألك باسمك الذى ملأتَ به العرش ، إن كنتَ تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى سترًا .

وفى رواية : لما أقبل الدم من أكتافه انقطع خيط السراويل ونزل ، فرفع طَرْفه إلى السماء ، فعاد من لحظته ، فسئل أحمد فقال ، قلت : إلهى وسيّدى ، وقفتنى هذا الموقف فلا تهتكنى على رءوس الخلائق .

وروى أنه كان كلما ضُرب سوطا أبرأ ذمة المعتصم ، فسئل فقال : كرهت أن آتى يوم القيامة فيقال : هذا غريم ابن عم النبى ﷺ ، أو رجل من أهل بيت النبى ﷺ .

فهذا مختصر من حال الإمام أحمد فى المحنة رحمه الله تعالى ورضى عنه .

وأما الأستاذ أحمد بن نصر الخُزاعىّ ، ذو الجَنان واللسان والثبات ، وإن اضطرب المهنَّد والسِّنان والوثبات ، وإن ملأت نار الفتنة كل مكان ، فإنه كان شيخا جليلا ، قوّالا بالحق ، أمّارا بالمعروف ، نهَّاء عن المنكر ، وكان من أولاد الأمراء ، وكانت محنته على يد الواثق .

---

(١) سورة التوبة ٥١ .
(٢) هو ميمون بن الأصبغ ، كما فى المناقب ٣٣٠ .

قال له : ما تقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله ، وأصرّ على ذلك غير متلعثم ، فقال بعض الحاضرين : هو حلال الدم ، فقال ابن أبى دُؤاد : يا أمير المؤمنين ، شيخ مختَلّ لعل به عاهة أو تغيُّر عقل ، يؤخَّر أمره ويُستتاب ، فقال الواثق : ما أُراه إلا مؤديا لكفره ، قائما بما يعتقده منه ، ثم دعا بالصَّمصامة ، وقال : إذا قمت إليه فلا يقومنّ أحد معى ، فإنى أحتسب خُطاى إلى هذا الكافر الذى يعبد ربًّا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التى وصفه بها ، ثم أمر بالنِّطع فأُجلس عليه وهو مقيَّد ، وأمر أن يُشَدّ رأسه بحبل ، وأمرهم أن يمدوه ، ومشى إليه فضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد ، فنصبت بالجانب الشرقى أياما ، وفى الجانب الغربى أياما ، وتتبع رؤوس أصحابه فسُجنوا .

وقال الحسن بن محمد الخرقىّ[1] : سمعت جعفر بن محمد الصائغ يقول : رأيت أحمد بن نصر حيث ضُربت عنقه قال رأسه : لا إله إلا الله .

قال المَرُّوذِىّ[2] : سمعت أبا عبد الله ، وذكر أحمد بن نصر فقال : رحمه الله ، ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه .

وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، فى ترجمة أبى العباس أحمد بن سعيدالمَرْوَزِىّ ، وهو فى الطبقة الخامسة ، من تاريخ نيسابور : سمعت أبا العباس السَّيَّارىّ يقول : سمعت أبا العباس بن سعد[3] يقول : لم يصبر فى المحنة إلا أربعة ، كلهم من أهل مَرْو ؛ أحمد بن حنبل أبو عبد الله ، وأحمد بن نصر بن مالك الخُزاعىّ ، ومحمد بن نوح بن ميمون المضروب ، ونُعَيْم بن حمّاد ، وقد مات فى السجن مقيَّدا .

فأما أحمد بن نصر فضُربت عنقه ، وهذه نسخة الرُّقعة المعلّقة فى أذن أحمد بن نصر بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبد الله الإمام

---

(١) فى المطبوعة : الحربى . وأثبتنا ما فى د : وانظر لكلتا النسبتين : اللباب ١/٢٩٠ ، ٣٥٦ .

(٢) فى المناقب ٣٩٩ : أبو بكر المروذى .

(٣) فى المطبوعة : سعيد . واعتمدنا ما فى : د .

هارون ، وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن ، ونفى التشبيه ، فأبى إلا المعاندة ، فجعله الله إلى ناره . وكتب محمد بن عبد الملك .

ومات محمد بن نوح فى فتنة[1] المأمون .

والمعتصم ضرب أحمد ابن حنبل .

والواثق قتل أحمد بن نصر بن مالك ، وكذلك نُعيم بن حمّاد .

ولما جلس المتوكل دخل عليه عبد العزيز بن يحيى الكِنانىّ فقال : يا أمير المؤمنين ماروِى أعجب من أمر الواثق ! قتل أحمد بن نصر ، وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دُفن ، قال : فوجِد[2] المتوكل من ذلك ، وساءه ما سمعه فى أخيه ، إذ دخل عليه محمد بن عبد الملك الزيات فقال له : يا ابن عبد الملك ، فى قلبى مِن قتل أحمد بن نصر ! فقال : يا أمير المؤمنين أحرقنى الله بالنار إنْ قتلَه أمير المؤمنين الواثق إلا كافرًا .

قال : ودخل عليه هَرْثَمة فقال : يا هَرْثَمة فى قلبى مِن قتْل أحمد بن نصر ! فقال : يا أمير المؤمنين قطعنى الله إرْبًا إرْبًا ، إن قتلَه أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا .

قال : ودخل عليه أحمد بن أبى دُؤاد ، فقال : يا أحمد فى قلبى مِن قتْل أحمد بن نصر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ضربنى الله بالفالِج ، إن قتلَه أمير المؤمنين الواثق إلا كافرًا .

قال المتوكل : فأما الزيّات فأنا أحرقته بالنار ، وأما هَرْثَمة فإنه هرب وتبدّى ، واجتاز بقبيلة خُزاعة فعرفه رجل من الحى فقال : يا معشر خزاعة ، هذا الذى قتل أحمد بن نصر ، فقطعوه إرْبًا إرْبًا .

وأما أحمد بن أبى دُؤاد فقد سجنه الله فى جلده .

قلت: وبلغنى، وما أُراه إلا فى تاريخ الحاكم أن بعض الأمراء خرج يتصيّد، فألقاه السير على أرض فنزل بها ، فبحث بعض غلمانه فى التراب ، فحفر حتى رأى ميتا فى قبره طريًّا ، وهو فى ناحية ورأسه فى ناحية ، وفى أذنه رقعة عليها شىء مكتوب ، فأحضر

(١) فى المطبوعة : قبة . والمثبت من : د .

(٢) فى المطبوعة : فوجل . وأثبتنا ما فى د .

من قرأه فإذا هو : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا رأس أحمد بن نصر ... الكلمات السابقة ، فعلموا أنه رأس أحمد الخزاعيّ ، فدُفن ورُفع سَنام قبره ، وكان هذا فى زمن الحاكم أبى عبد الله الحافظ ، وهو على طراوته ، وكيف لا وهو شهيد ؟ رحمه الله ورضى عنه .

وقد طال أمر هذه الفتنة وطار شررها ، واستمرت من هذه السنة التى هى سنة ثمان عشرة ومائتين إلى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، فرفعها المتوكل فى مجلسه ، ونهى عن القول بخلق القرآن ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وتوفّر دعاء الخلق له ، وبالغوا فى الثناء عليه والتعظيم له ، حتى قال قائلهم : الخلفاء ثلاثة ؛ أبو بكر الصديق يوم الردَّة ، وعمر بن عبد العزيز فى ردّ المظالم ، والمتوكل فى إحياء السنَّة .

وسكت الناس عن ذنوب المتوكل ، وقد كانت العامة تنقِم عليه شيئين ؛ أحدهما أنه ندب لدمشق أفريدون التركى ، أحد مماليكه ، وسيّره واليا عليها ، وكان ظالما فاتكًا ، فقدم فى سبعة آلاف فارس ، وأباح له المتوكل القتل فى دمشق والنهب ، على ما نقل إلينا ، ثلاثَ ساعات ، فنزل ببيت لِهْيا[1] ، وأراد أن يُصبِّح البلد ، فلما أصبح نظر إلى البلد وقال : يا يومَ تَصبُّحُك منى ، فقدّمت له بغلة ، فضربته بالزوج فقتلته ، وقبره ببيت لِهْيا ، وردّ الجيش الذى معه خائبين ، وبلغ المتوكل فصلحت نيته لأهل دمشق .

والثانى أنه أمر بهدم قبر الحسين رضى الله عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يُعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وحُرث وبقى صحراء ، فتألم المسلمون لذلك . وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه دِعْبِل وغيره من الشعراء ، وقال قائلهم :

بالله إن كانت أميّةُ قد أتت	قتْلَ ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثلِهِ	هذا لَعَمْرُك قبرُه مهدوما
أسِفوا على أن لا يكونوا شاركوا	فى قتله فتتبّعوهُ رَميما

---

(١) بكسر اللام وسكون الهاء وياء وألف مقصورة : قرية مشهورة بغوطة دمشق . المراصد ٢٣٨ .

قلت : لقد كانت هاتان الواقعتان الفظيعتان فى سنة ست وثلاثين ومائتين ، ورفع المحنة قبلها بسنتين ، فهى ذنوب لاحقة لرفع الفتنة ، لا سابقة عليها .

وكان من الأسباب فى رفع الفتنة أن الواثق أتى بشيخ مقيَّد ، فقال له ابن أبى دُؤاد : يا شيخ ما تقول فى القرآن ، أمخلوق هو ؟

فقال له الشيخ : لم تنصفنى المسألة ! أنا أسألك قبل الجواب : هذا الذى تقوله يا ابن أبى دُؤاد مِن خَلْق القرآن ، شىء علمه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلىّ رضى الله عنهم ، أو جهلوه ؟

فقال : بل علموه .

فقال : فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت ، أو سكتوا ؟

قال : بل سكتوا .

قال : فهلّا وَسِعَك ما وسعهم من السكوت ؟ !

فسكت ابن أبى دُؤاد ، وأعجب الواثقَ كلامُه ، وأمر بإطلاق سبيله ، وقام الواثق من مجلسه ، وهو على ما حُكى يقول : هلّا وَسِعك ما وسعهم ! يكرر هذه الكلمة . وكان ذلك من الأسباب فى خمود الفتنة ، وإن كان رفعها بالكلية إنما كان على يد المتوكل .

وهذا الذى أوردناه فى هذه الحكاية هو ما ثبت من غير زيادة ولا نقصان ، ومنهم مَن زاد فيها ما لا يثبت ، فاضبط ما أثبتناه ودع ما عداه ، فليس عند ابن أبى دُؤاد من الجهل ما يصل به إلى أن يقول : جَهِلوه . وإنما نسبة هذا إليه تعصُّب عليه . والحق وسط ، فابن أبى دُؤاد مبتدِع ضالٌّ مبطل لا محالة ، ولا ينتهى أمره إلى أن يدَّعى أن شيئًا ظهر له وخفى على رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ، كما حُكى عنه فى هذه الحكاية ! فهذا مَعاذ الله أن يقوله أو يظنه أحد يتزيَّى بزِىّ المسلمين ، ولو فاه به ابن أبى دُؤاد لفرّق الواثق من ساعته بين رأسه وبدنه .

وشيخنا الذهبىّ وإن كان فى ترجمة ابن أبى دُؤاد حكى الحكاية على الوجه الذى لا نرضاه ، فقد أوردها فى ترجمة الواثق من غير ما وجه على الوجه الثابت .

ولنقطع عِنان الكلام فى هذه الفتنة ، ففيما أوردناه فيها مَقْنَع وبلاغ . وقد أعلمناك أنها لبثت شَطرا من خلافة المأمون ، واستوعبت خلافة المعتصم والواثق ، وارتفعت فى خلافة المتوكل . وقد كان المأمون الذى افتُتحت فى أيامه :

وهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، ممن عُنى بالفلسفة وعلوم الأوائل ، ومَهَر فيها ، واجتمع عليه جمع من علمائها ، فجرّه ذلك إلى القول بخلْق القرآن ، وذكر المؤرخون أنه كان بارعا فى الفقه والعربية وأيام الناس ، ولكنه كان ذا حزم وعزم وحلم وعلم ، ودهاء وهيبة وذكاء وسماحة ، وفطنة وفصاحة ودين .

قيل : ختم فى رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة ، وصعد فى يوم منبرا ، وحدَّث فأورد بسنده نحوا من ثلاثين حديثًا ، بحضور القاضى يحيى بن أكْثم ، ثم قال له : يا يحيى كيف رأيت مجلسنا ؟ فقال : أجَلّ مجلس ، يُفقّه الخاصّة والعامة . فقال : ما رأيتُ له حلاوة ! إنما المجلس لأصحاب الخُلقان والمحابر .

وقيل : تقدّم إليه رجل غريب بيده مِحْبَرة ، وقال : يا أمير المؤمنين ، صاحب حديث منقطِع به السُّبل . فقال : ما تحفظ فى باب كذا ؟ فلم يذكر شيئًا . قيل : فما زال المأمون يقول : حدثنا هُشَيم ، وحدثنا يحيى ، وحدثنا حَجّاج ، حتى ذكر الباب . ثم سأله عن باب آخر ، فلم يذكر فيه شيئًا ، فقال المأمون : حدثنا فلان ، وحدثنا فلان ، إلى أن قال لأصحابه : يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ، ثم يقول أنا من أصحاب الحديث ! أعطوه ثلاثة دراهم !

قلت : وكان المأمون من الكرم بمكان مَكين ، بحيث إنه فرّق فى ساعة ستة وعشرين ألف ألف درهم ، وحكايات مكارمه تستوعب الأوراق ، وإنما اقتصر فى عطاء هذا السائل فيما نراه ، والله أعلم ، لما رأى منه من التمعْلُم ، وليس هو هناك ، ولعلّه فهم عنه التعاظم بالعلم عليه ، كما هو شأن كثير ممن يدخل إلى الأمراء ويظنهم جهلة ، على العادة الغالبة .

وكان المأمون كثير العفو والصفح .

ومن كلامه : لو عرف الناس حبّى للعفو لتقرّبوا إلىّ بالجرائم ، وأخاف أن لا أُؤجر فيه ؛ يعنى لكونه طبعًا له .

قال يحيى بن أكْثم : كان المأمون يحلُم حتى يَغيظنا .

وقيل : إن ملّاحا مر والمأمون جالس ، فقال : أتظنون أن هذا ينبُل فى عينى ، وقد قتل أخاه الأمين ؟ يشير إلى المأمون . فسمعه المأمون ، وظن الحاضرون أنه سيقضى عليه ، فلم يزد المأمون على أن تبسم ، وقال : ما الحيلة حتى أنبُل فى عين هذا السيد الجليل ؟

ولسنا نستوعب ترجمة المأمون ، فإن الأوراق تضيق بها ، وكتابنا غير موضوع لها ، وإنما غرضنا أنه كان من أهل العلم والخير ، وجرّه القليل الذى كان يدريه من علوم الأوائل إلى القول بخلق القرآن ، كما جرّه اليسير الذى كان يدريه فى الفقه إلى القول بإباحة متعة النساء ، ثم كان ملكا مطاعا ، فحمل الناس على معتقَده . ولقد نادى بإباحة متعة النساء ، ثم لم يزل به يحيى بن أكْثم رحمه الله حتى أبطلها . وروى له حديث الزهرى عن ابنى الحنفية ، عن أبيهما محمد ، عن على رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، فلما صحح له الحديث رجع إلى الحقّ ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها .

وكان قد ابتدأ بالكلام فيها فى سنة اثنتى عشرة ، ولكن لم يصمم ويحمل الناس إلا فى سنة ثمان عشرة ، ثم عُوجل ولم يُمهل ، بل توجه غازيا إلى أرض الروم ، فمرض ومات فى سنة ثمان عشرة ومائتين .

واستقل بالخلافة بعده أخوه المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بعهد منه ، وكان ملكا شجاعا بطلا مهيبا ، وهو الذى فتح عَمُّورِيّة[1] ، وقد كان المنجّمون قضوا بأنه يُكسر ، فانتصر نصرًا مؤزَّرا . وأنشد فيه أبو تمام الطائىّ قصيدته السائرة التى أولها[2] :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتبِ ... فى حَدِّه الحَدُّ بين الجِدّ واللَّعِبِ

والعِلْمُ فى شُهُبِ الأرماحِ لامعةً ... بين الخَمِيسَيْنِ لا فى السَّبعةِ الشُّهُبِ[3]

---

(١) بفتح أوله وتشديد ثانيه : بلد ببلاد الروم . المراصد ٩٦٣ .

(٢) ديوانه ١/٤٥ — ٤٨ .

(٣) قال الخطيب التبريزى : يعنى بشهب الأرماح : أسنتها . ويعنى بالسبعة الشهب : الطوالع التى أرفعها زحل ، وأدناها القمر ، وبعضها الشمس . والخميسان : الجيشان ، ويقال : إن الجيش سمى خميسا فى زمان كانت الملوك إذا غزت أخذت خمس الغنيمة لأنفسها ، فالخميس إذا فى معنى المخموس . ولامعة : نصب على الحال من شهب الأرماح .

أين الروايةُ أم أين النجومُ وما صاغوه من زُخرفٍ فيهاومن كذبِ
تخرُّصًا وأحاديثًا ملفقةً ليست بنَبْعٍ إذا عُدَّت ولا غَرَبِ[1]

ولقد تضيق الأوراق عن شرح ما كان عليه من الشجاعة والمهابة والمكارم والأموال ، والحِيَل والدهاء ، وكثرة العساكر والعَدَد والعُدَد .

قال الخطيب : ولكثرة عساكره وضيق بغداد عنه بنى سُرَّ مَن رأى . وانتقل بالعساكر إليها ، وسميت العَسكر .

وقيل : بلغ عدد غلمانه الأتراك فقط سبعة عشر ألفا .

وقيل : إنه كان عَرِيًا من العلم ، مع أنه رويت عنه كلمات تدل على فصاحته ومعرفته .

قال أبو الفضل الرِّياشِيّ : كتب ملك الروم لعنه الله ، إلى المعتصم يهدده ، فأمر بجوابه ، فلما قرئ عليه الجواب لم يرضه ، وقال للكاتب : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[2] .

ومن كلامه : اللهم إنك تعلم أنى أخافك من قِبَلِى ، ولا أخافك مِن قِبَلك ، وأرجوك من قِبَلك ، ولا أرجوك مِن قِبَلِى .

قلت : والناس يستحسنون هذا الكلام منه ، ومعناه أن الخوف[3] مِن قِبَلِى ؛ لما اقترفته من الذنوب ، لا مِن قِبَلك ، فإنك عادل لا تظلم ، فلولا الذنوب لما كان للخوف معنى . وأما الرجاء فمِن قِبَلك ، لأنك متفضل ، لا مِن قِبَلِى ؛ لأنه ليس عندى من الطاعات والمحاسن ما أرتجيك بها .

والشِّق الثانى عندنا صحيح لا غُبار عليه. وأما الأول فإنا نقول: إن الرب تعالى نخاف

---

(١) فى المطبوعة ، د : بسبع . والتصويب من الديوان . قال التبريزى : النبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال وتتخذ منه القسى ، وإذا وصف الرجل بالجلادة والصبر شبه بالنبع ، أى أنه صلب لا يقدر على كسره .
(٢) سورة الرعد ٤٢ . و « الكافر » بالإفراد قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو .
(٣) إلى هنا انتهى سقط نسخة ج الذى بدأ فى ص ١٤ .

مِن قِبَله كما نخاف مِن قِبَلنا ؛ لأنه الملك القهّار ، يخافه الطائعون والعصاة ، وهذا واضح لمن تدبره .

قال المؤرخون : ومع كونه كان لا يدرى شيئًا من العلم حَمل الناس على القول بخلق القرآن .

قلت : لأن أخاه المأمون أوصى إليه بذلك ، وانضم إلى ذلك القاضى أحمد بن أبى دُؤاد وأمثاله من فقهاء السوء ، فإنما يُتلف السلاطين فسقةُ الفقهاء ؛ فإن الفقهاء ما بين صالح وطالح ، فالصالح غالبا لا يتردد إلى أبواب الملوك ، والطالح غالبا يترامى عليهم ، ثم لا يسعه إلا أن يجرى معهم على أهوائهم ، ويهوّن عليهم العظائم ، ولَهُوَ على الناس شر من ألف شيطان ، كما أن صالح الفقهاء خير من ألف عابد ، ولولا اجتماع فقهاء السوء على المعتصم لنجّاه الله مما فرط منه ، ولو أن الذين عنده من الفقهاء على حق لأروه الحق أبلج واضحا ، ولأبعدوه عن[1] ضرب مثل الإمام أحمد ، ولكن ما الحيلة والزمان بُنى على هذا ! وبهذا تظهر حكمة الله فى خلقه .

ولقد كان شيخ الإسلام والمسلمين الوالد رحمه الله يقوم فى الحق ، ويفوه بين يدى الأمراء بما لا يقوم به غيره ، فيذعنون لطاعته ، ثم إذا خرج من عندهم دخل إليهم من فقهاء السوء من يعكس ذلك الأمر ، وينسب الشيخ الإمام إلى خلاف ما هو عليه ، فلا يندفع شيء من المفاسد ، بل يزداد الحال . ولقد قال مرة لبعض الأمراء وقد رأى عليه طَرْزًا من ذهب عريضًا على قَباء حرير : يا أمير أليس فى الثياب الصوف ما هو أحسن من هذا الحرير ؟ أليس فى السكَنْدرىّ ما هو أظرف من هذا الطَّرْز ؟ أىُّ لذةٍ لك فى لبس الحرير والذهب ؟ وعلى أى شيء يدخل المرء جهنم ؟ وعذله فى ذلك ، حتى قال [له ذلك][2] الأمير : اشهد علىّ أنى لا ألبس بعدها حريرا ولا طَرْزًا ، وقد تركت ذلك لله على يديك . فلما فارقه جاءه من أعرِفه من الفقهاء ، وقال له : أما الطَّرْز فقد جوّز أبو حنيفة ما دون أربعة أصابع ، وأما الحرير

---

(١) فى المطبوعة : ولا يغروه على . واعتمدنا ما فى : ج ، د .
(٢) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، د .

فقد أباحه فلان ، وأمّا وأمّا ، ورخّص له ، ثم قال له : لم لا نهى عن المُكُوس ؟ لم لا نهى عن كذا وكذا ؟ وذكر ما لو نهى الشيخ الإمام أو غيره عنه لما أفاد ، وقال له : إنما قصد بهذا إهانتك ، وأن يبين للناس أنك تعمل حراما ! فلم يخرج من عنده حتى عاد إلى حاله الأول ، وحنَق على الشيخ الإمام ، وظنه قصد تنقيصه عند الخلق ، ولم يكن قصد هذا الفقيه إلا إيقاع الفتنة بين الشيخ الإمام والأمير ، ولا عليه أن يُفتىَ بمحرَّم فى قضاء غرضه .

وهذا المسكين لم يكن يخفى عليه أن ترْك[1] النهى عما لا يفيد النهى عنه من المفاسد لا يوجب الإمساك عن غيره ، ولكن حمله هواه على الوقوع فى هذه العظائم ، والأمير مسكين ليس له من العلم والعقل ما يميز به .

والحكايات فى هذا الباب كثيرة ، ومسك اللسان[2] أولى ، والله المستعان .

ومات المعتصم فى سنة سبع وعشرين ومائتين ، وولى الواثق بالله أبو جعفر هارون ابن المعتصم بن الرَّشيد ، وكان مليح الشِّعر ، يروى أنه كان يحب خادما أُهدى له من مصر فأغضبه الواثق يوما ، ثم إنه سمعه يقول لبعض الخدم : والله إنه ليروم أن أكلمه من أمس ، فما أفعل ؟ فقال الواثق :

يا ذا الذى بعذابى ظلّ مفتخرًا	ما أنت إلا مَليكٌ جار إذ قَدَرا
لولا الهوى لتجارَيْنا على قَدَرٍ	وإن أُفِقْ منه يوماًما فسوف ترى

وقد ظرّف عُبادة الملقب بعُبادة المخنَّث ، حيث دخل إليه وقال : يا أمير المؤمنين ، أعظم الله أجرَك فى القرآن . قال : ويلك ! القرآن يموت ؟ قال : يا أمير المؤمنين كلّ مخلوق يموت ، بالله يا أمير المؤمنين مَن يُصلّى بالناس التراويح إذا مات القرآن ؟ فضحك الخليفة وقال : قاتلك الله ! أمسك .

قال الخطيب : وكان ابن أبى دُؤاد قد استولى عليه ، وحمله على التشديد فى المحنة .

---

(١) فى الأصول : أن يترك .

(٢) فى المطبوعة : والإمساك . والمثبت من : ج ، د .

قلت : وكيف لا يشدّد المسكين فيها ؟ وقد أقروا فى ذهنه أنها حق ، يقرّبه إلى الله ، حتى إنه لما كان الفِداء فى سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، واستفكّ الواثق مِن طاغية الروم أربعة آلاف وستمائة نفس ، قال ابن أبى دُؤاد ، على ما حُكى عنه ، ولكن لم يثبت عندنا : من قال من الأُسارى القرآن مخلوق ؛ خلِّصوه وأعطوه دينارين ، ومن امتنع دعوه فى الأسر . وهذه الحكاية إن صحّت عنه ، دلّت على جهل عظيم ، وإفراط فى الكُفر .

وهذا من الطِّراز الأول ، فإذا رأى الخليفةُ قاضيا يقول هذا الكلام ، أليس يوقعه ذلك فى أشد مما وقع منه ؟ فنعوذ بالله من علماء السوء ، ونسأله التوفيق والإعانة ، ونعود إلى الكلام فى ترجمة الإمام أحمد .

(مناظرة بين الشافعىّ وأحمد ابن حنبل رضى الله عنهما)

● حُكى أن أحمد ناظر الشافعىّ فى تارك الصلاة ، فقال له الشافعىّ : يا أحمد أتقول إنه يكفُر ؟

قال : نعم .

قال : إذا كان كافرا فبِم يُسلم ؟

قال : يقول لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ .

قال الشافعىّ : فالرجل مستديم لهذا القول ، لم يتركه .

قال : يُسلم بأن يصلِّىَ .

قال : صلاة الكافر لا تصح ، ولا يحكم بالإسلام بها . فانقطع أحمد وسكت .

حكى هذه المناظرة أبو علىّ الحسن بن عَمّار من أصحابنا ، وهو رجل مَوصِلىّ ، من تلامذة فخر الإسلام الشَّاشِىّ .

● رأيت فى تاريخ نَيْسابور للحاكم فى ترجمة الحافظ محمد بن رافع :

أخبرنا أبو الفضل ، حدثنا أحمد بن سَلَمة ، قال : سمعت محمد بن رافع يقول : سمعت أحمد ابن حنبل يقول : إذا قال المؤذّن فى أذانه : صلّوا فى الرِّحال ، فلك أن تتخلف ، وإن لم يقل فقد وجب عليك إذا قال : حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الفلاح .

وأسند الرفاعيّ فى « أماليه » أن أبا الوليد الجَرّار[1] قال : أنشدت بين يدى الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله ورضى عنه :

وأحْوَرَ محمـودٍ على حسن وجههِ ... يَزيد كمالًا حين يبدو على البدرِ
دعانى بعينيهِ فلمـا أجبتُـه ... رمانى بنُشّاب المنيّة والهجرِ
وكلّفنى صبرا عليه فلم أُطِقْ ... كما لم يُطق موسى اصطبارًا على الخِضرِ
شكوتُ الهوى يومًا إليه فقال لى ... مُسَيْلِمةُ الكذّابُ جاء من القبرِ
أطعتُ الهوى لا بارك الله فى الهوى ... فأنزلنى دار المَذلّة والصُّغْرِ

فقال أحمد بن حنبل : صدق الشاعر ، لا بارك الله فى الهوى .

وروى الحاكم أبو عبد الله فى تاريخ نيسابور ، فى ترجمة محمد بن نصر الفَرّاء – وهو فى الطبقة الخامسة – أنه سمع أحمد بن حنبل يقول : حدثنا الشافعىّ ، عن مالك بن أنس ، عن ابن عَجْلان ، قال : إذا أغفل العالم « لا أدرى » أصيبت مَقاتله ، وإن أحمد بن حنبل قال : لم يسمع مالك من ابن عَجْلان إلا هذا . قلت : هذه فائدة .

أخبرنا الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن الزَّكِىّ عبد الرحمن المِزّىّ، وعبد الرحيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن أبى اليَسَر، قراءة عليهما وأنا أسمع، قال الأول: أخبرنا على بن أحمد بن البخارىّ، وأحمد بن شَيبان بن ثعلب، والمسلم بن عَلّان، وزينب بنت مَكّىّ ابن كامل الحَرّانىّ، وقال الثانى: أخبرنى جَدِّى أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليَسَر سماعا، قالوا: أخبرنا حنبل بن عبد الله، أخبرنا هِبة الله بن محمد، أخبرنا أبو على ابن المُذْهِب : أخبرنا أبو بكر بن حَمدان، أخبرنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبى رضى الله عنه، حدثنا محمد بن إدريس الشافعىّ رضى الله عنه، أخبرنا مالك رضى الله عنه، عن نافع رضى الله عنه، عن ابن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَبِعْ

(١) فى المطبوعة : الجزار . وفى د : الخراز . واخترنا ما فى ج .

بعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ » ونهى عن النَّجْش[١] ، ونهى عن بيع حَبَلِ الحَبَلَة[٢] ، ونهى عن المُزَابنة . والمزابنة : بيع التَمْر بالتمر كَيْلًا ، وبيع الكَرْم بالزبيب كيلا .

هذا الحديث مستحسن الإسناد ؛ لرواية الأكابر فيه بعضهم عن بعض . وسيأتى إن شاء الله تعالى مثله فى ترجمة المُزَنىّ ؛ وأنا أسمىّ هذا الإسناد عقد الجوهر ، وإذا سمىّ مالك عن نافع عن ابن عمر ، سلسلَة الذهب ، فقل إذا شئت فى أحمد عن الشافعىّ عن مالك عن نافع عن ابن عمر ، والمُزَنِىّ عن الشافعىّ هكذا ؛ والبُوَيْطِىّ عن الشافعىّ هكذا ، هذا عِقد الجوهر ، ولا حرج عليك .

وليس فى مسند أحمد رواية أحمد عن الشافعىّ ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، غير هذا الحديث[٣] .

٨
أحمد بن محمد بن سعيد بن جَبَلة
أبو عبد الله الصَّيْرفىّ البغدادىّ*

سمع الشافعىّ ، وغيره .

---

(١) فى المطبوعة : الفحش . وهو خطأ ، صوابه من : ج ، د . قال صاحب القاموس : النجش أن تواطىء رجلا إذا أراد بيعا أن تمدحه ، أو أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه فيها بثمن كثير لينظر إليك ناظر فيقع فيها ، أو أن ينفر الناس عن الشىء إلى غيره . القاموس (ن ج ش) .
(٢) قال ابن الأثير : الحبل – بالتحريك – : مصدر سمى به المحمول ، كما سمى بالحمل ، وإنما دخلت عليه التاء للإشعار بمعنى الأنوثة فيه . فالحبل الأول يراد به ما فى بطون النوق من الحمل ، والثانى حبل الذى فى بطون النوق ، وإنما نهى عنه لمعنيين : أحدهما أنه غرر وبيع شىء لم يخلق بعد ، وهو أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذى فى بطن الناقة ، على تقدير أن تكون أنثى ، فهو بيع نتاج النتاج . وقيل : أراد بحبل الحبلة أن يبيعه إلى أجل ينتج فيه الحمل الذى فى بطن الناقة ، فهو أجل مجهول ولا يصح . النهاية ١/٣٣٤ .
(٣) مسند أحمد ٢ / ١٠٨ .
* له ترجمة فى تاريخ بغداد ٥/ ١١ .

٩

أحمد بن محمد بن الوليد

ويقال : عَون بن عُقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبى شَمِر الأزرقىّ القوّاس المكىّ ؛ أبو الوليد . وقيل أبو محمد . وقيل : أبو الحسن*

وهو جد صاحب « تاريخ مكة » .

روى عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأُموىّ ، ومالك ، وعبد الجبار بن الوَرْد ، وإبراهيم بن سعد ، وفُضَيل بن عياض ، ومسلم بن خالد الزَّنْجِىّ ، وجماعة .

روى عنه البخارىّ ، ومحمد بن سعد كاتب الواقِدىّ ، وأبو حاتم ، وحنبل بن إسحاق ، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر التِّرمذىّ شيخ الشافعية ، ولعله آخر من روى عنه .

توفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، على ما حرره شيخنا الذهبىّ ، ووهِم بعضهم فقال : سنة ثنتى عشرة ، وأظن الوهم سرى إلى هذا القائل من قول البخارىّ : فارقته حيًّا سنة ثنتى عشرة ، وقد صح أنه كان حيًّا سنة سبع عشرة ، ومن ثم قال ابن عساكر : مات سنة سبع عشرة أو بعدها .

قلت : الصحيح سنة اثنتين وعشرين .

١٠

أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادىّ

أبو عبد الرحمن الشافعىّ المتكلم**

حدّث عن الشافعىّ ، والوليد بن مسلم الثَّقفىّ .

روى عنه أبو جعفر الحَضْرَمِىّ ، مُطَيِّن .

---

* له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ١/٧٩ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١١ ، طبقات الفقهاء للعبادى ٢٦ . النجوم الزاهرة ٢/٢٣٧ .

** له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٥/٢٠٠ ، طبقات الشيرازى ٨٤ .

قال الدارقُطنىّ : كان من كبار أصحاب الشافعىّ الملازمين له ببغداد ، ثم صار من أصحاب ابن أبى دُؤاد ، واتبعه على رأيه ، وكذلك قال الشيخ أبو إسحاق[1] .

وقال أبو عاصم : هو أحد الحفّاظ النسّاك المفتين[2] . قال : والشافعىّ منعه من قراءة كتبه ؛ لأنه كان فى بصره سوء .

وقال زكريا الساجىّ : قلت لأبى داود السِّجِسْتانِىّ : مَن أصحاب الشافعىّ ؟ فقال : الحُمَيْدِىّ ، وأحمد ، والبُوَيْطِىّ ، والربيع ، وأبو ثور ، وابن الجارُود ، والزَّعفرانىّ ، والكَرابيسىّ ، والمُزَنىّ ، وحَرْمَلة ، ورجل ليس بالمحمود : أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى الذى يقال له الشافعىّ ؛ وذلك أنه بدَّل وقال بالاعتزال .

قلت : وقال أيضًا بمنكَرات من المسائل :

● فذهب فيما نقله أبو الحسن الجُوزىّ[3] فى [كتابه المرشد][4] شرح مختصر المُزَنِىّ إلى أن الطلاق لا يقع بالصفات، محتجًّا بأنه لمّا لم يجز نكاح المتعة؛ لأنه عَقد معلَّق بصفة فكذلك الطلاق بصفة عقدٌ معلّق. وهذا قولٌ باطل، هاجم على خَرْق الإجماع، وهو مثل قول الظاهرية، كما صرّح به ابن حَزْم فى «المحلَّى» وغيره.

● أن مَن قال : إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق ، أو ذكر وقتًا مّا ، فلا تكون طالقًا بذلك ؛ لا الآن ولا إذا جاء رأس الشهر . ولعل هذا من مفردات الظاهرية .

وقد أطال الشيخ الإمام الوالد الكلام على هذا ، وحرر مخالفته للإجماع فى كتابه « الردّ على ابن تيمية فى مسألة الطلاق » كتاب « التحقيق » ، الذى هو من أجلّ تصانيف الشيخ الإمام .

---

(١) فى الطبقات الوسطى : واعلم أن أبا عبد الرحمن هذا إنما ذكرناه تبعا للشيخ ، وإلا فهو حقيق بألا يذكر مع أصحابنا ، كيف وقد صرح الشيخ برجوعه عن رأى الشافعى ، وهو غير مرض !

(٢) فى طبقات الفقهاء للعبادى : « والنساك والمفتين » .

(٣) فى الطبقات الوسطى بضم الجيم ، ضبط قلم . وانظر اللباب ٢٥٢/١ .

(٤) من الطبقات الوسطى .

قرأت على المسنِد أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَبّاز ، أخبرك المسلم بن عَلّان كتابة ، أخبرنا أبو اليُمْن الكِندىّ ، أخبرنا أبو منصور القَزّاز ، أخبرنا الخطيب أبو بكر الحافظ ، كتب إلىّ محمد بن أحمد بن عبد الله الجوالِيقىّ من الكوفة ، فذكر أن إبراهيم بن أحمد بن أبى حَصين[1] الهَمْدانىّ أخبرهم ، ثم أخبرنى القاضى أبو عبد الله الصَّيْمَرِىّ ، قراءةً ، حدثنا أحمد بن محمد بن على الصَّيْرَفىّ ، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن أبى حَصين ، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحَضْرَمِىّ ، حدثنا أحمد بن يحيى أبو عبد الرحمن الشافعىّ ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعىّ ، حدثنا أبو النَّجاشِىّ ، مولى رافع ، عن رافع قال : كنا نصلى مع النبى ﷺ [العصر][2] ثم ننحَر الجزور فتُجزّأ عشرة أجزاء ، ثم تُطبخ ، فنأكل لحما نَضيجا ، قبل أن نصلىَ المغرب .

رواه البخارىّ ومسلم[3] .

١١

أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان بن المهاجر التُّجِيبىّ

أبو عبد الله المصرىّ الحافظ النحوىّ*

مولاهم . أحد الأئمة .

روى عن عبد الله بن وهب ، وشُعيب بن اللَّيث ، وأَصْبَغ بن الفرج ، وجماعة .

روى عنه النَّسائىّ ، وقال : ثِقَة ، والحسين بن يعقوب المصرىّ ، وأبو بكر بن أبى داود ، وآخرون .

---

(١) فى ج : حصير . والمثبت فى المطبوعة ، د ، تاريخ بغداد ، وانظر المشتبه ٢٤٠ .

(٢) زيادة من الصحيحين .

(٣) البخارى فى (باب الشركة فى الطعام من كتاب الشركة) ١٨٠/٣ . ولفظه : كنا نصلى مع النبى ﷺ العصر فننحر جزورًا ، فتقسم عشر قسم ، فنأكل لحما نضيجا قبل أن تغرب الشمس .

ورواه مسلم فى (باب استحباب التبكير بالعصر ، من كتاب المساجد ومواضع الصلاة) ٤٣٥/١ . ولفظه : كنا نصلى العصر مع رسول الله ﷺ ثم تنحر الجزور ، فتقسم عشر قسم ، ثم تطبخ ، فنأكل لحما نضيجًا قبل مغيب الشمس .

* له ترجمة فى : إنباه الرواة ، ١٥٢/١ ، بغية الوعاة ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ٨٩/١ .

وُلد سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان من أعلم أهل زمانه بالشعر والأدب والغريب وأيام الناس ، وصحب الشافعيّ وتفقّه له ، وكان يتقبَّل فيما ذكر بعضهم ، أى يستأجر الأراضى للزرع ، ويعمل الفلاحة ، فانكسر عليه بعض الخَراج ، فحبسه أحمد بن محمد بن المدبِّر على ما انكسر عليه ، فمات فى السجن لستٍّ خلون من شوال سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فيما ذكر بعضهم ، وذكر آخرون أنه إنما مات سنة خمسين ومائتين فى الشهر المذكور ، فى السجن بمصر .

قال زكريا الساجِيّ : بلغنى عن محمد بن الوزير أنه قال : ما شرِب الشافعيّ من كوز مرتين ، ولا عاد فى جِماع جارية مرتين . ذكر ذلك الحاكم فى مناقب الشافعيّ ، ورأيته كذا بخط بعض المحدثين : محمد بن الوزير ، وإنما هو أحمد بن يحيى ابن الوزير .

١٢
أحمد بن أبى شُرَيح الرازىّ

● ذكر العَبّادىّ أنه قال : سمعت الشافعيّ يقول : ما تخلل الإنسانُ[1] بخلال من بين أسنانه فلْيقذفه ، وما أخرجه بأصبعه فليأكله . قال أبو عاصم : وفيه أثر : « كُلُوا الوَغْمَ وَاطْرَحُوا الفَغْمَ »[2] . والوَغْم : ما تساقط من الطعام . والفَغْم : ما تعلّق بين الأسنان منه ، أى كلوا فُتات الطعام ، وارموا ما يُخرجه الخِلال .

١٣
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أَعْيَن بن ليث
الإمام أبو عبد الله المصرىّ*

أخو عبد الرحمن وسعد .

وُلد سنة اثنتين وثمانين ومائة .

---

(١) فى ج : الأسنان . والمثبت فى المطبوعة ، د ، آداب الشافعى ٢٧٢ .

* له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/ ١١٥ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٦٠ ، الديباج المذهب ٢٣١ ، شذرات الذهب ١٥٤/٢ ، طبقات الشيرازى ٨١ ، طبقات الفقهاء للعبادى ٣٦ ، وفيه : « أحمد بن أبى سريج » ، طبقات القراء ١٧٩/٢ ، وفيات الأعيان ٣٣٣/٣

(٢) فى طبقات العبادى : قال ﷺ : « لا تأكلوا الفغم ، ولا ترموا الوغم » .

وروى عن عبد الله بن وهب ، وابن أبى فُدَيك ، وأبى ضَمْرة أنس بن عِياض ، وأشهَب بن عبد العزيز ، والشافعىّ وبه تفقّه ، وطائفة .

روى عنه النَّسائىّ ، وأبو حاتم الرازىّ ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم ، وابن خُزَيمة ، وأبو العباس الأصمّ ، وابن صاعد ، وأبو بكر بن زِياد النَّيسابورىّ ، وجماعة .

ولازَم الشافعىّ رضى الله عنه مدة . وقيل : إن الشافعىّ كان معجَبا به لفَرْط ذكائه ، وحرصه على الفقه .

قال أبو عمر[1] الصَّدَفِىّ : رأيت أهل مصر لا يعدِلون به أحدا ، ويصفونه بالعلم والفضل والتواضع .

وقال النَّسائىّ : ثِقَة . وقال فى موضع آخر : صَدُوق لا بأس به . وقال فى موضع ثالث : هو أظرف[2] من أن يكذب .

وقال أبو بكر بن خُزَيمة : ما رأيت فى فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم . وقال مرّة : كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أعلم مَن رأيت على أديم الأرض بمذهب مالك وأحفظهم له ، سمعته يقول : كنت أتعجّب ممن يقول فى المسائل : لا أدرى ! قال : وأما الإسناد فلم يكن يحفظه .

قلت : إنما ذكرنا ابن عبد الحكم فى الشافعيين تبعًا للشيخ أبى عاصم العَبَّادىّ ، وللشيخ أبى عمرو بن الصَّلاح ، وكان الحامل لهما على ذكره حكاية الأصحاب عنه مسائل رواها عن الشافعى ، وإلا فالرجل مالكىّ ، رجع عن مذهب الشافعىّ .

قال ابن خُزَيمة فيما رواه الحاكم عن الحافظ حُسَيْنك التَّميمىّ ، عنه : كان ابن عبد الحكم من أصحاب الشافعىّ . فوقعت بينه وبين البُوَيْطِىّ وحشة فى مرض الشافعىّ .

فحدثنى أبو جعفر السّكَّرىّ ، صديق الربيع قال : لما مرض الشافعىّ جاء ابن عبد الحكم يُنازِع البُوَيْطِىّ فى مجلس الشافعىّ ، فقال البُوَيْطِىّ : أنا أحقّ به منك ، فجاء

---

(١) فى المطبوعة : أبو عمرو . وأثبتنا ما فى : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : أصدق . والمثبت من : ج ، د ، الطبقات الوسطى .

الحُمَيْدِىّ وكان بمصر ، فقال : قال الشافعىّ : ليس أحد أحقّ بمجلسى من البُوَيْطِىّ ، وليس أحد من أصحابى أعلم منه . فقال له ابن عبد الحكم : كذبت ، فقال له الحُمَيدىّ : كذبت أنت وأبوك وأمك . وغضب ابن عبد الحكم ، فترك مذهب الشافعىّ .

فحدثنى ابن عبد الحكم قال : كان الحُميدىّ معى فى الدار نحوا من سنة ، وأعطانى كتاب ابن عُيَيْنة ، ثم أبوا إلا أن يوقعوا بيننا ما وقع .

قلت : ثم انتهت حال ابن عبد الحكم إلى أن صنف كتابا سماه « الرد على الشافعىّ فيما خالف فيه الكتاب والسنة » وهو اسم قبيح ، ولقد نالته بعد هذا التصنيف محنة صعبة يطول شرحها .

توفى ابن عبد الحكم فى النصف من ذى القعدة ، سنة ثمان وستين ومائتين[1] .

وفى المحدِّثين[2] : محمد بن عبد الله بن عبد الحكم غيره[3] .

رجل روى عن أحمد بن مسعود المَقْدِسىّ .

روى الحافظ أبو نُعَيْم الأصبهانى حديثه فى « الحلية » فقال : حدثنا أبو حامد أحمد ابن محمد بن الحسين ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[4] .

● أخبرنا أبو زكريا يحيى بن يوسف بن أبى محمد الصَّيْرفىّ ، قراءةً عليه ، وأنا أسمع فى ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بمصر ، قال : حدثنا عبد الوهاب ابن ظافر بن رَواج إجازة .

ح : وحدثنا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله من لفظه ، فى يوم الجمعة ثانى عشر

---

(١) فى الطبقات الوسطى :
قال ابن الصلاح : حكى عن ابن عبد الحكم صاحبه محمد بن رمضان بن شاكر الزيات المالكى أنه سئل عن الجن : هل لهم فى الآخرة جزاء على أعمالهم ؟ فقال : نعم . والقرآن يدل على ذلك . قال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ وأنه قال فى الحديث الذى روى أن النبى ﷺ قال : « صومكم يوم نحركم » . هذا من حديث الكذابين . وأنه قال : ليس يصح الحديث الذى جاء فيه : « من وسع على أهله يوم عاشوراء ... » .

(٢) فى المطبوعة : المحمدين . والمثبت من : ج ، د .

(٣) له ترجمة فى تهذيب التهذيب ٩/ ٢٦٢ .

(٤) راجع الحلية ٩/ ٦٨ .

ذى الحجة ، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بالمدرسة العادِلية الكبرى بدمشق ، أخبرنا عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة ، سماعا عليه ، أخبرنا ابن رَواج ، سماعا ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفىّ ، أخبرنا على بن محمد بن على [بن محمد][1] العَلّاف ، أخبرنا على بن أحمد بن عمر الحَمّامِىّ ، حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن مسلم الخُتُّلىّ ، حدثنا أبو سليمان محمد بن على الحَرّانىّ ، حدثنا الحسين بن محمد ، يعنى ابن الضَّحَّاك بن يحيى ، بمصر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت الشافعىّ يحكى عن إنسان سمّاه أنه سئل عن العدل ، فقال : ليس أحد يطيع الله عز وجل حتى لا يعصيه ، ولا أحد يعصى الله عز وجل حتى لا يطيعه ، ولكن إذا كان أكثر أمر[2] الرجل الطاعة لله عز وجل ، ولم يُقدم على كبيرة فهو عَدْل .

قلت : كذا جاء فى هذه الرواية مقيّدا بقوله « ولم يُقدم على كبيرة » وجاء فى روايات أخَر مطلقا ، والمطلق محمول على المقيّد .

● قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : حدثنا الشافعىّ قال : ذكرت لمحمد بن الحسن الدعاء فى الصلاة ، فقال لى : لا يجوز أن يُدْعى فى الصلاة إلا بما فى القرآن ، وما أشبهه .

قلت له : فإن قال رجل : اللهم أطعمنى قِثّاء[3] وبصلا وعدسا ؛ أو ارزقنى ذلك أو أخرِجه لى من أرض ، أيجوز ذلك ؟

قال : لا .

قلت : فهذا فى القرآن ، فإن كنت إنما تجيز ما فى القرآن خاصة فهذا فيه ، وإن كنت تجيز غير ذلك ، فلم حظرتَ شيئًا وأبحت شيئًا ؟

قال : فما تقول أنت ؟

قلت : كل ما جاز للمرء أن يدعوَ الله به فى غير صلاة فجائز أن يدعوَ به فى الصلاة ، بل أستحبّ ذلك ؛ لأنه موضع يُرجى سرعة الإجابة فيه ، والصلاة : القراءة والدعاء . والنهى عن الكلام فى الصلاة هو كلام الآدميين بعضهم لبعض فى غير أمر بصلاة .

---

(١) زيادة فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : أمور . وأثبتنا ما فى : ج ، د .

(٣) فى د : ثوما .

قلت : فى المناظرة رد على دعوى الشيخ أبى محمد فى منع الدعاء بجارية حسناء .

قال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعىّ يقول : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث[1] ، وقال : سمعت الشافعىّ يقول : ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة : الحماقة والطاعون والهَرَم .

قلت : وفى آخر كتاب « آداب الشافعىّ »[2] لعبد الرحمن بن أبى حاتم : سمعت ابن عبد الأعلى يقول : قال لى الشافعىّ : لم أر شيئًا أنفع للوباء من البَنَفْسَج يُدهَن به ويُشرب .

قلت : والوباء غير الطاعون ، فلا منافاة بين الأمرين .

١٤
محمد بن الشافعىّ

إمامِنا الإمام الأعظم المطَّلِبىّ أبى عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى الشيخ أبو عثمان القاضى *

وهو أكبر أولاد الشافعىّ ، ولما توفى والده كان بالغا مقيما بمكة ، وهو الذى قال له الإمام أحمد بن حنبل : إنى لأُحبك لثلاث خِلال ؛ أنك ابن أبى عبد الله ، وأنك رجل من قريش ، وأنك من أهل السنة .

سمع أباه ، وسفيان بن عُيَيْنة ، وعبد الرزّاق ، وأحمد بن حنبل .

قال الخطيب : وذكر لى الحسن بن أبى طالب أنه ولى القضاء ببغداد ، وحدث عن عبد الرزّاق ، وهذا القول عندى غير صحيح ، إنما ولى القضاء بالجزيرة وأعمالها ، وهناك أيضا حدَّث ، وللجَزريين عنه رواية .

---

(١) فى المطبوعة : إلا ستمائة حديث . والمثبت من : ج ، د .

(٢) آداب الشافعى : ٣٢٤

* له ترجمة فى تاريخ بغداد ٣ / ١٩٧ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٦ ، الوافى بالوفيات ١ / ١١٤ ، حواشى آداب الشافعى ٨٥ .

وولى أيضا القضاء بمدينة حلب ، وبقى بها سنين كثيرة ، وأعقب ثلاثة بنين ، منهم العباس بن محمد بن محمد بن إدريس ، وأبو الحسن ، مات رضيعا ، وفاطمة لم تُعقِب .

وقيل للشافعىّ رضى الله عنه : ما اسم أبى عثمان ؟ فقال : سميته أحب الأسماء إلىّ ؛ محمدا .

ولأبى عثمان مناظرة مع الإمام أحمد بن حنبل فى جلود الميتة إذا دُبغت .

وقد ذكر شيئًا من حديثه الحافظ أبو عبيد الله ابن أبى زيد المعروف بابن المُقرى فى كتابه فى « مناقب الشافعى » ، وأسند حديثه عن عبد الرزّاق وسفيان بن عُيَيْنة وغيرهما . انتهى .

وروى الحاكم فى ترجمة أبى بكر محمد بن عبد الله الصِّبْغىّ ، أحد أئمة أصحابنا ، عن عبد الرحمن بن أبى حاتم قال : أخبرنى أبو محمد ابن بنت الشافعىّ ، قال : حدثنا أبى قال : عاتب محمد بن إدريس ابنه أبا عثمان ، فكان فيما قال له فى وعظه : يا بُنى ، والله لو علمتُ أن الماء البارد يَثْلِم من مروءتى ما شربتُ إلا حارًّا .

أخبرنا عمر بن حسن بن مَزيد بن أمِيلة ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو العز يوسف ابن يعقوب بن المجاوِر إجازة ، أخبرنا أبو اليُمْن الكِنْدىّ ، أخبرنا أبو منصور القَزَّاز ، أخبرنا الخطيب أبو بكر الحافظ ، قال : حدثنى الحسن بن محمد الخَلّال ، حدثنا على ابن الحسن الجَرَّاحىّ ، حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد ، قال : حدثنا المَيْمونىّ ، قال : قال لى محمد بن محمد بن إدريس الشافعىّ القاضى ، قال : قال لى أحمد ابن حنبل : أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم فى السَّحَر[1] .

وبه إلى الخطيب قال : وأخبرنا على بن طلحة المُقْرى ، حدثنا محمد بن العباس ، حدثنى جعفر بن محمد الصَّنْدَلىّ ، حدثنا خَطّاب بن بِشر ، قال : جعلت أسأل أبا عبد الله أحمد ابن حنبل ، فيجيبنى ويلتفت إلى ابن الشافعىّ ، ويقول : هذا مما علّمنا أبو عبد الله . يعنى الشافعىّ .

---

(١) فى المطبوعة : السجود . وأثبتنا ما فى : ج ، د ، وتاريخ بغداد ٣/ ١٩٨ .

قال خطّاب : وسمعت أحمد بن حنبل يذاكر أبا عثمان أمر أبيه ، فقال أحمد : يرحم الله أبا عبد الله ، ما أصلّى صلاة إلا دعوت فيها لخمسة ، هو أحدهم ، وما يتقدمه منهم أحد .

قال الخطيب : توفى بالجزيرة بعد[1] سنة أربعين ومائتين .

وللشافعىّ ولد آخر يُسمى محمدا أيضا ، وكنيته أبو الحسن ، وهو من جارية اسمها دنانير . ذكر أبو سعيد بن يونس أنه قدم مصر مع أبيه وهو صغير فتوفى بها فى شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

ومن روايات أبى عثمان عن أبيه رضى الله عنه :

روى البيهقىّ فى « أحكام القرآن » عن الحاكم أن أبا أحمد بن أبى الحسن أخبره ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحَنْظَلِىّ ، حدثنا أبى ، حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد المَيْمونىّ قال : حدثنى أبو عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعىّ ، قال : سمعت أبى يقول ليلةً للحُمَيْدىّ : ما تحتج عليهم – يعنى على أهل الإرجاء – بآية أحجَّ من قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[2] .

ومن الرواية عن أبى عثمان رحمه الله :

أخبرنا شيخ الشافعية أبو إسحاق إبراهيم ابن شيخ الشافعية أبى محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم الفَزارىّ فى كتابه إلىّ ، والمسند أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الخَبّاز سماعا عليه ، قالا : أخبرنا المسلم بن محمد بن عَلّان القَيْسىّ ، قال أبو إسحاق : سماعا ، وقال ابن الخباز : إجازة .

ح : وأخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن المَراغِىّ ، بقراءتى عليه ، قال : أخبرنا يوسف بن يعقوب بن المجاوِر ، إجازة ، قالا : أخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْدىّ ، أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القَزّاز ، أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب ، حدثنى محمد بن يوسف النَّيسابُورىّ ، قال : حدثنا يحيى بن على الصوّاف بمصر ، من لفظه ، حدثنا أبو بكر

---

(١) فى الطبقات الوسطى : توفى بالجزيرة سنة أربعين ومائتين .

(٢) سورة البينة ٥ .

محمد بن على النَّقّاش ، حدثنا نُعمان بن مدرك الرَّسْعَنِي ، حدثنا أبو عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعىّ ، إملاءً ، برأس العين[1] ، أخبرنا أبى ، محمد بن إدريس الشافعىّ رضى الله عنه ، قال : سمعت محمد بن على بن شافع عمى يحدث ، عن عبد الله بن على بن السائب ، عن عمرو بن أُحَيْحَة بن الجُلَاح ، عن خُزَيمة بن ثابت قال : سأل رجل رسول الله ﷺ عن إتيان النساء فى أدبارهن ، فلما ولّى دعاه أو أمر فدعى ، فقال : « كَيْفَ قُلْتَ ؟ فِى أَىِّ الْخُرْزَتَيْنِ ، أَوِ الخُرْبَتَيْنِ ، أَوْ مِنْ دُبُرِهَا فِى قُبُلِهَا ، أَمْ مِنْ دُبُرِهَا فِى دُبُرِهَا ؟ » قال : « إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِى مِنَ الْحَقِّ ، لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِى أَدْبَارِهِنَّ »[2] .

١٥
إبراهيم بن خالد بن أبى اليمان
أبو ثور الكَلْبىّ البغدادىّ*

الإمام الجليل ، أحد أصحابنا البغداديين . قيل كنيته أبو عبد الله ، ولقبه أبو ثور .

روى عن سفيان بن عُيَيْنة ، وابن عُلَيّة ، وعُبَيدة بن حُميد ، وأبى معاوية ، ووَكيع ، ومُعاذ بن مُعاذ ، وعبد الرحمن بن مَهدِىّ ، والشافعىّ ، ويزيد بن هارون ، وجماعة .

روى عنه مسلم خارج الصحيح ، وأبو داود ، وابن ماجة ، وأبو القاسم البغوىّ ، والقاسم بن زكريا المطرِّز ، ومحمد بن إسحاق السَّرّاج ، وجماعة .

قال أبو بكر الأَعْيَن : سألت أحمد بن حنبل : ما تقول فى أبى ثور ؟ قال : أعرفه بالسنَّة منذ خمسين سنة ، وهو عندى فى مِسْلاخ[3] سفيان الثَّوْرىّ .

وقال ابن حِبّان : كان أحد أئمة الدنيا ؛ فقها وعلما وورعا وفضلا وخيرا ، ممّن صنف الكتب وفرَّع على السنن ، وذبّ عنها ، وقمع مخالفيها .

---

(١) مدينة كبيرة من مدن الجزيرة . المراصد ٥٩٤ .

* له ترجمة فى: تاريخ بغداد ٦٥/٦، تذكرة الحفاظ ٨٧/٢، تهذيب التهذيب ١١٨/١، شذرات الذهب ٩٣/٢، طبقات الشيرازى ٧٥ ، طبقات الفقهاء للعبادى ٢٢ . العبر ٤٣١/١ ، النجوم الزاهرة ٣٠١/٢ ، وفيات الأعيان ٧/١ .

(٢) ترتيب مسند الشافعى ٢ / ٢٩ ، وفيه بعضُ اختلاف . والخرزة والخربة : كلاهما بمعنى الثُّقْبة . والحديث أيضا فى الأم ٥ / ٨٤ ، ١٥٦ .

(٣) المسلاخ : الإهاب أى الجلد .

قلت : قوله : « وخيرا » به تمام الكلام . وقوله « ممن صنف الكتب» ابتداء كلام آخر ، الجار والمجرور منه فى موضع الخبر ، والمبتدأ محذوف تقديره : وهو ممن صنف ، إلى آخره . وليس الجار والمجرور متعلقا بقوله « وخيرا » فيما يظهر ، فليس أبو ثور خيرا ممن صنف الكتب على الإطلاق .

وقال الخطيب : كان أبو ثور أولا يتفقه بالرأى ، ويذهب إلى قول أهل العراق ، حتى قدم الشافعىّ بغداد فاختلف إليه ، ورجع عن الرأى إلى الحديث .

وقال أبو حاتم : هو رجل يتكلم بالرأى فيخطئ ويصيب ، وليس محله محل المسمعين فى الحديث[1] .

قلت : هذا غلوّ من أبى حاتم ؟ وليس الكلام فى الرأى موجبا للقَدح ، فلا التفات إلى قول أبى حاتم هذا . وهو من الطِّراز الأول الذى قدّمناه فى ترجمة أحمد بن صالح المصرىّ .

وأبو ثور أظهر أمرا من أن يحتاج إلى توثيق ، وقد قدمنا كلام أحمد بن حنبل فيه ، وكفى به شرفا .

وعن أحمد أيضًا أنه سئل عن مسألة فقال للسائل : سل غيرنا ، سل الفقهاء ، سل أبا ثور .

وقال النَّسائىّ : هو أحد الفقهاء ، ثقة مأمون .

وقال أبو عبد الله الحاكم : كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم فى عصره ، وأحد أعيان المحدِّثين المتقنين .

وعن أحمد بن حنبل ، وسُئل عن أبى ثور ، أنه قال : لم يبلغنى إلا خيرٌ ، إلا أنه لا يعجبنى الكلام الذى يصيِّرونه فى كتبهم .

قلت : وليس فى هذا إن ثبت عن أحمد حطٌّ من قدر أبى ثور ، لا سيّما وقد تقدّم من كلام أحمد فى تعظيمه ما تقدم .

وقال أبو عمر بن عبد البَرّ : كان حسن النظر ، ثقة فيما يروى من الأثر ، إلا أن له شذوذا فارق فيه الجمهور ، وقد عدُّوه أحد أئمة الفقهاء[2] .

---

(١) الجرح والتعديل ٢ / ٩٨ ، وميزان الاعتدال ١ / ٢٩ .

(٢) ترجم له فى الانتقاء ١٠٧ ، ولم يذكر هذا الكلام .

قلت : لا يعنى شذوذا فى الحديث ، بل فى مسائل الفقه التى أغرب بها ، وسنحكى منها طائفة .

وقوله : « وقد عدُّوه أحد أئمة الفقهاء » جارٍ مَجرى الاعتذار عنه فيما يشذ به ، وأنه بحيث لا يُعاب على مثله الاجتهاد وإن أغرب ، فإنه أحد أئمة الفقهاء ، وإذا عرفت ما قيل فيه علمت أنه لم يُصَب بجَرح ، ولله الحمد .

وأنا أجوّز أن يكون قول أبى حاتم : « ليس محله محل المسمعين فى الحديث » مع كونه غير قدح مصحَّفا فى الكتب ، وأنه إنما قال : « محل المتَّسعين »[1] أى المكثرين ؛ فإن أبا ثور لم يكن من المكثرين فى الحديث إكثار غيره من الحفّاظ ، وقد رأيت اللفظة هكذا بخط بعض محدِّثى زماننا فى الحكاية عن أبى حاتم ، ولا شك أن الفقه كان أغلب عليه من الحديث ، وكان المحدِّثون إذا سُئلوا عن مسائل الفقه أحالوا عليه ، وقد قدمنا ما يدل على ذلك .

وأخبرنا المسنِد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَبّاز ، بقراءتى عليه ، أخبرنا المسلم بن محمد بن عَلّان ، إجازة ، أخبرنا زيد بن الحسن الكِنْدىّ ، أخبرنا أبو منصور القَزّاز ، أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب .

ح : وأخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفَّر بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم بن القَوّاس ، أخبرنا القاضى عبد الصمد الحَرَسْتانىّ ، أخبرنا نصر الله المِصِّيصِىّ أخبرنا نصر المَقْدسىّ ، أخبرنا الخطيب ، أخبرنا محمد بن أحمد بن على الدَّقّاق ، حدثنا أحمد ابن إسحاق النُّهاوَنْدِىّ ، بالبصرة ، حدثنا الحسن بن عبد الرحمن بن خَلّاد ، بالبصرة ، حدثنا أبو عمر أحمد بن محمد بن سُهيل ، حدثنى رجل ذكره من أهل العلم ، قال ابن خَلّاد : وأُنسِيت أنا اسمه ، قال : وقفتْ امرأة على مجلس فيه يحيى بن مَعين وأبو خيثمة وخَلَف بن سالم ، فى جماعة يتذاكرون الحديث ، فسمعتهم يقولون : قال رسول الله ﷺ ، ورواه فلان ، وما حدّث به غير فلان ، فسألتهم عن الحائض هل تغسل الموتى؟ وكانت غاسلة

---

(١) وهى هكذا فى الجرح والتعديل وتهذيب التهذيب .

فلم يجبها أحد منهم ، وكانوا جماعة ، وجعل بعضهم ينظر إلى بعض ، فأقبل أبو ثور ، فقالوا لها : عليك بالمقبل ، فالتفتت إليه ، وقد دنا منها فسألته فقال : نعم تغسل ؛ لحديث القاسم عن عائشة أن النبى ﷺ قال لها : « إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ » ولقولها : كنت أفرِق رأس النبى ﷺ بالماء وأنا حائض . قال أبو ثَور . فإذا فرق رأس الحى فالميت أولى به ! فقالوا : نعم ، رواه فلان ، وأخبرَناه فلان ، ونعرفه من طريق كذا ، وخاضوا فى الروايات والطرق ، فقالت المرأة : فأين أنتم إلى الآن ؟

قال عبيد بن محمد البَزّار صاحبُ أبى ثور : توفى أبو ثور فى صفر سنة أربعين ومائتين .

(ومن المسائل عن أبى ثور والفوائد)

● نقل العَبْدَرِىّ أن الدَّين مقدَّم على الوصية عند الفقهاء كلهم إلا أبا ثور ، فإنه قدّم الوصيّة .

وهذا غريب ، مصرَّح بحكاية الإجماع على خلافه ، فلعل إجماعهم لم يبلغ أبا ثور ، ولعله ينازع فى وقوع الإجماع على ذلك ، أو لعل ما نقله العَبْدَرِىّ غير ثابت ، فقد نقل ابن المنذر عن أبى ثور فيمن أوصى بعتِق عبده على أن لا يفارق ولده ، وعليه دين محيط بماله ، أنه أبطل الوصية ، وقال : يباع فى الدَّين ، فإن أعتقه الورثة لم يجز عتقهم . وهذا يخالف ما نقله العَبْدَرِىّ .

● نقل الفُورانِىّ فى العمد أن أبا ثور قال : لا تُقطع اليد إلا فى خمسة دراهم .

قلت : وهو يشابه قوله[1] : أقل الصداق خمسة دراهم .

● نقل ابن المنذر أن أبا ثور قال : إن خِيار الردّ بالعيب لا يكون بالرضا إلا بالكلام ، أو يأتى من الفعل ما يكون فى المعقول من اللغة أنه رضا .

والمجزوم به عند الأصحاب أن خِيار الردّ بالعيب على الفور ، ويلزم من يعد مقالات أبى ثور وجوها فى المذهب أن يعد ذلك [وجها][2] وهو غريب .

---

(١) مكان هذا فى الطبقات الوسطى : واشتهر قوله .

(٢) من الطبقات الوسطى .

● قال أبو ثور فى رجلين اجتهدا فى القِبلة وأدّى أحدَهما اجتهادُه إلى خلاف ما أداه الآخر يجوز أن يأتمّ كل منهما بصاحبه ، ويصلّى كل [واحد][1] منهما إلى جهة ، كمن صلّى حول الكعبة ، فإنه يجوز لمن يصلى إلى جهةٍ الائتمامُ بمن يصلى إلى جهة أخرى .

نقله صاحب « البيان » .

● قال أبو عاصم : سأل أبو ثور الشافعىّ عن رجل اشترى بيضة من رجل ، وبيضة من آخر ، ووضعهما فى كمه فانكسرت إحداهما ، فخرجت مَذِرةً[2] فعلى من يَرد البيضة ، وقد أنكر[3] ذلك .

قال : آمره حتى يدَّعى .

قال : يقول لا أدرى .

قال : أقول له انصرف[4] ، فإنا مُفتون لا معلِّمون .

● نقل أبو على الطبرىّ فيما علّقه عن أبى على بن أبى هريرة فى شرح « مختصر المزنى » أن أبا ثور كان يُلحق الزيت بالماء فيعتبره بالقُلَّتين إذا وقعت فيه نجاسة غير مغيِّرة ، ورأيت فى « جامع الخلال » من كتب الحنابلة أن المَرُّوذِىّ[5] ذكر لأحمد أن أبا ثور كان يُلحق السمن والزيت بالماء .

قلت : فابن أبى هريرة اقتصر على نقله عن أبى ثور فى الزيت ، والمَرُّوذِىّ ذكره فى السمن أيضًا .

والظاهر أن جميع المائعات سواء ، والمعروف فى المذاهب أن غير الماء من المائعات ينجُس بملاقاة يسير النجاسة ، وإن بلغ قِلالا .

قال النَّوَوِىّ فى «شرح المهذَّب»: وهذا لاخلاف فيه بين أصحابنا، ولا أعلم فيه

---

(١) ساقط من : ج ، د .
(٢) أى فاسدة .
(٣) فى المطبوعة : انكسر . والمثبت من : ج ، د ، الطبقات الوسطى .
(٤) فى طبقات العبادى زيادة : « حتى تدرى » .
(٥) هو أحمد بن محمد بن الحجاج . صاحب الإمام أحمد .

خلافا لأحد من العلماء . وسبق الفَرْق بينه وبين الماء فى الاستدلال على أبى حنيفة . وحاصله أنه لا يشقُّ حفظ المائع من النجاسة وإن كثر ، بخلاف الماء . انتهى . ونقلته من خطّه .

وقد نقل بعد ذلك بنحو عشرة أوراق أن صاحب « العدة »[1] حكى عن أبى حنيفة أن المائع كالماء إذا بلغ الحدّ الذى يعتبرونه . وأما الفرق الذى ذكره فقد رأيت القَفّال الكبير فى أوائل كتاب « محاسن الشريعة » فى باب « ذكر النجاسات » أشار إليه فقال ما حاصله : إن صون المائعات بالتغطية ممكن ومعتاد ، قال : والماء خلقه الله تعالى ، يحتاج إليه جميع الحيوان ، ويكثر ما لا يكثر غيره من المائعات .

وفى هذا الفرق إشارة إلى اعتبار الغَلَبة ، فلا ينبغى أن ينجُس بيسير النجاسة من المائع الكثيرِ الزائد على قدر قُلَّتين ، إلا ما جرت عادة الناس بحَرْزه فى الإناء . أمّا لو فرض أن يخلق الله بحرا من زيت ، فلا ينبغى أن يُحكم بنجاسته بوقوع ما لا يغيره من النجاسات ، فإن المحكوم بنجاسته إنما هو ما يعتاد من المائعات .

وإنما ذكرت هذه الصورة لوقوع البحث فيها ، وظن بعض الناس أن كل مائع ينجُس بيسير النجاسة ، فقلت له : ذلك فى المائعات المعتادة ، أما هذه الصورة فلا وجود لها ، ولم يتكلم السابقون فيها ، ولا نجد مصرِّحا من الأصحاب بها ، بل هذا الفرق يرشد إلى أن الحكم فيها بخلاف ما توهم .

● قال أبو ثور : سمعت الشافعىّ يقول : حضرت مجلسا ، وفيه محمد بن الحسن بالرَّقّة ، وجماعة من بنى هاشم وقريش وغيرهم ممن ينظر فى العلم ، فقال محمد بن الحسن : قد وضعت كتابا لو علمت أن أحدا يرد علىّ منه شيئًا تبلِّغنيه الإبلُ لأتيته ، قال فقلت له : قد نظرت فى كتابك هذا فإذا ما بعد البسملة خطأٌ كلّه ! قال : وما ذاك ؟ قلت له : قال أهل المدينة : كذا : فإن أردت كلّهم فخطأٌ ؛ لأنهم لم يتفقوا على ما قلت ، وإن أردت مالكا وحده فأظهرُ فى الخطأ ؛ إذ ليس هو كل أهل المدينة ، وقد كان من علماء المدينة فى زمنه من يشتد نكيره عليه ، فأى الأمرين قصدت فقد أخطأت .

---

(١) فى المطبوعة : العمدة . وأثبتنا ما فى : ج ، د . وانظر ٤/ ٣٤٩ .

● قال أبو ثور : قال لى الشافعىّ : قال لى الفضل بن الربيع : أحب أن أسمع مناظرتك للحسن بن زياد اللؤلؤىّ ، قال الشافعىّ : فقلت له : ليس اللؤلؤىّ فى هذه الجِهة[1] ! ولكن أُحضر بعض أصحابى يكلّمه بحضرتك ، فقال : أو ذاك ، فقال أبو ثور : فحضر الشافعىّ وأحضر من أصحابنا كوفيا ، كان ينتحل قول أبى حنيفة ، فصار من أصحابنا .

قال : فلما دخل اللؤلؤىّ أقبل الكوفىّ عليه ، والشافعىّ والفضل بن الربيع حاضران ، فقال له : إن أهل المدينة ينكرون على أصحابنا بعض قولهم ، وأريد أن أسأل عن مسألة من ذلك .

فقال له اللؤلؤىّ : سل .

قال : ما تقول فى رجل قذف مُحصَنة وهو فى الصلاة ؟

قال : فسدت صلاته .

قال : فما حال طهارته ؟

قال : هى بحالها .

قال : فما تقول إن ضحك فى صلاته ؟

قال : يعيد الطهارة والصلاة .

قال ، فقال له : قَذْف المحصَنات فى الصلاة أيسر من الضحك فيها ؟

قال ، فقال له : وقعنا فى هذا . ثم وثب فمضى .

١٦
إبراهيم بن محمد بن العباس بن عثمان الشافعىّ*
ابن عم الإمام الشافعىّ

روى عن الشافعىّ ، والفُضَيل بن عِياض ، وجَدِّه لأمه محمد بن علىّ بن شافع ، والمنكَدِر بن محمد بن المنكدر ، وحماد بن زيد ، وابن عُيَيْنَة . وطائفة .

---

(١) فى المطبوعة : الحد ، وفى ج : الجهد . وأثبتنا ما فى د . وانظر مناقب الشافعى ١/ ٢١٧ .
*له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ١/ ١٥٤ .

روى عنه ابن ماجه فى سُننه ، وأحمد بن سَيّار المروزىّ ، وأبو بكر بن أبى عاصم ، وبَقِىّ بن مَخْلَد ، ومُطَيِّن ، وغيرهم .

قال أبو حاتم : صَدُوق .

وقال النَّسائىّ والدارقُطنىّ : ثِقَة .

مات سنة سبع ، ويقال ثمان وثلاثين ومائتين .

١٧

إبراهيم بن محمد بن هَرِم

● روى عن الشافعىّ أنه قال فى قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[١] : لما حجبهم فى السخط كان دليلا على أنهم يرونه فى الرضا .

وقد رواه غيره أيضا . قال الربيع : كنت ذات يوم عند الشافعىّ ، وجاءه كتاب من الصعيد يسألونه[٢] عن قوله عز وجل ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فكتب : لما حجب قوما بالسخط دلّ على أن قوما يرونه بالرضا . قلت له : أو تدين بهذا يا سيدى ؟ فقال : والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربّه فى المعاد لما عبده فى الدنيا .

قال البَيْهَقىّ : أنبأنى أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسِّر ، إجازة ، قال : سمعت أبا علىّ الحسين بن أحمد الفَسَوِىّ[٣] بها ، سمعت أبا نُعيم عبد الملك بن محمد بن عَدِىّ الجُرْجانى ، سمعت الرَّبيع ، فذكر الحكاية[٤] .

قال الربيع : كان ابن هَرِم يلزم الشافعىّ ، فقال له : يا أبا عبد الله ، تُملى علينا السنن التى صحَّت عن رسول الله ﷺ ، فقال الشافعىّ : السنن التى تصح قليلة ، هذا أبو بكر لا يصح له تسعة أحاديث ، وعمر لا يصح له خمسون حديثا ، وعثمان فأقلّ ، وعلىٌّ مع ما كان يحض الناس على الأخذ عنه لا يصح له حديث كثير ، والصحيح عند أهل المعرفة قليل .

---

(١) سورة المطففين ١٥ .

(٢) فى ج ، د : فسألوه . والمثبت من المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : النسوى . وأثبتنا ما فى : ج ، د .

(٤) مناقب الشافعىّ ١/٤١٩ .

١٨

إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة ابن عبد الله بن خالد بن حزام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى الحِزامِىّ المدنىّ*

إمام ثِقَة جليل . حدّث عن سفيان بن عُيَيْنَة ، وابن وهب ، ومَعْن بن عيسى ، وابن أبى فُدَيْك ، وأبى ضَمْرة ، والوليد بن مسلم ، وخَلْق كثير .

روى عنه البُخارىّ فى صحيحه ، وابن ماجه ، وبَقِىّ بن مَخْلَد ، وابن أبى الدنيا ، ومحمد بن إبراهيم البُوشَنْجِىّ ، ومُطيِّن ، وخَلْق .

قال صالح جَزَرَة : صَدُوق . وكذا قال أبو حاتم .

وقال الخطيب : كان ثِقَة .

وقال أبو الفتح الأزْدِىّ : إبراهيم هذا فى عِداد أهل الصدق ، وإنما حدّث بالمناكير الشيوخُ الذين روى عنهم ، فأما هو فهو صَدُوق .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمِىّ : وسألته ، يعنى الدارقُطنىّ ، عن إبراهيم الحِزامِىّ ، فقال : ثِقَة .

قلت : كان حصل عند الإمام أحمد رضى الله عنه منه شىء ؛ لأنه قيل خلط فى مسألة القرآن ، كأنه مجمح فى الجواب .

قلت : وأرى ذلك منه تَقِيَّة وخوفا ، ولكن الإمام أحمد شديد فى صلابته ، جزاه الله عن الإسلام خيرا ، ولو كُلِّف الناس ما كان عليه أحمد لم يسلم إلا القليل .

مات إبراهيم فى المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين ، وقيل سنة خمس وثلاثين ، وكان ينشد لعُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَة :

---

* له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/٥١ ، تهذيب التهذيب ١/١٦٦ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٠ ، شذرات الذهب ٢/٧٦ ، العبر ١/٤٢٢ . والحزامى ، بكسر الحاء المهملة ، وبالزاى ، وبالميم بعد الألف ، نسبة إلى الجد الأعلى . اللباب ١/٢٩٦ .

كَتَمْتَ الهَوَى حتّى أضَرَّ بِكَ الكَتْـمُ ... ولامك أقوامٌ ولَوْمُهُم ظُلْمُ
ونَمّ عليك الكاشحونَ وقبلَهُ ... عليك الهوى قد نَمّ لو ينفع النَّمُّ
وزادك إغراءً بها طولُ هَجرها ... عليك وأبلى لحمَ أعظُمِك الهَمُّ
ألا ما لِنفسٍ لا تموت فينقضى ... عَناها ولا تحْيى حياةً لها طَعْمُ
تجنَّبتُ إتيانَ الحبيبِ تأثُّمًا ... ألا إن هجران الحبيب هو الإثمُ
فذُقْ هجرَها قد كنتَ تزعم أنه ... رشادٌ ألا يا رُبّما[1] كذَب الزَّعْمُ

قال إبراهيم بن المنذر : سمعت الشافعيّ يقول : رأيت سفيان بن عُيَيْنَة قائمًا على باب كُتّاب ، فقلت : ما تعمل ؟ قال : أحب أن أسمع كلام ربى من فى هذا الغلام .

١٩

إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد بن إبراهيم بن مطر الْحَنْظَلِىّ

أبو يعقوب المَرْوَزِىّ ، ابن راهُوَيَه*

أحد أئمة الدين ، وأعلام المسلمين ، وهداة المؤمنين ، الجامع بين الفقه والحديث ، والورع والتقوى ، نزيل نيسابور وعالمها .

ولُد سنة إحدى ، وقيل سنة ست وستين ومائة .

وسمع من عبد الله بن المبارك سنة بضع وسبعين ، فترك الرواية عنه ؛ لكونه لم يتيقَّن[2] الأخذ عنه .

وارتحل فى طلب العلم سنة أربع وثمانين .

---

(١) فى المطبوعة : رشاد ولربما . وفى ج ، د : ألا لا ربما . والمثبت بهامش ج . والأغانى ٩/ ١٥٠ .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩ ، تهذيب التهذيب ١/ ٢١٦ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٨ ، حلية الأولياء ٩/٢٣٤ ، شذرات الذهب ٢/٨٩ ، طبقات الحنابلة ١/١٠٩ ، طبقات الشيرازى ٧٨ ، العبر ١/٤٢٦ ، اللباب ١/٣٢٥ ، النجوم الزاهرة ٢/٢٩٣ ، وفيات الأعيان ١/١٧٩ .

(٢) فى د : يتقن ، والمثبت من : ج ، والمطبوعة .

وسمع قبل الرحلة من ابن المبارك ، كما عرفت . ومن الفضل الشَّيبانىّ والنَّضْر بن شُمَيل ، وأبى نُمَيلة يحيى بن واضح ، وعمر بن هارون .

وسمع فى الرحلة من جرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عُيَيْنة ، وعبد العزيز الدَّرَاوَرْدِىّ[1] ، وفُضَيل بن عِياض ، ومُعتمِر بن سليمان ، وابن عُلَيَّة ، وبَقِيّة[2] بن الوليد ، وحفص بن غِياث ، وعبد الرحمن بن مهدىّ ، وعبد الوهاب الثَّقفىّ ، والوليد بن مسلم ، وعبد العزيز بن عبد الصمد العَمِّى ، وأَسْباط بن محمد ، وحاتم ابن إسماعيل ، وعتَّاب بن بَشِير الجزرِىّ ، وغُنْدَر ، وعبد الرَّزَّاق ، وأبى بكر بن عيَّاش ، وخلق سواهم .

روى عنه البخارىّ ، ومسلم ، وأبو داود ، والتِّرمِذىّ[3] ، والنَّسائِىّ ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن مَعِين ، ومحمد بن يحيى الذُّهْلىّ ، وإسحاق الكَوْسَج ، والحسن بن سفيان ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِىّ ، ويحيى بن آدم ، وهو من شيوخه ، وأحمد بن سلَمة ، وإبراهيم بن أبى طالب ، وموسى بن هارون ، وجعفر الفِرْيابىّ ، وإسحاق بن إبراهيم النَّيسابُورىّ البُشْتِىّ[4] ، وعبد الله بن محمد بن شِيرَوَيْه ، وابنه محمد بن إسحاق بن راهُويه ، وخلق ؛ آخرهم أبو العباس السَّرّاج .

قال على بن إسحاق بن رَاهُويه : ولد أبى من بطن أمه مثقوب الأذنين ، فمضى جدى رَاهُويه إلى الفضل بن موسى ، فسأله عن ذلك ، فقال : يكون ابنك رأسا ، إما فى الخير وإما فى الشر .

وقال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: قال لى عبد الله بن طاهر:

---

(١) بفتح الدال والراء وسكون الألف وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفى آخرها دال مهملة ، كان أبوه من دارابجرد ، وكان مولى لجهينة ، فاستثقلوا أن يقولوا : دارابجردى . فقالوا : دراوردى . اللباب ١ / ٤١٤ .

(٢) فى المطبوعة : تقية ، والمثبت من : ج ، د ، والمشتبه ١١٦ .

(٣) فى هامش ج : إنما روى الترمذى عن رجل ، عنه .

(٤) هذه النسبة إلى بشت : بضم الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة ، والتاء المنقوطة باثنتين من فوقها ، وهى ناحية من نيسابور كثيرة الخير . اللباب ١/١٢٦ .

لِمَ قيل لك ابن رَاهُويه ، وما معنى هذا ، وهل تكره أن يقال لك هذا ؟ فقلت : إن أبى ولد بطريق مكة ، وقالت المَراوِزة : راهويه ، بأنه ولد فى الطريق ، وكان أبى يكره هذا ، وأما أنا فلست أكرهه .

قال نُعَيم بن حمَّاد : إذا رأيتَ الخُراسانىّ يتكلم فى إسحاق بن رَاهُويه فاتَّهِمْه فى دينه .

قلت : إنما قيَّد الكلام بالخُراسانىّ ؛ لأن أهل إقليم المرء هُم الذين بحيث لو كان فيه كلام لتكلموا فيه ، فكأنه يقول : مَن تكلم فيه من أهل إقليمه فهو مُتَّهمٌ بالكذب ؛ لأنه لا يتكلم بحق ، لبراءته مما يَشِينه فى دينه .

وقال أحمد بن حنبل : لم يعبر الجسر إلى خراسان مثلُ إسحاق .

وقال ابن عَدِىّ : ركب إسحاقَ بن رَاهُويه دَيْن ، فخرج من مَرْو ، وجاء نيسابور ، فكلَّم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحاق . فقال : ما تريدون ؟ قالوا : تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة ، وكان عبد الله أمير خراسان وكان بنيسابور ، فقال يحيى : ما كتبتُ إليه قطُّ ، فألحُّوا عليه ، فكتب فى رقعة ، إلى عبد الله بن طاهر : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح . فحمل إسحاق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر ، فلما جاء إلى الباب ، قال للحاجب : معى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير فدخل الحاجب ، فقال له : رجل بالباب زعم أن معه رقعةَ يحيى بن يحيى إلى الأمير . فقال : يحيى بن يحيى ؟ قال : نعم . قال : أدخله . فدخل إسحاق ، وناوله الرقعة ، فأخذها عبد الله ، وقبَّلها ، وأقعد إسحاق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيَّره من ندمائه .

قلتُ : انظر ما كان أعظم أهل العلم عند الأمراء ، وانظر ما أدنى هذه الكلمة ، وأقصر هذه الرقعة ، وما ترتب عليها من الخير ، وما ذلك إلا لحسن اعتقاد ذلك الأمير ، وصيانة أهل العلم أيضا ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

وقال محمد بن أسْلم الطُّوسِىّ حين مات إسحاق : ما أعلم أحدا كان أخشى لله من إسحاق ، يقول الله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1] وكان أعلم الناس .

---

(١) سورة فاطر ٢٨ .

● قلتُ : كأنّ محمد بن أسلم يُركِّب هذا من الضرب الأول من الشكل الأول فى المنطق ؛ فإنه ينْحلُّ إلى قولك : كان ابن راهُويه أعلم الناس ، وكل من كان أعلم الناس كان أخشى الناس ، ينتج : كان إسحاق أخشى الناس ، والمقدمة الصغرى ينبغى أن تكون محققة باتفاق أو غيره ، فكأن كونه كان أعلم الناس أمرٌ مفروغ منه ، حتى استنتج منه : أخشى الناس .

قال محمد بن أسْلم : ولو كان الثورىّ فى الحياة لاحتاج إلى إسحاق .

وقال الدَّارِمىّ : ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصِدْقه .

وقال أحمد بن حنبل ، وذَكر إسحاق : لا أعرف له بالعراق نظيرا .

وقال مرة ، وقد سئل عنه : مِثْل إسحاق يُسأَل عنه ! إسحاق عندنا إمام .

وقال النَّسائىّ : إسحاق بن رَاهُويه أحد الأئمة ، ثقة ، مأمون ، سمعت سعيد بن ذُؤيب يقول : ما أعلم على وجه الأرضْ مثل إسحاق .

وقال ابن خُزَيمة : والله لو كان إسحاق فى التابعين لأقرُّوا له بحفظه ، وعلمه ، وفقهه .

وقال على بن خَشْرم : حدثنا ابن فُضَيل ، عن ابن شُبْرُمَة ، عن الشَّعبى ، قال : ما كتبت سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا ، ولا حدثنى رجل بحديث قطُّ إلا حفظته . فحدثت بهذا إسحاق بن رَاهُويه ، فقال : تَعْجبُ من هذا ؟ قلت : نعم . قال : ما كنتُ أسمع شيئًا إلا حفظته ، وكأنى أنظر إلى سبعين ألف حديث ، أو قال : أكثر من سبعين ألف حديث فى كتبى[1] .

وقال أبو داود الخَفَّاف : سمعت إسحاق بن رَاهُويه ، يقول : لكأنِّى أنظر إلى مائة ألف حديث فى كتبى ، وثلاثين ألفا أسرِدها .

قال : وأملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه ، ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا .

وعن إسحاق : ما سمعت شيئًا إلا وحفظته ، ولا حفظت شيئًا قطُّ فنسيته .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٢ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

وقال أبو يزيد محمد بن يحيى : سمعت إسحاق يقول : أحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبى .

وقال أحمد بن سلَمة : سمعتُ أبا حاتم الرّازىّ ، يقول : ذكرتُ لأبى زُرْعة إسحاقَ بن راهُويه وحفظَه ؛ فقال أبو زُرْعة : ما رُوى أحفظ من إسحاق .

قال أبو حاتم : والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط ، مع ما رُزِق من الحفظ .

قال : فقلتُ لأبى حاتم : إنه أملى التفسير عن ظهر قلبه . فقال أبو حاتم : وهذا أعجب ، فإن ضبط الأحاديث المُسنَدة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها .

وقال محمد بن عبد الوهاب : كنت مع يحيىٰ بن يحيى وإسحاق ، نعود مريضًا ، فلما حاذَيْنا الباب تأخر إسحاق ، وقال ليحيىٰ : تقدم فقال يحيىٰ لإسحاق : بل أنت تقدم فقال : يا أبا زكريا أنت أكبر منِّى . قال : نعم ، أنا أكبر منك ، ولكنك أعلم منِّى ، قال : فتقدم إسحاق .

وقال أبو بكر محمد بن النَّضْر الْجَارُودِىّ[١] : حدثنا شيخنا ، وكبيرنا ، ومَن تعلَّمْنا منه وتجمّلنا به أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رضى الله عنه .

وقال الحاكم : هو إمام عصره فى الحفظ والفتوى .

وقال أبو إسحاق الشِّيرازىّ : جمع بين الحديث ، والفقه ، والورع .

وقال الخَلِيلىّ فى « الإرشاد » : كان يُسمَّى شهنشاه الحديث .

وقال أحمد بن سعيد الرِّباطِىّ[٢] فى إسحاق :

قُرْبِى إلى الله دعانى إلى ... حبِّ أبى يعقوبَ إسحاقِ[٣]
لم يجعلِ القرآنَ خَلْقًا كما ... قد قالَه زِنْديقُ فُسّاقِ

---

(١) بفتح الجيم وضم الراء وفى آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى الجارود ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه . اللباب ٢٠٣/١ .

(٢) بكسر الراء وفتح الباء الموحدة وبعد الألف طاء مهملة . هذه النسبة إلى الرباط ، وهو اسم لموضع رباط الخيل وملازمة أصحابها الثغر لحفظه . اللباب ٤٥٧/١ .

(٣) فى المطبوعة : داعينى ، والمثبت من : ج ، د ، وحلية الأولياء ٢٣٤/٩ .

يا حُجَّةَ اللهِ على خلقِه في سنَّة الماضين للْباقِي
أبوكَ إبراهيمُ محضُ التُّقى سبَّاقُ مجدٍ وابنُ سبَّاقِ

قال أبو يحيىٰ الشَّعْرانىّ[1] : إن إسحاق كان يخضِبُ بالحنَّا .

قال : وما رأيتُ بيده كتابا قطُّ ، إنما كان يُحدِّث من حفظه .

وقال : وكنتُ إذا ذاكرتُ إسحاق فى العلم وجدتُه فردا ؛ فإذا جئت إلى أمر الدنيا وجدتُه لا رأىَ له .

توفى إسحاق ليلة نصف شعبان ، سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

قال البخارىّ : وله سبع وسبعون سنة .

قال الخطيب : فهذا يدل أن مولده سنة إحدى وستين .

وفى ليلة موته يقول الشاعر[2] :

يا هَدَّةً مّا هُدِدْنا ليلةَ الأحدِ في نصف شعبانَ لا تُنْسَى مدى الأبدِ

قال أبو عمرو المُسْتَمْلِى النَّيسابورىّ : أخبرنى على بن سلَمة الكَرابِيسىّ ، وهو من الصالحين ، قال : رأيت ليلة مات إسحاق الحْنظَلىّ كأنَّ قمرا ارتفع من الأرض إلى السماء ، من سِكَّة إسحاق ، ثم نزل فسقط فى الموضع الذى دفن فيه إسحاق . قال : ولم أشعر بموته فلما غدوتُ إذا بحفَّار يحفر قبر إسحاق ، فى الموضع الذى رأيت القمر وقع فيه .

قال الحاكم أبو عبد الله : إسحاق بن راهُويه ، وابن المبارك ، ومحمد بن يحيىٰ ، هؤلاء دفنوا كتبهم .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المسنِد إذنا خاصا ، أخبرنا المُسلِم بن محمد بن عَلّان ، أخبرنا زيد بن الحسن الكِنْدىّ ، أخبرنا القزّاز ، أخبرنا الخطيب ، أخبرنا الحسن بن الحسن بن رامِين[3] الإسْتَرَاباذِىّ القاضى ، أخبرنا أحمد بن محمد بن بُنْدار الإسْتَرَاباذِىّ ، حدثنا

---

(١) بفتح الشين وسكون العين المهملة بعدها الراء المفتوحة وفى آخرها النون ، هذه النسبة إلى الشعر على الرأس وإرساله . اللباب ٢١/٢ .

(٢) البيت فى تهذيب التهذيب ٢١٨/١ ، بغير نسبة أيضا .

(٣) فى ج : راسير ، وفى د : راسين ، والمثبت فى المطبوعة ، وتاج العروس ٢٢٠/٩ ، وقد ترجمه الزبيدى .

عبد الله بن إسحاق المدائِنىّ ، قال : حدثنا الوليد بن شُجاع ، حدثنى بَقيّة ، عن إسحاق بن راهُويه ، حدثنا المُعْتمِر بن سليمان ، عن ابن فَضَاء ، عن أبيه ، عن علقمة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : نهى رسول اللهِ ﷺ عَن كسْرِ سِكَّةِ المسلمين[1] الجائزةِ إلّا مِن بَأْسٍ .

(مناظرة بين الشافعىّ وإسحاق رضى الله عنهما)

● رُوِى عن إسحاق بن رَاهُويه ، قال : كنا بمكة ، والشافعىّ بها ، وأحمد بن حنبل أيضًا بها ، وكان أحمد يجالس الشافعىّ ، وكنت لا أجالسه ، فقال لى أحمد : يا أبا يعقوب لِمَ لا تجالس هذا الرجل ؟ فقلت : ما أصنع به ، وسِنه قريب من سنِّنا ؟ كيف أترك ابن عُيَيْنة وسائر المشايخ لأجله ؟ ! قال : ويْحك ، إن هذا يفُوت ، وذلك لا يفُوت . قال إسحاق : فذهبتُ إليه ، وتناظرنا فى كِراء بيوت أهل مكة ؛ وكان الشافعىّ تساهل فى المناظرة وأنا بالغتُ فى التقرير ؛ ولما فرغتُ من كلامى ، وكان معى رجل من أهل مَرْو ، فالتفتُّ إليه وقلت : مَرْدَكِ هكذا مَرْدَك واكالى نِيسْت[2] – يقول بالفارسية : هذا الرجل ليس له كمال – فعلم الشافعىّ أنى قلتُ فيه سوءا فقال لى : أتناظرُ ؟

قلتُ : للمناظرة جئتُ .

قال الشافعىّ : قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَراءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾[3] فنَسب الديار إلى مالكها أو إلى غير مالكها ؟ وقال النبى ﷺ يومَ فتح مكة : « مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » فنسب الديار إلى أربابها ، أم إلى غير أربابها ؟ واشترى عمر بن الخطاب دارا للسجن من مَالِكٍ أو من غير مالك ؟ وقال النبىُّ ﷺ : « وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ ! » .

---

(١) فسر ابن منظور السكة فى الحديث بقوله : أراد بالسكة الدينار والدرهم المضروبين ، سمى كل واحد منهما سكة ؛ لأنه طبع بالحديدة المعلمة له . اللسان ١٠/٤٤٠ .

(٢) فى المطبوعة : قيل واكالى ينسب . والمثبت من : ج . ومردك : رجل صغير ، ونيست : لا يكون . المعجم فى اللغة الفارسية ٢٩٧ ، ٣٣٨ . وانظر مناقب الشافعى للبيهقى ١/ ٢١٣ .

(٣) سورة الحشر ٨ .

قال إسحاق ، فقلت : الدليل على صحة قولى أن بعضَ التابعين قال به .

فقال الشافعىّ لبعض الحاضرين : مَن هذا .

فقيل : إسحاق بن إبراهيم الحَنْظلىّ .

فقال الشافعىّ : أنتَ الذى يزعُم أهل خُراسان أنَّك فقيهُهم ؟

قال إسحاق : هكذا يزعمون .

فقال الشافعىّ : ما أحوجنى أن يكون غيرُك فى موضعك ، فكنت آمر بعَرْك أذُنيْه أقول : قال رسول الله ﷺ ، وأنت تقول : قال عطاء وطاوُس ، والحسن وإبراهيم ، وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة ؟

فقال إسحاق : اقرأ : ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾[1]

فقال الشافعىّ : هذا فى المسجد خاصة .

وعن داود بن على الأصْفهانى ، أنه كان يقول : إن إسحاق لم يفهم احتجاج الشافعىّ ؛ فإن غرض الشافعىّ أن يقول : لو كانت أرض مكة مباحة للناس لكان النبى ﷺ يقول : أىّ موضع أدْرَكْنا فى دار أىِّ شخص نزلْنا ؛ فإن ذلك مباحٌ لنا ، فلما لم يقل ذلك ، بل قال : « لَمْ يَتْرُكْ لَنا عَقِيلٌ سَكَنًا » دل ذلك على أن كل مَن ملك منها شيئًا فهو مالكٌ له ؛ منعه غيره أو لم يمنعْه .

ثم يحكى عن إسحاق أنه [كان][2] إذا ذكر الشافعىّ كان يأخذ لحيته بيده ويقول : واحَيَاىَ من محمد بن إدريس – يعنى فى هذه المسألة – ولا سيّما فى قوله : مردك لا كا لى نِيسْت[3] .

وفى رواية قال إسحاق : لما عرفتُ أنِّى أُفْحِمتُ قمتُ .

---

(١) سورة الحج ٢٥ .

(٢) ساقط من : ج ، د . وهو من المطبوعة .

(٣) كذا فى الأصول ، وقد تقدم فى الصفحة السابقة .

(مناظرة أخرى بينهما)

● أخبرنا المحدِّث أبو زكريا يحيىٰ بن يوسف بن أبى محمد المَقْدسىُّ المعروف بابن الصَّيِّرَفىّ قراءة عليه وأنا أسمع ، فى سادس رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بمصر ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن رَوَاج إجازة ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفىّ سماعا عليه ، أخبرنا المبارك بن عبد الجبَّار بن أحمد الصّيرفىّ ببغداد قراءة ، أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن على الفَالِىّ[1] ، أخبرنا القاضى أبو عبد الله أحمد بن إسحاق بن خَرْبَان[2] النُّهاوَنْدىّ ، أخبرنا القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خَلَّاد الرَّامَهُرْمُزِىّ ، حدثنا زكريا السَّاجِىّ ، حدثنى جماعة من أصحابنا : أن إسحاق ابن راهُويه ناظر الشافعىّ ، وأحمد بن حنبل حاضر فى جلود الميتة إذا دُبغت .

فقال الشافعىّ : دِباغها طَهورها .

فقال إسحاق : ما الدليل ؟

فقال الشافعىّ : حديث الزُّهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن مَيْمونة : أن النبىَّ ﷺ مَرَّ بشاةٍ ميِّتة ، فقال : « هَلَّا انْتَفَعْتُمْ بِجِلْدِهَا » .

فقال إسحاق : حديث ابن عُكيم[3] كتب إلينا رسول الله ﷺ قبل موته بشهر : « لَا تَنْتَفِعُوا مِنَ الْمَيْتَةِ بِإِهَابٍ ، وَلَا عَصَبٍ » أشبهُ أن يكونَ ناسخا لحديث ميمونة ؛ لأنه قبل موته بشهر .

فقال الشافعىّ : هذا كتاب ، وذاك سماع .

فقال إسحاق : إن النبىَّ ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر ، وكان حجة عليهم عند الله .

---

(١) فى المطبوعة : القالى ، والتصويب من : ج ، والعبر ٣/٢١٦ . والفالى بفتح الفاء وسكون الألف وفى آخرها لام نسبة إلى بلد يسمى فاله ، قال الخطيب أبو بكر : أظنها من فارس ، قريبة من إيذج . اللباب ٢/١٩٤ .

(٢) فى المطبوعة : خرثان ، والتصويب من : ج ، والمشتبه ٢٢٩ .

(٣) هو عبد الله بن عُكَيْم الجهنى . الإصابة ٤/ ١٨١ . وانظر نصب الراية ١/ ١٢٠ .

فسكت الشافعىّ . فلما سمع ذلك أحمد بن حنبل ذهب إلى حديث ابن عُكَيم ، وأفتى به . ورجع إسحاق إلى حديث الشافعىّ ، فأفتى بحديث ميمونة .

قلتُ : وهذه المناظرة حكاها البَيْهَقىّ وغيره . وقد يظن قاصرُ الفهم أن الشافعىّ انْقطع فيها مع إسحاق ، وليس الأمر كذلك ، ويكفيه مع قصور فهمه أن يتأمّل رجوعَ إسحاق إلى [قول][1] الشافعىّ ؛ فلو كانت حجته قد نهضت على الشافعىّ لَما رجع إليه .

ثم تحقيق هذا أن اعتراض إسحاق فاسد الوضع ، لا يُقابل بغير السكوت ، بيانُه أن كتاب عبد الله بن عُكَيم كِتابٌ عارضه سماع ، ولم يتيقَّن أنه مسبوق بالسماع ، وإنما ظن ذلك ظنًّا لقرب التاريخ ، ومجرد هذا لا ينهض بالنسخ . أما كَتْب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر فلم يعارضها شىء ، بل عضَدَتْها القرائن ، وساعدها التواتر الدَّالّ على أن هذا النبىّ ﷺ جاء بالدعوة إلى ما فى هذا الكتاب ، فلاح بهذا أن السكوت من الشافعىّ تسجيل على إسحاق بأن اعتراضه فاسد الوضع ، فلم يستحق عنده جوابا . وهذا شأن الخارج عن المبحث عند الجدليِّين ؛ فإنه لا يُقابَل بغير السكوت ، ورب سكوتٍ أبلغ من نطق ، ومِن ثَمَّ رجع إليه إسحاق ، ولو كان السكوت لقيام الحجة لأكَّد ذلك ما عند إسحاق . فافهم ما يُلقَى إليك .

(مسائل غريبة عن إسحاق رحمه الله تعالى)

● الصحيح عند أصحابنا أن صلاة الكافر لا تُصَيِّره مسلما ، سواء كان فى دار الحرب ، أم فى دار الإسلام .

وحُكِى قولٌ فى الحربىّ يصلِّى فى دار الحرب ، والمسألة مبسوطة فى المذهب ، مُطلَقَة غير مقيَّدة بصلاة واحدة ، أو بصلوات كثيرة .

ونقل ابن عبد البرّ أن إسحاق بن رَاهُويه ، قال : إن العلماء أجمعوا فى الصلاة على ما لم يجمعوا عليه فى سائر الشرائع ، فقالوا : مَن عُرِف بالكفر وكان لا يصلّى ، ثم رأَوْه يصلى

---

(١) زيادة من المطبوعة على ما فى : ج ، د .

حتى صلى صلوات كثيرة فى وقتها ، ولم يعْرِفوا منه إقرارا باللسان ، أنه يُحكَم له بالإيمان ، وليس كذلك فى الصوم والزكاة والحج . انتهى .

وأقرّه ابن عبد البرّ عليه ، وهو فرع غريب ، ظاهر كلام المَذْهَبَيْن أنه لا فرق بين أن تُكرَّر منه الصلاة ، أو لا تكرَّر[1] .

٢٠

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق

الإمام الجليل ، أبو إبراهيم المُزَنِىّ*

ناصر المذهب ، وبدر سمائه .

وُلد سنة خمس وسبعين ومائة .

وحدَّث عن الشافعىّ ، ونُعَيم بن حمَّاد ، وغيرهما .

روَى عنه ابن خُزَيْمة ، والطَّحاوِىّ ، وزكريا السَّاجِىّ ، وابن جَوْصَا[2] ، وابن أبى حاتم ، وغيرهم .

وكان جبل علم ، مناظرا ، مِحْجاجا .

قال الشافعىّ رضى الله عنه فى وصفه : لو ناظره الشيطان لغلبه .

---

(١) بعد هذا فى الطبقات الوسطى :

إسحاق بن بهلول بن حسان

أبو يعقوب ، التنوخى ، الأنبارى الحافظ .

روى عن الشافعى ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع ، ويحيى القطان ، وخلق .

وعنه إبراهيم الحربى ، وابن أبى الدنيا ، وطائفة .

مات بالأنبار ، سنة ثنتين وخمسين ومائتين .

* له ترجمة فى : شذرات الذهب ٢/ ١٤٨ ، طبقات الشيرازى ٧٩ ، طبقات الفقهاء للعبادى ٩ ، طبقات ابن هداية الله ٥ ، العبر ٢/٢٨ ، اللباب ٣/١٣٣ ، النجوم الزاهرة ٣/٣٩ ، وفيات الأعيان ١/١٩٦ . والمزنى : بضم الميم وفتح الزاى وفى آخرها نون ، هذه النسبة إلى مزينة بنت كلب ، أم عثمان وأوس ابنى عمرو بن أد من مضر .

(٢) فى المطبوعة : حوصا ، والمثبت من : ج ، والمشتبه ٢٧٤ .

وكان زاهدا ، ورعا ، متقللا من الدنيا ، مُجاب الدعوة . وكان إذا فاتتْه صلاة فى جماعة صلاها خمسا وعشرين مرة ، ويغسل الموتى تعبُّدا واحتسابا ، ويقول : أفعلُه ليرِقَّ قلبى .

قال أبو الفوارس السِّنْدِىّ : كان المُزَنىّ والربيع رضيعين .

وقال أبو إسحاق الشِّيرازىّ : كان زاهدا ، عالما ، مجتهدا ، مناظرا ، مِحْجاجا ، غَوَّاصا على المعانى الدقيقة . صنَّف كتبًا كثيرة : « الجامع الكبير » ، و « الجامع الصغير » ، و « المختصر » ، و « المنثور » ، و « المسائل المعتبرة » ، و « الترغيب فى العلم » ، و « كتاب الوثائق » ، و « كتاب العقارب » ، و « كتاب نهاية الاختصار » .

قال الشافعىّ : المُزنىّ ناصر مذهبى .

وقال الربيع بن سليمان : دخلنا على الشافعىّ رضى الله عنه عند وفاته ؛ أنا ، والبُوَيْطِىّ ، والمُزَنِىّ ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : فنظر إلينا الشافعىّ ساعة ، فأطال ، ثم التفت إلينا ، فقال : أمَّا أنت يا أبا يعقوب فستموت فى حديد لك[1] ، وأما أنت يا مُزَنِىّ فسيكون لك بمصر هَنات وهَنات[2] ، ولتدركَنّ زمانا تكون أقْيس أهل ذلك الزمان ، وأما أنت يا محمد فسترجع إلى مذهب أبيك ، وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعُهم لى فى نشر الكتب . قم يا أبا يعقوب فتَسَلَّم الحَلْقَة . قال الربيع : فكان كما قال .

قلتُ : وذكروا أن المُزَنِىّ كان إذا فرغ من مسألة فى المختصر صلى ركعتين .

وقال عمرو بن عثمان المَكِّىّ : ما رأيت أحدا من المتعبدين فى كثرة مَن لقيتُ منهم أشدَّ اجتهادا من المُزَنىّ ، ولا أدْوَم على العبادة منه ، وما رأيت أحدا أشدَّ تعظيما للعلم وأهلِه منه ، وكان من أشد الناسِ تضييقا على نفسه فى الورع ، وأوسعه فى ذلك على الناس ، وكان يقول : أنا خُلق من أخلاق الشافعىّ .

وقال أبو عاصم : لم يتوضأ المُزَنىّ مِن حَباب[3] ابن طولون ، ولم يشْرب مِن كيزانه . قال : لأنه جُعل فيه سِرْجِين[4] ، والنار لا تُطَهِّر .

---

(١) فى المطبوعة : حديدك ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : هيئات وهنات . وفى د : هبات وهنات . والمثبت من : ج .

(٣) حباب الماء (بالفتح) : معظمه أو طرائقه . القاموس (ح ب ب) .

(٤) السرجين (بالكسر) : الزبل . وفى طبقات العبادى : لأنه جعل فيها السرقين والنار لا تطهره .

وقيل : إن بكّار بن قُتَيبة لمّا قدم مصر على قضائها وهو حنفيّ ، فاجتمع بالمُـزَنىّ مرة ، فسأله رجل من أصحاب بكّار ، فقال : قد جاء فى الأحاديث تحريم النبيذ وتحليله ؛ فلم قدمتم التحريم على التحليل ؟ فقال المُزنىّ : لم يذهب أحد إلى تحريم النبيذ فى الجاهلية ، ثم تحليله لنا ، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالا فحُرِّم ، فهذا يعضُد أحاديث التحريم . فاستحسن بكّار ذلك منه .

أخذ عن المُزَنىّ خلائقُ من علماء خُراسان ، والعراق ، والشام .

وتوفى لست بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وستين ومائتين .

(ومن الرواية عن أبى إبراهيم ، رحمه الله تعالى)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتى عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن الحْنبلىّ غير مرة ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن الحسن بن الحسين بن البُزّ[1] الأسدىّ ، سنة ثلاث وعشرين ، أخبرنا جدى الحسين ، أخبرنا على بن محمد بن على الشافعىّ ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، أخبرنا محمد بن الفضل الفَرّاء بمصر ، أخبرنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصَّابونىّ ، سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، أخبرنا المُزَنىّ ، أخبرنا الشافعىّ ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ نهى عنِ الوِصال ، فقيل : إنَّك تُواصل . فقال « لَسْتُ مِثْلَكُمْ ، إنّى أُطْعَمُ وَأُسْقَى » .

وبهذا الإسناد : أن رسول الله ﷺ ذكَر رمضان ، فقال : « لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ » .

وبه : أن رسول الله ﷺ فرض زكاةَ الفطر مِن رمضان ، على السنة ، على الناس صاعٌ من تمر ، وصاع من شعير ، على كل حر وعبد ، وذكر وأنثى ، من المسلمين . متفق عليها .

وهى من الأسانيد التى ينبغى أن تسمى عِقد الجوهر ، ولا حرج[2] .

---

(١) هكذا ورد ضبطه فى : ج . وانظر المشتبه ٥٥ .

(٢) فى ج : ولا جرح ، والمثبت فى المطبوعة ، د .

وقد وقع لنا جزء[1] أخْرَجه الإمام الجليل أبو عَوانة يعقوب بن إسحاق الإسْفرايِنيّ ، فيه ما فى مختصر أبى إبراهيم المُزَنىّ من الأحاديث بالأسانيد ، أخبرنا به شيخنا الحافظ أبو الحجَّاج المِزِّىّ ، قراءة عليه وأنا أسمع ، يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الأول ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، بدار الحديث الأشْرفية بدمشق ، قال : أخبرنا أبو حفص عمر بن يحيى الكَرْخِىّ ، بقراءتى عليه ، أخبرنا الحافظ أبو عمرو ابن الصَّلاح .

ح : قال شيخنا : وأخبرنا أيضا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أبى عَصْرون التَّمِيمىّ ، وسِتّ الأمناء أمينة بنت أبى نصر عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر ، وأبو الفضل أحمد بن هِبة الله بن عساكر ، وأبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافى الأبْهَرِىّ ، بقراءتى عليهم ، قالوا : أخبرنا أبو بكر القاسم بن أبى سعد عبد الله ابن عمر بن أحمد الصَّفَّار ، قال ابن الصَّلاح : سماعا عليه ، وقال الباقون : كتابة ، أخبرنا الإمام أبو منصور عبد الخالق بن زَاهِر الشَّحَّامِىّ ، أخبرنا الرئيس أبو عمرو عثمان بن محمد الْمَحْمِىّ[2] ، أخبرنا أبو نُعَيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق الأزْهرِىّ الإسْفرايِنىّ ، قراءة عليه ، فى رجب سنة تسع وتسعين[3] وثلثمائة ، أخبرنا خال أمى أبو عَوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ ، سنة ست عشرة وثلثمائة ، حدثنا أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُزَنِىّ ، قال : قال الشافعىّ : أخبرنا سفيان ، عن الزُّهرىّ ، عن أبى سلَمة ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِى أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ » .

هذا أول أحاديث الجزء ، وكله سماعا بهذا السند ، وأكثره بمثل هذا الإسناد العظيم ، فمِن أبى نُعَيم إلى أبى هريرة كلهم أئمة ، أجلّاء ، ثمانية من السادات ؛ علما ، ودينا ، وإتقانا .

---

(١) فى المطبوعة : خبر ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) بفتح الميم وسكون الحاء وفى آخرها ميم ثانية ، هذه النسبة إلى محم ، وهو بيت كبير بنيسابور ، يقال لهم : المحمية . اللباب ١٠٨/٣ .

(٣) فى ج : وسبعين ، والمثبت فى المطبوعة ، د .

(ومن مستغرب روايات أبى إبراهيم عن الشافعىّ ومستظرفها)

● قال البيهقىّ فى كتاب « أحكام القرآن » الذى جمعه من كلام[1] الشافعىّ ، وهو كتاب نفيس ، من ظريف مصنّفات البيْهقىّ : سمعت أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن عَبْدان الكِرْمانِىّ ، يقول : سمعت أبا الحسن محمد بن أبى إسماعيل العَلَوىّ ببُخارَى ، يقول : سمعت أحمد بن محمد بن حسَّان المصرىّ بمكة ، يقول : سمعت المُزَنىّ ، يقول : سُئل الشافعىّ عن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2] قال : معناه ما تقدم من ذنب أبيك آدم عليه السلام وهبتهُ لك ، وما تأخر من ذنوب أُمَّتك أُدخلهم الجنة بشفاعتك . قال البيْهقىّ : وهذا قولٌ مُستَظْرف .

قال : والذى وضعه الشافعىّ – يعنى فى تفسير هذه الآية – فى تصنيفه ، وصح فى الرواية وأشبه بظاهر الآية – يعنى ما تقدم قبل الوحى ، وما تأخر – أن يعصمه فلا يذنب ، فعلِم ما يفعل به مِن رضاه عنه ، وأنه أول شافع ، وأول مُشفَّع يوم القيامة ، وسيد الخلائق . كذا رواه الربيع ، عن الشافعىّ .

قلتُ : وقد نُقِل عن عطاء الخُراسانىّ مثل التفسير الذى رواه المُزَنىّ ، عن الشافعىّ وهو أنه قال : ما تقدم من ذنب أبَويك : آدم وحواء ، ببركتك ، وما تأخر من ذنب أُمتك بدعوتك .

قال الطَّحاوِىّ : حدثنا المُزَنىّ ، قال : سمعتُ الشافعىّ ، يقول : دخل ابن عباس على عمرو بن العاص ، وهو مريض ، فقال : كيف أصبحتَ ؟ فقال : أصبحت ، وقد أفسدت مِن دنياى كثيرا ، وأصلحت من دينى قليلا ؛ فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفُزْتُ ، ولو كان ينفعنى أن أطلبَ طلبتُ ، ولو كان ينجينى أن أهرب هربتُ ، فعظنى بموعظة أنتفع بها يا ابن أخى . فقال : هيهات يا أبا عبد الله . فقال : اللهم إن ابن عباس يقنِّطُنى من رحمتك فخذ منِّى حتى ترضى .

---

(١) فى المطبوعة ، د : كتاب ، والمثبت من : ج .

(٢) سورة الفتح ١ ، ٢ .

قال أبو إبراهيم المُزَنِيّ رحمه الله : كنت يوما عند الشافعىّ ، أسائله عن مسائل بلسان أهل الكلام ، قال : فجعل يسمع منى ، وينظر إلىّ ، ثم يجيبنى عنها بأحضر جواب ؛ فلما اكتفيت قال لى : يا بُنى ، أدُلُّك على ما هو خير لك من هذا ؟ قلت : نعم . فقال : يا بُنى هذا علم إن أنت أصبتَ فيه لم تُؤْجَر ، وإن أخطأت فيه كفرت ، فهل لك فى علم إن أصبت فيه أُجرت ، وإن أخطأت لم تأْثم ؟ قلت : وما هو ؟ قال : الفقه . فلزمته ، فتعلمت منه الفقه ، ودرست عليه .

قال : وكنت يوما عنده إذ دخل عليه حفص الفرد ، فسأله عن سؤالات كثيرة ، فبينما الكلام يجرى بينهما ، وقد دَقَّ حتى لا أفهمه ، إذ التفت إلىَّ الشافعىّ مسرعًا ، فقال : يا مُزَنِىّ ، قلت : لبَّيك . قال : تدرى ما قال حفص ؟ قلت : لا ، قال : خير لك أن لا تدرى .

قلت : قوله « بأحضر جواب » هو بالحاء المهملة بعدها ضاد منقوطة : أفعل تفضيل من حضر يحضر ، كذا سمعت والدى رحمه الله يلفِظ به . وقد حدثنا بهذه الحكاية من لفظه :

أخبرنا عبد الرحمن بن مخلوف بن جَماعة ، أخبرنا ابن رَوَاج ، أخبرنا السِّلَفىّ ، أخبرنا العَلَّاف ، أخبرنا الحَمَّامِىّ ، أخبرنا الخُتُّلِىّ ، حدثنى أبو اليَسَار الأحْوَل : سمعت أبا إبراهيم يقول ، فذكره .

قال أبو إبراهيم : سمعت الشافعىّ ، يقول : ما رفعتُ أحدا فوق منزلته ، إلا حَطَّ منى بمقدار ما رفعتُ منه .

قال الرافعىّ فى « باب المسابقة » : عن المُزَنِىّ أنه قال : سألْنا الشافعىّ أن يصنّف لنا « كتاب الرَّمْى والسَّبْق » فذكر لنا أن فيه مسائل صِعابا ، ثم أملاه علينا ، ولم يُسْبَق إلى تصنيف هذا الكتاب . انتهى .

قلتُ : قوله : « ولم يُسبَق إلى تصنيف هذا الكتاب » هو من كلام ...[1] .

---

(١) بياض فى كل الأصول .

قال المُزَنِىّ : سمعتُ الشافعىّ يقول : مَن تعلَّم القرآن عظُمت قيمته ، ومَن نظر فى الفقه نَبُل قدره ، ومَن كتب الحديث قوِيَت حُجَّته ، ومَن نظر فى اللغة رَقَّ طبعه ، ومَن نظر فى الحساب جَزُل رأيه ، ومَن لم يَصُنْ نفسه لم ينفعْه علمه .

● قال ابن خُزَيمة : عن المُزَنِىّ ، سئل الشافعىّ عن نعامة ابتلعت جوهرة لرجل ، فقال : لست آمرُه بشىء ، ولكن إن كان صاحب الجوهرة كَيِّسا عَدَا على النَّعامة فذبحها ، واستخرج جوهرته ، ثم ضَمِن لصاحب النَّعامة ما بين قيمتها حيَّة ومذبوحة .

قال المُزَنِىّ : سمعت الشافعىّ ، يقول : رأيت بالمدينة أربع عجائب : رأيت جَدَّةً بنت واحدة وعشرين سنة ، ورأيت رجلا فلَّسه القاضى فى مُدَّيْن نَوًى ، ورأيت شيخا قد أتى عليه تسعون سنة ، يدور نهاره أجمعَ حافيا راجلا[1] على القَيْنات يعلمهن الغِناء ، فإذا أتى الصلاة صلَّى قاعدًا ، ونسيتُ الرابعة .

قال المُزَنِىّ : مررنا مع الشافعىّ وإبراهيم بن إسماعيل بن عُلَيَّة على دار قوم ، وجارية تغنيهم[2] :

خليلىَّ ما بالُ المَطايا كأنَّنا   نراها على الأعْقابِ بالقَوْمِ تَنْكِصُ

فقال الشافعىّ : مِيلوا بنا نسمع . فلما فرغتْ ، قال الشافعىّ لإبراهيم : أيُطْرِبُك هذا ؟ قال : لا ، قال : فما بالك[3] !

قال الأنماطِىّ : قال المزَنِىّ : أنا أنظر فى كتاب « الرسالة » منذ خمسين سنة ، ما أعلم أنى نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد شيئًا لم أكن عرفته .

● قال المُزَنِىّ : سمعت الشافعىّ يقول : القَدَرية الذين قال رسول الله ﷺ : « هُمْ مَجُوسُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ » الذين يقولون : إن الله لا يعلم بالمعاصى حتى تكون .

---

(١) فى المطبوعة : داخلا ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) البيت لعمر بن أبى ربيعة ، وهو فى ديوانه ٣١٣ ، وفيه : « خليلى ما بال المطايا كأنما »

(٣) فى المطبوعة : فمالك ، والمثبت من : ج ، د .

وقال : سمعت الشافعىّ يقول : أقمتُ أربعين سنة أسأل الذين تزوّجوا ، فما منهم أحد قال : إنه رأى خيرا .

قال : وسمعتُه يقول : أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فى مودّة من لا ينفعه .

● وعن المُزَنِىّ : سمعت الشافعىّ يقول : لا يَحِلُّ لأحد سمع حديث رسول الله ﷺ ، فى رفع اليدين ، فى افتتاح الصلاة ، وعند الركوع ، والرفع من الركوع أن يترك الاقتداء بفعله ﷺ .

قلتُ : هذا صريح فى أنه يوجب ذلك .

وروى الحافظ أبو الحسن علىّ بن الحسن بن حَمَكان[1] فى « كتابه فى مناقب الشافعىّ » أن المُزَنِىّ قال : سمعت الشافعىّ يقول : بعث إلىَّ هارون الرشيد ليلا الربيعَ ، فهجم علىَّ من غير إذن ، فقال لى : أَجِبْ .

فقلت له : فى مثل هذا الوقت ، وبغير إذن !

قال : بذلك أُمِرْت .

فخرجت معه ، فلما صرت بباب الدار ، قال لى : اجْلِس ، فلعلَّه قد نام ، أو قد سكنتْ سَوْرة غضبه . فدخل فوجد الرشيد منتصبًا ، فقال : ما فعل محمد بن إدريس ؟ قلتُ : قد أحضرته . فخرجت فأشخصتُه .

قال الشافعىّ : فتأمَّلنى . ثم قال لى : يا محمد أَرْعَبْناك فانصَرِف راشدًا ، يا ربيع احملْ معه بَدْرة ودراهم . قال ، فقلتُ : لا حاجة لى فيها . قال : أقسمت عليك إلَّا أخذْتها . فحُمِلتْ بين يدىَّ .

فلما خرجتُ قال لى الربيع: بالذى سخَّر لك هذا الرجل، ما الذى قلتَ؟ فإنى أحضرتُك، وأنا أرى موضع السيف مِن قَفاك. فقلتُ: سمعت مالك بن أنس يقول:

---

(١) بحاء مهملة بعدها ميم مفتوحتان وكاف . شذرات الذهب ١٧٤/٣ .

سمعتُ نافعًا يقول : سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، يقول : دَعَا رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزاب بهذا الدُّعاءِ ، فكُفِىَ ، وهو : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بنُور قُدْسِكَ ، وَبَرَكَةِ طَهَارَتِكَ ، وَعِظَمِ جَلَالِكَ ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ . اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِى فَبِكَ أَغُوثُ ، وَأَنْتَ عِيَاذِى ، فَبِكَ أَعُوذُ ، وَأَنْتَ مَلَاذِى ، فَبِكَ أَلُوذُ ، يَا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ ، وَخَضَعَتْ لَهُ مَقَالِيدُ الْفَرَاعِنَةِ ، أَجِرْنِي مِنْ خِزْيِكَ ، وَعُقُوبَتِكَ[1] فِى لَيْلِى ، وَنَهَارِى ، وَنَوْمِى ، وَقَرَارِى . لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، تَعْظِيمًا لِوَجْهِكَ ، وَتَكْرِيمًا لِسَبَحَاتِكَ ، فَاصْرِفْ عَنِّى شَرَّ عِبَادِكَ ، وَاجْعَلْنِى فِى حِفْظِ عِنَايَتِكَ ، وَسُرَادِقَاتِ حِفْظِكَ ، وَعُدْ عَلَىَّ بِخَيْرٍ مِنْكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »[2] .

(النظر فى النجوم ، وما يؤثر عن الشافعىّ فى ذلك)

عن المُزَنِىّ : سمعت الشافعىّ يقول : ضاع منى دنانير ، فجئت بقَائِف ، فنظر ... الحكاية .

ونظيرها قول عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان الشافعىّ يقول : كان محمد بن إدريس الشافعىّ وهو حدَث ينظر فى النجوم ... الحكاية ، وفى آخرها : وقد صدق معه بعض المُنجِّمين ، فجعل الشافعىّ على نفسه أن لا ينظر فى النجوم .

● واعلم أنه قد يعترض معترض على نظر هذا الإمام فى النجوم ، فيجيب مجيب أن ذلك كان فى حداثة سِنّه . وليس هذا بجواب ، والخطب فى مسألة النظر فى النجوم جليل عسير ، وجِماع القول أن النظر فيه لِمَن يُحب إحاطةً بما عليه أهله غيرُ مُنكَر ، أما اعتقاد تأثيره ، وما يقوله أهله فهذا هو المنكر . ولم يقل بحِلّه ؛ لا الشافعىّ ، ولا غيره .

---

(١) فى ج ، د زيادة : فإننى .

(٢) فى هامش ج تعليقا على هذا الحديث : هذا حديث موضوع على هذا الإسناد ، لم يحدث به ابن عمر ولا نافع ولا مالك ولا الشافعى ، والعجب من هذا المصنف الذى يدعى أنه محدث ، لم لا ينقب عن هذه المنكرات ؟ ! وستأتى بعد قليل فى ترجمة الفضل بن الربيع هذه الحكاية بسياق آخر ، فانظر وتعجب ! وانظر ١٥٣ .

ورأيت الشيخ برهان الدين بن الفِرْكاح[1] ذكر فى كتاب الشهادات من « تعليقه » وقد ذكر عن الشافعىّ ما ذكرناه : إن كان المنجِّم ، يقول ويعتقد أن لا يؤثِّر إلا الله ، لكن أجرى الله تعالى العادة بأنه يقع كذا عند كذا ، والمؤثر هو الله ، فهذا عندى لا بأس به ، وحيث جاء الذَّمُّ ينبغى أن يُحمَل على مَن يعتقد تأثير النجوم وغيرها من المخلوقات . انتهى .

وكانت المسألة قد وقعت فى زمانه ، فذكر هو ما ذكرناه .

وأفتى الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكَانىّ[2] بالتحريم مطلقا ، وأطال فيه . وليس ما ذكره بالبيِّن[3] ، والظن أنه لو استحضر صَنيع الشافعىّ لَما أطلق لسانه هذا الإطلاق .

وأفتى ابن الصّلاح بتحريم الضَّرب فى الرمل ، وبالحصى ، ونحو ذلك .

ولأهل العلم على قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[4] مباحثُ .

(ذكر البحث عن تخريجات المُزَنِىّ رحمه الله وآرائه ، هل تلتحق بالمذهب ؟)

قال الرافعىّ فى باب الوضوء : تفرُّدات المُزَنِىّ لا تُعَد من المذهب إذا لم يخرجها على أصل الشافعىّ .

● ونقل – أعنى الرافعىّ – عما علّق عن الإمام فى مسألة خلع الوكيل : أن المُزَنِىّ لا يخالِف أصول الشافعىّ ، وأنه ليس كأبى يوسف ومحمد ؛ فإنهما يخالفان أصول صاحبهما .

---

(١) الفركاح : من ارتفع مذروا استه وخرج دبره . القاموس (ف ر ح) .

(٢) بفتح الزاى وسكون الميم وفتح اللام والكاف وفى آخرها نون هذه النسبة إلى قرية بدمشق . اللباب ٥٠٧/١ .

(٣) فى المطبوعة : بأبين ، وفى د : باليسير ، والمثبت من : ج .

(٤) سورة الصافات ٨٨ ، ٨٩ .

والذى رأيته فى « النهاية »[1] فى هذه المسألة : والذى أراه أن يُلحَق مذهبه فى جميع المسائل بالمذهب ، فإنه ما انحاز عن الشافعىّ فى أصل يتعلق الكلام فيه بقاطع ، وإذا لم يفارق الشافعىّ فى أصوله فتخريجاته خارجة[2] على قاعدة إمامه ، وإن كان لتخريج مخرِّج التحاقٌ بالمذهب فأَولاها تخريج المُزَنِى ، لعُلُوِّ منصبه ، وتلقِّيه أصول الشافعىّ . وإنما لم يُلحِق الأصحاب مذهبه فى هذه المسألة ، لأن من صيغة تخريجه أن يقول : قياس مذهب الشافعىّ كذا وكذا ، فإذا انفرد بمذهب استعمل لفظة تشعِر بانحيازه ، وقد قال فى هذه المسألة لمَّا حكى جواب الشافعىّ : ليس هذا عندى بشىء . واندفع فى توجيه مذهبه .

● والمسألة : إذا وكَّلته فى الخُلْع بمُقدَّر ، فزاد عليه وأضاف ، فمنصوص الشافعىّ أن البَيْنُونة حاصلة ، ومذهب المُزَنِىّ أن الطلاق لا يقع .

قلتُ : ولعل الشّهرسْتانىّ صاحب كتاب « الملل والنحل » تلقى هذا الكلام من الإمام ؛ فإنه ذكر فى كتابه[3] أن المُزَنِىّ وغيره من أصحاب الشافعِىّ لا يزيدون على اجتهاده اجتهادا ، ولكن فى كلام الإمام ما يقتضى أنه – أعنى المُزَنِىّ – ربما اختار لنفسه ، وانحاز عن المذهب ، وهذا هو الظاهر .

وينبغى أن يكون الفيصل فى المُزَنِىّ أن تخريجاتِه معدودة من المذهب ، لأنها على قاعدة الإمام الأعظم ، وإلى ذلك أشار الإمام أبو المعالى بقوله : إن كان لتخريج مُخرِّج التحاق إلى آخره . وأما اختياراته الخارجة عن المذهب فلا وجه لعدّها أَلبتَّةَ .

وأما إذا أطلق فذلك موضع النَّظر والاحتمال ، وأرى أنّ ما كان من تلك المطلقات فى « مختصره » تلتحق بالمذهب ، لأنه على أصول المذهب بَنَاهُ ، وأشار إلى ذلك بقوله فى خطبته : « هذا مختصر اختصرته من علم الشافعىّ ، ومِن معنى قوله » .

وأما ما ليس فى المختصر بل هو فى تصانيفه المستقلة ، فموضع التوقّف ، وهو فى مختصره المسمى « نهاية الاختصار » يُصرِّح بمخالفة الشافعىّ فى مواضع ، فتلك لا تُعَدُّ من المذهب قطعًا .

---

(١) النهاية لأبى المعالى الجوينى .
(٢) أى مبنية على قاعدة إمامه .
(٣) الملل والنحل ، بهامش الفِصَل ٢/ ٤٦ .

وقال النَّوِوىّ فى مقدمة « شرح المهذب » : الأوجُه لأصحاب الشافعىّ رضى الله عنه ، المنتسبين إلى مذهبه يخرِّجونها على أصوله ، ويستنبطونها من قواعده ، ويجتهدون فى بعضها وإن لم يأخذوه من أصله[1] . انتهى .

وقوله : « ويجتهدون فى بعضها ، وإن لم يأخذوه من أصله » يوهم أنه يُعَدُّ من المذهب مطلقا ، وليس كذلك ، بل القول الفصل فيما اجتهدوا فيه ، ولم يأخذوه من أصله ، أنه لا يُعَد إلا إذا لَمْ يُنافِ قواعد المذهب ، فإن نافاها لم يُعَدّ ، وإن ناسبها عُدَّ ، وإن لم يكن فيه مناسبة ولا منافاة – وقد لا يكون لذلك وجود ، لإحاطة المذهب بالحوادث كلها – ففى إلحاقه بالمذهب تردُّد .

وكل تخريج أطلقه المخرِّج إطلاقًا ، فيظهر أن ذلك المخرج ، إن كان ممن يغلب عليه التَّمذْهب والتقيُّد كالشيخ أبى حامد ، والقَفَّال ، عُدَّ من المذهب ، وإن كان ممن كثر خروجه كالمحمَّدِين الأربعة[2] فلا يُعَد .

وأما المُزَنِىّ ، وبعده ابن سُرَيج فبيْن الدرجتيْن ، لم يخرجوا خروج المحمَّدِين ، ولم يتقيدوا بقيْد العراقيِّين والخُراسانيِّين .

(ومن المسائل عن أبى إبراهيم)

● قال أبو عاصم : ناظر أبو إبراهيم فى مجلس ابن طولون ، فى القضاء على الغائب فألزم الحاضرَ فى المجلس ، فقال : مَن يُجوِّز القضاء على الغائب يجوِّزه على الحاضر .

قال : ونقله الشّاشِىّ إلى كتابه .

قال : وفى كتب الشافعىّ أنه يجوز السماع ، ولا يحكم ، حتى يقول له : هل لك طعن ؟

قلتُ : وهى وجوه مسطورة فى المذهب ، أصحها المنع ، وثالثها يسمع ولا يحكم .

● قال أبو عاصم : وصنف المُزَنِىّ كتاب « العقارب » ، وقال فيه : إن القِصاص فى النفس لا يسقُط بعفوِه عن الجِراحة .

---

(١) المجموع ١ / ٦٥ .

(٢) المحمدون الأربعة الذين كثر خروجهم عن المذهب هم : محمد بن جرير ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، محمد ابن نصر المروزى ، وابن المنذر ، وسيذكر المصنف ذلك فى ترجمة محمد بن إبراهيم بن المنذر ٣ / ١٠٢ .

قلتُ : هو المشهور عن أبى الطيِّب بن سلَمة ، ويحكى عن تخريج ابن سُرَيج ، وقد رأيته فى « العقارب » كما نقل العَبَّادِىّ ، وعبارة المُزَنِىّ : أنه الأَقْيس .

● قال العَبادِىّ : وقال فيه : إن المضطر يأكل الآدمىَّ الميت .

قلتُ : قد رأيتُه أيضًا فى « العقارب » وعبارته : وقد سئل عن مضطرٍ لا يجد مَيْتة ، ووجد لحم إنسان . هل يأكله ؟ إن القياس أن يأكل ؛ فقد أباح النبىّ ﷺ سَبَّ الله تعالى ، وهو أعظم وأجل . قال : والسَّابُّ لله كافر ، والمُستخفّ بحق الله كافر ، غير أن السَّابّ لله أعظم جُرما . وأطال فيه .

فأما قوله : « الصحيح أنه يأكل » فهو الصحيح فى المذهب ، قال إبراهيم الْمَرْوَرُّوذِىّ : إلا أن يكون الميِّت نَبيًّا .

قلتُ : كتاب « العقارب » مختصر فيه أربعون مسألة ، ولَّدها المُزَنىّ ، ورواها عنه الأَنْماطِىّ ، وأظن ابن الحدّاد نسج « فروعه » على مِنْوالها .

(ومن غرائب « العقارب »)

● رأيت المُزَنّى قد نقل فيها إجماع العلماء أن مَن حلف ليقْضِينّ فلانا حقَّه غدا ، واجتهد فعجَز ، أنه حانث ، [١]واستشهد به للرد على الشافعىّ ، وأبى حنيفة ، ومالك ؛ فإنه نقل عنهم فيمن قال لامرأته : إن لم أطأك الليلةَ فأنت طالق ، فوجدها حائضًا ، أو مُحْرِمة ، أو صائمة ، أو كان قد ظَاهر منها ولم يُكفِّر أنه لا حِنْث عليه ؛ لأنه لا سبيل له إلى وطئها .

ثم قال : يدخل عليهم أن يُقال : ليس التحليل والتحريم من الأيمان بشىء[٢] ، ألا ترى أن من حلف أن يعصىَ الله فلم يفعل أنه حانث ، وإن فعل بَرَّ . وقد أجمعت العلماء : أنه من حلف ليقْضِينَّ فلانا حقه غدا واجتهد فعجز ، أنه حانث[١] عندهم ؛ ففى هذا دليل أن علة هؤلاء من الإكراه ليس بعلة . انتهى .

ومانقله من الإجماع لابد أن يُنازَع فيه، وأقل أحواله أن يكون فيه قوْلَا المُكْرَه .

---

(١) ساقط من : د .

(٢) فى المطبوعة : فى شىء ، والمثبت من : ج .

وقد نقل الرافعيّ فى فروع الطلاق عن « العقارب » ما نقلناه ، وقال : قد قيل إن المذهب ما قاله المُزَنِىّ ، وهو اختيار القفَّال . وقيل : هو على الخلاف فى فوات البرِّ بالإِكْراه .

● قلتُ : وحاصل الأمر أن هنا إكراها شرعيا على عدم الوطء ، وفى إلحاقه بالإكراه الحسىّ نظر ، والأشبه أنه لا يلتحق به ؛ لأن فى الرافعىّ وغيره ، فيمن حلف لا يُفارق غريمَه حتى يستوفىَ فأفلس ، ثم فارقه أنه يحنث ، وإن كان الشرع لا يُجَوِّز له ملازمته بعد الإفلاس ، فما ذكره المُزَنِىّ هو القياس الظاهر .

●قال المُزَنِىّ فى كتابه « نهاية الاختصار » : وقد وقفتُ منها على أصل قديم ، كتب سنة ثمانين وأربعمائة : إنه لا حَدَّ لأقل الحيض ، وهو كذلك فى « ترتيب الأقسام » للمَرْعَشِىّ[1] ، ولعله من هذا الكتاب أخذه .

● ثم قال المُزَنِىّ فى النِّفاس : وأكثره ستون يوما فى رأى الشافعىّ ، وفى رأيى[2] أربعون يوما . انتهى .

وكثيرًا ما يذكر فى هذا المختصر آراء نفسه ، وهو مختصر جدا ، لعله نحو ربع « التنبيه » أو دونه .

● وذكر فيها من باب الاستبراء قول الشافعىّ فيه ، ثم نص على مذهبه فى الاستبراء المعزُوّ إليه فى « الرافعىّ » وغيره ، فقال : وقَوْلى أن ليس على أحد مَلَك أَمَةً بأى وجه ملَكها استبراءٌ ؛ إلّا أن تكون موطوءَةً لم تُسْتَبرأ ، أو كانت حاملا . انتهى .

وعبارة « الروضة » فى نقل هذا عنه : وعن المُزَنِىّ . فها هو وقد صرَّح به[3] .

---

(١) بفتح الميم وسكون الراء وفتح العين المهملة وفى آخرها شين معجمة ، هذه النسبة إلى مرعش ، وهى بلدة من بلاد الشام ، وإلى مرعش العلوى . اللباب ١٢٥/٣ .

(٢) فى ج : وفى رأى . والمثبت فى المطبوعة ، د .

(٣) فى المطبوعة ، د : فما هو قد صرح به . والمثبت من ج .

● وذكر فى باب « الكتابة » مذهب الشافعىّ فى وجوب إتيان المكاتَب ، ولم يوافقه ، وهذه عبارة « نهاية الاختصار » : وعلى سيِّده أن يضع عنه من كتابته شيئًا فى قول الشافعىّ ، ولم يحدَّ فى ذلك حدًّا ، ولا تبيَّن عندى أن ذلك عليه . انتهى .

● وذهب المُزَنِىّ إلى أن العبد المُكاتب فى المرض ، إن لم يخرُج كلُّه من الثلث لم يُعْتَق منه شىء ، وإن خرج بعضه . وهذه عبارته : ولو كاتب عبدَه فى مرض موته جاز ، إن خرج العبد من ثلث ماله ، فإن لم يَخْرُج كله جاز منه ما خرَج من الثلث فى قول الشافعىّ ، وفى رأيى إن لم يخرج كلُّه من الثلث لم يجز منها شىء . انتهى .

(ومن دقيق مستدركات أبى إبراهيم)

● شكّك رحمه الله على قتل تارك الصلاة ، مشيرا إلى أنه لا يُتصوَّر ؛ لأنه إما أن يكون على ترك صلاة مضت ، أو لم تأت ، والأول باطل ؛ لأن المقضيَّة لا يُقتَل بتركها ، والثانى كذلك ؛ لأنه ما لم يخرج الوقت فله التأخير فعلام يُقْتَل ؟ .

قلتُ : وهذا تشكيك صعب ، وأقصى ما تحصَّلت فى دفعه من كلام الأصحاب على ثلاثة مسالك :

المسلك الأول : أن هذا يَلزَمكم فى حبسه وتعزيره ؛ فإن الْمُزنىّ يقول : يُحْبَس تاركها ، ويعزَّر ، وهذه طريقة القاضى أبى الطيب ، وذكرها الشيخ أبو حامد أيضا ، قال : فما كان جوابا للمُزنىّ عن الحبس والتعزير فهو جوابنا عن القتل .

قلتُ : وهى طريقة جدليَّة لا أرضاها .

والمسلك الثانى ، وعليه الأكثر : قالوا بقتله على الماضية ؛ لأنه تركها بلا عذر ، والقضاء فى هذه الصورة على الفور ؛ فإذا امتنع منه قتل .

قلتُ : ولا أرضى هذا المسلك أيضا ؛ لأن لنا خلافا شهيرا فى أن القضاء هل يجب على الفور ؟ جمهور العراقيِّين على عدم الوجوب . فعلى هذه الطريقة يلزم أن يجىء خلاف فى قتل تارك الصلاة ، وذلك لا يُعرَف .

بل أقول : وقع فى كلام كثير من المتقدمين التصريح بأن الشافعىّ لا يقتُل بالمقضيَّة مطلقا .

ووجدت فى تعليق الشيخ أبى حامد : أن أبا إسحاق ، قال : لا خلاف بين أصحابنا أنه لا يُقتَل بالامتناع من القضاء .

والمسلك الثالث : وهو عندى خير المسالك ، أنا نقتُله للمُؤدَّاة فى آخر وقتها ، وذلك إذا لم يبق بينه وبين آخر وقتها إلَّا قدر ما يصلى فيه فرض الوقت . وهذا نص عليه الشيخ أبو حامد فى « التعليقة » وهو جيد ؛ لكن يلزم منه أن تكون المبادرة إلى قتل تارك الصلاة أحقّ منها إلى المرتد ؛ فإن المرتد يُستتاب ، وهذا لا يستتاب ، لأنه لو أُمهِل مدة الاستتابة لخرج الوقت ، ولو خرج لصارت مقضيّة لا مؤدّاة .

لا يخفى على الفطن صعوبة تشكيك المُزَنِىّ رحمه الله تعالى .

● وقد سلك ابن الرِّفعة فى فسخ المرأة بإعسار زوجها عن نفقتها ، حيث قال : قال الأصحاب : إن الفسخ يكون بالعجز عن نفقة اليوم الرابع ، أو بعد مضى يوم وليلة ، ونازع الرافعىُّ فى بحث له هناك ، ذكره فى مواضع من باب نفقة الزوجة ، فلينظر .

وعلى مساقه نقرر نحن طريقة المُزَنِىّ هكذا : لو قُتل بتركها فإما أن يكون وقتها قد خرج فيلزم القتل على المقضيّة ، أو لم يخرج بل هو باق موسَّع ، ولا قائل به ، أو باق وقد يضيق ، فإما أن لا يُمهَل للاستتابة فيلزم أن يكون حاله أشدّ من المرتد ، أو يمهل فيلزم أن تعود مقضية ، وإذا عادت فإما أن يكون تاركا لصلاة تجددت بعدها ، والقتل للمتجددة لَعلّه أولى[1] ، للإجماع على أنه لا يجوز إخراجها عن وقتها ، بخلاف المقضية، فإن لنا خلافا فى وجوب فعلها على الفور، وإذا انتقل القتل إليها، فهى ذنب غير الذنب بترك تلك ، فليجدد[2] لها مدة توبة ، وهكذا . وإما أن لا يكون تاركا لصلاة تجددت ، وهذا قد يُلتَزم ، لكن لابد أن يطرقه الخلاف فى وجوب القضاء على الفور .

---

(١) فى ج ، د : أول ، والمثبت فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : فليحدد . والمثبت من : ج ، د .

وذلك كثير ، ثم هو عند مخالفته الشافعيّ ضربة لازب ، فلنقتصر على غريب مما وراءه ، فمنه :

● قال المُزَنِيّ في المناضلة : لو أخرج مُخرِج مالا ، وقال لرام : ارم عشرة ، فإن كانت إصابتك أكثر فلك المال . لم يجز ، لأنه ناضل نفسه . ذكره نقلا عن الشافعيّ .

وافترق الأصحاب ، فأكثرهم خطَّأه نقلا وتعليلا ، وقالوا : قد نص الشافعيّ على الجواز ، ثم هو الوجه ، لأن المقصود من إخراج السبق التحريض على الرَّمى ، فلا فرق بين صدوره مِن رام واحد أو جماعة .

قالوا : وقوله : « ناضل نفسه » خطأ بلا شك ، انتقل فيه ذهنه من مسألة أخرى قالها الشافعيّ ، وهى : ارم عشرة عن نفسك ، وعشرة عنِّى ، فإن كانت القرعات فى عشرتك أكثر فلك ما أخرجت . فهنا يكون مناضلا نفسه ، وفيه نص الشافعيّ على المنع ، لأنه قد يقصر فى العشرة المشروطة للسبق ، فيكون مناضلا نفسه .

قالوا : وقد نقل الربيع الصورتين على الصواب ، وترقَّت رتبة الربيع من أجل ذلك ونحوه فى المنقول ، لأنه يعتمد غالبا ألفاظ الإمام الأعظم ، فقلَّ ما تطرّق إليه الخطأ ، والمُزَنىّ – رحمه الله – ربما أدلى بعلمه وجودة فِطْنته فغيَّر اللفظ ، ومن هناك يُؤتى . حتى انتهى الربيع إلى أن تترجح رواياته ، وإن كان الفقه وراءها ، كما سيأتى إن شاء الله فى أوائل ترجمته .

وأقصى ما فعله المساعدون للمُزَنىّ أن تأولوا كلامه ، وليس فيهم مَن أخذ بظاهره ؛ فإن مناضلته لنفسه لا تُعقَل .

٢١

بحر بن نصر بن سابق الخَوْلانىّ
أبو عبد الله ، المصرِىّ ، مولى بنى سعد بن خَوْلان*

مولده سنة ثمانين ، أو إحدى وثمانين ومائة .

وقال الطّحاوىّ : ولد بحر بن نصر ، والربيع المُرادِىّ ، والمُزَنىّ ، ثلاثتهم فى سنة أربع وسبعين ومائة .

روى عن عبد الله بن وَهْب ، وأيوب بن سُوَيد الرَّمْلِىّ ، والشافعىّ ، وبه تفقّه ، وضَمْرَة بن ربيعة ، وأشهب ، وبشر بن بكر ، وطائفة .

روى عنه ابن جَوْصا ، وأبو جعفر الطَّحاوىّ ، وأبو بكر بن زياد النَّيسابورىّ ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم ، وأبو عَوانة الإسْفِرايِنىّ ، وأحمد بن مسعود بن عمرو الزُّنبرىّ ، ومحمد بن بِشر الزُّبيرىّ العَكَرِىّ[1] وأبو الفوارس بن السِّنْدِىّ ، وأحمد بن عبد الله البَهْنَسِىّ[2] العطَّار ، وأحمد بن على بن شُعَيب المَدِينىّ ، وأحمد بن على بن حسن المدائنىّ ، وأحمد بن محمد بن أُسَيد الأصْبهانىّ ، وأحمد بن محمد بن فَضالة الحِمصىّ الصَّفّار ، وأحمد بن محمد بن شاهين ، وأبو العباس الأصمّ ، وابن خُزَيمة ، وغيرهم .

وروى النَّسائىّ فى حديث مالك ، الذى جمعه عن زكرياء خَيّاط السنة ، عن بحر ابن نصر هذا .

وثَّقه ابن أبى حاتم ، وغيره .

---

*له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ١/ ٤٢٠، شذرات الذهب ٢/ ١٥٢ ، العبر ٢/ ٣٥ . والخولانى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعدها لام ألف وفى آخرها نون ، هذه النسبة إلى خولان بن عمر (من سبأ) . اللباب ٣٩٥/١ .

(١) فى المطبوعة : العكبرى ، وفى د : العسكرى . والتصويب من : ج ، وشذرات الذهب ٣٣٢/٢ .

(٢) بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون النون وفى آخرها السين المهملة ، هذه النسبة إلى بهنسا ، وهى بلدة بصعيد مصر الأعلى . اللباب ١٥٧/١ .

توفى بمصر فى شعبان ، سنة سبع وستين ومائتين .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتى عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عُمَيرة ، أخبرنا أبو محمد بن البُنّ[1] ، أخبرنا جدى أبو القاسم ، أخبرنا على بن محمد ، أخبرنا محمد بن نظيف ، حدثنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصَّابونىّ ، حدثنا بحر بن نصر ، حدثنا ابن وَهْب ، عن مالك ، ويونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عُرْوة ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ قال للوَزَغ[2] « الْفُوَيْسِق » .

قال بحر بن نصر : كنا إذا أردنا أن نبكىَ قلنا بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى المُطَّلِبىّ يَقرَأ القرآن ، فإذا أتيناه استفتح القرآن ، حتى نتساقط بين يديه ، ويكثر عجيجنا بالبكاء ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة ، مِن حسن صوته . رُوِى بإسناد جيد فى حسن صوت الشافعىّ رضى الله عنه بالقرآن .

قال بحر : سألت الشافعىّ عن قول النبى ﷺ : « أَقِرُّوا الطَّيْرَ فِي مَكَانِهَا » فقال ما سيأتى إن شاء الله تعالى فى ترجمة يونس .

وقال بحر : سئل الشافعىّ عن قوله ﷺ : « فَرِّعُوا إنْ شِئْتُمْ » قال : هى الفَرَعَة - بفتح الفاء والراء والعين المهملة - كانوا ينحرون فى الجاهلية لآلهتهم أوَّلَ ما تلده الناقة ، ويسمى الفَرَعَة والفَرَع ، فأخبر أن لا كراهة فيه .

قال : وقوله « الفَرَعَةُ حَقٌّ » يعنى : ليس بباطل .

وقوله : « لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ »[3] يعنى : ليس بواجب .

قلتُ : وقد أشار الرافعىّ آخر باب الضحايا إلى اختلاف الأصحاب فى كراهة الفَرَع

---

(١) فى الأصول « البز » . والتصحيح من سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٠٣ ، ٢٢ / ٢٧٨ .

(٢) الوزغ : جمع الوزغة محركة ، سام أبرص . سميت بها لخفتها وسرعة حركتها القاموس (وزغ) .

(٣) فى اللسان ٥٣٧/٤ : وفى الحديث أنه قال : لا فرعة ولا عتيرة . قال أبو عبيد : العتيرة هى الرجبية ، وهى ذبيحة كانت تذبح فى رجب يتقرب بها أهل الجاهلية ، ثم جاء الإسلام فكان على ذلك حتى نسخ بعد . وقال الخطابى : العتيرة فى الحديث شاة تذبح فى رجب ، وهذا هو الذى يشبه معنى الحديث ويليق بحكم الدين ، وأما العتيرة التى كانت تعترها الجاهلية فهى الذبيحة التى كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها .

والعَتِيرة ، وأن من نفى الكراهة قال : المنع راجع إلى ما كانوا يفعلون ، وهو الذبح لآلهتهم ، أو أن المقصود نفى الوجوب . انتهى .

وقوله : « إن المقصود نفى الوجوب » هو هذا الذى نقله بحر بن نصر ، عن الشافعىّ فى معنى الحديث ، ونقله فى بعض نسخ الرافعىّ ، إذ المقصود نفى الوجوب ، وليس بجيّد بل هما جوابان : أحدهما أن المنع راجع إلى ما كانوا يفعلون ، وهو الذبح لآلهتهم ، والمنع حينئذ منع تحريم . والثانى أن المقصود نفى الوجوب ، فالنفى ليس للنهى ، وهو منقولُ بحر ، عن الشافعىّ ، فاستفدْه .

٢٢
الحارث بن سُرَيج النَّقَّال
بالنون ، أبو عمرو ، الخُوارَزْمِىّ ، ثم البغدادىّ*

وإنما قيل له النَّقَّال : لأنه نقل « رسالة الشافعىّ » إلى عبد الرحمن بن مَهْدىّ ، وحملها إليه .

روَى عن الشافعىّ ، وحمَّاد بن سلَمة ، وسُفْيان بن عُيَينة ، ويزيد بن زُرَيع ، وغيرهم .

روَى عنه ابن أبى الدنيا ، وإبراهيم بن هاشم البغَوىّ ، وأحمد بن الحسن الصُّوفىّ وغيرهم . مات سنة ست وثلاثين ومائتين .

قال الحارث بن سُرَيج : سمعت يحيىٰ بن سعيد القَطَّان ، يقول : أنا أدعو الله للشافعىّ ، أخصُّه به .

وكذلك ذكر يحيىٰ بن معين : أنه سمع يحيى بن سعيد ، يقول : أنا أدعو الله للشافعىّ فى صلاتى منذ أربعين سنة .

قال الحارث : لما حملت « الرسالة » إلى عبد الرحمٰن بن مَهدىّ جعل يتعجب ، ويقول : لو كان أقلّ لِنفْهم ، لو كان أقل لنفهم .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٨/ ٢٠٩ ، طبقات الحنابلة ١/ ٤٧ ، واسمه فيه : الحارث بن شريح ، طبقات الشيرازى ٨٣ ، اللباب ٣/٢٣٥ .

قال الإمام داود بن على الأصْفهانىّ: سمعت الحارث النَّقَّال ، يقول : سمعت إبراهيم ابن عبد الله الحَجَبىّ يقول للشافعىّ : ما رأيت هاشميا يُفَضِّل أبا بكر وعمر رضى الله عنهما على علىّ كرم الله وجهه غيرَك ! فقال له الشافعىّ : علىّ ابن عمى وابن خالتى وأنا رجل من عبد مناف ، وأنت رجل من بنى عبد الدَّار ، ولو كانت هذه مكرُمة لكنتُ أولى بها منك .

قلتُ : استدل الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن غانم بن أبى زيد الأصْبهانىّ ، المعروف بابن المُقرِى فى كتابه « شفاء الصدور فى مناقب الشافعىّ » بهذا الكلام على أن أمَّ الشافعىّ ليست من ولد على بن أبى طالب ؛ قال : لأنه رضى الله عنه قال فى علىّ كرم الله وجهه : ابن خالتى وابن عمى ، ولم يقل : جدى ، ولو كان من أولاد علىّ لقال جدى ؛ لأن الجدودة أقوى من الخؤولة والعمومة .

قلت : وسأتكلم على هذا فى ترجمة يونس بن عبد الأعلى .

٢٣
الحارث بن مِسكين بن محمد بن يوسف الأُموى
أبو عمرو ، المصرىّ*

فقيه ، مُحدِّث ، صالح ، إمام .

أخذ عن الشافعىّ ، وقال : رادَدْتُه حيث يقول : الكفاءة فى الدِّين لا فى النسب .

ورأى الليث بن سعد ، ورأى سفيان بن عُيَيْنة ، وعبد الله بن وَهْب ، وخَلْقًا .

روَى عنه أبو داود ، والنَّسائىّ ، وأبو يَعْلى الموصلىّ ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وطوائف .

وكان أحمد بن حنبل يقول فيه قولا جميلا .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٨/ ٢١٦ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٨ ، تهذيب التهذيب ٢/ ١٥٦ ، الديباج المذهب ١٠٦ ، شذرات الذهب ٢/٢١ ، طبقات الشيرازى ١٣٠ ، العبر ١/٤٤٥ ، قضاة قرطبة ٩٣ ، النجوم الزاهرة ٢/٣٣١ .

وقال ابن مَعِين : لا بأس به .

ويُروَى أن رجلا من المسرفين على أنفسهم مات فرُئى فى المنام ، فقال : إن الله غفر لى بحضور الحارث بن مِسكين جنازتى ، وإنه استشفع فىّ فشُفِّع .

وقد قال غير واحد : إن الحارث كان فقيها على مذهب مالك ، ولعله الأشبه . ولكنا ذكرناه تبعا للعبَّادىّ ، وغيره ممن ذكره ، ولم نُطِل فى ترجمته لذلك .

وهذه الرواية التى رواها خارجة عن جادَّة المذهب .

توفى لثلاث بقين من شهر ربيع الأول ، سنة خمسين ومائتين ، وكان مولده سنة أربع وخمسين ومائة .

٢٤
الحسن بن محمد بن الصَّباح ، البغدادىّ ، الإمام ، أبو علىّ ، الزَّعْفَرَانىّ*

أحد رواة « القديم » ، كان إماما ، جليلا ، فقيها ، مُحدِّثا ، فصيحا ، بليغا ، ثقة ، ثَبْتا .

قال المَاوَردىّ : هو أثبت رواة « القديم » .

وقال أبو عاصم : الكِتاب العراقىّ منسوب إليه .

وقد سمع بقراءته الكتب على الشافعىّ أحمدُ وأبو ثور ، والكَرابيسىّ .

قلتُ : والزَّعْفرانىّ منسوب إلى قرية بالسَّواد ، يقال لها الزَّعْفرانية . كذا ذكر ابن حِبّان .

قلتُ : ثم سكن المشار إليه بغداد ، فى بعض دروبها فنُسب الدرب إليه ، وصار يقال له : درب الزَّعفرانىّ ببغداد ، وفى الدرب المذكور مسجد الشافعىّ رضى الله عنه ، وكان الشيخ أبو إسحاق الشِّيرازىّ يدرِّس فيه .

---

* له ترجمة فى تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٧ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٧ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٣١٨ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٨٤ ، شذرات الذهب ١٤٠/٢ ، طبقات الحنابلة ١٣٨/١ ، طبقات الشيرازى ٨٢ ، طبقات ابن هداية الله ٧ ، اللباب ٥٠٢/١ ، النجوم الزاهرة ٢٣/٣ ، وفيات الأعيان ٣٥٧/١ .

وقد عكس شيخنا الذهبىّ فذكر أن الزعفرانىّ منسوب إلى درب الزَّعْفَران ، والصواب عكسه ، وهو أن درب الزعفران منسوب إلى الزَّعفرانىّ ، وأن الزَّعفرانىّ منسوب إلى قرية كما قدمناه ، عن ابن حِبَّان ، وسيأتى فى كلام أبى علىّ نفسه ما يدلّ عليه .

سمع الزَّعفرانىّ من سفيان بن عُيَيْنَةَ ، والشافعىّ ، وعَبِيدة بن حُمَيْد ، وعبد الوهاب الثَّقفىّ ، ويزيد بن هارون ، وخَلْق .

روَى عنه البخارىّ ، وأبو داود ، والتِّرمذىّ ، والنَّسائىّ ، وابن ماجة . فليس فى الستة مَن لم يرو له إلا مسلم .

وروى عنه أيضًا أبو القاسم البَغَوىّ ، وابن صاعد ، وزكريا السَّاجِىّ ، وابن خُزَيمة ، وأبو عَوَانة ، ومحمد بن مَخْلَد ، وأبو سعيد بن الأعرابىّ ، وطائفة .

قال النَّسائىّ : ثِقَة .

وقال ابن حِبَّان : كان أحمد بن حنبل وأبو ثور يحضران عند الشافعىّ ، وكان الحسن الزَّعفرانىّ هو الذى يتولى القراءة .

وقال زكريا السَّاجِىّ : سمعت الزَّعفرانىّ ، يقول : قدم علينا الشافعىّ ، فاجتمعنا إليه ، فقال : التمسوا مَن يقرأ لكم ، فلم يجْتَرِئ أحد أن يقرأ عليه غيرى ، وكنت أحْدَثَ القوم سِنًّا ، ما كان فى وجهى شعرة ، وإنى لأتعجَّب اليوم من انطلاق لسانى بين يدى الشافعىّ ، وأتعجَّب من جَسارتى يومئذ ، فقرأت عليه الكتب كلها إلا كتابين ؛ فإنه قرأهما علينا : « كتاب المناسك » ، و « كتاب الصلاة » .

وقال أحمد بن محمد بن الجرَّاح : سمعت الحسن الزَّعْفَرانىّ ، يقول : لمَّا قرأت كتاب « الرسالة » على الشافعىّ ، قال لى : مِن أىِّ العرب أنت ؟ قلت : ما أنا بعربىّ ، وما أنا إلّا من قرية يقال لها الزَّعفرانيّة . قال : فأنت سيد هذه القرية .

قلتُ : فى هذه الحكاية دلالة على ما قدَّمناه من الصواب عندنا فى نسبته .

ومما يُحكى من فصاحة الزَّعفرانىّ أن الأنماطِىّ ، قال : سمعت المُزَنِىّ ، يقول : سمعتُ

الشافعىّ ، يقول : رأيتُ فى بغداد نَبَطِيًّا يَتَنَحَّى[1] علىَّ حتى كأنه عربىّ ، وأنا نَبطِىّ ، فقيل له : مَن هو ؟ فقال : الزَّعْفرانىّ .

وذكر بعض المؤرخين : أنه لم يكن فى عصر الزَّعْفرانىّ أحسن صورةً منه ، ولا أفصح لسانا ، وأنه لم يتكلم فيه أحد بسوء .

وقال القاضى أبو حامد المَرْوَرُّوذِىّ : كان الزَّعْفرانىّ من أهل اللغة .

توفى فى شهر رمضان سنة ستين ومائتين .

(ومن الرواية والفوائد والمسائل عن الزعفرانىّ)

قال الزَّعفرانىّ : سمعت محمد بن إدريس الشافعىّ ، يقول : كنت عند ابن عُيَيْنَة وعنده ابن المبارك ، فذكروا البخلَ . فقال ابن المبارك : حدثنا سليمان التَّيْمِىّ ، عن أنس : أن النبىّ ﷺ كان يتعوَّذُ مِن البخل .

قال الحاكم أبو عبد الله : غيرُ مُستبدَعٍ سماع الشافعىّ من ابن المبارك ؛ توفى ابن المبارك سنة إحدى وثمانين ومائة ، ووُلد الشافعىّ سنة خمسين ومائة ، وكان ابن المبارك يحجّ كل سنتين .

● قال الزَّعْفرانىّ : عن الشافعىّ رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ ﴾[2] أى : من أبوين فى الإسلام .

قلتُ : وهذا هو الذى كنت أسمعه من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله فى تفسير الآية ، ومَن يقول به لا يرضى[3] بقول من قال فى تفسيرها : إن المنافقين كانوا يقولون : لمحمد ﷺ قلبان ، قلب معنا[4] ، وقلب مع أصحابه . فأكذبهم الله . وهو أيضا منقول عن بعض السلف ، وربما عُزِى إلى ابن عباس .

---

(١) فى المطبوعة : ينتحى . والمثبت من : ج ، د . وتنحى الرجل : استعمل الإعراب فى كلامه .

(٢) سورة الأحزاب ٤ .

(٣) فى د : لا يراه يقول وفى ج : لا يرضاه . والمثبت فى : المطبوعة .

(٤) فى د : قلبا مغيبا ، وفى ج : قلب مغيبا . والمثبت فى : المطبوعة ، وهو يوافق رواية الطبرى ٢١/٦٧ عن ابن عباس ، حيث يروى بسنده إلى قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حدثه ، قال : قلنا لابن عباس : =

قال الزَّعفرانىّ : سألت يحيى بن مَعِين عن الشافعىّ ، فقال : لو كان الكذب له مُنْطَلَقا لمنعتْه منه مروءتُه .

● وروى الحافظ أبو الحسن بن حَمَكَان : أن الزَّعْفرانىّ ، قال : قال الشافعىّ فى الرَّافضىّ يحضر الوَقعة : لا يُعْطَى من الفىء شيئا ؛ لأن الله تعالى ذكر آية الفىء ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾[1] الآية . فمن لم يَقُل بها لم يستحِق .

٢٥
الحسين بن علىّ بن يزيد
أبو علىّ ، الكَرابِيسىّ*

كان إماما ، جليلا ، جامعا بين الفقه والحديث .

تفقّه أولا على مذهب أهل الرأى ، ثم تفقّه للشافعىّ .

وسمع منه الحديث ، ومن يزيد بن هارون ، وإسحاق الأَزْرق ، ويعقوب بن إبراهيم ، وغيرهم .

روَى عنه : عُبَيْد بن محمد بن خَلَف البزَّار ، ومحمد بن على فُسْتُقَة .

وله مصنّفات كثيرة ، وقد أجازه الشافعىّ كُتُبَ الزَّعْفرانىّ .

= أرأيت قول الله : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ ﴾ ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله ﷺ يوما فصلى ، فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : إن له قلبين ؛ قلبا معكم ، وقلبا معهم . فأنزل الله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ ﴾ .

(١) سورة الحشر ١٠ .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٨/ ٦٤ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٥٩ ، شذرات الذهب ٢/ ١٥٠ ، طبقات الشيرازى ٨٣ ، طبقات ابن هداية الله ٦ ، اللباب ٣/ ٣٢ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٩ ، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٩ . وفى الطبقات الوسطى زيادة : البغدادى .

والكرابيسى : بفتح أوله والراء وبعد الألف باء موحدة ثم ياء تحتها نقطتان وسين مهملة ، هذه النسبة إلى بيع الكرابيس ، وهى الثياب .

وذلك فيما أخبرنا به يحيىٰ بن يوسف بن المِصْرىّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، عن عبد الوهاب بن رَواج : أن الحافظ أبا طاهر السِّلَفىّ أخبره سماعًا عليه ، قال : أخبرنا المبارك بن عبد الجبّار ، أخبرنا علىّ بن أحمد القالىّ ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن إسحاق [بن خَرْبان][1] النُّهاوَنْدِىّ القاضى ، أخبرنا الحسن بن عبد الرحمٰن الرَّامَهُرْمُزِىّ ، حدثنا السَّاجِىّ ، حدثنا داود الأَصْبَهانىّ ، قال : قال لى حسين الكَرابيسى : لمَّا قدم الشافعىّ – يعنى إلى بغداد – قَدِمْتُه ، فقلت له : أتأذن لى أن أقرأ عليك الكتب ؟ فأبى ، وقال : خذ كتب الزَّعفرانىّ فقد أجزتها لك ، فأخذتها إجازة .

● قال الخطيب : حديث الكَرابِيسىّ يَعِزُّ جدا ؛ وذلك أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ ، وهو أيضا كان يتكلم فى أحمد ؛ فتجنّب الناس الأخذ عنه لهذا السبب .

قلتُ : كان أبو علىّ الكَرابيسىّ مِن متكلّمى أهل السنة ، أستاذا فى علم الكلام ، كما هو أستاذ فى الحديث والفقه ، وله « كتاب فى المقالات » .

قال أيضا الخطيب والد الإمام فخر الدين فى كتاب « غاية المرام » : على كتابه فى المقالات مُعَوَّل المتكلمين فى معرفة مذاهب الخوارج ، وسائر أهل الأهواء .

قلتُ : والمَرْوِىّ أنه قيل للكَرابيسىّ : ما تقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله غير مخلوق . فقال له السائل : فما تقول فى لفظى بالقرآن ؟ فقال : لفظك به مخلوق . فمضى السائل إلى أحمد بن حنبل ، فشرح له ما جرى . فقال : هذه بِدْعَة .

والذى عندنا أن أحمد رضى الله عنه أشار بقوله : «هذه بِدْعَة» إلى الجواب عن مسألة اللفظ ، إذ ليست مما يعنى المرء ، وخوض المرء فيما لا يعنيه من علم الكلام بِدْعَة ، فكان السكوت عن الكلام فيه أجمل وأولى ، ولا يُظَنّ بأحمد رضى الله عنه أنه يدَّعى أن اللفظ الخارج

---

(١) زيادة من : ج ، د .

من بين الشفتين قديم ، ومقالة الحسين هذه قد نُقل مثلها عن البخاريّ ، والحارث بن أسد المُحاسِبىّ ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِىّ ، وغيرهم . وستكون لنا عودة فى ترجمة البخارىّ إلى الكلام فى ذلك .

ونُقِل أن أحمد لما قال : « هذه بدعة » رجع السائل إلى الحسين ، فقال له : تلفُّظُك بالقرآن غير مخلوق . فعاد إلى أحمد فعرَّفه مقالة الحسين ثانيا ، فأنكر أحمد أيضا ذلك ، وقال : « هذه أيضا بدعة » .

وهذا يدلّك على ما نقوله ، من أن أحمد إنما أشار بقوله : « هذه بدعة » إلى الكلام فى أصل المسألة ؛ وإلا فكيف ينكر إثبات الشيء ونفيه ! فافهم ما قلناه ، فهو الحق إن شاء الله تعالى .

وبما قال أحمد نقول ، فنقول : الصواب عدم الكلام فى المسألة رأسا ، ما لم تدع إلى الكلام حاجة ماسَّة ؛ ومما يدلّك أيضا على ما نقوله ، وأن السلف لا ينكرون أن لفظنا حادث ، وأن سكوتهم إنما هو عن الكلام فى ذلك ، لا عن اعتقاده ، أن الرُّواة روَوْا أن الحسين بلغه كلام أحمد فيه ، فقال : لأقولنّ مقالة حتى يقول أحمد بخلافها فيكفُر . فقال : لفظى بالقرآن مخلوق .

وهذه الحكاية قد ذكرها كثير من الحنابلة ، وذكرها شيخنا الذهبىّ فى ترجمة الإمام أحمد ، وفى ترجمة الكَرابيسىّ ، فانظر إلى قول الكَرابِيسىّ فيها : « إن مخالفها يكفر » . والإمام أحمد فيما نعتقده لم يخالفْها ، وإنما أنكر أن يُتكلم فى ذلك .

فإذا تأمَّلت ما سطَّرناه ، ونظرت قول شيخنا فى غير موضع من تاريخه : « إن مسألة اللفظ مما يرجع إلى قول جَهْم » . عرفتَ أن الرجل لا يدرى فى هذه المَضايق ما يقول ، وقد أكثر هو وأصحابه من ذكر جَهْم بن صَفْوَان ، وليس قصدهم إلا جعل الأشاعرة – الذين قدَّر الله لقَدْرهم أن يكون مرفوعا ، وللزومهم للسنة أن يكون مجزوما به ومقطوعا – فرقةً جَهْمِيّة .

واعلم أن جهما شر من المعتزلة ، كما يدريه من ينظر الملل والنحل ، ويعرف عقائد الفرق . والقائلون بخلق القرآن هم المعتزلة جميعًا ، وجَهْم لا خصوص له بمسألة خلق القرآن ، بل هو شر من القائلين بها ، لمشاركته إياهم فيما قالوه ، وزيادته عليهم بطامّات .

فما كفى الذهبىّ أن يشير إلى اعتقاد ما يَتبرَّأ العقلاء عن قوله ، من قِدَم الألفاظ الجارية على لسانه ، حتى ينسب هذه العقيدة إلى مثل الإمام أحمد بن حنبل ، وغيره من السادات ، ويدعى أن المخالف فيها يرجع إلى قول جهم . فليته درى ما يقول ! والله يغفر لنا وله ، ويتجاوز عمّن كان السبب فى خوض مثل الذهبىّ فى مسائل الكلام ، وإنه ليَعِزّ الكلام علىّ فى ذلك ، ولكن كيف يسعنا السكوت ، وقد ملأ شيخنا تاريخه بهذه العظائم ، التى لووقف عليها العامِّىّ لأضلته ضلالا مبينا .

ولقد يعلم الله منى كراهية الإزراء بشيخنا ، فإنه مفيدنا ومعلمنا ، وهذا النَّزر اليسير الحديثىّ الذى عرفناه منه استفدناه ، ولكن أرى أن التَّنبيه على ذلك حتْم لازم فى الدين .

قال أبو أحمد بن عدىّ : سمعت محمد بن عبد الله الصَّيْرفىّ الشافعىّ ، يقول لهم – يعنى لتلامذته – : اعتبروا بهذين : حسين الكَرابِيسىّ ، وأبى ثَوْر ، فالحسين فى علمه وحفظه ، وأبو ثور لا يَعْشِره[1] فى علمه ، فتكلم فيه أحمد فى باب اللفظ فسقط ، وأثنى على أبى ثَوْر فارتفع .

قلتُ : هذا الكلام من الصَّيْرفىّ مع علوِّ قدره ، يدل على علو قدر الحسين .

ونظيره قول أبى عاصم العبَّادىّ : لم يتخرَّج على يد الشافعىّ بالعراق مثل الحسين .

مات الكَرابيسىّ سنة خمس وأربعين ، وقيل ثمان وأربعين ومائة .

(ومن الفوائد عنه)

كتبتْ إلىّ زينب بنت الكمال ، عن الحافظ أبى الحجَّاج يوسف بن خليل ، أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد اللَّبّان ، أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد الحدَّاد ، أخبرنا الحافظ أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله الأصْبهانىّ ، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا عبد الرحمٰن

---

(١) أى لا يبلغ معشاره . أساس البلاغة ٦٣٢ .

ابن داود بن منصور ، حدثنا عُبَيد بن خلَف البزَّار ، أبو محمد ، حدثنى إسحاق بن عبد الرحمٰن قال : سمعت الحسين الكَرابيسيّ .

قلتُ : كذا فى السند عُبَيد عن إسحاق ، وعُبَيد صاحب الكرابيسيّ ، ولا يمتنع أن يسمع عنه كما سمع منه .

رجع الحديث إلى الكرابيسيّ ، سمعت الشافعيّ ، يقول : كنت أقرأ[1] كتب الشعر ، فآتى البوادى ، فأسمع منهم ، قال : فقدِمت مكة منها ، فخرجت وأنا أتمثل بشعر للَبيد وأضرب وحْشِيّ[2] قدميّ بالسوط ، فضربنى رجل مِن ورائى مِن الحَجَبة ، فقال : رجل من قريش ، ثم ابنُ المطَّلبِ رضِىَ من دينه ودنياه أن يكون معلِّما ، ما الشعر ! هل الشعر إذا استحكمْتَ فيه إلَّا قعدت معلما ! تَفَقَّهْ يُعْلِكَ[3] الله .

قال : فنفعنى الله بكلام ذلك الحَجَبىّ ، فرجعت إلى مكة ، فكتبت عن ابن عُيَيْنة ما شاء الله أن أكتب . ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزَّنْجِيّ ، ثم قدمتُ على مالك ابن أنس فكتبت موطأه ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، أقرأ عليك ؟ قال : يا ابن أخى ، تأتى برجل يقرأه علىّ فتسمع . فقلتُ : أقرأ عليك فتسمع إلى كلامى ! فقال لى : أقرأه . فلما سمع كلامى لقراءة كتبه أذن لى ، فقرأت عليه حتى بلغت « كتاب السير » فقال لى : اطْوِه يا ابن أخى ، تفقَّهْ تعلُ .

فجئت إلى مُصْعَب بن عبد الله ، فكلمته أن يكلم بعض أهلنا ، فيعطينى شيئًا من الدنيا فإنه كان لى من الفقر والفاقة ما الله به عليم ، فقال لى مصعب : أتيت فلانا فكلمته ، فقال لى : أتكلِّمُنى فى رجل كان منَّا فخالفنا ، فأعطانى مائة دينار .

وقال لى مصعب : إن هارون الرشيد قد كتب إلىّ أن أصير إلى اليمن قاضيا ، فتخرج معنا لعل الله أن يعوِّضك ما كان هذا الرجل يُعوِّضك .

قال : فخرج قاضيا على اليمن ، فخرجت معه ، فلما صرنا باليمن وجالسنا الناس ، كتب مُطرِّف بن مَازِن إلى هارون الرشيد : إن أردت اليمن لا يفسد عليك ، ولا يخرج من يديك فأخرِج عنه محمد بن إدريس . وذكر أقواما من الطَّالبيِّين .

---

(١) فى حلية الأولياء ٩ / ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٨٥ : « كنت امرءا أكتب الشعر » .

(٢) إنسى القدم ما أقبل منها على القدم الأخرى ، ووحشيتها ما خالف إنسيها . اللسان (و ح ش) ٣٦٩/٦ .

(٣) فى الأصول « يفقه يعلمك » وأثبتنا ما فى السِّيَر . وانظر الحلية . والسِّياق قلق .

قال : فبعث إلىّ حمّاد البَرْبَرىّ[1] فأوثِقت بالحديد ، حتى قدمنا على هارون بالرَّقّة .

قال : فأُدخلت على هارون ، قال : فأُخرجت مِن عنده .

قال : وقدمت ومعى خمسون دينارا ، قال : ومحمد بن الحسن يومئذ بالرَّقَّة ، فأنفقت تلك الخمسين دينارا على كتبهم .

قال : فوجدتُ مَثلَهم ومثلَ كتبهم مثلَ رجل كان عندنا يقال له فَرُّوخ ، وكان يحمل الدهن فى زِقٍّ له ، فكان إذا قيل له : عندك فرشنان ؟ قال : نعم ؛ فإن قيل : عندك زئبق ؟ قال : نعم ، فإن قيل : عندك خِيرِىّ[2] ؟ قال : نعم ؛ فإذا قيل له : أرنى . ولِلزِّقّ رءوس كثيرة ، فيخرج له من تلك الرءوس ، وإنما هى دهن واحد .

وكذلك وجدت كتاب أبى حنيفة ، إنما يقولون : كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، وإنما هم مخالفون له .

قال : فسمعتُ ما لا أحصيه ، محمد بن الحسن يقول : إن تابعَكم الشافعىّ فما عليكم من حِجازىّ كُلفة بعده .

● فجئت يوما فجلست إليه ، وأنا من أشد الناس همًّا وغمًّا من سخَط أمير المؤمنين ، وزادى قد نفد .

قال : فلما أن جلست إليه أقبل محمد بن الحسن ، يطعن على أهل دار الهجرة ، فقلت : على مَن تطعن ، على البلد أم على أهله ؟ والله لئن طعنتَ على أهله إنما تطعن على أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ، وإن طعنتَ على البلدة فإنها بلدتهم التى دعا لهم رسول الله ﷺ أن يبارك لهم فى صاعهم ومُدِّهم ، وحرَّمه كما حرم إبراهيم مكة ، لا يُقْتَلُ[3] صيدها ، فعلى أيِّهم تطعن ؟

فقال : معاذ الله أن أطعن على أحد منهم ، أو على بلدته ، وإنما أطعن على حكم من أحكامه .

---

(١) بفتح الباءين الموحدتين بينهما راء وبعد الباء الثانية راء أخرى ، هذه النسبة إلى بلاد البربر ، وهم جيل كبير من ناحية كبيرة من بلاد المغرب . اللباب ١/١٠٧ .

(٢) نبات له زهر ، له دهن يدخل فى الأدوية . حواشى الحيوان ٥ / ١٠٣ ، والمصباح المنير .

(٣) فى الأصول : « يقصد » . وأثبتنا ما فى حلية الأولياء ٩/ ٧١ – والمصنف يحكى هذه المناظرة برواية أبى نعيم . وكذلك جاء فى مسند أحمد ١ / ١٨١ ، ١٨٥ .

فقلت له : وما هو ؟

قال : اليمين مع الشاهد .

قلتُ له : ولم طعنتَ ؟

قال : فإنه مخالف لكتاب الله .

فقلت له : فكل خبر يأتيك مخالفًا لكتاب الله أيسقط ؟

قال : فقال لى : كذا يجب .

فقلت له : ما تقول فى الوصية للوالدين ؟ فتفكَّر ساعة .

فقلت له : أجب .

فقال : لا تَجب .

قال : فقلت له : فهذا مُخالِف لكتاب الله ، لم قلت : إنه لا يجوز ؟

فقال : لأن رسول الله ﷺ قال : « لَا وَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ » .

قال : فقلتُ له : أخبرنى عن شاهدين حتم من الله .

قال : فما تريد مِن ذا ؟

قال فقلت له : لئن زعمتَ أن الشاهديْن حتمٌ من الله لا غيره ، كان ينبغى لك أن تقول : إذا زنى زانٍ فشهد عليه شاهدان ، إن كان محصَنا رجمتُه ، وإن كان غير محصن جلدتُه

قال : فإن قلت لك : ليس هو حتْمًا من الله ؟

قال قلت له : إذا لم يكن حتما من الله فننزل كل الأحكام منازله : فى الزنا أربعا ، وفى غيره شاهديْن ، وفى غيره رجلا وامرأتين ، وإنما أعنى فى القتل لا يجوز إلا شاهدان ، فلما رأيت قتلا وقتلا ، أعنى بشهادة الزنا ، وأعنى بشهادة القتل ، فكان هذا قتلا ، وهذا قتلا . غير أن أحكامهما مختلفة ، فكذلك كل حكم نُنزِّله حيث أنزله الله ، منها بأربع ، ومنها بشاهدين ، ومنها برجل وامرأتين ، ومنها شاهد واليمين ، فرأيتُك تحكم بدون هذا .

قال : وما أحكم بدون هذا ؟

● قال فقلت له : ما تقول فى الرجل والمرأة إذا اختلفا فى متاع البيت ؟

فقال : أصحابى يقولون فيه : ما كان للرجال فهو للرجال ، وما كان للنساء فهو للنساء .

قال فقلت : أبكتاب الله هذا ، أم بسنة رسول الله ؟ .

● قال وقلتُ له : فما تقول فى الرجلين إذا اختلفا فى الحائط ؟

فقال : فى قول أصحابنا : إذا لم يكن لهم بيِّنة يُنظَر إلى العقد ، مِن أين هو البناء فأحكم لصاحبه .

قال فقلت له : أبكتاب الله قلت هذا ، أم بسنة رسول الله قلت هذا ؟

● وقلتُ له : ما تقول فى رجلين ، بينهما خُص فيختلفان ، لمن يُحكَم إذا لم يكن لهما بيِّنة ؟

قال : أنظُر إلى معاقده من أى وجه هو فأحكُم له .

قلتُ له : بكتاب الله قلت هذا ، أم بسنة رسول الله ﷺ ؟

● قال : وقلتُ له : فما تقول فى ولادة المرأة ، إذا لم يكن يحضرها إلا امرأة واحدة ، وهى القابلة وحدها ، ولم يكن غيرها؟

قال : فقال : الشهادة جائزة بشهادة القابلة وحدها نقبلها.

قال : فقلتُ له : قلت هذا بكتاب الله ، أم بسنة رسول الله ﷺ؟

قال : ثم قلتُ له : مَن كانت هذه أحكامه فلا يطعن على غيره.

قال : ثم قلتُ له : أتعجَب من حكم حكم به رسول الله ﷺ ، وحكم به أبو بكر وعمر ، وحكم به على بن أبى طالب بالعراق ، وقضى به شُرَيح ؟ .

قال : ورجل من ورائى يكتب ألفاظى وأنا لا أعلم .

قال : فأُدخِل على هارون ، وقرأه عليه .

قال : فقال لى هَرْثَمة بن أعْيَن : كان مُتكِئًا فاستوى جالسا ، قال : اقْرأه علىَّ ثانيا .

قال : فأنشأ هارون يقول : صدق الله ورسوله ، صدق الله ورسوله ، صدق الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : « تَعَلَّمُوا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلَا تُعَلِّمُوهَا . قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَاتُؤَخِّرُوهَا » ما أُنكِر أن يكون محمد بن إدريس أعلَم مِن محمد بن الحسن .

قال : فرضى عنى ، وأمر لى بخمسمائة دينار .

قال : فخرج به هَرْثَمة ، وقال لى بالسوط هكذا ، فاتَّبعْتُه ، فحدثنى بالقصة ، وقال لى قد أمر لك بخمسمائة دينار ، وقد أضفْنا إليه مثلَه .

قال : فوالله ما ملكتُ قبلها ألف دينار إلا فى ذلك الوقت .

قال : وكنتُ رجلا أتشبَّع ، فكفانى الله على يَدَىْ مُصْعَب .

(ومن المسائل عن الحسين)

وقف الوالد رحمه الله على تصنيف الحسين فى الشهادات ، أظن أنى أنا الذى أحضرته إليه ، فكتب منه فوائده ها أنا أُحلُّها[1] ، ومن خط الشيخ الإمام أنقلها .

● منها : حكى الكَرابِيسىّ ، عن معاوية : أنه قبل شهادة أمِّ سلَمة لابن أخيها . وأجاز زُرَارة شهادةَ أبى مِجْلَز[2] وحده ، وأجاز شُرَيْح شهادة أبى إسحاق وحده ، وأجاز شُرَيح أيضا شهادةَ أبى قيس على مصحف وحده .

قال الكَرابِيسىّ : إن قال قائل : أُجِيز شهادة واحد وجبت استتابتُه ، فإن تاب وإلّا قُتِل .

قال : فإن قال قائل : هؤلاء من أهل العلم . قيل له : إنما يهدم الإسلامَ زَلّةُ عالم ، ولا يهدمه زَلّة ألف جاهل ، قد حكم بعض أهل العلم بما لا يحِل له ، ولا يجوز فى الإسلام : [3][فقد قضى شُرَيح بقضايا ليس عليها أحد من المسلمين][3] ، ولا له حجة من كتاب ، ولا سُنَّة ، ولا أثر ، ولا يثبت بجهة من الجهات .

● ومنها : إذا باعت الصَّداق ، وطلَّقها قبل الدخول ، قال مالك : لها نصف ما اشترتْ ما لم تستهلك منه شيئًا . وقال أبو يوسف ومحمد : يجب على مَن وَلِىَ من الحكام إبطال هذا الحكم . وردَّ عليهما الكَرابِيسىّ .

---

(١) فى المطبوعة : فكتب منه فوائدها أنا أملها . والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : مخلد . والمثبت من : ج ، د .

(٣) ساقط من : د .

● وقال أبو يوسف فى الحكم ببيع أم الولد : إنه يُنْقَض ، ثم رجع وقال : لا يُنْقَض ؛ للاختلاف فيه .

● نقل أبو عاصم ، أن الحسين قال : الخبر إذا رواه عالم من المحدِّثين أوجب العلمَ الظاهر والباطن كالتواتر .

● قال الحسين : سمعتُ الشافعىّ يقول : يُكْرَه للرجل أن يقول : قال الرسول ، ولكن يقول : قال رسول الله ﷺ ؛ ليكون معظِّما . رواه البَيْهَقىُّ(١) وغيره ، وهو فى كتاب أبى عاصم .

● وروى عن الشافعىّ أيضا أنه قال : اضطُرَّ الناس بعد رسول الله ﷺ ، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبى بكر ؛ فلذلك استعملوه على رقاب الناس .

قال أبو عاصم العَبَّادىّ : وهذا قول منه بأن إمامة المفضول لا تجوز .

● نقل العَبَّادى أن الكَرابيسىّ قال : إذا قال : أنت طالق مثل ألف ، طلّقت ثلاثة ؛ لأنه شبّه بعدد ، فصار كقوله : مثل عدد نجوم السماء ؛ أما إذا قال : مثل الألف–أى بالتعريف–فتُطَلّق واحدة إذا لم ينو شيئًا؛ لأنه تشبيه بعظيم، فأشبه ما لو قال : مثل الجبل .

وفى الرافعىّ عن المُتَوَلِّى ...(٢)

---

(١) مناقب الشافعى ١/ ٤٢٥ .

(٢) بعد هذا بياض فى الأصول . وفى ترجمة الكرابيسى فى الطبقات الوسطى هذه الزيادة : نقل أبو عاصم فى الطبقات أن أبا ثور والكرابيسى قالا : إن من أعسر بالحق فحلف أنه ليس عليه شىء كان بارا فى يمينه ؛ لأنه مضطر . وقال المزنى : يكون كاذبا ؛ لأنه لو لم يكن عليه شىء لما أنظر ، ولما صح إبراؤه ، بل ننظر : فإن كان الحبس يجهده ويضره حلف ؛ لأنه مضطر ، وإن لم يجهده فلا يجوز الحلف .

ونقل أبو عاصم : أن الكرابيسى روى عن الشافعى أنه قال : من استدان فادعى بعده أنه معسر يقبل قوله ؛ لأن المال غاد ورائح .

قال أبو عاصم : ومن الغريب الذى يشاكله ما روى أبو الطيب عن « القديم » أن القابض والمقبوض منه إذا اختلفا فى جهة الأداء ، فالقول قول القابض .

٢٦

الحسين القلّاس

بفتح القاف وتشديد اللام وفى آخرها السين المهملة ،

الفقيه البغدادىّ ، ويقال : اسمه الحسن*

قال الشيخ أبو إسحاق : كان مِنْ عِلْيَة أصحاب الحديث ، وحفّاظ مذهب الشافعىّ .

هكذا حكاه داود فى كتاب « فضائل الشافعىّ » عن أبى ثور ، وأبى علىّ الزَّعْفرانىّ . انتهى .

٢٧

حَرْملة بن يحيىٰ بن عبد الله بن حَرْملة بن عِمْران بن قُرَاد التُّجِيبِىّ**

نسبة إلى تُجِيب ، بضم التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر الجيم وسكون الياء آخر الحروف وفى آخرها باء موحدة ، وتُجِيب : قبيلة

كان إماما ، جليلا رفيع الشأن .

وُلد سنة ست وستين ومائة .

ورَوَى عن الشافعىّ ، وعبد الله بن وَهْب ، وأيوب بن سُوَيد الرَّمْلىّ ، وبِشْر بن بكر التِّنِّيسِىّ(١) ، وسعيد بن أبى مريم ، وغيرهم .

روَى عنه مسلم ، وابن ماجة ، وغيرهما .

وكان من أكثر الناس رواية عن ابن وَهْب .

---

* له ترجمة فى : الأنساب لوحة ٤٦٧ ، وفيه : والحسين وقيل الحسن وهو الأشبه ، تاريخ بغداد ٨/ ٨٦ ، طبقات الشيرازى ٨٤ . والقلاس : نسبة إلى القلس ، وهو الحبل الذى تربط به السفن .

** له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٢٩ الجمع بين رجال الصحيحين ١١٢ ، طبقات الشيرازى ٨٠ ، طبقات ابن هداية الله ٥ ، اللباب ١٦٩/١ ، وفيه : حرملة بن عمرو ، وفيات الأعيان ٣٥٣/١ .

(١) بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة والياء المثناة من تحت والسين المهملة ، نسبة إلى مدينة بديار مصر . اللباب ١٨٤/١ .

قال أبو عمر الكِنْدىّ : لم يكن بمصر أحد أكتب منه عن ابن وَهْب ؛ وذلك لأن ابن وَهْب أقام فى منزلهم سنة وستة أشهر ، مستخفيا من عبَّاد[1] لما طلبه يولِّيه قضاء مصر .

وعن حَرْمَلة : عادنى ابن وَهْب من رمد أصابنى ، وقال لى : يا أبا حفص ، إنه لا يُعاد من الرَّمد ، ولكنَّك من أهلى .

وعن أحمد بن صالح المصرىّ : صنَّف ابن وَهْب مائة ألف وعشرين ألف حديث ، عند بعض الناس منها النِّصفُ ، يعنى نفسَه ، وعند بعض الناس الكُلُّ ، يعنى حَرْمَلة .

وقال محمد بن موسى الحَضْرَمِىّ : حديث ابن وَهْب كله عند حَرْمَلة ، إلا حديثَيْن .

وقال هارون بن سعيد : سمعتُ أشهب ، ونظر إلى حَرْمَلة فقال : هذا خير أهل المسجد .

قلتُ : تكلم بعضهم فى حَرْمَلة ، فعن أبى حاتم : لا يُحتَجّ به .

وأنصف ابن عَدِىّ فقال : قد تبحَّرتُ حديث حَرْمَلة ، وفتَّشْتُه الكثير ، فلم أجد فى حديثه ما يجب أن يُضعَّف من أجله ، ورجل توارى ابن وَهْب عندهم ، ويكون حديثه كله عنده ، فليس ببعيد أن يُغْرِب على غيره .

قلتُ : هذا هو الحق ، وحَرْمَلة ثقة ثبْت إن شاء الله .

صنَّف « المبسوط » و « المختصر » .

ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(ومن الرواية عن حرملة)

قال حرملة : حدثنا الشافعىّ ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ ، قال : « الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاءِ » .

قال الحاكم : هذا الحديث ليس هو فى الموطأ .

قال : وكذلك رَوَى عن الشافعىّ ، عن مالك ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعْرَج ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ ، قال : « الْعَجْمَاءُ جَرْحُهَا جُبَارٌ[2] ، وَالْبِئْرُ جُبَارٌ ، وَالْمَعْدِنُ جُبَارٌ » وليس فى الموطّأ .

---

(1) عباد بن محمد بن يحيى . الولاة والقضاة ١٤٩ ، ٤١٧ . وفى حسن المحاضرة ٢/ ٥٩٣ : عباد بن نصر الكندى .

(2) العجماء : الدابة ، والجبار : الهدر . النهاية ١ / ٢٣٦ .

(ومن الفوائد عن حرملة)

قال حرملة : سمعتُ الشافعىّ ، يقول : ما حلفتُ بالله صادقا ولا كاذبا قطُّ .

قال حرملة : سمعتُ الشافعىّ ، يقول : أئمة العدل أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنهم ، وكذا رواه عن الشافعىّ الربيعُ بن سليمان .

قال حَرْملة : وسمعتُ الشافعىَّ ، يقول : إذا رأيت كَوْسَجًا فاحْذره ، وما رأيتُ من أزرق خيرا .

قال : وسمعتُه ، يقول : ما تُقُرِّب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم .

● قال : وسمعته يقول فى حديث « اشْتَرِطِى لَهُمُ الْوَلَاءَ » : معناه عليهم . قال الله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾[1] يعنى : عليهم .

قلتُ : وقد رُوِى عن الشافعىّ تضعيفُ هذا التأويل . وقيل : إنما تأوَّله هكذا المُزَنِىّ ، وقد عزاه حرملة إلى الشافعىّ نفسه . فهى فائدة .

● وقال حَرْملة : عن الشافعىّ فى قوله ﷺ : « بَيْدَ أَنَّهُمْ » أى : من أجل أنهم .

● قال : وقال الشافعىّ : لا يقل أحد : ما شاء الله وشئت . إذ قد جعل فاعلَيْن ، بل : ما شاء الله ثم شئت .

قال حرملة : كان الشافعىّ رضى الله عنه وهو حَدَث ينظر فى النجوم ، وكان له صديق وعنده جارية قد حبلت ، فقال : إنها تلد إلى سبعة وعشرين يوما بولد ، ويكون فى فخذه الأيسر خال أسود ، ويعيش أربعة وعشرين يوما ، ثم يموت . فجاء الأمر كما وصف ،

---

(١) سورة الرعد ٢٥ .

فحرَّق تلك الكتب ، وما عاد إلى النظر فى شىء منها .

قال حرملة : كان الشافعىّ يخرج لسانه فيبلغ أنفه .

● قال حَرْملة : سمعت سفيان بن عُيَيْنَة ، يقول فى تفسير حديث النبىّ ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » قال : يستغنى به .

وقال الشافعىّ : ليس هو هكذا ؛ لو كان هكذا لقال : يَتَغَانَا ؛ إنما هو يتحزَّن ، ويترنم به ، ويقرأه حَدْرا[1] وتحزينا .

(ومن المسائل عن حرملة)

● قال الرافعىّ عن نص الشافعىّ : فى حرملة : إنه إذا أهدى مشرك إلى الإمام أو الأمير هدية ، والحرب قائمة فهى غنيمة ، بخلاف ما إذا أهدى قبل أن يرتحلوا عن دار الإسلاَم . وعن أبى حنيفة : أنها للمُهْدَى إليه بكل حال . انتهى .

وذكر النووىّ فى « الروضة » هذا الفرع ، وقال فيه : بخلاف ما إذا أهدى قبل أن يرتحلوا عن دار الإسلام ؛ فإنه للمُهْدَى إليه . والحكم بكونه للمُهْدَى إليه إنما هو منقول الرافعىّ عن أبى حنيفة . وأما على مذهبنا فلم يذكره الرافعىّ ، والذى ينبغى أنه يكون فيئًا ، على قياس هدايا العُمَّال .

وفى « البحر » للرُّويَانىّ ما يوافق ما وقع فى « الروضة » لكنه غير مُسلَّم . نبه على ذلك الوالد رحمه الله فى كتاب « هدايا العمال » .

● قال حَرْملة : سمعت الشافعىّ يقول : مَن زعم من أهل العدالة أنه يرى الجنَّ أبطلنا شهادته ؛ لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[2] إلا أن يكون نبيًّا . ذكره الآبُرىّ فى « كتاب المناقب » .

---

(١) الحدر فى القراءة : الإسراع .
(٢) سورة الأعراف ٢٧ .

● ذهب حرملة فيمن رهن عينا عند[1] مَن هى عنده بوديعة أو نحوها ، أنه لا حاجة إلى مضىّ زمان يتأتّى فيه صورة القبض[2] .

وقضية كلام « المهذب » و « التتمة » أنه قال نقلا عن الشافعىّ ، لا مذهبا لنفسه . لكن صرح الشيخ أبو حامد وجماعة – كما ذكر النَّووىّ – أنه إنما قال مذهبا لنفسه ، لا نقلا .

ثم جعل النووىُّ المسألة ذات وجهين ، كقول حَرْملة ، فإنه وإن لم ينقله فهو صاحب وجه . هذا بعد قوله : « نبهت على كونه إنما قاله مذهبا لنفسه ؛ لئلا يغيّر به »[3] .

ولك أن تقول : إثبات كونه وجها يستدعى أن يكون قاله تخريجا على أصل الشافعىّ ، وإلا فقد ينفرد حَرْملة فى بعض المسائل ، ويخرج عن المذهب تأصيلا وتفريعا ، كما قد يفعل ذلك المُزَنِىّ وغيره فى بعض الأحايين .

● قال الشيخ أبو حامد فى « الرونق » والمحامِلىّ فى « اللباب » كلاهما فى « كتاب الأشربة » ، قال : فى حرملة : إذا وجد ماء طاهرا أو ماء نجسا ، واحتاج إلى الطهارة توضأ بالطاهر ، وشرب النجس .

قلتُ : وهو ما ذكره أبو علىّ الزَّجَّاجِىّ ، والماوَرْدِىّ ، وغيرهما . لكن أنكره الشَّاشِىّ ، واختار أنه يشرب الطاهر ويتيمم . وصحَّحه النووىّ ، لكنى ما أظنه اطّلع على ما فى حرملة ، فلعله لو اطّلع عليه لوقف عن تصحيح شرب الطاهر ، على أن ما صحَّحه هو الذى يظهر إن كان النجس مما يُعاف استعماله .

---

(١) فى ج : إلى عند .

(٢) ذكر ابن السبكى المسألة فى الطبقات الوسطى مفصلة على هذا النحو : قد عرف أن أصح الطرق فى المذهب ، أنه إذارهن عند رجل عينا هى عنده ، إما بوديعة أو نحوها ، فلا بد من إذن جديد من الراهن للمرتهن فى القبض ، سواء شرط الإذن أم لا ، فلا يلزم العقد ما لم يمض زمان يتأتى فيه صورة القبض ؛ لكن إذا شرط الإذن فهذا الزمان يعتبر من وقت الإذن ، وإن لم يشترط فمن وقت العقد ، وقال حرملة : لا حاجة إلى مضى هذا الزمان ويلزم العقد بنفسه .

(٣) فى المطبوعة : يغتر ، وفى د : يغر . والمثبت من : ج .

٢٨
الربيع بن سليمان بن داود الجِيزِىّ
أبو محمد ، الأزْدىّ مولاهم ، المصرىّ ، الأعرج . وقيل : ابن الأعرج*

كان رجلا فقيها ، صالحا .

روى عن الشافعىّ ، وعبد الله بن وَهْب ، وإسحاق بن وَهْب ، وعبد الله بن يوسف ، وغيرهم .
روى عنه أبو داود ، والنَّسائىّ ، وأبو بكر بن أبى داود ، وأبو جعفر الطَّحاوىّ ، وغيرهم .

توفى فى ذى الحجة سنة ست وخمسين ومائتين ،وقيل : سنة سبع وخمسين .

● وهو الذى روى عن الشافعىّ أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة .

● وأن الشَّعَرَ بعد الممات يتبع الذات ؛ قياسا على حال الحياة . يعنى أنه يطهرُ بالدِّباغ .

٢٩
الربيع بن سليمان بن عبد الجبَّار بن كامل ، المُرَادىّ
مولاهم ، الشيخ أبو محمد المُؤَذِّن**

صاحب الشافعىّ ، وراوية كتبه ، والثقة الثَّبْت فيما يرويه ، حتى لقد[1] تعارض هو وأبو إبراهيم المُزَنىّ فى رواية فقدّم الأصحاب روايته ، مع علو قدر أبى إبراهيم علما ودينا وجَلالة وموافقةِ ما رواه للقواعد .

---

* له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٥ ، شذرات الذهب ٢/ ١٥٩ ، طبقات الشيرازى ٨١ ، طبقات ابن هداية الله ٦ ، اللباب ١ / ٢٦٣ ، وفيات الأعيان ٢ / ٥٣ .

** له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤٨ ، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٥ ، شذرات الذهب ٢/ ١٥٩ ، طبقات الشيرازى ٧٩ ، طبقات ابن هداية الله ٦ ، العبر ٢ / ٤٥ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٨ ، وفيات الأعيان ٢ / ٥٢ .

(١) فى المطبوعة : حتى لو تعارض هو وإبراهيم المزنى فى رواية لقدم الأصحاب روايته . والمثبت من : ج . ومن قوله : « هو وأبو إبراهيم » إلى « قدر أبى » ساقط من : د .

● ألا ترى أن أبا إبراهيم روَى لفظا : أن الشافعيّ رضى الله عنه قال : ولو كان العبد مجنونا عَتَق بأداء الكتابة ، ولا يرجع أحدهما على صاحبه بشيء . وهذا هو القياس ؛ فإن المجنون وقت العقد لا يصح عقْدُ الكتابة معه ، وما هو إلا تعليق محض فيعتِق بوجود الصفة ، ولا يراجع بالقيمة . وهذا هو الذى يُفْتَى به مذهبًا .

وروى الربيع هذه الصورة بهذه اللفظة ، وقال : يتراجعان بالقيمة . وهذا يتضمَّن كون الكتابة الجارية مع المجنون كتابة فاسدة ، يتعلق بها التراجع عند حصول العتق ، وهذا على نهاية الإشكال ؛ فإن المجنون[1] وهو المجنون ، لا عبارة له .

ثم قال ابن سُرَيج فيما[2] نقله الصَّيْدَلَانِىّ ، وجماعات : الصحيح ما نقله الربيع . قال إمام الحرمين : وقد ظهر عندنا أن ابن سُرَيج لم يصحِّح ما رواه الربيع فقها ، ولكنه رآه أوْثق فى النقل .

وقال أبو إسحاق : الصحيح ما نقل المُزَنىّ .

قال المحققون من أئمتنا : ومراده أن رواية المُزَنىّ هى الصحيحة فقها لا نقلا ، فلا تعارض بين ما صححه أبو إسحاق ، وما صححه ابن سُرَيج .

وقد خرج من هذا ما هو موضع حاجتنا من علو قدر الربيع فيما يرويه .

ولد الربيع سنة أربع وسبعين ومائة .

واتصل بخدمة الشافعىّ وحمل عنه الكثير ، وحدث عنه به ، وعن عبد الله بن وَهْب ، وعبد الله بن يوسف التِّنِّيسِىّ ، وأيوب بن سُوَيد الرَّمْلِىّ ، ويحيى بن حسّان ، وأسد بن موسى ، وجماعة .

روى عنه أبو داود، والنَّسائىّ، وابن ماجة، وأبو زُرْعة الرَّازِىّ، وأبو حاتم، وابنه عبد الرحمٰن، وزكريا السَّاجِىّ، وأبو جعفر الطَّحاوِىّ، وأبو بكر عبد الله بن محمد

---

(١) فى المطبوعة : المخبول ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : كما ، وفى د : مما . والمثبت من : ج .

ابن زياد النَّيسابُورِىّ ، والحسن بن حَبيب الْحَصَائِرِىّ[1] ، وابن صاعِد ، وأبو العباس الأَصَمّ ، وآخرون ، آخرهم أبو الفوارس السِّنْدِىّ ، وروى عنه التِّرمِذىّ بالإجازة .

ولد سنة أربع وسبعين ومائة[2] .

وكان مؤذنا بالمسجد الجامع بفُسطاط مصر ، المعروف اليوم بجامع عمرو بن العاص .

وكان يقرأ بالألحان ، وكان الشافعىّ يحبه ، وقال له يوما : ما أحبَّكَ إلىّ !

وقال : ما خدمنى أحد قطُّ ما خدمنى الربيع بن سليمان .

وقال له يوما : يا ربيع ، لو أمكننى أن أطعمك العلم لأطعمتك .

وقال القفّال فى « فتاويه » كان الربيع بطىء الفهم ، فكرر الشافعىّ عليه مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم ، وقام من المجلس حياء ، فدعاه الشافعىّ فى خلوة ، وكرر عليه حتى فهم .

وكانت الرحلة فى كتب الشافعىّ إليه من الآفاق نحو مائتى رجل ، وقد كاشفه الشافعىّ بذلك ، حيث يقول له فيما روى عنه : أنت راوية كتبى .

ومن شعر الربيع :

صبرًا جميلا ما أسرعَ الفرجَا   مَن صدَّق الله فى الأمور نجَا

مَن خشِىَ الله لم ينلْه أذَى   ومن رجا الله كان حيث رجَا

وقيل : كانت فيه سلامة صدر ، وغَفْلة .

قلتُ : إلا أنها باتفاقهم لم تنته به إلى التوقُّف فى قبول روايته بل هو ثقة ، ثبت ، خرَّج إمام الأئمة ابن خُزيمة حديثَه فى صحيحه ، وكذلك ابن حِبَّان ، والحاكم .

قال ابن أبى حاتم : سمعنا منه ، وهو صدوق . وسئل أبى عنه ، فقال : صدوق . انتهى[3] .

وقال الخليل فى « الإرشاد » : ثقة متفَّق عليه .

قال الطَّحاوىّ : مات الربيع بن سليمان ، مؤذن جامع الفسطاط ، يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء لإحدى وعشرين ليلة خلت من شوال ، سنة سبعين ومائتين ، وصلى عليه الأمير خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون .

---

(١) بفتح الحاء والصاد المهملتين . انظر المشتبه ٢٣٨ .

(٢) ذكر المصنف هذا الخبر فى الصفحة السابقة .

(٣) الجرح والتعديل ٣/ ٤٦٤ .

قلتُ : وعاش ابنه أبو الْمَضَا[1] محمد بعده ثلاث سنين .

ولهم شيخ آخر يقال له الربيع بن سليمان ، مات سنة ثلاث وسبعين . نبهنا عليه ؛ لئلا يشتبه .

(وهذه نخب وفوائد عن الربيع ، رحمه الله)

قال أبو عاصم : روَى الربيع عن الشافعىّ أنه قال : فى الأكل أربعة أشياء فرض وأربعة سنة ، وأربعة أدب ، أما الفرض : فغسل اليدين ، والقصعة ، والسكين ، والمِغْرفة . والسنة : الجلوس على الرِّجل اليسرى ، وتصغير اللُّقَم ، والمضغ الشديد ، ولعق الأصابع . والأدب : أن لا تمديدك حتى يمد مَن هو أكبر منك ، وتأكل مما يليك ، وقلة النظر فى وجوه الناس ، وقلة الكلام .

قال الربيع : دخلت على الشافعىّ ، وهو مريض فقلت : قوَّى الله ضعفَك . فقال : لو قوَّى ضعفى قتلنى . قلتُ : والله ما أردت إلا الخير . قال : أعلم أنك لو شتمتنى لم ترد إلا الخير .

وفى رواية : قل قوَّى الله قوّتَك ، وضعَّف ضعفَك .

قلتُ : أما قد جاء فى أدعية النبىّ ﷺ : « وَقَوِّ فِى رِضَاكَ ضَعْفِى » !

● وعن حُبَيش[2] بن مبشِّر : حضرت مجلسا بالعراق فيه الشافعىّ فجرى ذكر ما يحل ويحرم من حيوان البحر ، فتقلَّد الشافعىّ مذهبَ ابن أبى ليلى : أنه يحل كل ما فى البحر حتى الضِّفدع والسرطان ، إلا شيئا فيه سم ، فتكلَّم فحسن كلامه .

قال الربيع : فعلَّقْته ، وعرضته عليه ، فاستحسنه واختاره .

قلتُ : هو قول للشافعىّ شهير ، وقد نسبه الشيخ أبو عاصم إلى رواية الربيع .

---

(١) فى المطبوعة : أبو المعنى . والمثبت من : ج ، د . ورسمه فيهما هكذا : أبو المضى .

(٢) بضم الحاء وفتح الباء . انظر المشتبه ٢٧١ .

وروى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الأسَدىّ فى كتابه فى « مناقب الشافعىّ » أن الربيع قال : كان الشافعىّ لا يرى الإجازة فى الحديث ، وأنه قال : أنا أخالف الشافعىّ فى هذا .

قال الربيع : سمعتُ الشافعىّ يقول : مَن استُغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استُرضىَ فلم يرضَ فهو لئيم . وفى لفظ : شيطان . ومن ذُكِّرَ فلم ينْزَجر فهو محروم ، ومن تعرَّض لما لا يعنيه فهو الملوم .

قال الربيع : سمعتُ الشافعىّ يقول : ما حلفت بالله صادقا ولا كاذبا ، جادا ولا هازلا .

قلتُ : روَى هذا عن الشافعىّ جماعات من أصحابه : الربيع ، وحَرْملة ، وغيرهما . وقد قال الربيع : سمعت الشافعىّ يقول : والله الذى لا إله إلا هو ، لو علمت أن شرب الماء البارد يَنْقُص مروءتى ما شربتُه .

قال الربيع : سمعت الشافعىّ يقول : أنفع الذخائر التقوى ، وأضرّها العدوان .

قال : وسمعتُه يقول : لا خير لك فى صحبة مَن تحتاج إلى مُداراته .

● قال الربيع : قال الشافعىّ ، فى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[1] : لم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمتُ أن السُّدَى الذى لا يُؤْمر ولا يُنْهى .

قلتُ : وكذلك ذكره رضى الله عنه فى « الرسالة »[2] ، قرأته على الشيخ الإمام كذلك فى درس الغزَّالية .

● قال الربيع : سئل الشافعىّ عن الرُّقْية ، فقال : لا بأس أن يُرْقى بكتاب الله ، أو ذكر الله جل ثناؤه .

فقلتُ : أَيَرْقِى أهلُ الكتابِ المسلمين ؟

فقال : نعم ، إذا رَقُوا بما يُعرَف من كتاب الله ، أو ذكر الله .

فقلتُ : وما الحجة فى ذلك ؟

---

(١) سورة القيامة ٣٦ .

(٢) الرسالة ص ٢٥ .

فقال : غيرُ حجة ؛ فأما رواية صاحبنا وصاحبكم ، فإن مالكا أخبرنا ، عن يحيى ابن سعيد ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمٰن: أن أبا بكر دخل على عائشة ، وهى تَشتكى ، ويهودية ترْقيها ، فقال أبو بكر : ارْقيها بكتاب الله .

فقلتُ للشافعىّ : إنا نكره رُقية أهل الكتاب .

فقال : ولِم ، وأنتم ترؤون هذا عن أبى بكر ، ولا أعلمكم ترؤون هذا عن غيره من أصحاب النبىّ ﷺ خلافَه ، وقد أحل الله طعامَ أهل الكتاب ونساءهم ، وأحسب الرقية إذا رَقُوا بكتاب الله مثل هذا ، أو أخفّ .

قلتُ : روَى ذلك الحاكم فى « مناقب الشافعىّ » عن الأصمّ ، عن الربيع . وأظن السائل والمناظر للشافعىّ فى ذلك محمد بن الحسن .

● وقد تضمّن أن قول الصحابىّ إذا لم يُعرَف له مخالفٌ حجةٌ عند من لا يراه حجة ، إذا خالفه غيره .

● ونظيره ذكرُ الربيع أيضا مناظرة الشافعىّ مع محمد بن الحسن ، فى زكاة مال اليتيم ، وقول الشافعىّ فى أثناء كلامه : إلا أن أصل مذهبنا ومذهبك أنا لا نخالف الواحد من أصحاب النبىّ ﷺ ، إلا أن يخالفه غيرُه منهم . فى مناظرة طويلة فى المسألة .

● وذكر الربيع مناظرته أيضا مع محمد بن الحسن فى المُدَبَّر ، وفيها قول الشافعىّ لمحمد بن الحسن : هل لك أن تقول على غير أصل ، أو قياس على أصل ؟ قال : لا .

قلتُ : « فالأصل » كتاب الله ، أو سنة رسول الله ﷺ ، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، أو إجماع الناس . فى مناظرة طويلة ، قال الشافعىّ فى آخرها : فرجع محمد إلى قولنا فى بيع المُدبَّر .

● قال الربيع : قال الشافعىّ : قلتُ لمحمد بن الحسن : لم زعمتَ أنه إذا أدخل يده فى الإناء بنية الوضوء ينجسُ الماء ؟ وأحسب لو قال هذا غيركم لقلتم عنه : إنه مجنون .

فقال : لقد سمعتُ أبا يوسف يقول : قولُ الحجازيين فى الماء أحسن من قولنا ، وقولنا فيه خطأ .

قلتُ : فأقام عليه ؟ .

قال : قد رجع إلى قولكم نحوا من شهرين ، ثم رجع .

قلتُ : ما زاد رجوعه إلى قولنا قوة ، ولا وَهَّنه رجوعه عنه .

قال الربيع : سمعتُ الشافعيّ يقول ، وسأله رجل عن مسألة ، فقال : يُروَى عن النبيّ ﷺ أنه قال : كذا وكذا . فقال له السائل : يا أبا عبد الله ، أتقول بهذا ؟ فارتعد الشّافعيّ ، واصفر وحال لونُه ، وقال : ويْحك ، أيُّ أرض تُقِلّني ، وأيُّ سماء تُظِلّني إذا رويتُ عن رسول الله ﷺ شيئا فلم أقل به ! نَعَم على الرأس والعين .

وفى لفظ : متى رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثا ، ولم آخذ به ، فأُشْهِدكم أن عقلى قد ذهب .

وفى لفظ آخر رواه الزَّعْفَرانيّ : سمعتُ الشافعيّ يقول لمن قال له : أتأخذ بهذا الحديث : ترانى فى بِيعَة ، ترانى فى كنيسة ، ترى علىّ زِىّ الكفار ! هو ذا ترانى فى مسجد المسلمين ، علىّ زِىُّ المسلمين ، مستقبلَ قبلتهم ، أروى حديثا عن النبىّ ﷺ ، ثم لا أقول به !

ورواه أيضا الحُمَيدىّ ، وجماعات ؛ فكأنه وقع له مرات رضى الله عنه .

قال الربيع : سمعتُ الشافعيّ يقول : إذا ضاقت الأشياء اتسعت ، وإذا اتسعت ضاقت .

قال : وسمعته يقول : مَن صَدق فى أُخوّة أخيه قَبِل عِلَله وسدَّ خَلَله ، وعفا عن زَلَله .

قال : وسمعتُه يقول : الكيِّس العاقل هو الفطن المتغافل .

وقال ابن خُزَيمة فيما ذكره البَيْهَقىّ : سمعتُ الربيع يقول : سمعتُ الشافعىّ يقول : أكره أن يقول : أعظم الله أجرك . يعنى فى المُصاب ؛ لأن معناه : أكثر الله مصائبك ليَعظُم أجرُك .

قلتُ : لنا فى هذا من البحث كما قدمناه[1] فى « قوّى الله ضعفك » فكلاهما فى السنّة .

---

(١) فى المطبوعة : ما قدمناه . وفى د : لنا فى هذا بحث كما قدمناه ، والمثبت من : ج . انظر ص ١٣٥

وقال ابن خُزَيمة أيضا : حدثنا الربيع قال : كان الشافعىّ إذا أراد أن يدخل فى الصلاة قال : بسم الله ، متوجها لبيت الله ، مؤديا لعبادة الله .

قال الربيع : قلتُ للشافعىّ : مَن أقدر الناس على المناظرة ؟ فقال : مَن عوَّد لسانه الركْض فى ميدان الألفاظ ، ولم يتلعثم إذا رمقتْه العيون بالألحاظ .

٣٠

سليمان بن داود بن داود بن على بن عبد الله بن عباس القرشىّ الهاشمىّ ، أبو أيوب ، البغدادىّ*

روى عن الشافعىّ ، وغيره .

وروى عنه أحمد بن حنبل ، وغيره .

قال أحمد بن حنبل : لو قيل لى : اختر للأمة رجلا استخلفه عليهم ، استخلفت سليمان بن داود الهاشمىّ .

وعن الشافعىّ : ما رأيت أعقل من هذين الرجلين : سليمان بن داود ، وأحمد بن حنبل .

توفى سنة تسع عشرة ومائتين ، وقيل سنة عشرين .

أخبرنا أحمد بن على الجزَرىّ ، وفاطمة بنت إبراهيم فى كتابهما ، عن محمد بن عبد الهادى عن السِّلَفِىّ ، أخبرنا المبارك بن الطُّيُورِىّ ، أخبرنا أبو الفتح عبد الكريم بن محمد ، أخبرنا على بن عمر ، حدثنا أبو بكر بن زياد النَّيسابُورِىّ ، حدثنا عبد الله ابن‌أحمد ، حدثنى أبى ، حدثنا سليمان بن داود الهاشمىّ ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعىّ ، حدثنا يحيى بن سُلَيم ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن النبىَّ ﷺ صلى فى كسوف الشمس ركعتين ، فى كل ركعة ركعتين .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٩/ ٣١ ، تهذيب التهذيب ٤/ ١٨٧ ، شذرات الذهب ٢/ ٤٥ ، طبقات القراء ١ / ٣١٣ ، العبر ١ / ٣٧٦ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣١ . وفى المطبوعة : سليمان بن داود بن على . وكذلك فى الشذرات والعبر . والمثبت من : ج ، د ، وبقية المصادر .

٣١

عبد الله بن الزبير بن عيسى ، القرشيّ ، الأسديّ ، المكيّ
محدِّث مكة ، وفقيهها ،
أبو بكر الحُمَيْدِىّ : [نسبة إلى] حُمَيد بن زهير بن الحارث بن أسد*

روَى عن الشافعيّ ، وتفقه به ، وذهب معه إلى مصر ، وسفيان بن عُيَيْنة .

قال شيخنا الذهبيّ : وهو أجل أصحابه ، وعبدِ العزيز الدَّرَاوَرْدِىّ ، وفُضَيل بن عِياض ووكيع ، وغيرهم .

روى عنه البخاريّ ، ويعقوب بن سفيان ، ومحمد بن يحيىٰ الذُّهْلىّ ، وسلَمة بن شبيب ، وأبو زُرْعة ، وأبو حاتم الرَّازيَّان ، وخلق .

قال أحمد بن حنبل : الحُمَيْدِىّ عندنا إمام جليل .

وقال أبوحاتم : أثبت الناس فى ابن عُيَينة الحُمَيْدِىّ .

وعن الربيع : سمعت الشافعيّ يقول : ما رأيت صاحب بلغم أحفظ من الحُمَيْدِىّ ، كان يحفظ لابن عُيَينة عشرة آلاف حديث .

وقال ابن حِبّان : جالس ابنَ عُيَينة عشرين سنة .

قلتُ : إن كان ما قاله أبو حاتم والشافعىّ وابن حِبَّان هو الحامل للذهبىّ على قوله : إن الحُمَيْدِىّ أجلُّ أصحاب ابن عيينة ، فليس ذلك بكاف فيما قال .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحُمَيْدِىّ ، وما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه .

وقال محمد بن إسحاق المَرْوزِىّ : سمعتُ إسحاق بن رَاهُويه يقول : الأئمة فى زماننا : الشافعيّ والحُمَيْدِىّ ، وأبو عُبَيد .

---

* له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/ ١ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٥،، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٦٥ ، وقد ذكر نسبه على نحو لا يلبس ، هكذا : عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد وإليه بنسب ، أبو بكر الحميدى القرشى المكى ، شذرات الذهب ٢ / ٤٥ ، طبقات الشيرازى ٨١ ، طبقات ابن هداية الله ٣ ، العبر ١ / ٣٧٧ ، اللباب ١ / ٣٢١ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣١ . وما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق .

وقال على بن خلف : سمعتُ الحُمَيْدِىّ يقول : ما دمتُ بالحجاز ، وأحمد بالعراق ، وإسحاق بخُراسان لا يغلبنا أحد .

قلتُ : ومن ثَمّ قال الحاكم أبو عبد الله : الحُمَيْدِىّ مفتى أهل مكة ومحدِّثهم ، وهو لأهل الحجاز فى السنة كأحمد بن حنبل لأهل العراق . انتهى .

وقال السَّرَّاج : سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول : الحُمَيْدِىّ إمام فى الحديث .

قال ابن سعد ، والبخارىّ : توفى بمكة سنة تسع عشرة ومائتين .

وزاد ابن سعد : فى شهر ربيع الأول ، وقد أغفل شيخنا المِزِّىّ حكاية الشهر عن ابن سعد وحكى عنه السَّنَة .

(ومن الفوائد عن الحميدىّ)

قال الربيع بن سليمان : سمعت الحُمَيْدِىّ يقول : قدم الشافعىّ من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فى منديل ، فضرب خباءه فى موضع خارجا من مكة ، وكان أناس يأتونه ، فما برح حتى ذهبت كلها .

وقال الحُمَيْدِىّ : ذكر رجل للشافعىّ حديثًا ، وقال : أتقول به ؟ فقال : أرأيت فى وسطى زُنَّارا ، أترانى خرجت من كنيسة حتى تقول لى هذا !

ومن طريق الحُمَيْدِىّ رويتُ :

(المناظرة الشهيرة بين محمد بن الحسن والشافعىّ رضى الله عنهما)[1]

● وملخصها : قال له محمد : ما تقول فى رجل غصب من رجل ساجة[2] ، فبنى عليها بناء أنفق فيه ألف دينار ، ثم جاء صاحب الساجة أثبت بشاهدين عدلين ، أن هذا اغتصبه هذه الساجة ، وبنى عليها هذا البناء ، ما كنت تحكم ؟

---

(١) انظرها فى آداب الشافعىّ ومناقبه ١٦٠ - ١٦٣ ، وحواشيه .
(٢) الساجة : الخشب من شجر الساج .

قال الشافعيّ : أقول لصاحب الساجة يجب أن تأخذ قيمتها ، فإن رضىَ حكمتُ له بالقيمة ، وإن أبى إلا ساجتَه قلعتُها ورددتها عليه .

فقال محمد : فما تقول فى رجل اغتصب من رجل خيط إبْرِيسَم[1] ، فخاط به بطنه ، فجاء صاحب الخيط ، فأثبت بشهادة عدلين أن هذا اغتصبه هذا الخيط ، أكنت تنزع الخيط من بطنه ؟

فقال الشافعيّ : لا .

فقال محمد : الله أكبر ، تركتَ قولك !

فقال الشافعيّ : لا تعجل [يا محمد][2] أخبرنى لو لم يغصب الساجة مِن أحد ، وأراد أن يقلع عنها هذا البناء ، أمباح له ذلك أم محرَّم عليه ؟

فقال محمد : بل مباح .

فقال الشافعيّ : أفرأيت لو كان الخيط خيْطَ نفسِه ، فأراد أن ينزعه من بطنه ، أمباح له ذلك أم مُحرَّم ؟

فقال محمد : بل محرَّم .

فقال الشافعيّ : فكيف تقيس مباحا على محرَّم ؟

فقال محمد : أرأيت لو أدخل غاصب الساجة فى سفينة ، ولَجَّجَ فى البحر ، أكنت تنزع اللوح من السفينة ؟

فقال الشافعيّ : لا[3] بل آمره أن يقرب سفينته إلى أقرب المراسى إليه ، ثم أنزع اللوح ، وأدفعه إلى صاحبه .

فقال محمد : أليس قد قال رسول الله ﷺ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » ؟

فقال الشافعيّ : هو أضرَّ بنفسه ، لم يضرَّ به أحد .

ثم قال الشافعيّ : ما تقول فى رجل اغتصب من رجل جارية ، فأولدها عشرة ، كلهم

---

(١) الإبريسم : الحرير .

(٢) زيادة من : ج .

(٣) هنا زيادة انظرها فى آداب الشافعيّ .

قد قرأوا القرآن ، وخطبوا على المنابر ، وحكموا بين المسلمين[1] ، فأثبت صاحب الجارية بشاهدين عدلين أن هذا اغتصبها منه ، ناشدتك الله بماذا كنت تحكم ؟

قال : أحكم بأن أولاده أرقّاء لصاحب الجارية .

فقال الشافعىّ : أيهما أعظم عليه ضررا : أن يجعل أولاده أرقاء ، أو يقلع البناء عن الساجة ؟[2]

٣٢
عبد العزيز بن عِمران بن أيوب بن مِقْلاص
الإمام أبو علىّ ، الخُزاعىّ مولاهم ، المصرىّ ، الفقيه*

أخذ عن الشافعىّ ، وعن عبد الله بن وَهْب .

روى عنه أبو زُرْعَة ، وأبو حاتم ، وغيرهما .

وهو ابن بنت سعيد بن أبى أيوب .

كان فقيها زاهدا ، توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين .

(ومن المسائل عنه)

● روى ابن مِقْلاص عن الشافعىّ : أن السَّويق مخالف للحنطة ، والدقيق مجانس لها ، والمشهور عند الأصحاب أن السويق كالدقيق .

قال الوالد رحمه الله : وينبغى التثبت فيما نقل ابنُ مِقْلاص ؛ فإن السَّويق فى هذه البلاد

---

(١) فى المطبوعة : الناس . والمثبت من : ج ، د .

(٢) بعد هذا فى الطبقات الوسطى زيادة :

عبد الحميد بن الوليد

ابن المغيرة ، أبو زيد ، المصرى ، النحوى

روى عن مالك ، والليث ، وابن هيعة ، وغيرهم .

توفى فى شوال سنة إحدى عشرة ومائتين .

* له ترجمة فى : طبقات ابن هداية الله ٤ ، القاموس (ق ل ص) .

إنما يستعمل من الشعير ، وحينئذ لا إشكال فى مخالفته للحنطة ، وإنما يُستَغرب[1] منقول ابن مِقْلاص إذا صرَّح بالفرق بين السويق والدقيق من جنس واحد .

٣٣
عبد العزيز بن يحيىٰ بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكِنَانِىّ ، المكىّ*

الذى يُنسَب إليه كتاب « الحَيْدَة » .

روى عن سفيان بن عُيَيْنَة ، ومروان بن معاوية الفَزَارىّ ، وعبد الله بن مُعاذ الصَّنْعَانِىّ[2] ، ومحمد بن إدريس الشافعىّ ، وبه تخرج ، وهشام بن سليمان المَخْزومىّ ، وغيرهم .

روى عنه أبو العَيْناء محمد بن القاسم بن خَلَّاد ، والحسين بن الفضل البَجَلىّ ، وأبو بكر يعقوب بن إبراهيم التَّيْمِىّ ، وغيرهم . وهو قليل الحديث .

ويقال: كان يلقّب بالغُول ؛ لدمامة منظره .

وعن أبى العيناء : لما دخل عبد العزيز المكىّ على المأمون ، وكانت خِلْقته شَنِعة جدًّا ، ضحك أبو إسحاق المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين لِمَ يضحك هذا ؟ ! لم يصطف الله يوسف عليه السلام لجماله ، وإنما اصطفاه الله لدينه وبيانه . فضحك المأمون ، وأعجبه .

قال الخطيب : قدم بغداد زمن المأمون ، وجرت بينه وبين بِشر المَرِيسِىّ[3] مناظرة فى القرآن .

قلتُ: أى ردَّ على بشرٍ قولَه بخلق القرآن، كذا بيَّنه الشيخ أبو إسحاق، وهو مشهور.

---

(١) فى ج ، د : سيغرب ، والمثبت فى : المطبوعة .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٩ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٣ ، شذرات الذهب ٢/ ٩٥ ، طبقات الشيرازى ٨٤ ، العبر ١ / ٤٣٤ .

(٢) فى المطبوعة : الصاغانى ، وفى د : الصغانى ، والمثبت من : ج ، وتهذيب التهذيب ٦ / ٣٧ ، ٣٦٣

(٣) بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء تحتها نقطتان وفى آخرها سين مهملة ، هذه النسبة إلى مريس ، وهى قرية بمصر . اللباب ٣ / ١٢٨ .

قال الخطيب : وكان من أهل العلم والفضل ، وله مصنفات عدة ، وكان ممن تفقّه بالشافعىّ ، واشتهر بصحبته .

وقال داود بن على الظَّاهرىّ : كان عبد العزيز بن يحيىٰ أحد أتباع الشافعىّ ، والمقتبسين عنه ، وقد طالت صحبته له ، وخرج معه إلى اليمن ، وآثار الشافعىّ فى كتب عبد العزيز ظاهرة .

ونقل الخطيب : أن عبد العزيز قال : دخلت على أحمد بن أبى دُؤاد وهو مفلوج ، فقلت : إنى لم آتك عائدا ، ولكن جئت لأحمد الله أن سجنك[1] فى جلدك .

قال شيخنا الذهبىّ : فهذا يدل على أن عبد العزيز كان حيًّا فى حدود الأربعين .

قلتُ : وعلى أنه كان ناصرا للسنّة فى نفى خلق القرآن ، كما دلت عليه مناظرته مع بشر ، وكتاب « الحيدة » المنسوب إليه فيه أمور مستشنعة ؛ لكنه كما قال شيخنا الذهبىّ : لم يصح إسناده إليه ، ولا ثبت أنه من كلامه ، فلعله وُضِع عليه .

٣٤
على بن عبد الله بن جعفر بن نَجِيح السَّعْدِىّ
أبو الحسن ، ابن المَدِينىّ ، الحافظ*

أحد أئمة الحديث ، ورفعائهم ، ومَن انعقد الإجماع على جلالته وإمامته ، وله التصانيف الحِسان .

مولده سنة إحدى وستين ومائة .

وسمع أباه، وحمَّاد بن زيد، وهُشَيما، وابن عُيَيْنَة، والدَّرَاوَرْدِىّ، وابن وَهْب،

---

(١) فى ج : شحنك . والمثبت فى : المطبوعة ، د .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١١/ ٤٥٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٥ ، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٤٩ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٣٥٦ ، شذرات الذهب ٢ / ٨١ ، طبقات الشيرازى ٨٤ ، العبر ١ / ٤١٨ ، اللباب ٣ / ١١٥ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٧٦ .

وعبد الوارث ، والوليد بن مسلم ، وغُنْدَرًا ، ويحيىٰ القطّان ، وعبد الرحمٰن بن مهدىّ ، وابن عُلَيَّة ، وعبد الرزّاق ، وخَلْقًا سواهم .

روى عنه البخارىّ ، وأبو داود ، وأحمد بن حنبل ، ومحمد بن يحيىٰ الذُّهْلىّ ، وإسماعيل القاضى ، وصالح جَزَرة ، وأبو خليفة الجُمَحِىّ ، وأبو يَعْلَى المَوْصِلىّ ، وعبد الله البَغَوىّ ، وخلق ، آخرهم موتا عبد الله بن محمد بن أيوب الكاتب ، وأقدمهم وفاةً شيخه سفيان بن عُيَيْنَة .

قال الخطيب : وبين وفاتيهما مائة وثمان وعشرون سنة .

وروى التِّرمذىّ ، والنَّسائىّ ، عن رجل ، عنه .

قال أبو حاتم[1] : كان ابن المدينىّ علَما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل ، وما سمعت أحمد سماه قط ، إنما [كان][2] يكنيه تبجيلا له .

وعن ابن عُيَيْنَة : يلومونني على حب ابن المدينىّ ، والله لما أتعلّم منه أكثر مما يتعلّم منى .

وعنه : لولا ابن المدينىّ ما جلستُ .

وعن عبد الرحمٰن بن مهدىّ أنه قال : ابن المدينىّ أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ، وخاصة بحديث ابن عُيَيْنَة .

وقال أبو قُدامة السَّرْخسِىّ : سمعتُ على بن المدينىّ يقول : رأيت فيما يرى النائم كأن الثريّا تَدَلَّتْ حتى تناولتها . قال أبو قدامة : فصدّق الله رؤياه ، بلغ فى الحديث مبلغا لم يبلغه كبير[3] أحد .

قال النَّسائىّ : كأن الله خلق على بن المَدِينىّ لهذا الشأن .

وقال صاعقة : كان ابن المدينىّ إذا قدم بغداد تصدَّر الحلقة ، وجاء يحيى وأحمد ابن حنبل والناس يتناظرون ؛ فإذا اختلفوا فى شىء تكلم فيه ابن المدينىّ .

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٣١٩ ، ٦/ ١٩٣ .

(٢) زيادة من : ج .

(٣) فى المطبوعة : كثير . والمثبت من : ج .

وقال السَّرَّاج : قلتُ للبخاريّ : ما تشتهى ؟ قال : أن أقدَم العراق وعلىّ بن عبد الله حىٌّ ، فأجالسه .

وعن البخاريّ : ما استصغرتُ نفسى عند أحد إلّا عند ابن المدينىّ .

وقيل لأبى داود : أحمد أعلم ، أم علىّ ؟ قال : علىّ أعلم باختلاف الحديث من أحمد .

وقال عبد الله بن أبى زياد القَطَوانىّ[1] : سمعتُ أبا عُبَيد يقول : انتهى العلم إلى أربعة : أبو بكر بن أبى شَيْبة أسرَدُهم له ، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه ، وعلى بن المَدينىّ أعلمهم به ، ويحيى بن مَعِين أكتبهم له .

وكان على بن المدينىّ ممن أجاب إلى القول بخلق القرآن فى المحنة ، فنُقِم ذلك عليه ، وزيد عليه فى القول . والصحيح عندنا أنه إنما أجاب خشية السيف .

قال ابن عدىّ : سمعت مُسدَّد بن أبى يوسف القُلُوسِىّ[2] ، سمعت أبى يقول : قلتُ لابن المَدينىّ : مثلُك فى علمك يجيب إلى ما أجبتَ إليه ! فقال : يا أبا يوسف ما أهون[3] عليك السيف .

وعنه : خفتُ أن أُقتل ، ولو ضُربتُ سوطا واحدا لمِتُّ .

قلتُ : وما حُكِىَ من أنه علَّل حديث الرؤية بسؤال القاضى أحمد بن أبى دؤاد له ، وقوله له : هذه حاجة الدهر . وأن عليا قال : فيه مَن لا يُعوَّل عليه ، قيسُ بن أبى حازم ، إنما كان أعرابيا بوَّالا على عَقِبيه ، وأن ابن أبى دؤاد قال لأحمد بن حنبل : تحتج علينا بحديث جرير فى الرؤية ، وإنما هو من رواية قيس بن أبى حازم ، أعرابى بوال على عقبيه ! وأن ابن حنبل قال : علمتُ أن هذا من عمل ابن المَدينىّ ؛ فهو أثر[4] لا يصح .

---

(١) بفتح القاف والطاء والواو وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى قطوان ، وهو موضعان بالكوفة وسمرقند ، ينسب إلى الأول عبد الله بن أبى زياد هذا . اللباب ٢ / ٢٧٢ .

(٢) بضم القاف واللام بعدهما واو وسين مهملة ، هذه النسبة إلى القلوس – فيما يظن – وهى حبال السفن . اللباب ٢ / ٢٧٧ .

(٣) فى المطبوعة ، د : أهول . والمثبت من : ج .

(٤) فى ج : أمر ، والمثبت فى : المطبوعة ، د .

وقال أبو بكر الخطيب : هذا باطل ، قد نزَّه الله ابن الْمَدينىّ عن قول ذلك فى قيس ، وليس فى التابعين مَن أدرك العشرة وروى عنهم غيره ، ولم يحك أحد ممن ساق محنة أحمد أنه نوظر فى حديث الرؤية .

وقال أبو العيْناء : دخل على بن الْمدينىّ إلى أحمد بن أبى دؤاد ، بعد محنة أحمد فناوله رقعة ، وقال : هذه طُرِحت فى دارى ، فإذا فيها[1] :

يَا ابْنَ المدينىِّ الذى شُرِعتْ لهُ	دُنيا فجاد بدينـه لينالَهـا
ماذا دعاك إلى اعتقادِ مقالةٍ	قد كان عندك كافرًا مَن قالهَا
أمرٌ بَدَا لكَ رشدُه فقبلتَه	أم زهرةُ الدنيا أردتَ نوالَهَا
فلقد عهدتُك لا أبالك مرَّةً	صعبَ الْمَقادة لِلَّتى تُدْعَى لهَا
إن الحَرِيب[2] لَمَن يُصاب بدينِه	لا مَن يُرزَّى ناقةً وفِصالَهَا

فقال له : لقد قمتَ وقمنا من حق الله بما يصغِّر قدر الدنيا عند كثير ثوابه ، ثم وصله بخمسة آلاف درهم .

وقال محمد بن عثمان بن أبى شَيْبة : سمعتُ على بن الْمَدينىّ يقول ، قبل موته بشهرين : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر .

وقال البخارىّ : مات على بن الْمَدينىّ ليومين بقيا من ذى القعدة ، سنة أربع وثلاثين ومائتين .

وقال الحارث ، وغير واحد : مات بسُرَّ مَن رأى فى ذى القعدة ، وغلط مَن قال سنة ثلاث .

(ومن الفوائد عن علىّ رحمه الله)

● روَى أبو محمد بن حزْم الظَّاهرىّ، فى «كتاب الاتصال» : أن أبا محمد حبيبا البخارىّ، وهو صاحب أبى ثور، ثقة، مشهور، قال: حدثنا محمد بن سهل، قال: سمعتُ على

---

(١) القصة والأبيات فى تاريخ بغداد ١١ / ٤٦٩ .

(٢) الحريب : هو الذى أخذ جميع ماله . المصباح المنير ١٩٨ .

ابن الْمَدينيّ ، يقول : دخلتُ على أمير المؤمنين ، فقال لى : أتعرف حديثا مُسنَدا فيمن سب النبىّ ﷺ ، فيُقتَل ؟

فقلت : نعم . فذكرت له حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن سِماك بن الفضل ، عن عُرْوة بن محمد ، عن رجل من بَلْقَيْن قال : كان رجل يشتُم النبىَّ ﷺ ، فقال النبى ﷺ : « مَنْ يَكْفِينِى عَدُوًّا لِى » ؟ فقال خالد بن الوليد : أنا . فبعثه النبىُّ ﷺ إليه ، فقتله .

فقال أمير المؤمنين : ليس هذا مُسنَدا ، هو عن رجل .

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، هكذا يُعرَف هذا الرجل ، وهو اسمه ، وقد أتى النبىَّ ﷺ عليه وسلم فبايعه ، هو مشهور معروف .

قال : فأمر لى بألف دينار .

قال ابن حَزْم : هو حديث صحيح مُسنَد .

قلتُ : لا يريد ابن المَدِينىّ بقوله : « وهو اسمه » أن اسم هذا الرجل المجهول : رجل من بَلْقَيْن . وأن هذا اللفظ علم عليه ، وإنما يريد أنه بذلك يُعْرَف ، لا يُعْرَف له اسم عَلَم ، بل إنما يُعْرَف بقبيلته ، وهى الْقَيْن ، فيقال : رجل من بنى الْقَيْن ، يدل عليه مع وضوحه قوله : « هكذا يعرف هذا الرجل » .

وقوله : « وقد أتى النبىّ ﷺ فبايعه » جواب سؤال مقدَّر ، تقديره : إذا كان مجهولا فكيف يُحتَجّ به ؟ فأجاب بأن جهالة العين والاسم ، مع العلم بأنه صحابىّ لا يقدح ؛ لأن الصحابة كلهم عُدول ، وهذا الرجل كما ذكر ابن المَدِينىّ لا يُعْرَف له اسم .

وقد روَى البَيْهَقىّ هذا الحديث فى سننه[1] ، من حديث مَعْمَر هكذا ، وهو إسناد صحيح .

ورَوَى الحاكم أبو عبد الله بسنده فى كتاب «مزكى الأخبار»: أن عبد الله بن على

---

(١) سننه فى (باب قتل من ارتد عن الإسلام إذا ثبت عليه ، رجلا كان أو امرأة) ٨ / ٢٠٣ ، ولفظه : عن معمر ، عن سماك بن الفضل ، عن عروة بن محمد ، عن رجل من بلقين : أن امرأة سبت النبى ﷺ ، فقتلها خالد بن الوليد ، رضى الله عنه .

ابن المَدِينيّ قال : سمعتُ أبي يقول : خمسة أحاديث لا أصل لها عن رسول الله ﷺ : حديث : « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ » وحديث : « لَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعُ الْعَيْنِ ، وَلَا غَمَّ إِلَّا غَمُّ الدَّيْنِ » وحديث : « إن الشَّمْسَ رُدَّتْ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » وحديث : « أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ ، إِنَّهُمَا كَانَا يَغْتَابَانِ » .

قلتُ : هو نظير قول الإمام أحمد رضي الله عنه : أربعة أحاديث لا أصل لها : حديث : « مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَكَأَنَّمَا آذَانِي » وحديث : « مَنْ بَشَّرَنِي بِخُرُوجِ آذار[1] ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللهِ الْجَنَّةَ » وحديث : « لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ » وحديث : « يَوْمُ صَوْمِكُمْ يَوْمُ نَحْرِكُمْ يَوْمُ رَأْسِ سَنَتِكُمْ » .

٣٥

الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة ، واسمه كَيْسان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أبو العباس*

حاجب الرشيد ، ثم وزيره .

كان من رجال الدهر : رأيًا ، وحزمًا ، ودهاء ، ورياسة ، ومكارم ، وعظمة في الدنيا ، ولوالده الجاه الرفيع عند مخدومه أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور .

ولما آل الأمر إلى هارون الرشيد ، واستَوْزر البرامكة ، جعل الفضل حاجبه ، وكان الفضل يروم التشبه بالبرامكة ، ومعارضتهم ، ولم يكن له إذ ذاك من المقدرة ما يدرك اللحاق بهم ، فمن ثَمَّ كانت بينهم إحَن وشحناء ، إلى أن قدّر الله زوال نعمة البرامكة على يدى الفضل ؛ فإنه تمكّن بمجالسة الرشيد ، وأوغر قلبه فيما يُذكر عليهم ، حتى اتَّفق له ما تناقلته الرواة .

---

(١) آذار وأذار : هو الشهر المعروف . وانظر كشف الخفاء ٢/ ٢٣٧

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٣ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٠ ، العبر ١/ ٣٥٥ ، النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٥ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥ .

واستمر الفضل متمكنا عند هارون ، إلى أن قضى هارون نحبه ، فقام بالخلافة ولده محمد الأمين ، وساق إليه الخزائن بعد موت أبيه ، وسلم إليه القضيب والخاتم ، وأتاه بذلك من طُوس .

وكان الفضل هو صاحب الحل والعَقد ؛ لاشتغال الأمين باللهو ، ولما تداعت دولة الأمين ولاح عليها الإدبار ، اختفى الفضل مدة طويلة ، فلما بويع إبراهيم بن المهديّ ظهر الفضل ، وساس نفسه ، ولم يدخل معهم فى شيء ؛ فلذلك عفا عنه المأمون بشفاعة طاهر بن الحسين ، واستمر بَطَّالا فى دولة المأمون لاحَظَّ له إلا السلامة إلى أن مات .

وفى تقصّى أخباره طول وفصول ، ولكنا نذكر فوائد من أوائلها وأواخرها ، فمنها قيل :

دخل الفضل يومًا على يحيىٰ بن خالد البَرْمكىّ ، وقد جلس لقضاء الحوائج ، وبين يديه ولده جعفر يُوقِّع فى القِصَص ، فعرض الفضل عليه عشر رِقاع للناس ، فتعلَّل يحيىٰ فى كل رقعة بِعلّة ، ولم يوقع فى شيء منها ألبتَّة . فجمع الفضل الرقاع ، وقال : ارْجِعن خائبات خاسئات . ثم خرج ، وهو ينشد :

عسى وعسى يَثْنِى الزمانُ عِنانَه ... بتصريف حالٍ والزمانُ عَثورُ
فتُقْضَى لُبانَاتٌ وتُشفَى حَسائفٌ[1] ... وتحدث مِن بعد الأمور أمورُ

فسمعه يحيىٰ ، فقال : عزمتُ عليك يا أبا العباس إلا رجعت . فرجع ، فوقّع له فى جميع الرقاع ، ثم لم يمض إلا القليل ونكبت البرامكة على يديه ، وتولى هو الوزارة بعد أن كان حاجبا .

وتنازع يوما جعفر بن يحيىٰ ، والفضل بن الربيع بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : يالقيط . إشارة إلى شيء كان يقال عن أبيه ، فقال الفضل : اشهد يا أمير المؤمنين . فقال جعفر للرشيد : تُراه عند مَن يُقيمُك هذا الجاهل شاهدا يا أمير المؤمنين ! وأنت حاكم الحكام .

---

(١) الحسافة والحسيفة : الغيظ والعداوة .

والفضل بن الربيع هو الذى يقول فيه أبو نُوَاس[1] :

وليس لله بمُستنكرٍ أن يجمع العالَم فى واحدِ

من أبيات .

مات الفضل سنة ثمان ومائتين ، وهو فى عشر السبعين .

ويستحسن إيراده فى أصحاب الشافعىّ ، لما أخبرتنا به زينب بنت الكمال المقدسية ، إذنًا ، عن الحافظ أبى الحجَّاج الدِّمشقىّ ، أنه قال : أخبرنا أبو المكارم اللَّبَّان ، أخبرنا الحسن بن أحمد الحدَّاد ، أخبرنا أبو نُعَيم الحافظ[2] ، حدثنا أبو بكر محمد ابن جعفر البغدادىّ غُنْدَر ، حدثنا أبو بكر محمد بن عُبَيْد ، حدثنا أبو نصر المَخْزومىّ الكوفىّ ، حدثنا الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد أمير المؤمنين ، قال : دخلتُ على هارون الرشيد ، فإذا بين يديه ضُبَارة[3] سيوف ، وأنواع من العذاب ، فقال لى : يا فضل . فقلتُ : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : علىَّ بهذا الحِجازِىّ ، يعنى الشافعىّ .

فقلتُ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب هذا الرجل .

قال : فأتيتُ الشافعىّ ، فقلتُ له : أَجِبْ أمير المؤمنين .

فقال : أصلّى ركعتين .

فقلت : صلِّ . فصلى ثم ركب بغلة كانت له ، فسرنا معا إلى دار الرشيد ، فلما دخلنا الدِّهليز الأول حرَّك الشافعىّ شفتيه ، فلما دخلنا الدِّهليز الثانى حرَّك شفتيه ، فلما وصلنا بحضرة الرشيد قام إليه أمير المؤمنين كالمشرئبّ له ، فأجلسه موضعه ، وقعد بين يديه ، يعتذر إليه ، وخاصَّةُ أمير المؤمنين قيام ينظرون إلى ما أعدَّ له من أنواع العذاب ، فإذا هو جالس بين يديه ، فتحدثوا طويلا ، ثم أذن له بالانصراف .

فقال لى : يا فضل .

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

---

(١) ديوانه ٤٥٤ ، وفى المطبوعة : وليس من الله . والمثبت من : ج ، د ، والديوان .

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٧٨ .

(٣) الضبار – بالضم ويكسر – الحزمة .

فقال : احمل بين يديه بَدْرة . فحملت ، فلما صرنا إلى الدهليز الأول [لخروجه][1] ، قلتُ : سألتك بالذى صيَّر غضبه عليك رضًا ، إلا ما عرَّفْتنى ما قلتَ فى وجه أمير المؤمنين ، حتى رضى .

فقال لى : يا فضلُ . فقلتُ له : لبيك أيها السيد الفقيه . قال : خذ منى ، واحفظ عنى ، قلتُ : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2] الآية ، اللهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وببركة طهارتك ، وبعظمة جلالك من كل عاهة ، وآفة ، وطارق الجن والإنس ، إلا طارقًا يطرُقنى بخير ، يا أرحم الراحمين[3] . اللهم بك ملاذى فبك أَلُوذ ، وبك غياثى فبك أغوث ، يا مَن ذلَّت له رقاب الفراعنة ، وخضعت له مقاليد الجبابرة ، اللهم ذكْرُك شِعارى ، ودِثارى ، ونَوْمى ، وقَرارى ، أشهد أن لا إلٰه إلا أنت ، اضرب علىَّ سُرادقات حفظك ، وقِنى رعبى بخيرٍ منك يا رحْمن .

قال الفضل : فكتبتها ، وجعلتها فى بِرْكة[4] قَبائى ، وكان الرشيد كثير الغضب علىّ ، وكان كلما هَمّ أن يغضب أحرِّكها فى وجهه فيرضى ، فهذا مما أدركت من بركة الشافعىّ .

٣٦

القاسم بن سَلَّام

بتشديد اللام ، الإمام الجليل ، أبو عبيد*

الأديب ، الفقيه ، المحدِّث ، صاحب التصانيف الكثيرة : فى القراءات ، والفقه ، واللغة ، والشعر .

قرأ القرآن على الكِسائىّ ، وإسماعيل بن جعفر ، وشُجاع بن أبى نصر .

---

(١) زيادة من : ج .

(٢) سورة آل عمران ١٨ .

(٣) فى ج : يا رحمن .

(٤) البركة بالكسر : الصدر . القاموس (ب ر ك) .

* له ترجمة فى : إنباه الرواة ٣/ ١٢ ، بغية الوعاة ٣٧٦ ، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣١٥ ، شذرات الذهب ٢ / ٥٤ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٥٩ ، طبقات ابن سعد ٧ / ٣٥٥ ، طبقات الشيرازى ٧٦ ، طبقات القراء ٢ / ١٧ ، العبر ١ / ٣٩٢ ، المزهر ٢ / ٢٦٤ ، ٤١٢ ، معجم الأدباء ١٦ / ٢٥٤ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٤١ ، نزهة الألبا ١٨٨ ، وفيات الأعيان ٣ / ٢٢٥ .

وسمع الحديث من إسماعيل بن عَيَّاش ، وإسماعيل بن جعفر ، وهُشَيم بن بَشِير ، وشَرِيك بن عبد الله ، وهو أكبر شيوخه ، وعبد الله بن المبارك ، وأبى بكر بن عَيَّاش ، وجرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عُيَيْنَة ، وخلائق ، آخرهم موتا هشام ابن عمار .

روى عنه عبد الله بن عبد الرحمٰن الدَّارِمىّ ، ووكيع ، وأبو بكر بن أبى الدنيا ، وعباس الدُّورِىّ ، والحارث بن أبى أُسامة ، وعلىّ بن عبد العزيز البغَوىّ ، وأحمد بن يحيىٰ البَلاذُرِىّ[1] الكاتب ، وآخرون .

وتفقّه على الشافعىّ رضى الله عنه ، وتناظر معه فى القُرْء ، هل هو حيض أو طهر ؟ إلى أن رجع كل منهما إلى ما قاله الآخر ، كما سنشرح ذلك .

ولد بهَراة ، وكان أبوه فيما يُذكَر عبدا لبعض أهلها ، وتنقَّلت به البلاد ، ووَلى قضاء طَرَسوس ، ثم حج بالآخرة ، فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين .

قال إسحاق بن رَاهُويه : الحق يُحب لله[2] ، أبو عُبَيد أفقه منى ، وأعلم منى ، أبو عبيد أوسعنا علما ، وأكثرنا أدبا ، إنا نحتاج إلى أبى عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا .

قال الحاكم : هو الإمام المقبول عند الكل .

وقال أبو بكر الأنْبارِىّ : وكان أبو عُبَيد قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا ينام ، وثلثا يصلى ، وثلثا يطالع الكتب .

وقال محمد بن سعد : كان أبو عُبَيد مؤدِّبا ، صاحب نحو وعربية ، وطلب الحديث والفقه ، وولى قضاء طَرَسُوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ، ولم يزل معه ومع ولده ، وقدم بغداد ففسر بها غريب الحديث ، وصنف كتبا ، وحدَّث ، وحج فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين[3] .

وقال عباس الدُّورِىّ : سمعت أحمد بن حنبل ، يقول : أبو عُبَيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيرا .

---

(١) بفتح الباء الموحدة وبعدها اللام ألف وضم الذال المعجمة وفى آخرها الراء . اللباب ١ / ١٥٧ .
(٢) فى المطبوعة : الحق يحبه الله ، والمثبت من : ج ، د ، والعبر .
(٣) الطبقات الكبرى ٧ / ٣٥٥ .

وقال أبو قُدامة : سمعت أحمد يقول : أبو عبيد أستاذ .

وقال حَمدان بن سهل : سألت يحيىٰ بن مَعين عن أبى عُبَيد ، فقال : مثلى يُسأَل عن أبى عُبَيد ! أبو عبيد يُسأَل عن الناس .

وقال أبو داود : ثقة ، مأمون .

قال الدَّارَقُطْنِىّ : ثقة ، إمام ، جبل[1] .

وقال الحافظ عبد الغنىّ بن سعيد : فى « كتاب الطهارة » لأبى عُبَيد حديثان ، ما حدَّث بهما غيره ، ولا حدَّث بهما عنه غير محمد بن يحيىٰ المَرْوَزِىّ .

أحدهما : حديث شُعبة ، عن عمرو بن أبى وَهْب .

والآخر : حديث عبيد الله بن عمر عن[2] سعيد المَقْبُرِىّ ، حدث به عن يحيىٰ القطَّان عن عبيد الله ، وحدَّث به الناس عن يحيىٰ ، عن ابن عجلان[3] .

وقال ثعلب : لو كان أبو عُبَيد فى بنى إسرائيل لكان عجبا .

وقال القاضى أبو العلاء الواسِطىّ : أخبرنا محمد بن جعفر التَّمِيمىّ ، حدثنا أبو على النحوىّ ، حدثنا الفُسْطاطِىّ ، قال : كان أبو عُبَيد مع عبد الله بن طاهر ، فبعث إليه أبو دُلَف يستهديه أبا عبيد مدة شهرين ، فأنفذه إليه ، فأقام شهرين ، فلما أراد الانصراف وصله بثلاثين ألف درهم ، فلم يقبلها ، وقال : أنا فى جنة رجل لم يُحوجْنى إلى صلة غيره ، فلما عاد إلى ابن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار ، فقال : أيها الأمير قد قبلتُها ، ولكن قد أغنيتنى بمعروفك وبِرِّك ، وقد رأيت أن أشترى بها سلاحا وخيلا ، وأوجِّه بها إلى الثغر ؛ ليكون الثواب متوفرا على الأمير . ففعل .

قيل : وكان أبو عُبَيد إذا صنف كتابا ، أهداه إلى عبد الله بن طاهر ، فيحمل إليه مالا خطيرا ، استحسانا لذلك .

---

(١) فى المطبوعة : جليل . والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : عمر بن سعيد . والتصويب من : ج ، د .

(٣) اضطربت الأصول هنا ، وأثبتنا الصواب من تاريخ بغداد ١٢/ ٤١٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٠٣ .

وقال عبد الله بن طاهر : الأئمة[1] للناس أربعة : ابن عباس فى زمانه ، والشَّعبىّ فى زمانه ، والقاسم بن مَعْن فى زمانه ، وأبو عُبَيد فى زمانه .

وقال عَبْدان بن محمد المَرْوَزِىّ : حدثنا أبو سعيد الضرير ، قال : كنتُ عند عبد الله بن طاهر ، فورد عليه نَعِىُّ أبى عبيد ، فأنشأ يقول :

يا طالبَ العلم قد مات ابن سلَّامِ ... وكان فارسَ علم غيرَ مِحْجامِ

مات الذى كان فينا رَبْعَ أربعةٍ ... لم يُلْقَ مثلُهمُ إسْتارَ أحكامِ[2]

خيرُ البرية عبد الله أولُهم ... وعامرٌ ولَنعم التِّلُو يا عامِ[3]

هما اللذان أنافَا فوق غيرِهما ... والقاسمانِ : ابنُ مَعْنٍ وابن سلَّامِ

(ومن الفوائد عنه)

● حكى الأزهرىّ فى « التهذيب » عن أبى عُبَيد القاسم بن سلّام ، فى قوله ﷺ : « لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » أن المراد بهذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[4] فإذا مر بها ، متجاوزا لها ، فقد أبرَّ الله قسمَه .

ثم اعترضه الأزهرىّ[5] بأنه لا قسم فى قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فكيف يكون له تَحِلَّة ؟ قال : ولكن معنى قوله : « إلا تحلة القسم » إلا التعزير الذى لا يَنْداه[6] منه مكروه ، وأصله من قول العرب : « ضربته تحليلا ، وضربته تعزيرا »[7] أى لم أبالغ فى ضربه ، وأصله من تحليل اليمين ، وهو أن يحلف الرجل ثم يستثنى استثناء متصلا باليمين ، يقال : آلى فلان أَلِيَّة لم يتحلل ؛ أى لم يستثن . ثم جعل ذلك مثلا لكل شىء قَلَّ وقتُه .

---

(١) فى ج ، د : الأمير . والمثبت فى المطبوعة .

(٢) فى الأصول : أستاذ أحكام ، وفى تاريخ بغداد ١٢ / ٤١٢ : إسناد أحكام . والتصويب من معجم الأدباء ١٦ / ٢٥٧ ، وفيه : إستار أى أربعة ، وربع أربعة ، أى رابع أربعة . و « إستار » فارسية . المعرب ٤٢ .

(٣) فى تاريخ بغداد : حبر البرية .

(٤) سورة مريم ٧١ .

(٥) التهذيب ٣ / ٤٣٨ ، وانظر غريب الحديث لأبى عبيد ١٦/٢ .

(٦) فى الأصول : يبدأ . والتصويب من التهذيب . وينداه : أى يُصيبه .

(٧) كذا فى الأصول . والقول فى التهذيب : ضربته تحليلا ووعظته تعزيرا ، أى لم أبالغ فى ضربه ووعظه .

ومنه قول الشاعر[1] :

* نَجَائِبُ وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ*

أى قليل ، هيّن ، يسير .

ويقال للرجل ، إذا أمعن فى وعيد ، أو أفرط فى قول : حِلًّا أبا فلان . أى تحلّل فى يمينك ، جعله فى وعيده كحالف ، فأمره بالاستثناء .

قلتُ : وهو اعتراض عجيب ؛ فإن القسم مقدَّر فى قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾ لأن القسم عند النحاة يُتلقَّى بالنفى والإثبات ، والتقدير : والله ، إنْ منكم إلا واردها ، أو : أقسم ، إن منكم إلا واردها .
يدل عليه شيئان :

أحدهما : قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ قال الحسن ، وقتادة : قسما واجبا . ورُوِى عن ابن مسعود .

والثانى : هذا الحديث ، فقد فهم المصطفى ﷺ القسم منه ، وقول الأزهرىّ : « وأصله من قولهم : ضربته تحليلا » إلى قوله : « جعله فى وعيده كحالف » مما يدل على ما ذكرناه ؛ فإنه لو لم يقدِّر أنه حالف ما صح شيء مما ذكرنا .

● ذهب أبو عُبيد إلى أن من طُلِّقت فى طهر وجامعها فيه[2] زوجها ، لا تنقضى عِدَّتها إلا بالطعن فى الحيضة الرابعة ، وجعله الجِيلِىّ[3] فى « شرح التنبيه » مذهبنا ، وهو خلاف نص « المختصر » وتصريح الأصحاب .

---

(١) هذا عجز بيت لكعب بن زهير ، وصدره :

* تَخْدِى عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْىَ لَاحِقَةٌ *

ديوانه ١٣ ، والرواية فيه :

* ذَوابِلٌ وَقْعُهُنَّ الأرضَ تَحْلِيلُ *

(٢) فى المطبوعة : فى طهرها جامعها فيه . والمثبت من : ج ، د .

(٣) بكسر الجيم وسكون الياء وفى آخره اللام ، هذه النسبة إلى بلاد متفرقة وراء طبرستان . اللباب ١ / ٢٦٤ .

قال ابن الرِّفعة : ولعل الجِيليّ اعتقد أبا عُبَيْد من أصحابنا ، فاقتصر على حكاية مذهبه .

قلتُ : هذا كلام عجيب ، أبو عُبَيْد لا ريب فى أنه من أصحابنا ، ولكن ذلك لا يُسَوِّغ حكاية قوله مذهبًا لنا ، مع تصريح المذهب بخلافه .

● قال أبو عُبَيْد فى قول الشاعر[1] :

فإن أدعِ اللَّواتى مِن أُناسٍ   أضاعوهنَّ لا أدعُ الَّذِينا

الذى هنا لا صلة لها ، والمعنى : إن أدع ذكر النساء لا أدع ذكر الرجال .

قلتُ : هذا البيت للكُمَيت ، وهو شاهد ذكر الموصول بغير صلة لقرينة .

● قال أبو عُبَيد فى معنى قول الشَّمَّاخ[2] :

وماءٍ قد وَردتُ لوصلِ أرْوَى   عليه الطيرُ كالوَرَق اللَّجينِ

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه   مَقامَ الذِّئب كالرجلِ اللَّعينِ

إن فيهما تقديما وتأخيرا ، والتقدير فى الأول : وماء كالوَرَق اللَّجين عليه الطير ، واللَّجين الذى قد ضُرب حتى تلجَّن ، والتقدير فى الثانى : مقام الذئب اللعين كالرجل . انتهى .

ذكره فى كتابه « معانى الشعر » .

قلتُ : فجعل ورقه[3] « كالورق » صفة لماء ، فيكون قد فصل بين الموصوف والصفة بمتعلِّق « رُبَّ » المحذوفة ، وهو قوله « وردت » ، « وعليه الطير » جملة ، وهى صفة ثانية مؤخرة عن الصفة الواقعة ظرفا ، وهكذا أصل الكلام .

ويجوز أن يكون الماء موصوفا بثلاث صفات : هاتين الصفتين ، وقوله « قد وردت » ويكون متعلق ربَّ إنما هو قوله : « ذعرت به القطا » ولا يأبى هذا الوجه قول أبى عُبَيد ، ويكون إنما قدر قوله « كالورق » مقدما ليُعلمَك أنه من صلة ماء ؛ لأن ما قبله غير صفة .

وقوله : « حتى تلجَّن » أى حتى تلزّج ، ومنه قولهم : لجنت الخِطْمِىّ ونحوه . إذا ضربته ليَثْخُن ، وتلجَّن رأسه إذا لم يُنَقَّ وسخُه .

---

(١) البيت للكميت ، كما ذكر المصنف . وانظر الخزانة ٦/ ١٥٧ .

(٢) البيتان فى ديوانه ٩١ ، ٩٢ ، اللسان ١٣ / ٣٧٨ ، ٣٨٨ .

(٣) هكذا فى الأصول . ولعل صوابها : قوله .

واللَّجين : الخَبَط . عن ابن السِّكِّيت ، وهو ما سقط من الورق عند الخبط ، وأنشد عليه البيت .

والذَّعر : الفزع ، يقال : ذعرته أذعَره ذَعْرا : أفزعته ، والذُّعر بالضم : الاسم .

وقوله « مقام » محمول على أنه صلة ، أى ونفيتُ عنه الذئب ، وهو أحد القولين فى قوله سبحانه : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1] .

وقوله : « اللعين » لا يتعين أن يكون صفة للذئب ، كما ذكر ، بل يجوز أن يكون صفة للرجل ، أى كالرجل المُبعَد الطريد ، وربما يكون ذلك أحسن ؛ فإن التشبيه ليس بالرجل من حيث هو ، بل بالرجل الموصوف باللعين . قاله الشيخ جمال الدين عبد الله بن هشام فى بعض مجاميعه[2] .

(ذكْر أن الشافعى وأبا عبيد رضى الله عنهما تناظرا فى القرء)

● فكان الشافعىّ يقول : إنه الحيض ، وأبو عُبَيد يقول : إنه الطهر . فلم يزل كل منهما يقرر قوله ، حتى تفرقا وقد انتحل كل واحد منهما مذهب صاحبه ، وتأثر بما أورده من الحجج والشواهد .

قلتُ : وإن صحت هذه الحكاية ، ففيها دلالة على عظمة أبى عُبَيد ، فلم يبلغنا عن أحد أنه ناظر الشافعىّ ، ثم رجع الشافعىّ إلى مذهبه .

وقد حكى الرافعىّ فى « شرحه » هذه الحكاية ، وقال : إنها تقتضى أن يكون للشافعىّ قول قديم أو حديث يوافق مذهب أبى حنيفة .

قلتُ: وليس ذلك بلازم، فقد يُناظِر المرءعلى ما لا يراه، إشارة للفائدة، وإبرازا لها وتعليما للجدل؛ فلعله لما رأى أبا عُبَيد يعتقد أنه الحيض، انتصب عنه مستدلا عليه ؛

---

(١) سورة الرحمن ٤٦ .

(٢) وإذا جاز أن يكون « اللعين » صفة لـ « الرجل » كذلك يجوز أن يكون « كالورق اللجين » حالا من الطير ، بمعنى أن تكاثر الطير على الماء كتكاثر اللجين ، وهو ما سقط من الشجر عند الخبط ، وحينئذ فلا حاجة إلى الفصل بين الموصوف والصفة بمتعلق رب المحذوفة . وفى شرح الشنقيطى على الديوان عزو الرأيين جميعا إلى أبى على الفارسى . وانظر كلام أبى على فى البصريات ٦١١ ، وكتاب الشعر ٢٦٠ .

لينقطع معه ، فيعلم أبو عُبَيد ضعف مذهبه فيه ، ولهذا يتبين أن الشافعىّ لم يرجع إلى أبى عُبَيد فى الحقيقة ؛ لأن المناظرة لم تكن إلا لما ذكرناه .

وقوله : « حديث » كذا هو بالحاء والثاء ، لا جديد بالجيم والدال ؛ لأن أبا عُبَيد من أصحابنا العراقيين ، فمناظرته إن صحت كائنة ببغداد ، فيكون ذلك قولا قديما للشافعىّ ، أو حديثا حدَث له بعد أن كان يختار أنه الطهر ، فيكون الشافعىّ قائلا بأنه الطهر ، ثم بأنه الحيض ، ثم عائدا إلى القول بأنه الطهر ، وعليه مات . وربما صحَّف بعضهم حديثا بجديد ، وليس بجيد .

ثم قال الرافعىّ : لو أعلم قول الغزالىّ : الأقراءِ الأطهار بالواو وللمناظرة المحكية لم يكن بعيدا . واعترضه الزَّنْجَانِىّ شارح « الوجيز » بأنه إن قال هذا عن نقل فلا كلام ، وإلا فالحكاية لا تدل عليه ؛ لأن الإنسان قد يناظر غيره فيما لا يعتقده .

قلتُ : وعجبت له من ذلك ، فإن الرافعىّ لم يُعْلِم بالقاف[1] حتى يقال له هذا ، وإنما أعلَم بالواو ، وإشارة إلى مقالة أبى عُبَيد ، وعدها وجها فى المذهب ؛ لكونه على الجملة من أصحابنا ، فلا يبعد أن تُعَد مقالاته وجوها ، وقد لا تُعَد ؛ لأنه يتحدث فى هذه المسألة على قضية اللغة ، لا على قواعد إمام المذهب . وهذا هو الأشبه ، ولذلك[2] ناظر صاحبَ المذهب نفسَه ولو كان مُخرِّجا على قاعدته لما ناظره .

٣٧
قَحْزَم بن عبد الله بن قَحْزَم

أبو حنيفة ، الأُسْوَانِىّ ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة ثم زاى مفتوحة ثم ميم* هو آخر مَن صحب الشافعىّ موتًا .

---

(١) فى المطبوعة : بالفاء . والمثبت : من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : وبذلك ، وفى د : وبه قد ناظر . والمثبت من : ج .

* ذكره ابن السبكى فى الطبقات الوسطى ، وقال : كان من جلة أصحاب الشافعى ، قيل : وإنما أخمل ذكره إقامته بأسوان ، وله ترجمة فى الأنساب لوحة ٣٨ ، الطالع السعيد ٢٥٩ .

قال ابن عبد البر : روَى عنه كثيرا من كتبه ، وكان مفتيا ، وأصله من القِبْط[1] .
وقال ابن يونس : توفى فى جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائتين .

٣٨
موسى بن أبى الجارود
أبو الوليد ، المكّىّ*

راوِى كتاب « الأمالى » عن الشافعىّ ، وأحد الثقات من أصحابه والعلماء .
قال أبو عاصم : يُرجَع إليه عند اختلاف الرواية .
روَى عن يحيى بن مَعِين وأبى يعقوب البُوَيْطِىّ
روى عنه الزعْفَرانِىّ ، والربيع ، وأبو حاتم الرّازِىّ .
وكان فقيها جليلا ، أقام بمكة يفتى الناس على مذهب الشافعىّ .
قال أبو الوليد : سمعت الشافعىّ يقول : إذا قلتُ قولا وصحَّ عن رسول الله ﷺ خلافُه ، فقولى ما قاله رسول الله ﷺ . وهكذا رواه الحُمَيدىّ ، والربيع ، وأبو ثَوْر ، وغيرهم عن الشافعىّ .

وقال أيضا : قال الشافعىّ : ما ناظرتُ أحدًا فأحببت أن يخطىء .

وقال : كان يقال : إن محمد بن إدريس وحده يُحتَج به ، كما يُحتج بالبطن من العرب .

قلتُ : ويوافقه قول الأصْمَعِى : صححت أشعار الهُذَلِيِّين على شاب من قريش بمكة ، يقال له محمد بن إدريس . وقول عبد الملك بن هشام : الشافعىّ ممن تؤخذ عنه اللغة . وقول أبى عثمان المَازِنىّ : الشافعىّ حجة عندنا فى النحو .

قلتُ: ومسألة الاحتجاج بمنطق الشافعىّ فى اللغة، والاستشهاد بكلامه نظما ونثرا مماتدعو الحاجة إليه، ولم أجد من أشبع القول فيه. وإمام الحرمين نازع فيه فى كتاب

---

(١) الانتقاء ١١٥ .
* له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ٣٣٩/١٠ ، طبقات الشيرازى ٨١ ، طبقات ابن هداية الله ٧ .

« البرهان » عند الكلام فى مفهوم الصفة ، وشاققناه نحن فى « شرح مختصر ابن الحاجب » .

● وسمعت أن أبا حيان جمعه والشيخ الإمام مجلس ، وكان أبو حيان يرى وجوب حذف خبر لولا مطلقا ، والشيخ الإمام يرى رأى ابن مالك من الفرق بين كذا[1] ...

٣٩

يوسف بن يحيى

الإمام الجليل ، أبو يعقوب البُوَيْطىّ ، المصرىّ*

وبُوَيط من صعيد مصر ، وهو أكبر أصحاب الشافعىّ المصريِّين .

كان إماما جليلا ، عابدا زاهدا ، فقيها عظيما ، مناظرا ، جبلا من جبال العلم والدين ، غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم ، غالب ليله التهجد والتلاوة ، سريع الدمعة .

تفقه على الشافعىّ ، واختص بصحبته .

وحدّث عنه ، وعن عبد الله بن وَهْب ، وغيرهما .

---

(١) فى ج : من الفرقة بين كذا ، وفى د : من الفرقة ... ، والمثبت من المطبوعة ، وما بعد هذا ساقط من الأصول . وأما رأى ابن مالك فى وجوب حذف خبر لولا ، فقد ذكره الأشمونى فى شرحه للألفية ١ / ٢١٥ فقال : (وبعد لولا) الامتناعية (غالبا) أى فى غالب أحوالها ، وهو كون الامتناع معلقا بها على وجود المبتدأ الوجود المطلق (حذف الخبر حتم) نحو: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ أى : ولولا دفع الله الناس موجود ، حذف « موجود » وجوبا للعلم به ، وسد جوابها مسده . أما إذا كان الامتناع معلقا على الوجود المقيد ، وهو غير الغالب عليها ، فإن لم يدل على المقيد دليل وجب ذكره ، نحو : لولا زيد سالمنا ما سلم ، وجعل منه قوله عليه الصلاة والسلام : « لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ لَبَنَيْتُ الْكَعْبَةَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ » . وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه ، نحو : لولا أنصار زيد حموه ما سلم . وجعل منه قول المعرى :

يُذيبُ الرُّعبُ منه كُلَّ عَضْبٍ ... فَلَوْلَا الْغِمْدُ يُمْسِكُهُ لَسَالَا

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٩ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٧ ، شذرات الذهب ٢/ ٧١ ، طبقات الشيرازى ٧٩ ، طبقات ابن هداية الله ٤ ، العبر ١ / ٤١١ ، اللباب ١ / ١٥٤ ، النجوم ٢ / ٢٣١ ، وفيات الأعيان ٦ / ٦٠ .

رَوَى عنه الربيع المُرادِىّ ، وهو رفيقه ، وإبراهيم الحَرْبىّ ، ومحمد بن إسماعيل التِّرْمِذِىّ ، وأبو حاتم ، وقال : صدوق ، وأحمد بن إبراهيم بن فيل ، والقاسم بن هشام السِّمْسَار ، وآخرون .

وله « المختصر » المشهور ، والذى اختصره من كلام الشافعىّ رضى الله عنه ، قال أبو عاصم : هو فى غاية الحسن ، على نظم أبواب « المبسوط » .

قلتُ : وقفت عليه ، وهو مشهور .

قال أبو عاصم : كان الشافعىّ رضى الله عنه يعتمد البُوَيْطىّ فى الفُتيا ، ويحيل عليه إذا جاءته مسألة .

قال : واستخلفه على أصحابه بعد موته ، فتخرجت على يديه أئمة تفرقوا فى البلاد ، ونشروا علم الشافعىّ فى الآفاق .

وقال الربيع : كان أبو يعقوب من الشافعىّ بمكان مكين[1] .

وقد قدمنا فى ترجمة ابن عبد الحكم ما رواه الحاكم عن إمام الأئمة أبى بكر بن خُزَيْمة ، أنه قال : كان ابن عبد الحكم أعلم مَن رأيت بمذهب مالك ، فوقعتْ بينه وبين البُوَيْطىّ وحشة عند موت الشافعىّ ، فحدثنى أبو جعفر السُّكَّرِىّ قال : تنازع ابن عبد الحكم والبُوَيْطىّ مجلسَ[2] الشافعىّ ، فقال البُويَطْىّ : أنا أحق به منك . وقال الآخر كذلك .

فجاء الحُمَيدِىّ ، وكان تلك الأيام بمصر فقال : قال الشافعىّ : ليس أحد أحق بمجلسى من يوسف ، وليس أحد من أصحابى أعلم منه .

فقال له ابن عبد الحكم : كذبتَ .

قال له : كذبت أنت ، وأبوك وأمك .

وغضب ابن عبد الحكم ، وجلس البُوَيْطىّ فى مجلس الشافعىّ ، وجلس ابن عبد الحكم فى الطاق الثالث .

---

(١) بعد هذا فى الطبقات الوسطى توضيح له ، إذ يقول : وكان الرجل ربما يسأل عن المسألة فيقول : سل أبا يعقوب . فإذا أجاب أخبره فيقول : هو كما قال .

(٢) فى المطبوعة : فى مجلس الشافعى . والمثبت من : ج ، د . وراجع ٦٨ من هذا الجزء .

وعن الربيع : أن البُوَيْطىّ وابن عبد الحكم تنازعا الحلقة فى مرض الشافعىّ ، فأُخبر بذلك فقال : الحلقة البُوَيطىّ .

وكانت الفتاوى ترد على البُوَيْطىّ من السلطان فمَن دونه ، وهو مُتَنَوِّعٌ[1] فى صنائع المعروف ، كثير التلاوة ، لا يمر يوم وليلة غالبا حتى يختم ، فسعى به مَن يحسده ، وكتب فيه إلى ابن أبى دُؤاد بالعراق ، فكتب إلى والى مصر أن يمتحنه ، فامتحنه فلم يجب ، وكان الوالى حسن الرأى فيه ، فقال له : قل فيما بينى وبينك . قال : إنه يقْتدِى بى مائة ألف ، ولا يدرون المعنى .

قال : وكان أمر أن يُحمَل إلى بغداد فى أربعين رطل حديد .

قيل : وكان المُزَنىّ ، وحَرْملة ، وابن الشافعىّ ممن سعى بالبُوَيْطىّ .

قال جعفر التِّرمِذىّ : فحدثنى الثقة ، عن البُوَيْطىّ ، أنه قال : برئ الناس من دمى إلا ثلاثة : حَرْملة ، والمُزَنىّ ، وآخر .

قلتُ : إن صحت هذه الحكاية ، فالذى عندنا فى إبهام الثالث أنه راعى فيه حق والده رضوان الله عليه .

قال الربيع : كان البُوَيْطىّ أبدا يحرك شفتيه بذكر الله ، وما أبصرت أحدا أنزعَ بحجة من كتاب الله مِن البُوَيْطىّ ، ولقد رأيته على بغل ، وفى عنقه غُلّ ، وفى رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة حديد ، وهو يقول : إنما خلَق الله الخلق بكُن ، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقا خُلِق بمخلوق ، ولئن أدخلت عليه لأصْدُقنَّه – يعنى الواثق – ولأموتنَّ فى حديدى هذا ، حتى يأتىَ قوم يعلمون أنه قد مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم .

وقال أبو يعقوب أيضا : خلق الله الخلق بكُن ، أفتراه خلق مخلوقا بمخلوق ؟ والله يقول بعد فناء الخلق : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾[2] ولا مجيب ولا داعى ، فيقول تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ فلو كان مخلوقا مجيبا لفنِىَ حتى لا يجيب . وكان[3] يقول : مَن قال القرآن مخلوق فهو كافر .

---

(١) فى المطبوعة : متبوع ، والمثبت من : ج ، د . وفى القاموس (ن و ع) : مكان متنوع : بعيد .

(٢) سورة غافر ١٦ .

(٣) فى ج ، د : أكان . والمثبت فى المطبوعة .

قلتُ : يرحم الله أبا يعقوب ، لقد قام مقام الصِّدّيقين .

قال السَّاجِىّ : كان البُوَيْطىّ وهو فى الحبس يغتسل كل جمعة ، ويتطّيب ، ويغسل ثيابه ، ثم يخرج إلى باب السجن إذا سمع النداء ، فيرده السَّجّان ، ويقول : ارجع ، رحمك الله . فيقول البُوَيْطىّ : اللهم إنى أجبت داعيَك فمنعونى .

وقال أبو عمرو المُسْتَمْلِى : حضرنا مجلس محمد بن يحيىٰ الذُّهْلِىّ ، فقرأ علينا كتاب البُوَيْطىّ إليه ، وإذا فيه : والذى أسألك أن تعرض حالى على إخواننا أهل الحديث ، لعل الله يُخلِّصنى بدعائهم ، فإنى فى الحديد ؛ وقد عجزت عن أداء الفرائض ؛ من الطهارة ، والصلاة ، فضج الناس بالبكاء ، والدعاء له .

قلتُ : انظر إلى هذا الحبر رحمه الله ، لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ، ولم يتأثر بالقيد ولا بالسجن ، فرضى الله عنه ، وجزاه عن صبره خيرا .

وما كان أبو يعقوب ليموتَ إلا فى الحديد ، كيف ؛ وقد قال الربيع : كنت عند الشافعىّ أنا والمُزَنىّ ، وأبو يعقوب ، فقال لى : أنت تموت فى الحديث . وقال لأبى يعقوب : أنت تموت فى الحديد . وقال للمُزنِىّ : هذا لو ناظره الشيطان لقطعه .

قال الربيع : فدخلت على البُوَيْطىّ أيام المحنة ، فرأيته مقيدا إلى أنصاف ساقيه ، مغلولة يداه إلى عنقه .

وقال الربيع أيضا : كتب إلىَّ البُوَيْطىّ : أن اصبر نفسك للغرباء ، وحَسِّن خُلُقَك لأهْل حَلقتك ، فإنى لم أزل أسمع الشافعىّ رحمه الله يكثر أن يتمثل بهذا البيت :

أُهينُ لهم نفسى لكى يكرمونَها ولن تُكْرَمَ النَّفسُ التى لا تُهِينُهَا[1]

مات البُوَيْطىّ فى شهر رجب ، سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، فى سجن بغداد ، فى القيد والغُل .

---

(١) آداب الشافعى ١٢٧ ، وحواشيه .

(ومن الفوائد عن أبي يعقوب)

قال أبو جعفر التِّرمِذيّ : سمعت البُوَيْطِيّ يحكى عن الشافعيّ أنه قال : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه[1] . روَى ذلك الحاكم أبو عبد الله بن البَيِّع في مناقب الشافعيّ . ورواه غيره أيضا .

● قال البُوَيْطِيّ : سئل الشافعيّ : كم أصول الأحكام ؟ قال : خمسمائة[2] قيل له : وكم أصول السنة ؟ قال : خمسمائة[2] قيل له : كم منها عند مالك ؟ قال : كلها إلا خمسة وثلاثين . قيل له : كم عند ابن عُيَيْنَة منها ؟ قال : كلها إلا خمسة .

(وهذه غرائب استخرجها النوويّ رحمه الله من مختصر البُوَيْطيّ)

● قال الشافعيّ رضى الله عنه في « باب النُّشوز » من البُوَيْطِيّ : إذا تزوج الحر أمة ، ثم خالعه سيدها على نفس الأمة ، فجعلها عوض الخُلْع لم يصح الخلع ، وهي امرأته بحالها ؛ لأن الخلع لا يتم إلا بملكه ، وإذا ملكها انفسخ النكاح ، وصارت ملكا له ، ولا يقع الطلاق على مِلْك .

● وفي « باب الدعوى والبينات » منه : لو ادَّعى رجل على رجل ، أو[3] امرأة بالعبودية ، وهما معروفان بالحرية ، فأقرَّا بذلك لم يجز .

● وفي الباب المذكور منه أيضا : لو قال رجل : مَن رماني ، أو من دخل المسجد ، أو البيت ، فهو ابن الزَّانية ، فرماه رجل ، أو دخل رجل ، لم يجب عليه حد القذف . وكذا لو قال ذلك لإنسان بعينه ، لم يجب عليه الحد ؛ لأنه يعرف كذبه ، فإنه لا يكون بدخوله أو رميه زانيا .

● وفي « باب طلاق الحر والأمة الحرة ثلاثا » : إذا كانت الأمة تحت عبد فطلقها ، وأراد سيدها أن يسافر بها ، سافر .

---

(١) توالى التأسيس ١٣٦ .

(٢) ساقط من : د ، وفي المطبوعة : قال : وكم أصول السنة ، والمثبت من : ج .

(٣) في المطبوعة : وامرأة . والمثبت من : ج ، د .

● وفى الباب المذكور منه أيضا : ولو قال لامرأته : كلما ولدتِ ولدا فأنت طالق ، فولدت اثنين فى بطن طلقت بالأول ، وانقضت عدتها بالآخر . وإن وضعت ثلاثة ، طلقت ثنتين ، وانقضت عدتها بالثالث . وإن ولدت أربعا ، طلقت بالثلاث ، وانقضت عدتها بالرابع .

(وهذه غرائب استخرجها الشيخ الإمام الوالد رحمه الله من مختصر البُوَيْطىّ) :

● قال الشيخ الإمام رحمه الله : نص الإمام الشافعىّ فى « البويطىّ » على أن الأكل من رأس الثريد ، والقِران بين التَّمْرتين ، والتَّعْريس على قارعة الطريق ؛ أى النزول ليلا ، واشْتِمال الصَّمَّاء[1] حرام .

● قلتُ : وللشيخ الإمام تصنيف فى هذه المسائل ، ضم إليها أن الشافعىّ نص فى « الأم » أيضا على تحريم احتباء الرجل بثوب واحد مفضيا بوجهه إلى السماء ، وتحريم أكله مما لا يليه .

وفى « الرسالة »[2] نحو ذلك ، وقد ذكره أبو بكر الصَّيْرَفِىّ شارحها ، مُصوِّبًا له .

(وهذه غرائب استخرجتها أنا ، فأقول) :

● قال فى « البُوَيطِىّ » فى « باب غسل الجمعة » وهو بعد « باب التيمم » كيف هو وقبل « كتاب الصلاة » : وإذا ولغ الكلب فى الإناء ، غُسل سبعا أولاهن أو أخراهن بالتراب ، لا يطهره غير ذلك ، وكذلك رُوِى عن رسول الله ﷺ ، والخنزير قياسا عليه يُغسَل سبعا ، ويُهَراق ما ولغ فيه الخنزير والكلب من ماء ، أو سمن أو عسل ، أو لبن ، أو غير ذلك ، إذا كان ذائبا ، وإن كان جامدا ألقى ما أكلا ، وأكل ما بقي . انتهى .

---

(١) ذكر أبو عبيد أن الفقهاء يقولون : هو أن يشتمل بثوب واحد ويتغطى به ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه ، فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه فرجه . اللسان (ص م م) ١٢/ ٣٤٦ .

(٢) الرسالة ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

وهذا نص وقفتُ عليه فى حياة الوالد رحمه الله ، وكتبته إذ ذاك فى « شرح منهاج البيضاوىّ » ، ثم كتبته فى « شرح مختصر ابن الحاجب » ، ولم أزل أغتبط به .

● ثم الآن وقفتُ فى « مختصر البُوَيْطِىّ » أيضًا فى أواخره فى « باب اختلاف مالك والشافعىّ » : قال مالك فى الكلب يلَغ فى الإناء ، وفيه لبن بالبادية : إنه يشرب اللبن ، ويغسل الإناء سبعا ، أولاهن أو أخراهن بالتراب . انتهى .

ولو تجرَّد هذا عما نص عليه فى « باب غسل الجمعة » لقيل : إنه إنما قاله نقلا عن مالك ، لكن تبيَّن لى أن منقوله عن مالك الذى أشار إلى مخالفة الشافعىّ له فيه إنما هو شرب اللبن ، أما تعيُّن الأولى أو الأخرى للغسل فالمذهبان متوافقان عليه .

ومن العجب أن النووىّ فى « المنثورات » مع تجرده لغرائب البُوَيْطِىّ لم يذكر هذا النص ، وذكر السؤال المشهور على الأصحاب فى اقتصارهم على السبعة فى إحداهن ، من غير تعيين الأولى والأخرى فى المطلق على المقيَّد ، وأجاب عنه ، ولم يشتغل بذكر هذا النص ، فما أظنه وقف عليه ، وقد بيّنا بعد الكشف أن هذا النص أمر مفروغ منه عند المتقدمين ، ثابت فى كل الروايات .

وقد نقله صاحب « جمع الجوامع » أبو سهل بن العِفْرِيس ، ولفظ النص عنده : وكلُّ ما أصاب فيه آدمى : مسلم ، أو كافر يده ، أو شرب منه ، أو شربت منه دابة فليست تنجِّسه ، إلا دابتان : الكلب ، والخنزير . فإن شرب منه كلب أو خنزير لم يَطْهُر إلا بأن يُغسل سبعا ؛ أولاهن أو أخراهن بالتراب ، لا يطهر إلا بذلك . انتهى .

ذكَرَه فى « باب الماء الراكد » وهى عبارة الشافعىّ رضى الله عنه ؛ لأن أبا سهل لا يغيّر من العبارة شيئًا ، إنما يحكى النصوص بألفاظها ، وكذلك سائر من يجمع النصوص ، ليس لهم فى ألفاظ الشافعىّ رضى الله عنه تصرُّف . لكن رأيت فى أصل قديم بكتاب ابن العِفْرِيس : « أو إحداهن » . فجوَّزتُ أن يكون « إحداهن » بالدال تصحَّفت « بأخراهن » بالراء ، كما قيل مثله فى الحديث .

وكذلك وجدتُ فى كتاب « الإشراف » لابن المُنْذِر ما نصه : وكان الشافعىّ ، وأبو عُبَيد ، وأبو ثَوْر ، وأصحاب الرأى يقولون : الماء الذى ولَغ الكلاب فيه نجس ، يُهَراق ويغسل الإناء ، أولاهن أو أخراهن[1] بالتراب . انتهى .

(أولاد الموالى ، وموالى الموالى هل يدخلون فى الوقف على الموالى ؟)

● هذا فرع حسن ، نص البُوَيْطِىّ على أن أولاد الموالى يدخلون ، وموالى الموالى ، أى عُتقاؤهم ، لا يدخلون . وهذه عبارته :

قال رحمه الله فى أواخر « باب الأحْباس » قبل « باب بلوغ الرشد » وهو فى أواخر الكتاب : قال أبو يعقوب : وإذا قال : دارى حَبْس على موالِىَّ ، وله موالٍ مِن فوق ، ومن أسفل[2] ولم يبيِّن . فقد قيل : هو بينهما ، وقيل بوقفه حتى يصطلحوا .

وإن قال : موالىَّ من أسفل ، ولولده موالٍ من أسفل لم يدخل فى ذلك إلا مواليه خاصة ، وولد مواليه ، ولم يدخل فى ذلك موالى مواليه ؛ لأن الولاء لهم قبله ، ويُنسبون إليهم ، وأولادهم بمنزلة آبائهم ؛ لأنهم مواليه . انتهى . وهو من كلام أبى يعقوب ، لا من كلام الشافعىّ رضى الله عنه .

وقوله : « وقيل بوقفه حتى يصطلحوا » فى المسألة الأولى ، هو القول الذى حكاه الرافعىّ فى « باب الوصية » عن حكاية البُوَيْطىّ ، ولم يذكره فى « كتاب الوقف » وحكاه النووىّ فى « الوقف » وجها من زيادته عن حكاية الدَّارِمىّ ، ثم قال : إنه ليس بشىء .

● واعلم أن صاحب «البحر» نقل مسألة أولاد الموالى، وموالى الموالى، فقال: الأختان يجتمعان فى الملك فيطأ المالك واحدة، ثم يطأ الأخرى قبل أن يُحرِّم الأولى. قال أصحابنا قاطبة: إذا كان له أمتان، وهما أختان، فوطئ إحداهما حرُمت الأخرى، حتى تَحرُم الأولى عليه بتزويج، أو كتابة، ونحو ذلك. فإن أقدم ووطئها قبل ذلك أَثِم، ولم يجب

---

(١) فى المطبوعة : أو إحداهن . والمثبت من : ج ، د .

(٢) بعد هذا فى المطبوعة : ولولده موال من أسفل . وهىَ كلمات أقحمت على النص من المسألة الآتية .

الحد للشبهة ، ثم الثانية مستمرة على التحريم كما كانت ، والأولى مستمرة على الحل ، والحرام لا يُحرِّم الحلال .

وعن أبى منصور بن مِهْران ، أستاذ الأُودَنِىّ[1] : إنه إذا أحبلَ الثانية حلَّت وحَرُمت الموطوءة ، وعلى هذين الوجهين اقتصر الرافعىّ .

قال الشيخ الإمام الوالد رحمه الله فى « شرح المنهاج » : وفى البُوَيْطِىّ : إذا كان عنده أمتان أختان ، فوطئهما قيل له : لا تقربْهُما حتى تُحرِّم فرْجَ إحداهما .

قال الشيخ الإمام : وهذا يقتضى إثبات قول آخر : أنه بوطء الثانية يحرُمان جميعا .

قلتُ : وقد وقفتُ على النص فى البُوَيْطِىّ فى « باب الجمع بين الأختين » وهو نحو نصف الكتاب ، وقد أخطأ بعض الناس ففهم من هذا النص أن الحال بوطء الثانية يُصيِّرهما كما لو اشتراهما ابتداء ؛ بحيث يجوز له أن يُقْدِم بعده على وَطْء مَن شاء منهما ، ثم يُحرِّم الأخرى ، وهو سوء فهم ، وفى قوله : « لا يقربهما » ما يرد قوله .

٤٠
يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن مَيْسَرة بن حفص بن حيَّان الإمام الكبير ، أبو موسى الصَّدَفىّ ، المصرىّ ، الفقيه ، المُقْرِى*

ولد فى ذى الحجة ، سنة سبعين ومائة .

وقرأ القرآن على وَرْش ، وغيره ، وأقرأ الناس .

وسمع الحديث من سفيان بن عُيَيْنة ، وابن وَهْب ، والوليد بن مسلم ، ومَعْن بن عيسى ، وأبى ضَمْرة أنس بن عِياض ، والشافعىّ ، وأخذ عنه الفقه ، وطائفة أخرى .

---

(١) بضم الألف وسكون الواو وفتح الدال المهملة والنون ، هذه النسبة إلى قرية من قرى بخارى ، يقال لها أودنة . اللباب ١ / ٧٤ .

* له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٨ ، تهذيب التهذيب ١١ / ٤٤٠ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٥٨٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١٤٩ ، طبقات الشيرازى ٨٠ ، طبقات القراء ٢ / ٤٠٦ ، طبقات ابن هداية الله ٧ ، العبر ٢ / ٢٩ ، اللباب ٢ / ٥١ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٤٧ .

روى عنه مسلم ، والنَّسائىّ ، وابن ماجة ، وأبو عَوانة ، وأبو بكر بن زياد النَّيسابُورِىّ ، وأبو الطاهر المَدِينىّ ، وخلق .

وانتهت إليه رياسة العلم بديار مصر .

ورُوِى عن الشافعىّ رضى الله عنه أنه قال : ما رأيتُ بمصر أحدا أعقل من يونس ابن عبد الأعلى .

وقال يحيىٰ بن حسّان : يونسكم هذا من أركان الإسلام .

وكان يونس من جملة الذين يتعاطَون الشهادة ، أقام يشهد عند الحكام ستين سنة .

قال النَّسائىّ : يونس ثقة .

وقال ابن أبى حاتم : سمعت أبى يُوثِّق يونس بن عبد الأعلى ، ويرفع من شأنه[1] .

قلتُ : لم يتكلم أحد فى يونس ، ولا نقموا عليه إلا تفرده عن الشافعىّ بالحديث الذى فى متنه : « وَلَا مَهْدِىَّ إِلَّا عِيسىٰ بْنُ مَرْيَمَ » فإنه لم يروه عن الشافِعىّ غيره . ولكن ذلك غير قادح ، فالرجل ثِقة ثَبْت .

وكان شيخنا الذهبىّ رحمه الله يُنبِّه على فائدة ، وهى أن حديثه المذكور عن الشافعىّ إنما قال فيه : حُدِّثت عن الشافعىّ ، ولم يقل : حدَّثنى الشافعىّ . قال : هكذا هو موجود فى كتاب يونس ، رواية أبى الطاهر أحمد بن محمد المَدِينىّ عنه . ورواه جماعة عنه عن الشافعىّ ، فكأنه دَلَّسه بلفظة « عن » وأسقط ذكر مَن حدَّثه به عن الشافعىّ ، فالله أعلم . هذا كلام شيخنا رحمه الله تعالى[2] .

وأنا أقول : قد صرَّح الرواة عن يونس بأنه قال : حدثنا الشافعىّ .

فأخبرنا محمد بن عبد المحسن السبكىّ الحاكم ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن على بن محمد بن أحمد بن حمزة بن الحُبُوبىّ ، سماعًا عليه ، عن أبى الوفاء محمود بن إبراهيم بن سفيان بن مَنْدَة ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن عمر البَاغْبان[3] ، أخبرنا أبو عمرو

---

(١) الجرح والتعديل ٩ / ٢٤٣ .

(٢) راجع سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٥١ .

(٣) بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وباء أخرى وفى آخرها النون ، هذه النسبة إلى حفاظ الباغ ، وهو البستان . اللباب ١ / ٨٩ .

عبد الوهاب بن أبى عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن مَنْدَة ، أخبرنا أبى الإمامُ أبو عبد الله ، أخبرنا أبو على الحسن بن يوسف الطَّرائِفىّ[1] بمصر ، وأحمد بن عمر ، وأبو الطاهر ، قالا : حدثنا أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن مَيْسَرة الصَّدَفِىّ ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعىّ ، حدثنا محمد بن خالد الجَنَدىّ[2] ، عن أَبَان بن صالح ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، وَلَا مَهْدِىَّ إِلَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ » .

وأخبرَناه أيضا أبى الشيخ الإمام رحمه الله ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن صَصْرَى بدمشق ، وإسماعيل بن نصر [الله][3] ابن أحمد بن عساكر بالقاهرة ، قالا : أخبرنا أبو المكارم عبد الواحد بن عبد الرحمٰن ابن عبد الواحد الأزْدِىّ ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم الشافعىّ ، أخبرنا أبو الحسن علىّ ابن الحسن بن الحسين المَوَازِينىّ ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن بن عثمان ابن أبى نصر ، أخبرنا القاضى أبو بكر يوسف بن القاسم المَيَانَجِىّ ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خُزَيمة النَّيسابورِىّ ، وأحمد بن محمد بن شاكر الزَّنْجَانِىّ ، بالميانج ، وأبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم ، بالرَّىّ ، وزكريا بن يحيىٰ السَّاجِىّ ، بالبصرة ، وأحمد بن محمد الطَّحاوِىّ ، وغيرهم بمصر ، والقاضى عبد الله بن محمد القَزْوِينىّ ، قالوا : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، فذكره بلفظه .

انفرد بإخراجه ابن ماجه[4] فرواه فى سننه ، عن يونس .

---

(١) بفتح الطاء والراء وكسر الياء المثناة من تحتها وفى آخرها فاء ، هذه النسبة إلى بيع الطرائف وشرائها ، وهى الأشياء الحسنة المتخذة من الخشب . اللباب ٢ / ٨٤ .

(٢) بفتح الجيم والنون وفى آخرها الدال المهملة ، نسبة إلى الجند ، وهى بلدة مشهورة باليمن . اللباب ١ / ٢٤١ ، وانظر طبقات فقهاء اليمن ٦٦ .

(٣) ساقط من المطبوعة ، وهو فى : ج ، د .

(٤) سننه فى (باب شدة الزمان ، من كتاب الفتن) ٢ / ١٣٤٠ .

وقيل : إن الشافعىّ تفرَّد به ، عن محمد بن خالد الجَنَدِىّ ، وليس كذلك ، إذ قد تابعه عليه زيد بن السَّكَن ، وعلى بن الزيد اللَّحْجِىّ[1] ، فروياه عن محمد بن خالد .

وتكلم جماعة فى هذا الحديث ، والصحيح فيه أن الجَنَدِىّ تفرد به .

وذكر أبو عبد الله الحاكم أن الجَنَدِ رجل مجهول ، قال : وقال صامت بن معاذ[2] : عدلتُ إلى الجَنَدِ مسيرة يومين مِن صَنْعاء ، فدخلت على مُحدِّث لهم ، فطلبت هذا الحديث ، فوجدته عنده : عن محمد بن خالد الجَنِدىّ ، عن أَبَان بن أبى عَيَّاش ، وهو متروك ، عن الحسن ، عن رسول الله ﷺ . وهو منقطع .

وأما الشافعىّ فلم يروه عنه غير يونس . وأما يونس فرواه عنه جماعة ، منهم : أبو عَوَانة يعقوب بن إسحاق الإسْفِرايِنىّ ، وابن ماجة ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم ، وأبو بكر بن زياد ، وهؤلاء أئمة ، رحمهم الله أجمعين .

مات يونس فى ربيع الآخر ، سنة أربع وستين ومائتين .

وبذكره نختتم الطبقة الأولى ، ونقتصر فيها على مَن ذكرناه .

واعلم أن فى الرواة عن الشافعىّ كثرة ، وقد أفردهم الحافظ أبو الحسن الدَّارَقُطْنىّ فى جزء ، ونحن لم نذكر إلا مَن تمذْهب بمذهبه ، أو كان كبير القدر ؛ لنُبيِّن أنه إنما حصل على ما حصل بسببه ، وإلا فقد أهملنا الكثير من الرواة عنه ، وأسقطنا ما لا نرى لذكره معنى غير سواد فى بياض[3] .

---

(١) بفتح اللام وسكون الحاء وفى آخرها جيم ، هذه النسبة إلى لحج ، وهى قرية من أبين ، من بلاد اليمن ، نزلها بنو لحج بن وائل ، بطن من حمير . اللباب ٣ / ٦٧ .

(٢) فى الأصول « عباد » . وأثبتنا ما فى طبقات فقهاء اليمن ٧١ ، ٧٤ ، والمستدرك ٤ / ٤٤١ .

(٣) علل ابن السبكى فى الطبقات الوسطى لذلك فقال : إذ فيهم العارى من الفقه ، ومن هو فقيه إلا أنه غير شافعى ، فلا يتوهمن المتوهم فينا تقصيرا فى تعدادهم .

(ومن الفوائد والمسائل عن يونس)

قال يونس : سمعتُ الشافعىّ يقول : لولا مالك ، وابن عُيَينة لذهب علم الحجاز .

قال : وسمعتُه يقول : إذا جاء مالِك فمالِك النجم .

قال يونس فيما رواه ابن عبد البر فى « كتاب العلم » : سمعتُ الشافعىّ يقول : إذا سمعتَ الرجل يقول : الاسم غير المُسمَّى ، أو الاسم المُسمَّى فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له[١] .

قلتُ : وهذا وأمثاله مما رُوِى فى ذم الكلام ، وقد روى ما يعارضه ، وللحافظ ابن عساكر فى كتاب « تبيين كذب المفترى » على أمثال هذه الكلمة ، كلام لا مزيد على حسنه[٢] ، ذكرت بعضه مع زيادات فى كتاب « منع الموانع » .

حكى يونس ، عن الشافعىّ فى « باب العِدَد » : أنه قال : اختلف عمر وعلى رضى الله عنهما فى ثلاث مسائل ، القياس فيها مع علىّ ، وبقوله أقول :

● إحداها : إذا تزوجتْ فى عِدَّتها ، ودخل بها الثانى ، حرَّمها على الثانى أبدا عمرُ بن الخطاب . وبه أخذ مالك ، وأحمد فى رواية ، وهو قول قديم ، وعند علىّ لا تحرم على التَّأبيد . وهو الجديد .

وهكذا الخلاف فى كل وطء أفسد النسب ، هل يحرم به على المفسد أبدا ، مثل وطء زوجة غيره بشبهة ، أو أمة غيره بشبهة ؟

ووَجَّهَه المُؤيِّدون بأنه استعجل الحق قبل وقته ، فحرَّمه الله تعالى فى وقته كالميراث ، إذا قتَل مُورِّثه لم يرثه ، وبأنه سبب يُفسد فيحرم به على التأبيد كاللِّعان .

وحجة الجديدقوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَاوَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾[٣] وهذه من وراء ذلكم ، ولأنهلو كان مباحالم يحرُم به على التأبيد، فكذلك إذا كان حراما بالزنا، ولأن الخصوم فرقوا بين العالِم، فلم يُحرِّموها عليه أبدا، قالوا: لأنه جاره[٤] بالحد. والجاهل ففيه

---

(١) ذكر ابن عبد البر هذا فى الانتقاء ٧٩ ، أما الذى فى جامع بيان العلم ٢ / ٩٥ فنحوٌ منه .

(٢) تبيين كذب المفترى ٣٣٣ – ٣٥٩ .

(٣) سورة النساء ٢٤ .

(٤) هكذا فى الأصول .

حرموها أبدا ، والفرق فاسد ؛ لأن العالم أشد جرما ، وبالزنا يفسد النسب أيضا . في كلمات كثيرة لعلمائنا .

ووجَّه الشافعيّ كون القياس مع عليّ كرم الله وجهه بأن الوطء لا يقتضى تحريمَ الموطوءة على الواطئ ، بل تحريم غيرها على الواطئ ، وتحريمها على غير الواطئ ، فما قالوه خلاف الأصول . وأطال أصحابنا فى هذه المسألة ، حتى أنكر أهل البصرة أن يكون للشافعيّ قول قديم فيها ، قالوا : وإنما ذكره حكاية ، لا مذهبا .

● الثانية : امرأة المفقود ، قال عمر : تُنْكَح بعد التربُّص ، وهو القديم . وقال عليّ : تصبِر أبدا ، وهو الجديد ، ولفظ عليّ : إنها امرأة ابتُلِيَت فلْتصبر .

● والثالثة : إذا تزوّجت الرجعية بعد انقضاء العِدّة ، وكان زوجها المُطلِّق غائبا ، ودخل بها الثانى ، ثم عاد المطلِّق وأقام بيِّنة أنه كان راجعها قبل انقضاء عدتها . قال عمر : الثانى أحق بها . وقال عليّ : بل هى للأول . وهو قولنا .

ذكر هذا كله « الرُّويَانِيّ » فى « البحر » فى « كتاب العِدَد » ، ولم يذكره المَاوَرْدِيّ فى « الحاوى » مع تتبُّعه لأمثال ذلك ، وهو ثابت عن الشافعيّ ، مَرْوِيّ بإسناد صحيح إليه . رواه ابن أبى حاتم ، وابن حَمَكان فى « مناقب الشافعيّ » وغيرهما .

● وروى عبد الرحمٰن بن أبى حاتم فى كتابه فى « آداب الشافعيّ » أنه سمع يونس يقول : سمعتُ الشافعيّ يقول : لو أتم مسافر الصلاة متعمدا مُنْكِرا للقَصْر[1] ، فعليه إعادة الصلاة . وهذا شيء غريب .

قال ابن خُزَيمة : سمعتُ يونس وذكر الشافعيّ فقال : كان يناظر الرجل حتى يقطعَه ، ثم يقول لمناظره : تقلَّد أنت الآن قولى ، وأتقلَّد قولك ، فيتقلَّد المناظر قوله ، ويتقلَّد الشافعيّ قول المناظر ، فلا يزال يناظره حتى يقطعَه . وكان لا يأخذ فى شيء إلا تقول : هذه صناعته .

---

(١) فى آداب الشافعى ٢٨٤ : « للتقصير » .

● قال يونس : قال الشافعىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾[1] الفاحشة : أن تَبْذُوَ[2] على أهل زوجها .

● وقال : أصح المعانى فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ ﴾[3] : الولد ، والحَيْضَة ، لا تكتم ذلك عن زوجها ، مخافة أن يراجعَها .

● وقال يونس : قال الشافعىّ فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ ﴾[4] : الآية كلها نُسخت بالحديث ، قال النبىّ ﷺ : « خُذُوا عَنِّى ، خُذُوا عَنِّى ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ، عَلَى الْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَعَلَى الثَّيِّبِ الرَّجْمُ » .

قلتُ : هذا يدل على أن الشافعىّ لا يمنع نسخ القرآن بالسنة ، وقد أطلنا فى الكلام على ذلك فى أصول الفقه .

● قال الإمام الجليل أبو الوليد النَّيسابُورِىّ : حدثنا إبراهيم بن محمود ، قال : سأل إنسان يونس بن عبد الأعلى ، عن معنى قول النبىّ ﷺ : « أَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مَكِنَاتِهَا »[5] فقال : إن الله يحب الحق ، إن الشافعىّ قال : كان الرجل فى الجاهلية إذا أراد الحاجة أتى الطير فى وَكْره ، فنفَّره ، فإن أخذ ذات اليمين مضى لحاجته ، وإن أخذ ذاتِ الشِّمال رجع ، فنهى النبىّ ﷺ عن ذلك .

قال : وكان الشافعىّ رحمه الله نسيجَ وحده فى هذه المعانى .

وقال محمد بن مُهاجِر : سألتُ وكيعا عن تفسير هذا الحديث ، فقال : هو صيد الليل . فذكرت له قول الشافعىّ فاستحسنه ، وقال : ما كنا نظنه إلا صيدَ الليل .

---

(١) سورة الطلاق ١ .
(٢) بذو من البذاء ، وهو الكلام القبيح . القاموس (ب ذ و)
(٣) سورة البقرة ٢٢٨ .
(٤) سورة النساء ١٥ .
(٥) فى اللسان (م ك ن) ١٣ / ٤١٢ : قيل يعنى بيضها على أنه مستعار لها من الضبة ؛ لأن المكن ليس للطير . وقيل : عنى مواضع الطير . قال أبو عبيد : وجائز فى كلام العرب أن يستعار مكن الضباب فيجعل للطير تشبيها بذلك . وانظر غريب الحديث له ٢/ ١٣٧ .

قلتُ : المَكِنُاتواحدها مَكِنة بكسر الكاف وقد تفتح ، وهى فى الأصل : بَيض الضِّباب ، وقيل : هى هنا بمعنى الأمكنة ، وقيل : مُكُناتها : جمع مُكُن ، ومُكُن جمع مكان ، كصُعُدات فى صُعُد ، وحُمُرات فى حُمُر[1] .

● قال يونس : قلتُ للشافعىّ : ما تقول فى رجل يصلى ورجل قاعد ، فعطَس القاعد ، فقال له المصلى : رحمك الله ؟

قال له الشافعىّ : لا تنْقطع صلاته .

قال له يونس : كيف ؟ وهذا كلام .

قال : إنما دعا اللهَ له ، وقد دعا رسول الله ﷺ فى الصلاة لقوم ، وعلى آخرين .

قلتُ : وقد صحح الرُّويانِىّ هذا النص ، وصحح المتأخرون بطلانَ الصلاة به .

● قال يونس : كنا فى مجلس الشافعىّ فقال : ما أُبين من حىٍّ فهو ميت . فقام إليه غلام لم يبلغ الحُلُم ، فقال : يا أبا عبد الله لا يختلف الناس أن الشعر والصوف مجزوز من حىٍّ ، وهو طاهر . فقال الشافعىّ : لم أُرد إلا فى المتعبِّدين .

نقله الآبُرِىّ فى « كتابه » وقال : يعنى بالمتعبدين الآدميين ، بخلاف البهائم .

قال يونس : سمعتُ الشافعىّ يقول : أوْحَى الله إلى داود عليه السلام : يا داود ، وعزّتى وجلالى لأبْتُرنَّ كل شفتيْن تكلّمتا بخلاف ما فى القلب .

قال الحاكم أبو عبد الله : سمعتُ أبا نصر أحمد بن الحسين بن أبى مروان ، يقول : سمعتُ ابن خُزَيمة ، يقول : سمعتُ يونس بن عبد الأعلى ، يقول : إن أم الشافعىّ رضى الله عنه فاطمة بنت عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وإنها هى التى حملت

---

(١) العبارة فى الأصول : وقيل مكناتها جمع مكن ، ومكن جمع مكنات ؛ كصعدات فى صعد ، وجمرات فى جمر . والتصويب من اللسان ١٣ / ٤١٣ ، (م ك ن) نقلا عن الزمخشرى . وانظر الفائق ٣ / ٤٢ .

الشافعىّ رضى الله عنه إلى اليمن وأدَّبته ، وإن يونس كان يقول : لا أعلم هاشميا ولدته هاشمية إلا على بن أبى طالب ، والشافعىّ رضى الله عنهما .

قلتُ : وهذا قول مَن قال : إن أم الشافعىّ رضى الله عنه مِن ولد على كرم الله وجهه ، وعليه الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضْل الفارِسىّ ، فإنه نصَره فى كتابه الذى صنفه فى « نسب الشافعىّ » ، لكن أنكره زكريا السَّاجِىّ ، وأبو الحسن الآبُرِىّ ، والبَيْهَقِىّ ، والخطيب ، والأَرْدَسْتَانىّ ، وزعموا أنها كانت أَزْدية ، ومنهم مَن قال : أسْدية ، واحتج هؤلاء بأنه لما قدم مصر سأله بعض أهلها أن ينزل عنده فأبى ، وقال : [إنِّى][1] أنزل على أخوالى الأسْدِّيين .

قلتُ : وأنا أقول : لا دلالة فى هذا على أن أمه أسْدية ؛ لجواز أن تكون الأسْدية أمَّ أبيه ، أو أم جده ، ونحو ذلك ، ويكون اقتدى فى ذلك قولا وفعلا برسول الله ﷺ ، لمَّا هاجر وقدم المدينة ، ونزل على أخوال عبد المطلب إكراما لهم . فما ذكره يونس مِن أن أمه من ولد علىّ قول لم يظهر لى فسادُه ، بل أنا أميل إليه .

فإن قلتَ : قد ضعَّفه مَن ذكرت من الأئمة ؛ وجعل البَيْهقِىّ الحملَ فيه على أحمد ابن الحسين ابن أبى مروان ، واحتج بمخالفة سائر الروايات له .

قلتُ : لم يتبين لى مخالفتُها ؛ فإن غايتها ما ذكرتُ من أنه رضى الله عنه قال : أنزل على أخوالى الأسْدِّيين ، وقد بيَّنَّا أنه يمكن حمل ذلك على أخوال الأب ، ونحوه ، والمصير إلى ذلك متعيِّن ؛ للجمع بينه وبين هذه الرواية الصريحة فى تعيين اسم أمه ، وسياق نسبها إلى علىّ كرم الله وجهه ، وضعفُ ابن أبى مروان لم يثبت عندنا ، ولو كان ، لم يسكت عنه الحاكم إن شاء الله .

والذين قالوا : إن أمه أسدية ربما قالوا أيضًا : أزدية ، ثم قالوا : الأزد والأسْد شيء واحد ، ولم يعيِّنوا لها اسما ، ولا ساقوا نسبا ، وغاية بعضهم أن كناها أمَّ حبيبة[2] .

---

(١) زيادة من : ج ، د .وتقدم مثل هذا فى الجزء الأول ١٩٣ .

(٢) فى المطبوعة : صبية . والمثبت من : ج ، د .

فإن قلتَ : قد ذكروا أن ابن عبد الحكم قال : سمعتُ الشافعىّ يقول : أمِّى من الأزْد .

قلتُ : وقد ذكرنا أن يونس قال ما أبديناه ، والله أعلم أىُّ الأمرين أثبت ، والجمع بينهما عند الثبوت ممكن بالطريق التى ذكرنا .

فإن قلتَ : فقد وافق ابن المُقرِى الجماعة على تضعيف كونها علوية ؛ محتجا بقول الشافعىّ فى حكايته مع إبراهيم الحَجَبِىّ ، الذى تقدمت فى ترجمة الحارث النَّقَّال : علىٌّ ابن عمى[1] . قال : ولم يقل جدِّى . قال : ولو كان جده لذكر ذلك ؛ لأن الجدودة أقوى من الخؤولة والعمومة .

قلتُ : يَحتمِل أن يقال : إنما اقتصر على كونه ابن عمه ؛ لأنها القرابة من جهة الأب ، وأما الجدودة فإنها قرابة من جهة الأم ، والقرابة من جهة الأم لا تُذكر غالبا ، ثم الأمر فى هذه المسألة موهوم ، فلسنا فيها على قطع ولا ظن غالب ، وما ذكرناه من اقتصاره على أنه ابن عمه للمعنى الذى أبديناه ، حسنٌ فى الجواب لو وقع الاقتصار عليه فى كل الروايات ، لكن فى بعضها ابن عمِّى وابن خالتى ، وذِكر الخؤولة يضعف ما أبديناه ، ولا عظيم فى المسألة ، وأى الأمرين منها ثبَتَ فشرفُه بيِّن ، فإن الأزْد أيضًا قال فيهم رسول الله ﷺ ، فيما رواه التِّرمِذىّ : « الْأَزْدُ أُسْدُ[2] اللهِ فِي الْأَرْضِ ، يُرِيدُ النَّاسُ أَنْ يَضَعُوهُمْ ، وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَهُمْ » الحديث .

● وكانت أمه رضى الله عنها باتفاق النَّقَلة من العابدات ، القانتات ، ومن أذكى الخلق فِطرة ، وهى التى شهدت هى وأم بِشر الْمَرِيسِىّ بمكة عند القاضى ، فأراد أن يفرِّق بينهما ؛ ليسألهما منفردتين عما شهدتا به استفسارا . فقالت له أم الشافعىّ : أيها القاضى ليس لك ذلك ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾[3] فلم يفرِّق بينهما .

---

(١) فى هذا الجزء ١١٣ .

(٢) فى الأصول « أزدُ » والتصحيح من الترمذى . عارضة الأحوذى (أبواب المناقب) ١٣ / ٢٨٨ .

(٣) سورة البقرة ٢٨٢ .

قلتُ : وهذا فرع حسن ، ومعنى قوى ، واستنباط جيد ، ومنزع غريب ، والمعروف فى مذهب ولدها رضى الله عنه إطلاق القول بأن الحاكم إذا ارتاب بالشهود استُحبّ له التفريق بينهم ، وكلامها رضى الله عنها صريح فى استثناء النساء ، للمنزع الذى ذكرتُه ، ولا بأس به .

فإن قلتَ : هذا الذى جاء فى بعض الروايات ، من قول الشافعىّ فى علىّ كرم الله وجهه : ابن خالتى . ما وجهه ؟ فإن كونه ابن عمه واضح ، وأما كونه ابن خالته فغير واضح .

قلتُ : قد وجَّهوه بأن أم السَّائب بن عُبَيد جد الشافعىّ رضى الله عنه ، هى الشِّفا بنت الأرْقم بن هاشم بن عبد مناف ، وأم هذه المرأة خُلَيدة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وأم على [(1)]بن أبى طالب[(1)] كرم الله وجهه فاطمة بنت أسد بن [(1)]هاشم ابن[(1)] عبد مناف ، فظهر أن عليا كرم الله وجهه ابن خالة الشافعىّ ، بمعنى ابن خالة أم جدِّه

***

خاتمة لهذه الطبقة الأولى

اعلم أن فى الرواة عن الشافعىّ رضى الله عنه كثرة ، وقد أفردهم الحافظ أبو الحسن الدَّارَقُطْنِىّ بجزء ، ونحن اقتصرنا على من تمذهب بمذهبه ، أو كان كبير القدر فى نفسه ، وأسقطنا ذكر مَن لا نرى لذكره كبير معنى ، غير سواد فى بياض ، بحيث أسقطنا ذكر جماعة ذكرهم أبو عاصم العَبَّادِىّ ، وغيره ممن صنف فى الطبقات ، وفيمن أخذ علم الشافعىّ وعُزِى إليه ، وعاصره .

وذكر الأصحاب فى الطبقات عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، ويحيىٰ بن سعيد القَطّان ، أما عبد الرحمن بن مَهْدِى بن حسان بن عبد الرحمن[(2)] ...

***

---

(1) زيادات من : ج ، د على ما فى المطبوعة .

(2) لم يتح لابن السبكى أن يكمل حديثه ، ويلاحظ أنه كرر ما سبق أن ذكره فى صفحة ١٧٣ وزاد عليه .

الطبقة الثانية

فيمن توفى بعد المائتين ، ممن لم يصحب الشافعىّ وإنما اقتفى أثره

واكتفى بمن استطلع خبره ، واصطفى طريقه ، الذى أطْلع

فى دياجى الشكوك قمرُه



٤١
أحمد بن سيَّار بن أيوب
أبو الحسن ، المَرْوَزِىّ*

الزاهد الحافظ ، أحد الأعلام .

سمع عفَّان ، وسليمان بن حرب ، وعَبْدان ، ومحمد بن كثير ، وصَفْوان بن صالح الدّمشقىّ ، وإسحاق بن راهُويه ، ويحيى بن بُكَير ، وطبقتهم .

وروى عنه النَّسائىّ ، ووثَّقه ، وقال فى موضع آخر : ليس به بأس . وابن خُزَيمة ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِىّ ، وحاجب الطُّوسى ، وخلق .

وفى صحيح البخارى : حدثنا أحمد ، حدثنا محمد بن أبى بكر المُقَدَّمِىّ[1] . فقيل : إن أحمد المشار إليه هذا .

وكان يشبَّه بابن المبارك فى زمانه .

وهو مصنف « تاريخ مرو » .

وتوفى فى ربيع الآخر ، سنة ثمان وستين ومائتين ، وقد استكمل سبعين سنة .

● ومن مسائله قوله : إن المصلى إذا لم يرفع يديه للافتتاح لا تصح صلاته .

قال ابن الصّلاح : وقد نظرت فلم أجد ذلك محكيًّا عن أحد .

قلتُ : سيأتى إن شاء الله تعالى فى ترجمة ابن خزيمة ما يوافقه .

ونقله النَّووِىّ فى « تهذيب الأسماء » عن داود[2] .

● ومنها : أنه قال بإيجاب الأذان للجمعة ، دون غيرها .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٤/ ١٨٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٤٦ ، تهذيب التهذيب ١/ ٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١٥٤ . تذكرة الحفاظ ٢ / ٢٦ ، العبر ٢ / ٣٧ . النجوم الزاهرة ٣ / ٤٤ .

(١) صحيح البخارى (باب وكان عرشه على الماء . من كتاب التوحيد) ٩/ ١٥٢ . وانظر الفتح ١٣/ ٤١١ .

(٢) يعنى : داود الظاهرى ، كما فى تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٤٧ .

٤٢
أحمد بن عبد الله بن سيف
أبو بكر السِّجِسْتانِيّ

● حكى أنه سمع المُزَنِيّ يقول ، وقد سئل عمن تزوج امرأة على بيت شعر : يجوز على معنى قول الشافعيّ : إذا كان مثل قول القائل :

يُريدُ المرء أن يُعطَى مُناهُ ويـأبى اللهُ إلا ما أرادَا[١]
يقولُ المرءُ فائدتى ومالى وتقوى اللهِ أكرمُ ما استفادَا

وروَى عن يونس بن عبد الأعلى ، عن الشافعيّ رضى الله عنه : أنه سمع رجلين يتعاتبان والشافعيّ يسمع كلامهما ، فقال لأحدهما : إنك لا تقدر أن ترضىَ الناس كلهم ، فأصلح ما بينك وبين الله ، ولا تبالِ[٢] بالناس .

ذكره الحافظ أبو سعد بن السَّمْعانِيّ فى ترجمة الحافظ أبى مسعود عبد الجليل بن محمد بن كُوتّاه[٣] .

● وروَى عن المُزَنِيّ ، قال : قال الشافعيّ فيمن تكشَّف فى الحمَّام : إنه لا تُقبَل شهادته ؛ لأن الستر فرض .

٤٣
أحمد بن الحسين بن سهل
أبو بكر الفارسيّ*

صاحب « عيون المسائل » إمام جليل .

وهو ممن استبْهم علىَّ أمرُه ؛ ففى « طبقات أبى عاصم العبَّادىّ » ذكره فى الطبقة

---

(١) جاء هذا الشعر لأبى الدرداء . وقد أورده ابن عبد البر ، فى الاستيعاب ٤/ ١٦٤٨ .
(٢) فى الأصول « لا تبالى » . والتصحيح من توالى التأسيس ١٣٦ .
(٣) بضم الكاف ، وهو فارسى ، معناه : القصير . تاج العروس ٩ / ٤٠٨ (ك ت ه) .
* ترجمته فى : تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢/ ١٩٥ ، طبقات الفقهاء للعبادى ٤٥ ، طبقات ابن هداية الله (بيروت) ٧٥ – ٧٧ ، كشف الظنون ١١٨٨ . وقطع المصنف بأن ذكر أبى بكر الفارسى فى الطبقة الثالثة أحق من ذكره فى هذه الطبقة ، ولم يترجمه فيها . وفى النسخ : « بن الحسن » .

الثانية ، مع ابن خزيمة وأنظاره ، قبل أبى عبد الله البُوشَنْجِىّ ، ومحمد بن نصر ، وغيرهما . وقضية هذا أن يكون أخذ عمَّن لقىَ الشافعىّ رضى الله عنه ، ويؤيِّد ذلك أن محمود الخُوَارَزْمِى ذكر أنه تفقَّه على المُزَنِى وأنه أول مَن درَّس مذهب الشافعىّ ببَلْخ ، برواية المُزَنِىّ . كذا نص عليه فى ترجمة أبى الحياة محمد بن أبى قاسم عبد الله ابن أبى بكر محمد بن أبى على الحسن بن أبى الحسن على بن الإمام أبى بكر أحمد بن الحسن بن سهل ، وقال : سمعته – يعنى أبا الحياة – يذكر أن سهلا الذى فى نسبه من التابعين .

ويوافق هذا قول من قال : إن أبا بكر الفارسىّ توفى سنة خمس وثلثمائة ، قبل ابن سُرَيج ، وهو ما ذكرته فى « الطبقات الوسطى » لكنى على قطع بأن صاحب « عيون المسائل » تُوفى بعد ابن سُرَيج ؛ لأنى رأيت أصلا أصيلا من كتابه ، موقوفا بخزانة المدرسة البادَرَائِيّة[1] بدمشق ، ومما دلَّنى على أنه كُتِب فى حياته قول كاتبه فيما دعا به لمصنِّفه : مَدَّ الله فى عمره ، وأدام عِزَّه[2] . وذكر فى آخر الجزء الأول منه : أنه فرغ منه ليلة الأحد لليلة مضت من ذى الحجة ، سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، بسمرقند ، فى ولاية الأمير أبى محمد نوح بن نصر ، مولى أمير المؤمنين . هذه صورة خطه ، وذكر فى آخر الكتاب أنه فرغه فى شوال ، سنة إحدى وأربعين وثلثمائة . وهذه النسخة مجزأة ثمانية أجزاء ، ضمن مجلد واحد ، وقد استكتبتُ منها نسخة ليحيىٰ هذا الكتاب ؛ فإنى لم أجد به إلا هذه النسخة .

وفيما ذكرته ما يدل على أنه كان موجودا سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، ويوافق هذا منام لابن سُرَيج شهير ، ممَّن حكاه عنه أبو بكر الفارسىّ ، سنذكره فى ترجمة ابن سُرَيج إن شاء الله ، مع قرائن مُحقِّقة بأنه من تلامذة ابن سُرَيج ، وعند هذا قد يقف الذهن ، أو يقضى بأنهما فارسيان ، ولا شك أن لنا فارسيين : أحدهما أبو بكر صاحب « العيون » ، والثانى أبو محمد أحمد بن مَيْمون ، الذى ذكره الأصحاب ، منهم الرَّافعىّ ، عند نقلهم عنه :

---

(١) فى الأصول : البادرانية ، والصواب ما أثبتناه . انظر اللباب ١ / ٨٣ ، منادمة الأطلال ٨٧ .

(٢) فى هامش ج : هذا لا يدل ؛ لاحتمال أن يكون الكاتب مغفلا ، وجد ما نصه : أمد الله فى عمره ، فكتبها .

● أن الأَمَة إذا سُلِّمت لزوجها فى اللَّيل دون النَّهار يجب لها نصف النفقة .

أما فارسيَّان ، كل منهما أبو بكر فبعيد ! وبتقديره فكل منهما أبو بكر أحمد بن الحسن بن سهل أبعد ، وبتقديره فما صاحب « العيون » بمتقدم على ابن سُرَيج ، ولا بتلميذٍ للمُزَنِىّ ، ولا بمدركٍ زمانه قطعا . وقد قضى العَبَّادِىّ بأن أبا بكر الفارسىّ هو صاحب « العيون » و « كتاب الانتقاد » ، وغيرهما ، فكيف هذا ! ؟

وليقع الاكتفاء بترجمة صاحب « العيون » فإنه المذكور فى بطون الأوراق ، وليكن ذكره فى الطبقة الثالثة ، فيمن توفى بعد الثلثمائة ، فذكره هناك أحق منه هنا .

٤٤

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع بن السَّائب

الإمام أبو محمد ، ويقال أبو عبد الرحمن ابن بنت الشافعىّ رضى الله عنهم*

كذا ساق نسبه الشيخ أبو زكريا النَّوَوِىّ رحمه الله ، فى « باب الحيض » من « شرح المهذب » ، وقال : إنه يقع فى اسمه وكنيته تخبيط فى كتب المذهب ، وإن المُعتَمَد هذا الذى ذكره ، وإن أمه زينب بنت الإمام الشافعىّ ، وإنه روى عن أبيه ، عن الشافعىّ .

وقال : كان إماما مبرِّزا ، لم يكن فى آل شافع بعد الشافعىّ مثلُه ، سرت إليه بركة جَدّه .

قال : وقد ذكرت حاله فى « تهذيب الأسماء » وفى « الطبقات » .

٤٥

أحمد بن نصر بن زياد

أبو عبد الله ، القرشىّ ، النَّيسَابُورِىّ**

المُقْرِى ، الزاهد ، الرَّحَّال .

---

* له ترجمة مستوفاة فى تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٨٥ . وانظر المجموع شرح المهذب ٢/ ٥٠١ .

** له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ١/ ٨٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١١٠ ، طبقات القراء ١/ ١٤٥ ، العبر ١ / ٤٠٨ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٢٢ .

رَوَى عن عبد الله بن نُمَير ، وابن أبى فُدَيك ، وأبى أُسامة ، والنَّضْر بن شُمَيْل ، وجماعة .

سمع منه أبو نُعَيم ، وهو من شيوخه .

وحدَّث عنه التِّرْمِذِىّ ، والنَّسائِىّ ، وابن خُزَيمة ، وأبو عَرُوبة الحَرَّانِىّ .

قال الحاكم : كان فقيه أهل الحديث فى عصره ، كثير الحديث والرحلة ، رحل إلى أبى عُبَيْد على كبر السِّنّ[1] متفقها ، فأخذ عنه ، وكان يُفْتِى بنيسابور على مذهبه ، وعليه تفقَّه ابن خُزَيمة قبل أن يرحل .

توفى سنة خمس وأربعين ومائتين .

أحمد بن الحسن بن سهل الفارسىّ ، أبو بكر[2]

لأصحابنا فيما يظهر اثنان ، كل منهما أبو بكر الفارسىّ ، أحدهما صاحب « عيون المسائل » .

٤٦
محمد بن أحمد بن نصر
الشيخ الإمام ، أبو جعفر التِّرْمِذِىّ*

شيخ الشافعية بالعراق قبل ابن سُرَيج .

رحل وسمع يحيى بن بُكَير ، ويوسف بن عَدِىّ ، وإبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامِىّ[3] والقَوارِيرِىّ ، وطبقتهم .

---

(١) فى المطبوعة : سنه . والمثبت من : ج ، د .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١/ ٣٦٥ ، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٠ ، طبقات ابن هداية الله ١٠ ، طبقات الشيرازى ٨٦ ، العبر ٢ / ١٠٣ .

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ١٨٤ .

(٣) فى المطبوعة ، د : الحرانى . والمثبت من : ج ، المشتبه ٢٢٣ وتقدمت ترجمته فى هذا الجزء صفحة ٨٢ .

رَوَى عنه عبد الباقى بن قانِع ، وأحمد بن كامل ، وأبو القاسم الطَّبَرَانِىّ ، وغيرهم .

تفقَّه على أصحاب الشافعىّ .

وكان إمامًا ، زاهدًا ، ورعًا ، قانعًا باليسير .

حكى أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِىّ الزَّجَّاج : أنه كان يُجرَى عليه فى الشهر أربعة دراهم .

قال : وكان لا يسأل أحدًا شيئًا .

وقال محمد بن موسى بن حمَّاد : أخبرنى أنه تقوَّت بِضْعة عشر يومًا بخمس حبَّات ، قال : ولم أكن أملك غيرها ، فاشتريت بها لِفتًا ، وكنت آكل منه .

قال أحمد بن كامل : لم يكن للشافعية بالعراق أرأس منه ، ولا أورع ، ولا أكثر تقلُّلا .

وقال الدَّارَقُطنىّ : ثقة ، مأمون ، ناسك .

توفى أبو جعفر فى المحرم ، سنة خمس وتسعين ومائتين ، وقد كمَّلَ أربعًا وتسعين سنة .

ونُقل أنه اختلَطَ بأَخَرة .

وله فى المقالات كتاب سماه « كتاب اختلاف أهل الصلاة » فى الأصول . وقف عليه ابن الصَّلاح ، وانتقى منه فقال : ومن خطه نقلت أن أبا جعفر قلَّ ما[1] تعرَّض فى هذا الكتاب لما يختار هو ، وأنه رَوَى فى أوله حديث : « تَفْتَرِقُ أُمَّتِى عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » عن أبى بكر بن أبى شَيْبَة .

وأنه بالغ فى الرد على مَن فضَّل الغنى على الفقر .

وأنه نقل أن فِرْقَة من الشِّيعة ، قالوا : أبو بكر وعمر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، غير أن عليًّا أحبُّ إلينا .

قال أبو جعفر : فلحقوا بأهل البِدَع ، حيث ابتدعوا خلاف مَن مضى .

---

(١) فى المطبوعة : قال ما . والمثبت من : ج ، د .

٤٧

محمد بن أحمد بن عليّ الْخِلَالِيّ

أبو بكر*

من أصحاب المُزَنِيّ ، ذكره العَبَّادِيّ . وهو من أصحاب المُزَنِيّ ، والربيع .

رَوَى عنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن المُقْرِى ، وقال : هو ثقة ، صاحب المُزَنِيّ والربيع .

وقال ابن نُقْطة فى « التقييد » : إنه الخِلَالِيّ ، بكسر الخاء المعجمة وتخفيف اللام ، وزعم أنه نقل ذلك من خطِّ مُؤتَمَن ، فى غير موضع[1] .

٤٨

محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمٰن بن موسى

وقيل : موسى بن عبد الرحمٰن ، أبو عبد الله ، البُوشَنْجِيّ ، العَبْدِيّ**

شيخ أهل الحديث فى زمانه بنيسابور[2] .

سمع من إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامِيّ ، والحارث بن سُرَيج النَّقَّال ، وأبى جعفر عبد الله بن محمد النُّفَيْلِيّ[3] وعبد العزيز بن عِمْران بن مِقْلاص ، وعلى بن الجَعْد ، وأبى كُرَيْب محمد بن العلاء ، ومُسدَّد بن مُسَرْهَد ، ويحيىٰ بن عبد الله بن بُكَير ، وسعيد ابن منصور ، وأبى نصر التَّمّار ، وغيرهم .

روى عنه محمد بن إسحاق الصَّغَانِيّ، ومحمدبن إسماعيل البخاريّ، وهما أكبر منه،

---

* انظر المشتبه ١٩٧ .

(١) وترجم له ابن نقطة فى تكملة الإكمال ٢/١٩٢ بهذا الكلام .

**له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ ٢ / ٢٠٧ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٨ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٤٥٥ ، شذرات الذهب ٢ / ٢٠٥ ، طبقات ابن هداية الله ٨ ، العبر ٢ / ٩٠ ، النجوم الزاهرة ٣ / ١٣٣ ، الوافى بالوفيات ١ / ٣٤٢ .

(٢) فى الطبقات الوسطى : نزل نيسابور ، وسكنها ، وبها مات .

(٣) بضم النون وفتح الفاء وسكون الياء تحتها نقطتان وبعدها لام ، نسبة إلى الجد . اللباب ٣ / ٢٣٤ .

وابن خُزَيمة ، وأبو العباس الدَّغْوَلِىّ ، وأبو حامد بن الشَّرْقِىّ[1] ، وأبو بكر بن إسحاق الصِّبْغِىّ[2] ، وإسماعيل بن نُجَيد ، وخلق كثير .

وقيل : إن البخارىّ روَى عنه حديثًا فى « الصحيح » ذكر ذلك محمد بن يعقوب ابن الأَخْرَم[3] .

وفى « الصحيح » للبخارىّ : حدثنا محمد ، حدثنا النُّفَيْلِىّ . ذكره فى تفسير سورة البقرة[4] .

قال شيخنا الذهبىّ : فإن لم يكن البُوشَنْجِىّ ، وإلا فهو محمد بن يحيى[5] .

قال : والأغلب أنه البُوشَنْجِىّ ؛ فإن الحديث بعينه رواه الحاكم عن أبى بكر بن أبى نصر ، حدثنا البُوشَنْجِىّ ، حدثنا النُّفَيْلِىّ ، حدثنا مِسْكين بن بُكَير ، حدثنا شُعبة ، عن خالد الحَذَّاء ، عن مروان الأَصْفر ، عن رجل من أصحاب النبىّ ﷺ ، وهو ابن عمر : أَنَّهَا نُسِخَتْ ﴿ إِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾[6] الآية .

قلتُ : ولذلك ذكره شيخنا المِزِّىّ فى « التهذيب » .

وكان البُوشَنْجِىّ من أجلّ الأئمة ، وله ترجمة طويلة عريضة ذات فوائد فى « تاريخ الحاكم » .

قال ابن حَمدان : سمعتُ ابن خُزَيمة ، يقول : لو لم يكن فى أبى عبد الله من البخل بالعلم ما كان[7] ، ما خرجت إلى مصر .

وكان إماما فى اللغة ، وكلام العرب .

قال أبو عبد الله الحاكم : سمعت أبا بكر بن جعفر ، يقول : سمعت أبا عبد الله البُوشَنْجِىّ يقول للمُسْتملِىّ : الزم لفظى وخَلاكَ ذمٌّ .

---

(١) فى المطبوعة : ابن الشرقى . والمثبت من : ج . والطبقات الوسطى ، وتهذيب التهذيب . وهو بفتح الشين العجمة وسكون الراء وفى آخرها قاف ، نسبة إلى الجانب الشرقى من نيسابور . اللباب ٢ / ١٧ .

(٢) فى المطبوعة : الضبعى ، والتصويب من : ج ، د ، واللباب ٢ / ٤٩ .

(٣) فى المطبوعة : ابن الأحزم . والتصويب من : ج ، تهذيب التهذيب .

(٤) صحيح البخارى ٦ / ٤١ .

(٥) نص صاحب « الجمع » على أنه البوشنجى . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٨٧ .

(٦) سورة البقرة ٢٨٤ .

(٧) فى تهذيب التهذيب زيادة : وكان يعلمنى .

وقال أبو عبد الله بن الأَخْرَم : سمعت أبا عبد الله البُوشَنْجِيّ غيرَ مرة يقول : حدثنا يحييٰ بن عبد الله بن بُكَير ، وذكره بِمِلْءِ[1] الفم .

وقال دَعْلَج ؛ حدثني فقيه أن أبا عبد الله حضر مجلس داود الظَّاهِرِيّ ببغداد ، فقال داود لأصحابه : حضركم مَن يفيد ، ولا يستفيد .

وكان أبو عبد الله البُوشَنْجِيّ قويَّ النفس ، أشار يوما إلى ابن خُزَيمة ، فقال : محمد ابن إسحاق كيِّس ، وأنا لا أقول هذا لأبي ثَوْر .

ولما تُوفّي الحسين بن محمد القَبَّانِيّ ، قُدِّم أبو عبد الله للصلاة عليه فصلى ، ولما أراد أن ينصرف قُدِّمت دابّته ، وأخذ أبو عمْرو الخَفَّاف بلجامه ، وأبو بكر محمد بن إسحاق بركابه ، وأبو بكر الجَارُودِيّ وإبراهيم بن أبي طالب يسوِّيان عليه ثيابه ، فمضى ولم يكلم واحدا منهم .

وفي لفظ : ولم يمنع واحدا منهم . والمعنى هنا واحد ؛ فإن مراد مَن قال : ولم يكلم أنه لم يمنع .

وقال أبو الوليد النَّيسَابُورِيّ : حضرْنا مجلسَ البُوشَنْجِيّ ، وسأله أبو عليّ الثَّقَفِيّ عن مسألة ، فأجاب . فقال له أبو علي : يا أبا عبد الله ، كأنك تقول فيها بقول أبي عُبَيد . فقال : يا هذا لم يبلغ بنا التواضع أن نقول بقول أبي عُبَيد .

وقال ابن خُزَيْمة ، وقد سئل عن مسألة بعد أن شيَّع جنازة أبي عبد الله : لا أُفتي حتى نُوارِيَه لحدَه .

وكان البُوشَنْجِيّ جوادا سخيا ، وكان يقدِّم لسنانيره من كل طعام يأكله . وبات ليلة ثم ذكر السنانير بعد فراغ طعامه ، فطبخ في الليل مِن ذلك الطعام وأطعمهم .

وقال السيد الجليل أبو عثمان سعيد بن إسماعيل : تقدمتُ يوما لأصافح أبا عبد الله البُوشَنْجِيّ ، تبرّكا به ، فقبض يده عني ، وقال : لست هناك .

---

(١) في المطبوعة : يملأ . ورسم الكلمة غير واضح في : ج ، د . والمثبت في تذكرة الحفاظ .

وقال الحسن بن يعقوب : كان مُقام أبى عبد الله بنيْسابور على اللَّيْثيَّة ، فلما انقضت أيامهم خرج إلى بُخارى ، إلى حضرة إسماعيل الأمير ، فالتمس منه بعد أن أقام عنده برهة أن يكتب أرزاقه بنيْسابور .

قلتُ : اللَّيْثيَّة : يعقوب بن الليث الصَّفَّار ، وأخوه عمرو ، وذووهما ، ملكوا فارس متغلِّبين عليها ، وبلغتْ بهما تنقُّلات[1] الأحوال إلى أن بلغا درجة السلطنة بعد الصَّنْعَة فِى الصُّفْر[2] ، وجرت لهم أمور يطول شرحها .

وقال الحاكم : سمعتُ الحسين بن الحسن الطُّوسِىّ ، يقول : سمعتُ أبا عبد الله البُوشَنْجِىّ ، يقول : أخذتُ من اللَّيْثيَّة سبعمائة ألف درهم .

قيل : مات أبو عبد الله البُوشَنْجِىّ فى غرّة المحرم ، سنة إحدى وتسعين ومائتين .

وقيل : بل سَلْخ ذى الحجة ، سنة تسعين ، ودفن من الغد . وهو الأشبه عندى .

وصلّى عليه إمام الأئمة ابن خُزَيْمة .

ومولده سنة أربع ومائتين .

(ومن الرواية عنه)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إذنا خاصا ، أخبرنا محمد بن عبد السلام ، وأحمد ابن هبة الله ، وزينب بنت كِنْدِىّ[3] قراءة ، عن المُؤَيِّد الطُّوسِىّ ، أن أبا عبد الله الفُرَاوِىّ أخبره ، وعن عبد المعزّ الهَرَوى أن تميما المؤدِّب أخبره ، وعن زينب الشّعرِيّة ، أن إسماعيل بن أبى قاسم[4] أخبرها ، قالوا : أخبرنا عمر بن أحمد بن مسرور ، أخبرنا إسماعيل بن نُجَيد الزاهد ، سنة أربع وستين وثلثمائة ، حدثنا محمد بن إبراهيم البُوشَنْجِىّ ، حدثنا رَوْح بن صلاح المِصْرِىّ ، حدثنا موسى بن عُلَىّ[5] بن رَباح ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « الْحَسَدُ فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ

---

(١) فى المطبوعة : تقلبات . والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : بعد الضيعة فى الصغر . والمثبت من : ج ، د . والصفر : النحاس .

(٣) انظر القاموس (ك ن د) . وانظر هذه الرواية فى سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٨٨ .

(٤) فى المطبوعة : القاسم . والمثبت من : ج ، د .

(٥) انظر المشتبه ٤٦٩ .

وَحَرَّمَ حَرَامَه . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا ، فَوصَلَ مِنْهُ أَقْرِبَاءَهُ وَرَحِمَهُ ، وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ - تمنى أن يكون مثله - وَمَنْ تَكُنْ فِيهِ أَرْبَعٌ فَلَا يَضُرُّهُ مَا زُوِىَ عَنْهُ مِنَ الدُّنْيَا : حُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وَعَفَافٌ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ ، وحِفْظُ أَمَانَةٍ » .

أخبرنا المُسنِد أبو حفص عمر بن الحسن المَرَاغِىّ ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو الحسن بن البُخارِىّ إجازة ، أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن على بن سُكَيْنة ، كتابة ، عن زاهر بن طاهر ، عن شيخ الإسلام أبى عثمان الصَّابُونِىّ ، قال : أخبرنا الحاكم أبو عبد الله ، سماعا عليه ، قال : أخبرنا أبو بكر بن أبى نصر الدَّاوُودِىّ[1] بمَرْو ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البُوشَنْجِىّ بمرو ، حدثنا سُلَيم بن منصور ابن عمّار ، حدثنى أبى ، حدثنا يوسف بن الصَّبّاح الفَزَارِىّ ، كوفِىّ ، عن عبد الله ابن يونس بن أبى فَرْوة ، قال : لما أصاب امرأةَ العزيز الحاجة ، قيل لها : لو أتيتِ يوسفَ . فاستشارت فى ذلك ، فقالوا : إنا نخافه [عليك][2] قالت : كلا ، إنى لا أخاف ممن يخاف الله . فلما دخلت عليه فرأته فى ملكه ، قالت : الحمد لله الذى يجعل العبيد ملوكا بطاعة الله ، والحمد لله الذى يجعل الملوك عبيدا بمعصيته .

قال : فتزوجها فوجدها بكرا ، فقال : أليس هذا أحسن ، أليس هذا أجمل ؟ قالت : إنى ابتُلِيت بك بأربع : كنتَ أجملَ أهل زمانك ، وكنتُ أجملَ أهل زمانى ، وكنت بكرا ، وكان زوجى عِنِّينا .

قال : ولما كان من أمر الإخوة ما كان ، كتب يعقوب إلى يوسف ، وهو لا يعلم أنه يوسف : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إلى عزيز آل فِرْعَون ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنا أهل بيت مُولَع بنا أسبابُ البلاء ، كان جدى إبراهيم خليل الله أُلْقِىَ فِى النار فِى طاعة ربه ، فجعلها عليه بردا وسلاما ، وأمر الله تعالى جدى أن يذبح أبى ، ففداه الله بما فداه به ، وكان لى ابن وكان من

---

(١) فى المطبوعة : الداربردى . والمثبت من : ج ، د .

(٢) ساقط من : ج .

أحب الناس إلىّ ، ففقدته فأذهب حزنى عليه نورَ بصرى ، وكان لى آخر من أمه ، كنت إذا ذكرته ضمَمته إلى صدرى ، فأذهب عنى بعضَ وَجدى ، وهو المحبوس عندك فى السرقة ، وإنى أخبرك أنى لم أسرق ، ولم ألد سارقا[1] . فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح ، فقال : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾[2] .

(ومن شعره)

قال أبو عثمان الصَّابُونِىّ : أنشدنى أبو منصور بن حَمْشاد[3] ، قال : أُنْشدت لأبى عبد الله البُوشَنْجِىّ فى الشافعىّ ، رضى الله عنه :

ومِن شُعَب الإيمان حبُّ ابن شافعٍ وفرضٌ أكيدٌ حبُّه لا تطوُّعُ
وإنى حياتى شافعىٌّ وإن أمتْ فتَوْصِيتِى بعدى بأن تتشفَّعُوا[4]

● ذكر الحاكم بسنده إلى أبى عبد الله البُوشَنْجِىّ ، حدثنا عبد الله بن يزيد الدمشقى ، حدثنا عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر ، قال : رأيت فى المقسلاط[5] ، وهو موضع بسوق الدقيق من دمشق صنما من نحاس ، إذا عطش نزل فشرب . قال البُوشَنْجِىّ : ربما تكلمت العلماء على قدر فهم الحاضرين تأديبا وامتحانا ، فهذا الرجل ابن جابر أحد علماء الشام ، ومعنى كلامه أن الصنم لا يعطش ، ولو عطش لنزل فشرب ، فنفى عنه النزول والعطش .

قلتُ : لكن قوله : « إذا عطش » قد ينازَع فى هذا ؛ فإن صيغة « إذا » لا تدخل إلا على المتحقق ، فلا بد وأن يكون صدور العطش والنزول منه متحققا ، وإلا فلا يصح الإتيان بصيغة إذا ، ولو كانت العبارة « إن » لم يكن اعتراض ، والحاصل أن الممتنع إذا فُرِض جائزا ترتب عليه جواز ممتنع آخر ، وقد ظَرُف القائل :

---

(١) فى المطبوعة : ولم ألد ولدا سارقا . والمثبت من : ج ، د .

(٢) سورة يوسف ٩٣ .

(٣) ترجمة المصنف فى الطبقة الثالثة وسماه محمد بن عبد الله . وراجع تاج العروس (ح م ش د) ٢ / ٣٤١ .

(٤) فى ج ، د : فوصيتى ، والمثبت فى المطبوعة ، والوزن بها أتم . وفى رواية على هامش د : فوصيتى للناس أن يتشفعوا .

(٥) فى المطبوعة : المسلاط . والمثبت من : ج ، د ، والطبقات الوسطى .

ولو أن ما بى من ضنًى وصبابةٍ على جملٍ لم يدخلِ النارَ كافرُ

فإن معناه : لو كان ما بى من الصبابة بالجمل لضعُف ورقَّ وصار بحيث يلِج فى سَمِّ الخِياط ، ولو ولَج[1] فى سَمِّ الخِياط لدخل الكافر الجنة ، على ما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[2] ولو دخل الجنة لم يدخل النار ، فوضح أن ما بى من الحب لو كان بالجمل لم يدخل النار كافر .

● وأبو عبد الله البُوشَنْجِىّ هو الناقل : أن الربيع ذكر أن رجلا سأل الشافعىّ عن حالف قال : إن كان فى كمى دراهم أكثر من ثلاثة فعبدى حر . فكان فيه أربعة ، لا يعتق ؛ لأنه استثنى من جملة ما فى يده دراهم وهو جمع ، ودرهم لا يكون دراهم . فقال السائل : آمنت بمن فَوَّهك هذا[3] العلم . فأنشأ الشافعىّ يقول :

إذا المُعضِلات تصدَّيْننى كشفتُ حقائقَها بالنّظرْ

الأبيات التى سقناها فى الباب المعقود ليسير من نظم الشافعىّ ، رضى الله عنه .

(وهذه فوائد ونخب عن أبى عبد الله رحمه الله)

● قال الحاكم : أخبرنى أبو محمد بن زياد ، حدثنا الحسن بن على بن نصر الطُّوسِىّ ، قال : سمعت أبا عبد الله البُوشَنْجِىّ بسَمَرْقَنْد ، وسأله أعرابى ، فقال له : أىُّ شىء القَرْطبان ؟ قال : كانت امرأة فى الجاهلية يقال لها : أم أبان ، وكان لها قرطب ، والقرطب : هو السِّدْر ، وكان لها تَيْس فى ذلك القرطب ، وكانت تُنزِّى تيسها بدرهمين ، وكان الناس يقولون : نذهب إلى قرطب أم أبان نُنزِّى تيسها على مِعْزانا . فكثر ذلك ؛ فقالت العامة : قَرْطبان[4] .

قلتُ: وهذه التثنية مما جاءعلىخلاف الغالب، فإن التثنية عند العرب جعل الاسم

---

(١) فى المطبوعة : دخل . والمثبت من : ج ، د .

(٢) سورة الأعراف ٤٠ .

(٣) فى المطبوعة ، د : بهذا . والمثبت من : ج . وفوهه العلم : أنطقه به .

(٤) نقل الزبيدى مقالة ابن السبكى فى تاج العروس (ق ر ط ب) ١ / ٤٢٧ ، عن الطبقات .

القابل دليل اثنين متفقين فى اللفظ غالبا ، وفى المعنى على رأى ، بزيادة ألف فى آخره رفعا ، وياء مفتوح ما قبلها جرا ونصبا ، يليهما نون مكسورة ، فتحها لغة ، وقد تُضم ، والحارثيُّون يُلزِمون الألف . قال النحاة : فمتى اختلفا فى اللفظ لم يجز تثنيتهما ، وما ورد من ذلك يُحفَظ ولا يقاس عليه .

قال شيخنا أبو حَيَّان : والذى ورد من ذلك إنما رُوعىَ فيه التغليب ، فمن ذلك :

القمران ؛ للشمس والقمر .

والعُمَران ؛ لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

والأبوان ؛ للأب والأم ، وفى الأب والخالة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[1] .

والأُمَّان ؛ للأم والجدة .

والزَّهْدَمان ؛ فى زَهْدَم وكَرْدَم ابنى قَيْس .

والعَمْران ؛ لعمْرو بن حارثة ، وزيد بن عمْرو .

والأحْوَصان ؛ الأحوص بن جعفر ، وعمرو بن الأحوص .

والمُصْعَبان ؛ مُصْعَبَ بن الزبير ، وابنه .

والبَحِيران[2] ؛ بَحِير وفِراس ابنا عبد الله بن سَلَمة .

والحُرَّان ؛ الحر ، وأخوه . أُبَىّ[3] .

والعَجَّاجان ؛ فى العَجَّاج ، وابنه . هذا جميع ما أورده شيخنا فى « شرح التسهيل » .

ورأيت الأخ ، سيدى الشيخ الإمام أبا حامد ، سلمه الله ، ذكر فى « شرح التلخيص » فى المعانى والبيان ما ذكره أبو حَيّان ، وزاد فقال :

والخافِقان ؛ للمغرب ، والمشرق ، وإنما الخافق حقيقة اسم للمغرب ، بمعنى مخفوق فيه .

والبَصْرتان ؛ للبصرة ، والكوفة .

والمَشْرقان ؛ للمشرق ، والمغرب .

---

(١) سورة يوسف ١٠٠ .

(٢) فى الأصول : « والبجيران بجير وفارس » والتصحيح من تهذيب إصلاح المنطق ٨٢٩ ، والمحبّر ١٣٩ ، والتاج (بحر) .

(٣) فى ج ، د « رؤبة » ولم يأت فى المطبوعة . وأثبتنا « أُبَىّ » من إصلاح المنطق ٤٠١ ، وتهذيبه . أما « رؤبة » فحقها أن تكون فى السطر التالى بعد « وابنه » .

والمَغْربان ؛ لهما أيضًا .
والحُنَيْفان ؛ الحنيف ، وسيف ابنا أوس بن حِمْيَرِىّ .
والأقْرَعان ؛ الأقرع بن حابِس ، وأخوه مَزِيد .
والطُّلَيْحَتان ؛ طُلَيحة بن خُوَيْلد الأسَدىّ وأخوه حِبَال[1] .

والخُزَيْميَّان[2] والرَّبيبان ؛ خُزَيْمة وربيبة ، من باهلة بن عمْرو .
فهذا مجموع ما ذكره الشيخ والأخ . وفاتهما :
القرطبان ، كما عرفت .
والدُّحْرُضان ؛ اسم لماءين ، يقال لأحدهما : الدُّحْرُض ، وللآخر : وَسِيع ، قال الشاعر[3] :

شَرِبتْ بماء الدُّحْرُضيْن فأصبحتْ زَوْراءَ تنْفِرُ عن حِياضِ الدَّيْلَمِ

والأسْودان ؛ للتمر ، والماء . قال ﷺ : « الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ » .
والفَمَان ؛ للفم ، والأنف . ذكره الشيخ جمال الدين ابن مالك .
والأَخوان ؛ لأخ ، وأخت .

والأذانان : الأذان ، والإقامة ، وقال ﷺ : « بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلَاةٌ » أجمعوا أن المراد به الأذان والإقامة .

والجَوْنان ؛ معاوية ، وحسَّان ابنا الجَوْن الكِنْديَّان . ذكره أبو العباس المبرّد فى أوائل « الكامل » بعد نحو خمس كراريس منه ، وأنشد [عليه][4] :

كأنَّكَ لم تشْهَدْ لَقيطًا وحاجِبًا وعمْرَو بن عمرو إذ دَعَوْا يالَ دَارِمِ
ولم تشهدِ الجَوْنيْنِ والشِّعْبَ والصَّفَا وشَدَّاتِ قيسٍ يوم دَيْرِ الجَماجِمِ

والعاشقان ؛ اسم للعاشق ، والمعشوق . وعليه قول العبَّاس بن الأحنف[5] :

---

(١) القاموس (ح ب ل) .
(٢) فى المطبوعة : والخزيمان . والمثبت من : ج ، د .
(٣) البيت لعنترة . اللسان (د ح ر ض) ٧ / ١٤٩ .
(٤) زيادة من : ج ، د . والبيتان فى الكامل ١ / ١٩٤ .
(٥) فى المطبوعة ، د بعد هذا زيادة : حيث يقول . والأبيات فى ديوانه ٢٨ .

العاشقان كلاهما مُتغضِّبُ وكلاهما مُتوجِّدٌ مُتحبِّبُ[١]
صدَّت مُغاضِبةً وصدَّ مُغاضِبًا وكلاهما مما يُعالج مُتْعَبُ[٢]
راجعْ أحبَّتَك الذين هجرتَهمْ إن المُتَيَّمَ قلَّما يتجنَّبُ
إن التَّباعدَ إن تطاول منكما دَبَّ السُّلُوُّ له فعزَّ المَطلبُ[٣]

أراد بالعاشقين : الخليفة ، وواحدة من حظاياه ، كان وقع بينه وبينها شنآن فتهاجرا ، فحدَّثَ العباسَ فى ذلك ، فأنشده هذه الأبيات ، فقام إليها وصالحها .
والأنفان ، اسم للأنف ، والفم . ذكره ، وأنشد عليه :

إذاماالغلامُ الأحْمقُ الأمِّ سافنى بأطْرافِ أنْفَيْهِ اشمأز فأنْزَعَا[٤]

واعلم أن شيخنا أبا حَيَّان استشهد على أن العُمَرين اسم لأبى بكر وعمر بقول الشاعر[٥] :

ما كان يُرضى رسولَ الله فعلُهمُ والعمران أبو بكرٍ ولا عمرُ

وأنا ما أحفظ هذا البيت إلا : « والطَّيِّبان أبو بكر ولا عمرُ » والوزن به أتم .
واستشهد على أن القمرين اسم للشمس والقمر بقول الفَرزْدق[٦] :

أخذْنا بآفاقِ السماءِ عليكمُ لنا قمراها والنُّجوم الطَّوالعُ

وكان الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يقول : إنما أراد بالقمرين : النبىَّ ﷺ ، وإبراهيم عليه السلام ، وبالنجوم الصحابة ، وهذا ما ذكره ابن الشَّجَرِىّ فى « أماليه »[٧] .
ورأيت فى ترجمة هارون الرشيد ، أنه سأل مَن حضر مجلسه عن المراد بالقمرين فى هذا البيت ، فأجاب بهذا الجواب . نعم أنشد ابن الشَّجَرِىّ على القمرين للشمس والقمر قول المتنبى[٨] :

واستقبلتْ قمرَ السماءِ بوجهِها فأرتْنِىَ القمريْن فى وقتٍ معًا

---

(١) فى الديوان : متشوق متطرب .
(٢) فى الديوان : صدت مراغمة وصد مراغما .
(٣) فى الديوان : إن التجنب .
(٤) فى ج ، د : استمر . والمثبت فى المطبوعة . وساف الشىء . شمه .
(٥) جرير . ديوانه ١٥٩ ، بالرواية التى يحفظها المصنف . وهو برواية التغليب فى الكامل ١٨٧ ، وغيره .
(٦) ديوانه ٥١٩ ..
(٧) فى الجزء الأول ١٤ .
(٨) ديوانه ١٠٨ .

● وقال أبو عبد الله البُوشَنْجِىّ ، فى قوله ﷺ : « الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ » ثلاثا ، البَذَاء خلاف البَذَاذة ، إنما البَذَاء طول اللسان برَمْى الفواحش والبهتان ، يقال : فلان بَذِىٌّ اللسان . والبَذَاذة : رثاثة الثياب فى الملبس والمفرش ، وذلك تواضع عن رفيع الثياب ، وهى ملابس أهل الزهد .

وقال الحاكم : حدثنا أبو زكريا يحيىٰ بن محمد العَنْبَرِىّ ، حدثنا أبو عبد الله البُوشَنْجِىّ ، حدثنا النُّفَيْلِىّ ، حدثنا عِكْرِمة بن إبراهيم الأَزْدِىّ ، قاضى الرَّىّ ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن موسى بن طلحة ، قال : ما رأيت أخطبَ من عائشة ، ولا أعرب ، لقد رأيتها يوم الجمل ، وثار إليها الناس ، فقالوا : يا أم المؤمنين ، حدثينا عن عثمان وقتله . فاستجْلست الناسَ ، ثم حمدت الله وأثنتْ عليه ، ثم قالت : « أما بعدُ ، فإنكم نَقَمتم على عثمان خِصالًا ثلاثا : إمرةَ الفتى ، وضَرْبَةَ السَّوْط ، وموقع الغمامة المُحْماة ، فلما أعتَبَنا منهن مُصتُموه مَوْص الثوب بالصابون ، عَدَوْتُم به الفُقَر الثلاث ، عدوْتم به حُرْمة الشهر الحرام ، وحُرْمة البلد الحرام ، وحُرْمة الخلافة . والله لَعثمان كان أتقاكم للرب ، وأوصلكم للرحم ، وأحصنكم فَرْجا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

قال الحاكم : سمعت أبا زكريا العَنْبَرِىّ ، وأبا بكر محمد بن جعفر ، يقولان : سمعت أبا عبد الله البُوشَنْجِىّ ، يقول فى عقب هذا الحديث : أما قولها : « إمرة الفتى » فإن عثمان ولّى الكوفة الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط ؛ لقرابته منه ، وعزل سعد بن أبى وقّاص .

وأما قولها : « ضَرْبةَ السَّوْط » فإن عثمان تناول عمَّار بن ياسر ، وأبا ذَرٍّ ببعض التَّقويم ، كما يؤدب الإمام رعيّتَه .

وأما قولها : « موقع الغمامة المحماة » فإن عثمان حَمَى أحْماء فى بلاد العرب لإبل الصدقة ، وقد كان عمر حمى أحماء أيضًا كذلك ، فلم ينكر الناس ذلك على عمر .

فهذه الثلاث التى قالتها عائشة ، فلما استعتبوه منها أعتَبهم ، ورجع إلى مُرادِهم ، وهو قولها : « مُصتُموه مَوْص الثوب بالصابون » والمَوْص : هو الغسل ، والفُقَر : الفُرَص[1] ،

---

(١) روى ابن منظور عن أبى الهيثم قال : الفقرات هى الأمور العظام ، جمع فقرة بالضم كما قيل فى قتل عثمان رضى الله عنه : استحلوا الفقر الثلاث . اللسان (ف ق ر) ٥/ ٦٤ . وقيل : هى الفِقر ، جمع فِقرة ، بكسر القاف ، وهى خَرَزات الظهر . النهاية ٣/ ٤٦٣ .

يقال : أفقر الصيد إذا وجد الصائد فرصته ، وكان عثمان آمنا أنَّهم لا يعْدُون عليه فى الشهر الحرام ، وأنهم لا يستحلّون حَرَم رسول الله ﷺ ؛ وهى المدينة ، وكانت الثالثة حرمة الخلافة .

قلتُ : ومع هذا لم يشر الشاعر فى قوله[1] :

قتلوا ابنَ عفَّان الخليفةَ مُحرِمًا ودعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

إلى شىء من الحرمات الثلاث ، ولا حرمة الإحرام ؛ فإن عثمان لم يكن أحرَم بالحج ، وإنما أراد – على ما ذكر الأصْمعِىّ – أنه لم يكن أتى مُحرَّما يُحِل عقوبته ، كما سنذكره عن الأصْمَعِىّ إن شاء الله تعالى ، فى ترجمة أبى نصر أحمد بن عبد الله الثَّابِتىّ[2] البُخارىّ فى الطبقة الرابعة .

وقولنا فى سياق هذا السند : سمعت أبا زكريا وأبا بكر ، يقولان : سمعت أبا عبد الله ، كذا هو فى « مقتضب تاريخ نيسابور » للحافظ أبى بكر الحْاَزِمِىّ بخطه ، وقد كتب كما رأيته بخطه فوق سمعت « صح » وقد أجاد ؛ فإنه حاكٍ عن اثنين قولهما ، فكل منهما يقول سمعت ، فافهمه فهو دقيق .

ويشبه هذا الأثر عن عائشة رضى الله عنها فى اجتماع كثير من غريب اللغة فيه ، حديث زَبَّان بن قَيْسور الكلفى ويقال : زبَّان[3] بن قسْوَر ، قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وهو نازل بوادى الشَّوْحَط[4] . وهو عند إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق عن يحيىٰ بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن زبّان . وهو حديث ضعيف الإسناد ، ليس دون إبراهيم بن سعد مَن يُحتَج به .

---

(١) البيت للراعى النميْرى ، وقد ذكر ابن الأثير لـ « محرما » معنى آخر ، هو صائم ،.وأنشد عليه بيت الراعى . النهاية ١/ ٣٧٢ . وهو فى ديوانه ١٤٤ .

(٢) بفتح الثاء المثلثة وبعد الألف باء موحدة وفى آخرها التاء ثالث الحروف ، هذه النسبة إلى الجد . اللباب ١ / ١٩١ .

(٣) فى المطبوعة : حديث ريان بن قيسور الكلفى . ويقال زيان بن قيسور ، والمثبت من : ج – ضبط قلم – ، د . وفى الإصابة ٣ / ٣ : زبان – بفتح أوله وتشديد الباء الموحدة ثم نون ، ويقال براء بدل النون – ورجحه عبد الغنى – بن قيس ، ويقال قيسور الكلبى .

(٤) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى ، ينبت فى حضيض الجبل . القاموس (ش ح ط) .

وقد ساقه السُّهَيْلِيّ فى « الروض الأُنُف »[1] بدون إسناد .

ونحن نرى[2] أن نذكر حديث زَبَّان بن قيسور ، فإن ابن الأثير لم يذكره فى « نهاية غريب الحديث » مع شدة تفحصه ، فنقول :

عن زبّان بن قيسور رضى الله عنه ، قال : رأيت النبىَّ ﷺ ، وهو نازل بوادى الشَّوْحَط ، فكلمته ، فقلت : يا رسول الله ، إن معنا لُوبًا ، كانت فى عَيْلَم ، لنا به طِرْم وشَمَع[3] ، فجاء رجل فضرب مَيِّتَين فأنتج حيًّا ، وكفَّنه بالثُّمام ، وَنحَسه ، فطار اللُّوب هاربا ، ودَلَّى[4] مِشْوارَدُه فى العَيْلَم ، فاشتار العسل ، فمضى به . فقال رسول الله ﷺ : « مَلْعُونٌ ، مَلْعُونٌ مَنْ سَرَق شَرْوَ قَوْمٍ فَأَضَرَّ بِهِمْ . أَفَلَا تَبِعْتُمْ أَثَرَهُ ، وَعَرَفْتُمْ خَبَرَهُ ! » قال : قلتُ يا رسول الله : إنه دخل فى قوم لهم مَنَعة ، وهم جيرتُنا[5] من هُذَيل . فقال رسول الله ﷺ : « صَبْرَكَ ، صَبْرَكَ ، تَرِدْ نَهْرَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ سَعَتَهُ كَمَا بَيْنَ اللُّقَيْقَةِ وَالسُّحَيْقَةِ ، يَتَسَبْسَبُ جَرْيًا بِعَسَلٍ صَافٍ مِنْ قَذَاهُ ، مَا تَقَيَّاهُ لُوبٌ ، وَلَا مَجَّهُ نُوبٌ » حديث غريب .

وكان ﷺ قد أوتى جوامع الكلم ، فيخاطب كل قوم بلغتهم .

« واللُّوب » بضم اللام وسكون الواو : النحل . قاله السُّهَيْلِيّ ، وحكاه ابن سِيدَه فى « المحكم » وأغفله الجَوْهَرِيّ ، والْأَزْهَرِيّ .

و « العَيْلَم » بفتح العين المهملة وسكون آخر الحروف ، قال السُّهَيْلِيّ : هى البئر ، وأراد بها هنا وَقْبَة[6] النحل أو الخليّة ، وقد يقال لموضع النحل إذا كان صَدْعا فى جبل : شِيقٌ وجمعه شِيقَان[7] .

---

(١) ٢ / ١٧٠ .

(٢) فى المطبوعة : نريد . والمثبت من : ج ، د .

(٣) فى الأصول : سمع . والمثبت من السهيلى . والشمع معروف .

(٤) فى الأصول : وولى . والتصويب من السهيلى .

(٥) فى الروض الأنف : جيراننا .

(٦) فى الأصول : وفيه . والتصويب من السهيلى . والوقبة : النقرة فى الصخر يجتمع فيها الماء . القاموس (و ق ب) .

(٧) فى الأصول : شنق وجمعه شنقان . والتصويب من السهيلى .

و « الطِّرْم » بكسر الطاء المهملة وإسكان الراء : العسل عامة . قاله ابن سِيدَهْ وغيره ، وحكى الأزْهَرِىّ عن اللّيث أنه الشَّهْد .

وقوله : « فضرب ميتين فاستخرج حيًّا » يريد أورى نارا من زَندين ضربهما ، فهو من باب الاستعارة ، شبه الزناد والحجر بالميتين ، والنار التى تخرج منهما بالحىّ .

و « الثُّمام » قال الجَوْهَرِىّ : « نبت ضعيف ذو خوص ، وربما حُشِىَ منه أوسُدّ به خَصَاص البيوت » . فمعنى قوله أنه كفنه بالثُّمام : أنه ألقى ذلك النبت على النار التى أوراها ، حتى صار لها دخان ، وهو المراد بقوله « نَحَسه » قال السُّهَيْلِىّ : يقال لكلِ دخان نُحَاس[1] ، ولا يقال إيام[2] إلا لدخان النحل خاصة ، يقال : آمَهَا يَؤُومُها إذا دَخَّنها ، قاله أبو حنيفة .

ويقال : شار العسل يَشُورُه ويشْتاره ، إذا اجْتناه مِن خلاياه ومواضعه .

و « المِشْوار » الآلة التى يُقطَف بها .

وقوله ﷺ : « مَنْ سَرَقَ شِرْوَ قَوْمٍ » كذا هو فى أصل مُعتمَد بكسر الشين المعجمة وإسكان الراء وبعدها واو ، لم أجد هذه اللفظة فى كتب اللغة[3] .

وكذلك قوله ﷺ عن نهر الجنة « سَعَتُهُ مَا بَيْنَ اللُّقَيْقَةِ وَالسُّحَيْقَةِ » وكأنهما اسم موضعين يعرفهما المُخاطَب ، وألفيتُهما كذلك مضبوطين ، بضم أولهما .

وقوله ﷺ : « صَبْرَكَ ، صَبْرَك » أضمَر فيه الفعل ، أى الزم صبرك ، وأغنى التكرار عن لزوم الفعل كما فى التحذير .

و « يَتَسَبْسَبُ » أى يجرى . قال الأزْهَرِىّ : يقال: سَبْسَب، إذا سار سيرًا ليِّنا ؛ فكأنه استُعِير لجريان النهر باللبن .

و « النُّوب » أيضا من أسماء النحل ، وهو بضم النون وإسكان الواو ، قال أبو ذُؤَيْب[4] :

---

(١) فى القاموس (ن ح س) بتثليث النون ، وفى اللسان (ن ح س) ٦ / ٢٢٧ : بضم النون وقيل بكسرها .

(٢) فى الأصول : أتام ، والتصويب من القاموس (أوم) .

(٣) فى القاموس (ش ر و) : الشرو : العسل ، ويكسر .

(٤) البيت له فى ديوان الهذليين ١ / ١٤٣ .

إذَا لسعتْهُ النحلُ لم يَرْجُ لسعَها وحالَفها فى بيْتِ نُوبٍ عَواسِلِ[1]

أى لم يخفْ لسعَها .

قال أبو عُبَيدة : سُمِّيت نُوبًا ، لأنها تضرب إلى السواد .

ومن هذا المِهْيع يقال له « باب المُعاياة » وصنف فيه الفقهاء فأكثروا :

● ورَوَوا أن رجلا قال لأبى حنيفة : ما تقول فى رجل قال : إنى لا أرجو الجنة ، ولا أخاف النار ، وآكل الْمَيْتة والدم ، وأصدِّق اليهود والنصارى ، وأبغض الحق ، وأهرب مِن رحمة الله ، وأشرب الخمر ، وأشهد بما لم أرَ ، وأحب الفتنة ، وأصلى بغير وضُوء ، وأترك الغسل من الجنابة ، وأقتل الناس ؟

فقال أبو حنيفة لمن حضره : ما تقول فيه ؟

فقال : هذا كافر .

فتبسم ، وقال : هذا مؤمن . أما قوله : لا أرجو الجنة ، ولا أخاف النار ، فأراد : إنما أرجو وأخاف خالقَهما .

وأراد بأكل الميتة والدم ، السمكَ والجراد ، والكبد ، والطِّحال .

وبقوله : أصدق اليهود والنصارى ، قول كل منهم : إن أصحابه ليسوا على شىء ، كما قال تعالى حكاية عنهم .

وبقوله : أهرب مِن رحمة الله : الهروبَ من المطر .

ويقوله : أبغض الحق ، يعنى الموت ؛ لأن الموت حق لا بد منه .

وبشرب الخمر ، شربَه فى حال الاضطرار .

وبحب الفتنة ، الأموال والأولاد ، على ما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2] .

وبالشهادة على مالم يرَ ، الشهادة بالله ، وملائكته ، وأنبيائه ، ورسله .

---

(١) فى ديوان الهذليين : إذا لسعته الدبر . ورواية : وخالفها . وفى ج ، د : نوب عوامل .

(٢) سورة التغابن ١٥ .

وبالصلاة بغير وضوء ولا تيمُّم ، الصلاة على النبيِّ ﷺ .

وبترك الغسل من الجنابة ، إذا فقد الماء .

وبالناس الذين يقتلهم ، الكفار ، وهم الذين سماهم الله ﴿ النَّاسَ ﴾ فى قوله : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾[1] .

● ورُوِىَ أن محمد بن الحسن سأل الشافعيَّ عن : خمسة زَنَوا بامرأة ، فوجب على واحد القتل ؛ والآخر الرجمُ ، والثالث الجَلْد، والرابع نصفُ الحد ، ولم يجب على الخامس شىءٌ .

فقال الشافعىّ : الأول ذِمِّىٌّ زنى بمسلمة ، فانتقض عهدُه ، فيُقتَل .

والثانى زانٍ مُحصَن ، والثالث بِكر حر ، والرابع عبد ، والخامس مجنون .

● ورُوِىَ أن الشافعيَّ رضى الله عنه سُئِل عن : امرأة فى فيها لقمة ؛ قال زوجها : إن بلعْتِيها فأنت طالق ، وإن أخرجْتيها فأنت طالق . ما الحيلة ؟

قال : تبلع نصفها ، وتُخرِج نصفها .

وأنه جاء رجل إلى أبى حنيفة رضي الله عنه ، فقال : حلفتُ بالطلاق لا أكلِّم امرأتى قبلأن تكلِّمنى. فقالت: والعِتاقُ لازمٌلى لا أكلمك قبل أن تكلِّمنى. فكيف أصنع ؟

فقال : اذهبْ فكلِّمْها ، ولا حِنْثَ عليكما .

فذهب إلى سفيان الثَّوْرِىّ ، فجاء سفيان إلى أبى حنيفة مُغضَبًا ، فقال : أتُبيحُ الفروجَ !

قال أبو حنيفة : وما ذاك ؟ فقص له القصة ، فقال أبو حنيفة : هو كذا ؛ إنها لمَّا قَالتْ له : إن كلمتُك فعليَّ العِتاقُ شافهتْهُ بالكلام ، فانحلَّتْ يمينُه ، فإذا كلمها بعدُ لم يقع الطلاق . فقال سُفيان : إنك لتكشفُ ما كنا عنه غافلين .

● وعن أبى يوسف القاضى ، قال : طلبنى هارونُ الرشيد ليلا ، فلما دخلتُ عليه إذا هو جالس ، وعن يمينه عيسى بن جعفر ، فقال لى : إن عند عيسى جاريةً ، وسألته أن يهبَها لى فامتنع ، وسألته أن يبيعها فامتنع .

---

(١) سورة آل عمران ١٧٣ .

فقلتُ : وما منعك مِن بيعها ، أو هِبتها لأمير المؤمنين ؟

فقال : إن علىَّ يمينا أن لا أبيعها ولا أهبها .

فقال الرشيد : فهل [له][1] فى ذلك مَخرَج ؟

قلت : نعم ، يهبُ لك نصفَها ، ويبيعُك نصفَها ؛ فيكون لم يهبْها ، ولم يبعْها .

قال عيسىٰ : فأُشْهِدك أنى قد وهبتُك نصفَها ، وبعتُك نصفَها .

فقال الرشيد بعد ذلك : أيها القاضى ، بقيتْ واحدة .

فقلت : وما هى ؟

فقال : إنها أمة ، ولا بد من استبْرائها ، ولا بد أن أطلبها فى هذه الليلة .

فقلتُ له : أعتقْها ، وتزوجْها ؛ فإن الْحرَّةَ لا تُستبْرَأ . ففعل ذلك ، فعقدتُ عقدَه عليها ، وأمر لى بمال جزيل .

● وحضرت امرأة إلى أمير المؤمنين المأمون ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن أخى مات وترك ستمائة دينار ، فلم أُعْطَ إلا دينارا واحدا .

فقال : كأنى بكِ قد ترك أخوك زوجة ، وأما ، وبنتين ، واثنَىْ عشر أخا ، وأنت .

فقالت : نعم ، كأنك حاضر .

فقال : أعْطَوْكِ حقَّك ، للزوجة ثُمنُ الستمائة ، وذلك خمسة وسبعون دينارا ، وللأم السُدُس ، وذلك مائة دينار ، وللبنتيْن الثُّلثَان ، وذلك أربعمائة دينار ، وللاثنى عشر أخا أربعة وعشرون دينارًا ، ولك دينار واحد .

● وسُئل القَفَّال عن : بالغ عاقل مسلم ، هتك حِرْزا ، وسرق نِصابًا لا شبهة له فيه بوجه ، ولا قطع عليه !

فقال : رجل دخل فلم يجد فى الدار شيئًا ، فقعد فى دَنٍّ . فجاء صاحب الدار بمال ووضعه ، فخرج السارق وأخذه وخرج ، فلا يُقْطَع ؛ لأن المال حصل بعد هَتْك الحِرْز .

---

(١) زيادة من : ج ، د .

● وسُئل بعض المشايخ عن : رجل خرج إلى السوق ، وترك امرأته فى البيت ، ثم رجع فوجد عندها رجلا ، فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا زوجى ، وأنت عبدى ، وقد بعتُك .

فقال الشيخ : هو عبدٌ زوَّجه سيدُه بابنتِه ، ودخل العبد بها ، ثم مات سيدُه ، ووقعت الفُرْقَةُ ؛ لأنها ملَكتْ زوجَها بالإرْث ، ثم إنها كانت حاملا ، فوضعتْ ، فانقضت العِدَّة ، فتزوَّجتْ ، وباعت ذلك الزوجَ ؛ لأنه صار عبدَها .

وسُئل آخر عن : رجل نظر إلى امرأة أوَّلَ النهار وهى حرام عليه ، ثم حلَّتْ ضَحْوَةً ، وحرُمت الظهرَ ، وحلَّت العصرَ ، وحرمت المغربَ ، وحلَّت العشاءَ ، وحرمت الفجرَ ، وحلَّت الضُّحى ، وحرمت الظهرَ !

فقال : هذا رجل نظر إلى أمَةِ غيرِه بُكْرَةً ، واشتراها ضَحْوَةً ، وأسقط الاستبراء بحيلةٍ فحلَّت له ، وأعتقها الظهرَ فحرمت عليه ، فتزوَّجها العصرَ فحلَّت ، فظاهر منها المغربَ فحرمتْ ، فكفَّر عن يمينه العشاءَ فحلت ، فطلَّقها عند الفجر فحرمتْ ، فراجعها ضَحْوَة فحلت ، فارتدَّتِ الظهرَ فحرمتْ .

ولك أن تزيد ، فتقول : ثم حلَّت العصرَ ، ثم حرمت المغربَ حرمةً مُؤَبَّدَةً ؛ وذلك بأن تكون أسلمت العصر فبقيت على الزوجيَّة ، ثم لاعنها المغرب .

● وسُئل آخر عن : امرأة لها زَوْجان ، ويجوز أن يتزوَّجها ثالثٌ ويطأها !

فقال : هذه امرأة لها عبدٌ وأمة ، زوَّجت أحدَهما بالآخر ، فيصدق أنها امرأة لها زَوْجان . واللام فى « لها » للملك ، وإذا جاء ثالث حر أراد نكاحَها فله ذلك .

● وسُئل آخر عن : رجل قال لامرأته ، وهى فى ماءٍ جارٍ : إن خرجتِ من هذا الماء فأنت طالق ، وإن لم تخرجى فأنت طالق .

فقال : لا تَطْلُق ، خرجتْ أو لم تخرج ؛ لأنه جرى وانْفصل . نقله الرافعىّ فى « فروع الطلاق » .

● وسُئل آخر عن : رجل تكلَّم كلاما فى بغداد ، فوجب على امرأةٍ[1] بمصر أن تعيد صلاة سَنة !

---

(١) فى : ج ، د : امرأته . والمثبت من المطبوعة .

فقال : هذه جاريتُه ، أعتقها ببغداد ، وهى بمصر ، ولم يبلغْها الخبرُ إلا بعد سنة ، وكانت تصلى مكشوفةَ الرأس ، فإذا بلغها الخبرُ ، يجب عليها إعادة الصلاة ؛ لأن صلاة الحرة مكشوفةَ الرأس لا تصحّ .

● وفى « الرافعىّ » فى رجل قال لامرأته : إن لم أقل لك مثل ما تقولين لى فى هذا المجلس فأنت طالق . فقالتْ[1] : أنتَ طالق . إن الحيلة فى عدم وقوع الطلاق أن يقول : أنتِ تقولين أنتَ طالق .

قلتُ : وفيه نظر ، فإن صيغتَها « أنتَ » بفتح التاء ، وصيغته « أنتِ » بكسرها إذا أراد خطابها بالطلاق فقد يقال : يقول كما قالت : « أنتَ طالق » بفتح التاء ، ولا يقع الطلاق ؛ لأنه خطاب المذكر ، فلعلها قالت له : « أنتِ طالق » بكسر التاء .

٤٩

محمد بن إدريس بن المُنذر بن داود بن مِهْران ، الغَطَفَانِىّ الحَنْظَلِىّ ، أبو حاتم الرَّازِىّ*

أحد الأئمة الأعلام .

ولد سنة خمس وتسعين ومائة .

سمِع عُبَيد الله بن موسى ، وأبا نُعَيم ، وطبقتهما بالكوفة .

ومحمد بن عبد الله الأنصارىّ ، والأَصْمَعِىّ ، وطبقتهما بالبصرة .

وعفَّان ، وهَوْذَة بن خليفة[2] ، وطبقتهما ببغداد .

وأبا مُسْهِر ، وأبا الجُمَاهر محمد بن عثمان[3] ، وطبقتهما بدمشق .

---

(١) فى المطبوعة : فقالت له .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٢/ ٧٣ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٣١ ، شذرات الذهب ٢/ ١٧١ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٣٢ ، طبقات القراء ٢ / ٩٧ ، العبر ٢ / ٥٨ . مقدمة الجرح والتعديل ٣٤٩ – ٣٧٢ ، ٧ / ٢٠٤ .

(٢) فى المطبوعة ، د : هودة . والمثبت من : ج ، والطبقات الوسطى ، تاريخ بغداد ، تذكرة الحفاظ ، وفى تهذيب التهذيب : هوذة بن خالد .

(٣) هو كذلك فى تهذيب التهذيب ٩ / ٣٣٩ ، وفى العبر ١ / ٣٩٢ : محمد بن عمر .

وأبا اليَمان ، ويحيىٰ الوُحَاظِىّ ، وطبقتهما بحِمْصَ .
وسعيد بن أبى مريم ، وطبقته بمصر .
وخلْقًا بالنواحى ، والثغور .

وتردد فى الرحلة زمانا . قال ابنه : سمعتُ أبى يقول : أول سنة خرجتُ فى طلب الحديث أقمتُ سبع سنين ، أحصيتُ ما مشيتُ على قدمى زيادة على ألف فرْسخ ، ثم تركتُ العدد بعد ذلك ، وخرجتُ من البحْرين إلى مصر ماشيا ، ثم إلى الرَّمْلة ماشيا ، ثم إلى دمشق ، ثم إلى أنْطاكِيَة ، ثم إلى طَرَسُوس ، ثم رجعت إلى حِمْص ، ثم منها إلى الرَّقَّة ، ثم ركبتُ إلى العراق ، كل هذا وأنا ابن عشرين سنة .

حدَّث عنه من شيوخه الصِّغار[1] : يونُس بن عبد الأعلى ، وعَبْدة بن سُليمان المَرْوَزِىّ ، والربيع بن سليمان المُرَادِىّ .

ومِن أقرانه : أبو زُرْعة الرَّازِىّ ، وأبو زُرْعة الدمشقىّ .

ومن أصحاب السُّنَن : أبو داود ، والنَّسائِىّ ، وقيل : إن البخارىّ ، وابن ماجه رويا عنه ، ولم يثبت ذلك .

ورَوَى عنه أيضًا : أبو بكر بن أبى الدُّنيا ، وابن صاعِد ، وأبو عَوانة ، والقاضى المَحَامِلِىّ ، وأبو الحسن على بن إبراهيم القَطَّان ، صاحب ابن ماجه ، وخلق كثير .

قال عبد الرحمٰن بن أبى حاتم : قال لى موسى بن إسحاق القاضى : ما رأيت أحفظ مِن والدك .

وقال أحمد بن سلَمة الحافظ : ما رأيت بعد إسحاق بن رَاهُويه ، ومحمد بن يحيىٰ أحفظَ للحديث مِن أبى حاتم ، ولا أعلم بمعانيه .

وقال ابن أبى حاتم : سمعت يونُس بن عبد الأعْلىٰ ، يقول : أبو زُرْعة ، وأبو حاتم إماما خُراسان ، بقاؤُهما صلاحٌ للمسلمين .

---

(١) فى المطبوعة : الصفار ويونس ، وهو خطأ ، صوابه من : ج ، د ، والطبقات الوسطى .

وقال ابن أبى حاتم : سمعتُ أبى يقول : قلتُ على باب أبى الوليد[1] الطَّيالِسِىّ : مَن أغْرب علىَّ حديثا صحيحا[2] فله درهم ، وكان ثَمَّ خلْق : أبو زُرْعة ، فمَن دونه ، وإنما كان مرادى أن يُلْقَى علىَّ ما لم أسمع به ، فيقولون : هو عند فلان . فأذهب وأسمعه ، فلم يتهيَّأ لأحد أن يُغْرِب علىَّ حديثًا .

وسمعتُ أبى يقول : كان محمد بن يزيد الأسْفَاطِىّ[3] قد وَلِع بالتفسير ، وبحفظه ، فقال يوما : ما تحفظون فى قوله تعالى : ﴿ فَنَقَّبُوا فِى الْبِلَادِ ﴾[4] .

فسكتوا ، فقلتُ : حدثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : ضربوا فى البلاد[5] .

وسمعتُ أبى يقول : قدم محمد بن يحيى النَّيسَابُورِىّ الرَّىّ ، فألقيتُ عليه ثلاثة عشر حديثا من حديث الزُّهْرِىّ ، فلم يعرف منها إلا ثلاثة أحاديث[6] .

قال شيخنا الذهبىّ رحمه الله : إنما ألقى عليه مِن حديث الزُّهرِىّ ؛ لأن محمدا كان إليه المنتهَى فِى معرفة حديث الزُّهرِىّ ، قد جمعه ، وصنفه ، وتتبَّعه ، حتى كان يقال له الزُّهْرِىّ .

قال : وسمعتُ أبى يقول : بقيتُ بالبصرة سنة أربع عشرة[7] ثمانيةَ أشهر ، فجعلتُ أبيع ثيابى حتى نفِدتْ ، فمضيتُ مع صديق لى أدور على الشيوخ فانْصرف رفيقى بالعشِىِّ ، ورجعتُ فجعلتُ أشرب الماء من الجوع ، ثم أصبحت ، فغدا علىّ رفيقى ، فطُفتُ معه

---

(١) فى المطبوعة ، ج : قلت لأبى الوليد ، وفى د : قلت على باب الوليد . والمثبت من تاريخ بغداد ، تقدمة الجرح والتعديل ٣٥٥ .

(٢) فى تاريخ بغداد ، تهذيب التهذيب : من أغرب على حديثا غريبا مسندا صحيحا لم أسمع به فله درهم .

(٣) فى المطبوعة ، د : الأسقاطى ، وفى ج بدون إعجام . والمثبت من تقدمة الجرح والتعديل ٣٥٧ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٥٢٥ ، وهو بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء وبعد الألف الساكنة طاء مهملة ، نسبة إلى بيع الأسفاط وعملها . اللباب ١ / ٤٣ .

(٤) سورة ق ٣٦ .

(٥) فى تقدمة الجرح والتعديل ٣٥٧ ، زيادة : « فاستحسن » .

(٦) فى تقدمة الجرح والتعديل ٣٥٨ زيادة : « وسائر ذلك لم يكن عنده ولم يعرفها » .

(٧) فى المطبوعة : سنة وثمانية أشهر ، والتصويب من : ج ، د ، وتقدمة الجرح والتعديل ٣٦٣ ، وفيها زيادة : « سنة أربع عشرة ومائتين » .

على جوع شديد ، وانصرفتُ جائعًا ، فلما كان من الغد غدا عليَّ[1] ، فقلتُ : أنا ضعيفٌ لا يمكنني .

قال : ما بك ؟

قلتُ : لا أكتُمُك ، مضى يومان ما طَعِمتُ فيهما شيئا .

فقال : قد بقي معى دينار ، فنصفه لك ، ونجعل النصف الآخر فى الكِراء .

فخرجنا مِن البصرة ، وأخذت منه نصف الدينار .

سمعت أبى يقول: خرجنا من المدينة من عند داود الْجَعْفَرِىّ، وصرنا إلى الْجَار[2] ، فركبنا البحر ، فكانت الريح فى وجوهنا ، فبقينا فى البحر ثلاثة أشهر، وضاقت صدورنا وفَنِيَ ما كان معنا، وخرجنا إلى البر نمشي أياما، حتى فَنِيَ ما تبقَّى معنا من الزَّاد والماء ، فمشينا يوما لم نأكل ولم نشرب، واليوم الثانى كمثلٍ، واليوم الثالث ، فلما كان المساء صلينا ، وألقينا بأنفسنا ، فلما أصبحنا فى اليوم الثالث[3] جعلنا نمشي على قدر طاقتنا ، وكنا ثلاثة ، أنا ، وشيخ نيْسَابُورِىّ، وأبو زهير المَرْوَرُّوذِىّ[4]، فسقط الشيخ مغشيًّا عليه، فجئنا نُحرِّكه وهو لا يعقل، فتركناه، ومشينا قدر فرسخ[5]، فضعفت ، وسقطت مغشيا عليَّ ، ومضى صاحبى يمشى ، فرأى مِن بعيد قوما قَرَّبوا سفينَتَهم من البرِّ ، ونزلوا على بئر موسىٰ، فلما عاينَهم لوَّح بثوبه إليهم ، فجاءوه ومعهم ماء ، فسقوه ، وأخذوا بيده ، فقال لهم : ألحقوا رفيقيْن لى ، فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وَجهى ، ففتحتُ عينيَّ ، فقلت : اسقنى . فصبَّ من الماء فى مَشْرَبته قليلا ، فشربتُ ، ورجعتْ إليَّ نفسى[6] ، ثم سقانى قليلا ، وأخذ بيدى ، فقلت :

---

(١) فى تقدمة الجرح والتعديل ٣٦٤ زيادة : « فقال : مر بنا إلى المشايخ » .

(٢) فى المطبوعة : الجاد ، وهو خطأ صوابه من : ج ، د ، تقدمة الجرح والتعديل ٣٦٤ ، القاموس (ج و ر) وهى بلد على البحر بينه وبين المدينة الشريفة يوم وليلة . انظر أيضا مراصد الاطلاع ٣٥٣ .

(٣) كذا فى ج ، د . وفى تقدمة الجرح والتعديل : « فلما أصبحنا اليوم الثالث » وفى المطبوعة : الرابع .

(٤) فى النسخ اضطراب فى هذا الاسم ، فهو فى ج : الميروردى ، وفى د : الميرورذى . وفى المطبوعة : أبو زهر المروزى والمثبت من تقدمة الجرح والتعديل ٣٦٤ .

(٥) فى تقدمة الجرح والتعديل ٣٦٥ زيادة : « أو فرسخين » .

(٦) فى تقدمة الجرح والتعديل ٣٦٥ : « ورجعت إلى نفسى ، ولم يرونى ذلك القدر ، فقلت : اسقنى . فسقانى شيئا يسيرا ، وأخذ بيدى ... » .

ورائى شيخ مُلقًى . فذهب جماعة إليه ، وأخذ بيدى ، وأنا أمشى وأجر رجلىَّ حتى إذا بلغت عند سفينتهم ، وأتَوْا بالشيخ ، وأحسنوا إلينا ، فبقينا أياما ، حتى رجعتْ إلينا أنفسنا ، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها : راية[1] ، إلى واليهم ، وزوَّدُونا[2] من الكعك والسَّويق والماء ، فلم نزل نمشى حتى نفد ما كان معنا من الماء والقوت ، فجعلنا نمشى جِياعا على شطِّ البحر ، حتى دُفِعْنا[3] إلى سُلَحْفاة مثلِ التُّرس ، فعمدنا إلى حجر كبير ، فضربنا على ظهرها ، فانفلق ؛ فإذا فيه مثل صُفْرة البيض ، فحسَّيْناه حتى سكن عنَّا الجوع ، حتى وصلنا إلى مدينة الرَّاية ، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها ، فأنزلنا فى داره ، فكان يُقدِّم إلينا كل يوم القرع ، ويقول لخادمه : هاتى[4] لهم اليَقْطِين المبارك ، فيقدمه مع الخبز أياما . فقال واحد منا : ألا تَدْعُو باللحم المَشئوم[5] . فسمع صاحب الدار ، فقال : أنا أحسن بالفارسية ؛ فإن جدتى كانت هَرَوِيَّة . وأتانا بعد ذلك باللحم ، ثم زوَّدنا إلى مصر .

سمعتُ أبى يقول : لا أحضِر[6] كَمْ مرةً سرتُ من الكوفة إلى بغداد .

وقال أبو محمد الإيَادِىّ ، يرثى أبا حاتم من قصيدة :

أنفسِىَ مالكِ لا تجْزَعِينَا ... وعينىَ مالكِ لا تدْمَعِينَا

ألَمْ تسمعِى بكسوفِ العلو ... مِ فى شهرِ شعبان مَحْقًا مدينا[7]

ألَمْ تسمعِى خبرَ المُرْتضَى ... أبى حاتِمٍ أعلم العالمينَا

توفى أبو حاتم الرَّازِىّ فى شعبان ، سنة سبع وسبعين ومائتين ، وله اثنتان وثمانون سنة .

(ومن الفوائد عنه)

...[8] .

---

(١) هى راية القلزم ، كورة من كور مصر القبلية . ياقوت ٢ / ٢٤٦ .

(٢) فى ج : فزورونا ، وفى د : فتزورنا . والمثبت فى المطبوعة .

(٣) فى تقدمة الجرح والتعديل : ٣٦٥ « حتى وقعنا إلى » .

(٤) فى المطبوعة : هات . والمثبت من : ج ، د ، والتقدمة .

(٥) فى الأصول : المشوم ، والمثبت من التقدمة ٣٦٦ ، وفيها : « فقال واحد منا بالفارسية : لا تدعو باللحم المشؤوم ؟ وجعل يسمع الرجل صاحب الدار » .

(٦) فى التقدمة ٣٦٠ : « لا أحصى » .

(٧) فى التقدمة ٣٦٩ : « لكسوف العلوم ... حقا مدينا » .

(٨) بياض فى كل الأصول .

٥٠

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بَرْدِزْبَه

- بفتح الباء الموحدة بعدها راء ساكنة ثم دال مكسورة مهملة ثم زاى ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء - ابن بَذِذْبه - بباء موحدة مفتوحة ثم ذال معجمة مكسورة ثم ذال ثانية معجمة ساكنة ثم باء موحدة مكسورة ثم هاء - هذا ما كنا نسمعه من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله .

وقيل بدل بَرْدِزْبَه : الأحنف ، وقيل غير ذلك*

هو إمام المسلمين، وقدوة الموحِّدين، وشيخ المؤمنين، والمُعوَّل عليه فى أحاديث سيد المرسلين، وحافظ نظام الدين، أبو عبد الله الجُعْفِىّ مولاهم، البُخارِىّ، صاحب «الجامع الصحيح» وسَاحِب ذيِل الفضل لِلمُستمِيح[1] .

علَا عن المدحِ حتى ما يُزانُ بِهِ ... كأنما المدحُ مِن مقدارِه يضعُ

له الكتابُ الذى يتلُو الكتابَ هُدًى ... هٰذِى السيادةُ طودًا ليس ينْصَدِعُ

الجامعُ المانعُ الدينِ القويم وسُنّـ ... ـة الشريعة أن تغتالها البِدعُ

قاصى المراتبِ دانى الفضلِ تحسِبُه ... كالشمس يبدُو سَناها حين ترتفعُ

ذلَّتْ رقابُ جماهيرِ الأنامِ له ... فكلُّهم وهْو عالٍ فيهمُ خضعُوا

لا تسمعنَّ حديثَ الحاسدين له ... فإنَّ ذلك موضوعٌ ومُنقطِعُ

وقُل لمن رام يحْكيه اصْطِبارَك لا ... تعجلْ فإن الذى تبْغيه مُمتنِعُ

وهبْكَ تأتى بما يَحْكِى شكالتَهُ ... أليس يحكى مُحيًّا الجامعِ البِيَعُ

* له ترجمة فى تاريخ بغداد ٢/ ٤ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٢٢ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٧ ، شذرات الذهب ٢ / ١٣٤ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٧١ ، العبر ٢ / ١٢ ، كتاب الجرح والتعديل ق ٢ ، ج٣ ، ص ١٩١ ، معجم البلدان ١ / ٥٣١ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٥ ، الوافى بالوفيات ٢ / ٢٠٦ ، وفيات الأعيان ٣ / ٣٢٩ .

(١) فى المطبوعة : وصاحب الفضل المستميح ، وفى د : للمستبيح ، والمثبت من : ج . والمستميح : طالب العطاء .

كان والده أبو الحسن إسماعيل بن إبراهيم من العلماء الورعين .

سمع مالك بن أنس ، ورأى حمَّاد بن زيد ، وصالح بن المبارك .

وحدَّث عن أبي معاوية ، وجماعة .

روى عنه أحمد بن حفص ، وقال : دخلتُ عليه عند موته ، فقال : لا أعلم في جميع مالي درهما مِن شبهة .

قال أحمد بن حفص : فتصاغَرتْ إليَّ نفسي عند ذلك .

ولد البخاريّ سنة أربع وتسعين ومائة ، ونشأ يتيما .

وأول سماعِه سنة خمس ومائتين ، وحفظ تصانيف ابن المبارك ، وحُبِّب إليه العلم من الصغر ، وأعانه عليه ذكاؤه المُفْرِط .

ورحل سنة عشر ومائتين ، بعد أن سمع الكثير ببلده من : محمد بن سلَام[1] البيكَنْدِيّ ، ومحمد بن يوسف البِيكَنْدِيّ ، وعبد الله بن محمد المُسْنِديّ ، وهارون ابن الأشعث[2] ، وطائفة .

وسمع ببَلْخ من : مَكّيّ بن إبراهيم ، ويحيى بن بِشر الزاهد ، وقُتَيبة ، وجماعة .

وبمَرْو من : علي بن الحسن بن شقِيق ، وعَبْدان ، وجماعة .

وبنيْسابُور من : يحيى بن يحيى ، وبِشر بن الحَكَم ، وإسحاق ، وعِدَّة .

وبالرَّيّ من : إبراهيم بن موسى الحافظ ، وغيره .

وببغداد من : شُرَيح بن النُّعْمَان ، وعفَّان ، وطائفة .

وبالبصرة من : أبي عاصم النَّبيل ، وبَدَل بن الْمُحبَّر ، ومحمد بن عبد الله الأنصارِيّ ، وغيرهم .

وبالكوفة من : أبي نُعَيم ، وطَلْقِ بن غنَّام ، والحسن بن عطِيَّة ، وخَلَّادِ بن يحيى ، وقَبيصة ، وغيرهم .

---

(١) بتخفيف اللام . المشتبه ٣٧٨ .

(٢) في المطبوعة : وإبراهيم بن الأشعث . والتصويب من ج ، د ، وانظر تهذيب التهذيب ١١/ ٣ ، الوافي بالوفيات ٢ / ٢٠٦ .

وبمكة من : الحُمَيْدِىّ ، وعليه تفقَّه عن الشّافعىّ .

وبالمدينة من : عبد العزيز الأُوَيْسِىّ ، ومُطرِّف بن عبد الله .

وبواسِط ، ومصر ، ودمشق ، وقَيْسارِيَّة[1] ، وعَسْقلان ، وحِمْص ، من خلائق يطول سردهم . ذكَر أنه سمع من ألف نفس ، وقد خرَّج عنهم مشْيخةً ، وحدَّث بها ، ولم نرها .

وفى « تاريخ نيسابور » للحاكم أنه سمع بالجزيرة من أحمد بن الوليد بن الْوَرْتَنِيس الحَرَّانى ، وإسماعيل بن عبد الله بن زُرَارة الرَّقِّىّ ، وعمرو بن خالد ، وأحمد بن عبد الملك بن[2] واقِد الحَرَّانِىّ .

وهذا وَهْم ؛ فإنه لم يدخل الجزيرة ، ولم يسمع من أحمد بن الوليد ، إنما روى عن رجل عنه ، ولا من ابن زُرَارة ، إنما إسماعيل بن عبد الله ، الذى يَرْوِى عنه هو إسماعيل بن أبى أُوَيس ، وأما ابن واقِد ، فإنه سمع منه ببغداد ، وعَمْرو بن خالد سمع منه بمصر . نبه على هذا شيخنا الحافظ الْمِزِّىّ فيما رأيته بخطه .

وأكثر الحاكم فى عدِّ شيوخه ، وذكْرِ البلاد التى دخلها ، ثم قال : وإنما سمَّيْتُ من كل ناحية جماعة من المتقدمين ؛ لِيُسْتَدَلّ بذلك على عالى إسناده ؛ فإن مسلم بن الحجَّاج لم يدرك أحدًا ممن سميتُهم ، إلا أهلَ نَيْسَابور .

واعترضه شيخنا الذَّهبىّ كما رأيته بخطه ، بأنه أدرك أحمد ، وعمر بن حفص ، يعنى : وهُما ممَّن عدَّ الحاكم .

ذكر أبو عاصم العبَّادِىّ أبا عبد الله فى كتابه « الطبقات » ، وقال : سمع من الزَّعْفرانِىّ ، وأبى ثَوْر ، والْكَرابِيسِىّ .

قلتُ : وتفقَّه على الحُمَيْدِىّ ، وكلهم من أصحاب الشافعىّ .

---

(١) قيسارية : بلدة على ساحل بحر الشام ، تعد فى فلسطين ، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . مراصد الاطلاع ١١٣٩ .

(٢) فى المطبوعة : ابن أحمد ، وما أثبتناه من : ج ، د ، وهو يوافق ما أورده المصنف بعد ذلك ، وانظر تهذيب التهذيب ١ / ٥٧ .

قال : ولم يَرْوِ عن الشافعىّ فى « الصحيح » لأنه أدرك أقرانَه ، والشافعىّ مات مكتهِلا ، فلا يرويه نازلا ، ورَوَى عن الحسين ، وأبى ثَوْر مسائلَ عن الشافعىّ .

قلتُ : وذكر الشافعىّ فى موضعين من « صحيحه » فى « باب [فى][1] الرِّكاز الخُمُس »[2] وفى « باب تفسير العرايا »[3] من « البيوع » .

ورقّم شيخنا المِزِّىّ فى « التهذيب » للشافعىّ بالتعليق ، وذكر هذين المكانين .

حدَّث البُخارِىّ بالحجاز ، والعراق ، وخُراسان ، وما وراء النهر ، وكتب عنه المُحَدِّثون وما فى وجهه شعرة .

رَوَى عنه أبو زُرْعَة ، وأبو حاتم ، والتِّرمِذىّ ، ومسلم خارج « الصحيح » ، ومحمد بن نصْر المَرْوَزِىّ ، وصالح بن محمد جَزَرة ، وابن خُزَيْمة ، وأبو العبَّاس السَّرَّاج ، وأبو قُرَيش[4] محمد بن جمعة ، ويحيىٰ بن محمد بن صاعِد ، وأبو حامد بن الشَّرْقِىّ ، وخلق .

وآخر مَن رَوَى عنه « الجامع الصحيح » منصور بن محمد البَزْدَوِىّ[5] ، المتوفَّى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

وآخر مَن زعم أنه سمعه منه موتا ، أبو ظهير عبد الله بن فارس البَلْخِىّ ، المتوفَّى سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

وآخر مَن رَوَى حديثَه عاليًا خطيبُ المَوْصِل ، فى « الدعاء » للْمَحامِلِىّ ، بينه وبينه ثلاثة رجال .

وأما كتابه « الجامع الصحيح » فأجلُّ كتب الإسلام ، وأفضلها بعد كتاب الله ، ولا عِبرة بمن يُرَجِّح عليه « صحيح مسلم » ؛ فإن مقالته هذه شاذّة ، لا يُعَوَّل عليها .

---

(١) زيادة من صحيح البخارى .

(٢) صحيحه ٢ / ١٥٩ .

(٣) صحيحه ٣ / ١٠٠ .

(٤) فى المطبوعة : وابن قريش ، والتصويب من : ج ، د ، العبر ٢ / ١٥٨ .

(٥) بفتح الباء الموحدة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وفى آخرها الواو ، نسبة إلى قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف . اللباب ١ / ١١٨ ، ياقوت ١ / ٦٧٤ .

قال ابن عَدِىّ : سمعتُ الحسن بن الحسين البَزَّار ، يقول : رأيتُ البُخارىّ شيخًا نحيفًا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، عاش اثنتين وستين سنة ، إلا ثلاثة عشر يوما .

وقال أحمد بن الفضل[1] البَلْخِىّ : ذهبتْ عينا محمد فى صغره ، فرأت أمه إبراهيم عليه السلام ، فقال : يا هذه ، قد ردَّ الله على ابنك بصرَه بكثرة بكائك أو دعائك ، فأصبح وقد ردَّ الله عليه بصرَه .

وعن جبريل بن ميكائيل : سمعتُ البخارىّ يقول : لما بلغتُ خُراسان أُصبت ببصرى[2] ، فعلَّمنى رجل أن أحلق رأسى ، وأُغلِّفه بالخِطْمِىّ ، ففعلتُ ، فردَّ الله علىَّ بصرى . رواها غُنْجار فى « تاريخه » .

وقال أبو جعفر محمد بن أبى حاتم الوَرَّاق : قلتُ للبخارىّ : كيف كان بدءُ أمرك ؟ قال : أُلهِمت حفظ الحديث فى المكتب ولى عشر سنين أو أقل ، وخرجت من الكُتّاب بعد العشر ، فجعلتُ أختلف إلى الدَّاخِلّى وغيره ، فقال يوما فيما يقرأ على الناس : سفيان ، عن أبى الزُّبَير ، عن إبراهيم . فقلتُ له : إن أبا الزُّبَير لم يَرْوِ عن إبراهيم . فانتهرنى ، فقلتُ له : ارجعْ إلى الأصل . فدخل ، ثم خرج ، فقال لى : كيف يا غلامُ ؟ قلت : هو الزُّبير بن عَدِىّ ، عن إبراهيم . فأخذ القلم منى وأصلحه ، وقال : صدقت . فقال للبخارىّ بعضُ أصحابه : ابن كم كنتَ ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة .

فلما طعنت فى ست عشرة سنة ، حفظت كتب ابن المبارك ووَكِيع ، وعرفت كلامَ هؤلاء .

ثم خرجتُ مع أمى وأخى أحمد إلى مكة ، فلما حججتُ رجع أخى بها ، وتخلَّفتُ فى طلب الحديث .

فلما طعنتُ فى ثمانى عشرة سنة ، جعلتُ أصنِّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلَهم ، وذلك أيام عُبَيد الله بن موسىٰ ، وصنفت « كتاب التاريخ » إذ ذاك عند قبر النبىِّ صلى الله

---

(١) فى المطبوعة : أحمد بن المفضل . والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : أصيب بصرى ، والمثبت من : ج ، د .

عليه وسلم ، فى الليالى المقمرة ، وقَلَّ اسمٌ فى التاريخ إلا وله عندى قصة ، إلا أنى كرهت تطويل الكتاب .

وقال عمر بن حفص الأشْقر : كنا مع البخاريّ بالبصرة نكتب الحديث ، ففقَدناه أياما ، ثم وجدناه فى بيتٍ وهو عُرْيان ، وقد نفِد ما عنده ، فجمعنا له الدراهم وكَسَوْناه .

وقال عبد الرحمٰن بن محمد البخاريّ : سمعتُ محمد بن إسماعيل ، يقول : لقيتُ أكثر من ألف رجلٍ مِن أهل الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وخُراسان ، إلى أن قال : فما رأيت واحدا منهم يختلف فى هذه الأشياء : « أن الدين قول وعمل ، وأن القرآن كلام الله » .

وقال محمد بن أبى حاتم : سمعتُه يقول : دخلت بغداد ثمانى مرات ، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل ، فقال لى آخر ما ودَّعته : يا أبا عبد الله ، تتركُ العلم والناس ، وتصير إلى خُراسان ! فأنا الآن أذكر قول أحمد .

وقال أبو بكر الأعْين[1] : كتبْنا عن البخاريّ ، على باب محمد بن يوسف الفِرْيَابِيّ وما فى وجهه شَعرة .

وقال محمد بن أبى حاتم ، ورَّاق البخاريّ : سمعتُ حَاشِد[2] بن إسماعيل ، وآخرَ ، يقولان : كان البخاريّ يختلِفُ معنا إلى السَّماع وهو غلام فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أياما ، فكنا نقول له . فقال : إنكما قد أكثرتُما علىَّ ، فاعْرِضا علىَّ ما كتبتُما ، فأخرجْنا إليه ما كان عندنا ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلَّها على ظهر قلب ؛ حتى جعلنا نُحْكِم كَتْبَنا مِن حفظه ، ثم قال : أترَوْن أنى أخْتلِف[3] هَدَرًا ، وأُضيِّع أيامى ؟ فعرفنا أنه لا يتقدَّمُه أحدٌ .

قالا : فكان أهل المعرفة يَعْدُون خلفه فى طلب الحديث وهو شاب ، حتى يغلبوه على نفسه ، ويُجْلِسوه فى بعض الطريق ، فيجتمع عليه ألوف ، أكثرهم ممَّن يكتب عنه ، وكان شابًّا لم يخرُج وجهُه .

---

(١) بفتح الألف وسكون العين المهملة وفتح الياء آخر الحروف وفى آخرها النون ، هذه الصفة لمن فى عينه سعة . اللباب ١ / ٦١ .

(٢) فى المطبوعة : حامد ، والمثبت من : ج ، د ، تاريخ بغداد ٢ / ١٤ .

(٣) فى ج : أخلف ، وفى د : اختلفت ، والمثبت فى المطبوعة ، تاريخ بغداد ٢ / ١٥ .

قال محمد بن أبى حاتم : وسمعتُ سليم بن مجاهد ، يقول : كنت عند محمد بن سلَام البِيكَنْدِىّ ، فقال لى : لو جئتَ قبلُ لرأيت صبيًّا يحفظ سبعين ألف حديث .

قال : فخرجتُ فى طلبه ، فلقيته ، فقلت : أنت الذى تقول : أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم ، وأكثر ، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة أو التابعين ، إلا عرفت مولدَ أكثرِهم ، ووفاتهم ، ومساكنهم ، ولستُ أروى حديثًا مِن حديث الصحابة أو التابعين ، إلَّا وَلِى فى ذلك أصل أحفظه حفظا ، عن كتاب الله ، أو سنة رسول الله ﷺ .

قال غُنْجار : حدثنا أبو عمْرو أحمد بن محمد المُقْرِى ، حدثنا محمد بن يعقوب ابن يوسف البِيكَنْدِىّ ، سمعتُ على بن الحسين بن عاصم البِيكَنْدِىّ ، يقول : قدِم علينا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده ، فقال بعضُنا : سمعت إسحاق بن رَاهُويه ، يقول : كأنى أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابى .

فقال محمد : أوَ تعجب من هذا ؟ لعل فى هذا الزمان مَن ينظر إلى مائتى ألف حديث من كتابه .

قال : وإنما عَنى به نفسَه .

وقال ابن عَدِىّ : حدثنى محمد بن أحمد القُومِسىّ[(١)] : سمعتُ محمد بن خَمِيرَوَيْه[(٢)] ، يقول : سمعت محمد بن إسماعيل ، يقول : أحفظُ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح .

وقال إمام الأئمة ابن خُزَيمة : ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد ابن إسماعيل البخارىّ .

وقال ابن عَدِىّ : سمعتُ عِدَّة مشايخ يحكون أن البخارىّ قدم بغداد ، فاجتمع أصحاب الحديث ، فعمَدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا مُتُونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا

---

(١) نسبة إلى قومس ، وهى كورة كبيرة واسعة ، فى ذيل جبال طبرستان . معجم البلدان ٤ / ٢٠٣ .
(٢) اضطربت الأصول فيه ، وأثبتنا صوابه من سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١٥ ، والعبر ٢/ ٣٦٣ .

وإسناد هذا لمتن هذا ؛ ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ؛ ليُلقوها على البخاريّ فى المجلس ؛ فاجتمع الناس ، وانتدَب[1] أحدُهم فقال[2] ، وسأله عن حديث من تلك العشرة . فقال : لا أعرفه . فسأله عن آخر . فقال : لا أعرفه . حتى فرغ من العشرة .

فكان الفقهاء يلتفتُ بعضُهم إلى بعض ، ويقولون : الرجل فهم ، ومَن كان لا يدرى قضَى عليه بالعجز .

ثم انتدَب آخر ، ففعل كفِعل الأول ، والبخاريّ يقول : لا أعرفُه . إلى فراغ العشرة أنْفُس ، وهو لا يزيدُهم على : لا أعرفه .

فلما علم أنهم قد فرغوا ، التفت إلى الأول ، فقال : أمّا حديثُك [الأول][3] فإسناده كذا وكذا ، والثانى كذا وكذا ، والثالث ، إلى آخر العشرة ؛ فردَّ كلَّ متنٍ إلى إسناده ، وفعل بالثانى مثلَ ذلك ، إلى أن فرغ . فأقرَّ له الناسُ بالحفْظِ .

وقال يوسف بن موسى الْمَرْوَرُّوذِىّ : كنتُ بجامع البصرة ، إذ سمعتُ مناديا ينادى ، يا أهل العلم ، لقد قدِم محمد بن إسماعيل البخاريّ . فقاموا فى طلبه ، وكنتُ فيهم ، فرأيتُ رجلا شابًّا يصلّى خلف الأُسْطُوَانة ، فلما فرَغ أحْدَقوا به ، وسألوه أن يعقِد لهم مجلسا للإملاء ، فأجابهم .

فلما كان من الغد ، اجتمع كذا وكذا ألف ، فجلس ، وقال : يا أهل البصرة ، أنا شابٌّ وقد سألتمونى أن أحدِّثكم ، وسأحدِّثُكم بأحاديثَ عن أهل بلدكم ، تستفيدون الكل :

حدثنا عبد الله بن عثمان بن جَبَلة بن أبى رَوَّاد ، بَلَدِيّكُم ، حدثنا أبى ، حدثنا شعبة عن منصور ، وغيره ، عن سالم بن أبى الْجَعْد ، عن أنس : أن أعرابيا ، قال : يا رسول الله الرجلُ يحبُّ القوم ... الحديث .

ثم قال : ليس هذا عندكم ، إنما عندكم عن غير منصور . وأمْلَى مجلسًا على هذا النَّسَق .

---

(١) انتدب فلان لفلان : عارضه فى كلامه . القاموس (ن د ب) .

(٢) فى المطبوعة : فقام ، والمثبت من : ج ، د . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٩ .

(٣) زيادة من المطبوعة ، تاريخ بغداد ٢ / ٢١ على ما فى : ج ، د .

قال يوسف : وكان دخولى البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبى الشَّوارب .

وقال التِّرمِذىّ : لم أرَ أحدًا بالعراق ، ولا بخُراسان ، فى معنى العِلَل ، والتاريخ ، ومعرفة الأسانيد أعلَم من محمد بن إسماعيل .

وقال إسحاق بن أحمد الفارسىّ : سمعتُ أبا حاتم ، يقول سنة سبع وأربعين ومائتين : محمد بن إسماعيل أعلمُ مَن دخل العراق ، ومحمد بن يحيى أعلم مَن بخُراسان اليومَ ، ومحمد بن أسْلَم أورعُهم ، وعبد الله الدَّارِمِىّ أثبتُهُم .

وعن أحمد بن حنبل ، قال : انتهى الحفظُ إلى أربعة من أهل خُراسان : أبو زُرْعَة ، ومحمد بن إسماعيل ، والدَّارِمِىّ ، والحسن بن شُجاع البَلْخِىّ .

وقال أبو أحمد الحاكم : كان البخارىّ أحد الأئمة فى معرفة الحديث وجمعه ، ولو قلتُ إنى لم أرَ تصنيفَ أحدٍ يُشبِه تصنيفَه فى المبالغة والحسن ، لرَجوْتُ أن أكون صادقًا .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، إذنًا خاصا ، قال : قرأتُ على عمر بن القوَّاس ، أخبركم أبو القاسم بن الحَرَسْتَانِىّ ، حضورا ، أخبرنا جمال الإسلام ، أخبرنا ابن طَلّاب ، أخبرنا ابن جُمَيع ، حدثنى أحمد بن محمد بن آدم ، حدثنى محمد بن يوسف البخارىّ ، قال : كنت عند محمد بن إسماعيل بمنزلِهِ ذاتَ ليلة ، فأحصيتُ عليه أنه قام وأسْرج ؛ ليستذكر أشياءَ يُعلِّقها فى ليله ثمانى عشرة مرَّة[1] .

وقال محمد بن أبى حاتم الورَّاق : كان أبو عبد الله إذا كنت معه فى سفر ، يجمعنا بيت واحد ، إلا فى القَيْظ أحيانا ، فكنت أراه يقوم فى ليلةٍ واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة ، فى كل ذلك يأخذ القَدَّاحة ، فيُورِى نارا ويُسرِج ، ثم يُخرِج أحاديث ، فيُعلِّم عليها ، ثم يضع رأسَه ، وكان يصلِّى وقتَ السحر ثلاثَ عشرة ركعة ، وكان لا يُوقِظنى فى كل ما يقوم ، فقلت له : إنك تحمِل على نفسك فى كل هذا ، ولا توقظنى . قال : أنت شابٌّ ، ولا أحبُّ أن أُفسِد عليك نومَك .

وقال الفَرَبْرِىّ : قال لى محمد بن إسماعيل : ما وضعتُ فى الصحيح حديثًا إلا اغتسلتُ قبل ذلك ، وصليت ركعتين .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٠٤ .

وقال إبراهيم بن مَعْقِل : سمعتُه يقول : كنتُ عند إسحاق بن رَاهُويه ، فقال رجل : لو جمعتم كتابا مُختصَرا للسنن . فوقع ذلك فى قلبى ، فأخذتُ فى جمع هذا الكتاب .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ : رُوِىَ من وجهين ثابتين عن البخاريّ ، أنه قال : أخرجتُ هذا الكتاب من نحو ستمائة ألف حديث ، وصنَّفتُه فى ستَّ عشرة سنة ، وجعلتُه حُجَّةً فيما بينى وبين الله[1] .

وقال إبراهيم بن مَعْقِل : سمعتُه يقول : ما أدخلتُ فى « الجامع » إلا ما صح ، وتركت من الصِّحاح لأجل الطول .

وقال محمد بن أبى حاتم : قلتُ له : تحفظُ جميع ما فى المصنَّف ؟ قال : لا يخفَى علىَّ جميعُ ما فيه ، ولو نشر بعض إسنادى ، هؤلاء لم يفهموا كتاب « التاريخ » ولا عرفوه ، ثم قال : صنفْتُه ثلاث مرات[2] .

وقد أخذه ابن رَاهُويه فأدخله على عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، ألا أُرِيك سحرًا . فنظر فيه عبد الله ، فتعجَّب منه ، وقال : لستُ أفهم تصنيفَه .

وقال الفَرَبْرِىّ : حدثنى نجم بن الفُضَيل ، وكان من أهل الفهم ، قال : رأيت النبىَّ ﷺ فى النوم ، خرج من قرية ، ومحمد بن إسماعيل خلفَه ، فإذا خطا خُطْوة يخطو محمد ، ويضع قدمه على قدمه ، ويتبَعُ أثَره .

وقال خلَف الخيَّام : سمعت أبا عمرو ، أحمد بن نصر الخفَّاف ، يقول : محمد بن إسماعيل أعلمُ فى الحديث مِن أحمد وإسحاق بعشرين درجة ، ومَن قال : فيه شيء . فعليه منى ألفُ لعنةٍ ، ولو دخل مِن هذا الباب لمُلِئْت منه رعبًا .

وقال أبو عيسى التِّرمِذِىّ : كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن مُنير ، فلما قام من عنده ، قال له : يا أبا عبد الله ، جعلك الله زَيْن هذه الأمة .

قال أبو عيسى : استُجِيب له فيه .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٠٢ ، ٤٠٥ .

(٢) جمع المصنف هنا بين جوابين للبخارى ، أجاب بهما ابن أبى حاتم ، الأول عن المصنف ، والثانى عن التاريخ ، ويبدأ الثانى بقوله : « ولو نشر بعض إسنادى » انظر تاريخ بغداد ٢ / ٧ ، ٩ . وفى السِّيَر ٤٠٣ : « أُستاذى » .

وقال جعفر بن محمد المُسْتَغْفِرِىّ فى « تاريخ نَسَف » ، وذكَر البخارىّ : لو جاز لى لفضَّلْته على مَن لَقِىَ من مشايخه ، ولقلتُ : ما لَقِىَ بعينِه مثلَ نفسه .

وقال إبراهيم الخوَّاص : رأيتُ أبا زُرْعة كالصبىِّ ، جالسا بين يدى محمد بن إسماعيل ، يسأله عن عِلَل الحديث .

وقال جعفر بن محمد القطَّان : سمعتُ محمد بن إسماعيل ، يقول : كتبتُ عن ألف شيخ ، أو أكثر ، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ، ما عندى حديث إلا أذكُر إسنادَه .

قلتُ : فارقَ البخارىّ بُخارَى ، وله خمس عشرة سنة ، ولم يرَهُ محمد بن سلَام البِيكَنْدِىّ بعد ذلك ، [1]وقد قال سليم بن مجاهد : كنت عند محمد بن سلَام البِيكَنْدِىّ ، فقال : لو جئتَ قبلُ لرأيت صبيا ، يحفظ سبعين ألف حديث . فخرجتُ حتى لحقتُه ، فقلت : أنت تحفظُ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم ، وأكثر ، ولا أُجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين ، إلا عرفت مولد أكثرهم ، ووفاتهم ، ومساكنهم ، ولست أرْوِى حديثا من حديث الصحابة والتابعين ، إلا ولى من ذلك أصل أحفظه حفظا ، عن كتاب أو سنّة .

وقال بعضهم : كنت عند محمد بن سلَام البِيكَنْدِىّ ، فدخل محمد بن إسماعيل ، فلما خرج ، قال محمد بن سلَام : كلما دخل علىَّ هذَا الصبىّ ، تحيَّرتُ والْتبس علىَّ أمرُ الحديث ، ولا أزال خائفًا ما لم يخرُج[1] .

● وقال محمد بن أبى حاتم : سمعتُ محمد بن يوسف ، يقول : كنت عند أبى رجَاء ، يعنى قُتَيبة ، فسُئِل عن طلاق السَّكران ، فقال : هذا أحمد بن حنبل ، وابن الْمَدِينِىّ ، وابن رَاهُويه ، قد ساقهم الله إليك . وأشار إلى محمد بن إسماعيل ، وكان مذهب محمد أنه إذا كان مغلوبَ العقل ، لا يَذْكُر ما يُحدِث فى سكرِه ، أنه لا يجوز عليه مِن أمرِه شىء .

---

(١) ساقط من : د . وهو فى المطبوعة ، ج .وسبق هذا فى صفحة ٢١٨ .

وسمعتُ عبد الله بن سعيد ، يقول : لما مات أحمد بن حَرْب النَّيسابُورِىّ ، ركب محمد وإسحاق يُشيِّعان جنازتَه ، فكنتُ أسمع أهل المعرفة بنيْسابور ، ينظرون ، ويقولون : محمد أفقه من إسحاقَ .

وعن الفَرَبْرِىّ : رأيت النبىَّ ﷺ فى المنام ، فقال لى : أين تُرِيد ؟ فقلت : أريد البخارىّ ، فقال : أقْرأه منِّى السلام .

وكان البخارىّ يختم القرآن كل يوم نهارا ، ويقرأ فى الليل عند السَّحَر ثُلُثًا من القرآن ، فمجموع وِرْده خَتْمة وثلث خَتْمة .

وكان يقول : أرجو أن ألقى الله ، ولا يحاسبُنِى باغْتياب أحد .

وكان يصلِّى ذات يوم ، فلسعه الزُّنْبور سبع عشرة مرة ، ولم يقطع صلاته ، ولا تغيَّر حاله .

وعن الإمام أحمد : ما أخرجتْ خُراسان مثل البخارىّ .

وقال يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقِىّ : البخارىّ فقيهُ هذه الأمة .

وقال محمد بن إدريس الرَّازِىّ ، وقد خرج البخارىّ إلى العراق : ما خرج من خُراسان أحفظ منه ، ولا قدِم العراق أعلم منه .

قال الحاكم أبو عبد الله : سمعتُ أبا نصر أحمد بن محمد الورَّاق ، يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن حَمْدون ، يقول : سمعتُ مسلم بن الحجَّاج ، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخارىّ ، فقبَّل [ما][1] بين عيْنَيْه ، وقال : دعْنى حتى أقبِّل رجْلَيْك ، يا أستاذ الأستاذين ، ومُسنِد[2] المُحدِّثين ، ويا طبيب الحديث فى عِلَله : حدَّثك محمد بن سلَام ، حدثنا مَخْلد بن يزيد الحرَّانِىّ ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، قال : حدثنى موسىٰ ابن عُقْبة ، عن سُهَيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبىِّ ﷺ .

فقال البخارىّ : وحدثنا أحمد بن حنبل ، ويحيىٰ بن مَعِين ، قالا : حدثنا حجَّاج بن محمد ، عن ابن جُرَيج ، قال : حدثنى موسىٰ بن عُقْبة ، عن سُهَيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن

---

(١) زيادة عن طبقات الحنابلة ١ / ٢٧٣ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٢ ، ٤٣٦ .

(٢) فى المطبوعة : وسيد ، وهو يوافق ما فى طبقات الحنابلة ١ / ٢٧٣ . والمثبت من : ج ، د .

أبى هريرة ، عن النبىّ ﷺ ، فِى كفّارة المجلس أن يقول ، إذا قام من مجلسه : « سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ » .

فقال محمد بن إسماعيل : هذا حديث مليح ، ولا أُعلم بهذا الإسناد فى الدنيا حديثًا غيرَ هذا ، إلا أنه معلول : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وُهَيْب ، حدثنا سُهَيل ، عن عَوْن بن عبد الله قولَه .

قال محمد بن إسماعيل : هذا أولى . ولا نذكر لموسىٰ بن عُقْبة مُسندًا عن سُهَيل ، وهو سُهَيل بن ذَكوان ، مولى جُوَيْرية ، وهم إخوة : سُهَيل ، وعبَّاد ، وصالح ، بنو أبى صالح ، وهم مِن أهل المدينة .

وقال نسج[1] بن سعيد : كان محمد بن إسماعيل البخارىّ إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان ، تجتمع إليه أصحابُه ، فيصلِّى بهم ، ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية ، وكذلك إلى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ فى السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند السَّحَر فى كل ثلاث ليال ، وكان يختم بالنهار فى كل يوم خَتْمَة ، ويكون خَتْمُه عند الإفطار كل ليلة ، ويقول : عند كل خَتْم دعوةٌ مُستجابة .

وقال بكر بن مُنِير : سمعت البخارىّ ، يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبُنى أنى اغتبْتُ أحدا .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ : يشهد لهذه المقالة كلامُه فى الجرح والتعديل ، فإنه أبلغ ما يقول فى الرجل المتروك أو الساقط : فيه نظر ، أو سكتوا عنه ، ولا يكاد يقول : فلان كذّاب ، ولا فلان يضع الحديث ، وهذا من شدة ورعه[2] .

قلتُ : وأبلغ تضعيفه قوله فى المجروح : مُنْكَر الحديث .

قال ابن القطَّان : قال البخارىّ : كلّ مَن قلتُ فيه مُنكَر الحديث ، فلا تحِلُّ الرواية عنه .

---

(١) هكذا فى الأصول ، وتاريخ بغداد ٢ / ١٢ ، وجاء فى سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٣٨ : مُسَبِّح .
(٢) سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٤٣٩ .

وقال أبو بكر الخطيب : سُئِل العباس بن الفضل الرَّازِىّ الصّايغ : أيُّهما أحفظُ ، أبو زُرْعة ، أو البخارىّ ؟ فقال : لقيتُ البخارىّ بين حُلْوان وبغداد ، فرجعتُ معه مَرْحلة ، وجَهِدت أن أجىء بحديث لا يعرفه ، فما أمكن ، وأنا أُغْرِب على أبى زُرْعة عددَ شَعَرى .

وقال أبو عمرو أحمد بن نصْر الخفَّاف : محمد بن إسماعيل أعلمُ بالحديث مِن إسحاق بن رَاهُويه ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما ، بعشرين درجة ، ومن قال فيه شيئًا فمنِّى عليه ألفُ لعنة .

ثم قال : حدثنا محمد بن إسماعيل التَّقِىّ ، النَّقِىّ ، العالم ، الذى لم أرَ مثلَه .

وقال محمد بن يعقوب الأَخْرَم : سمعتُ أصحابَنا ، يقولون : لما قَدِم البخارىّ نَيْسابور ، استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل ، سوى مَن ركب بغلا أو حمارا ، وسوى الرَّجَّالة .

وقال أبو أحمد الحاكم فى «الكُنى»: عبد الله [بن][1] الدَّيْلَمِىّ، أبو بُسْر. وقال البخارىّ ومسلم فيه: أبو بِشْر بشين معجمة. قال الحاكم: وكلاهما أخطأ فى علمى، إنما هوأبو بُسر، وخليق أن يكون محمدبنإسماعيل مع جلالتهومعرفته بالحديث اشتبه عليه، فلما نقله مسلممن كتابه تابعهعلى زَلَّته، ومن تأمل كتاب مسلم فى «الأسماء والكُنى » علم أنه منقول من كتاب محمد بن إسماعيل ، حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة[2] ، حتى لا يزيد عليه فيه إلا ما يسْهُل عدُّه ، وتجلَّد فى نقله حق الجَلَادة ؛ إذ لم ينسبه إلى قائله ، وكتاب محمدبنإسماعيل فى «التاريخ» كتاب لم يسبق إليه، .ومن ألف بعده شيئًا من[3] التاريخ

(١) زيادة من : ج ، د ، على ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : حذو القدم بالقدم . والمثبت من : ج ، د . وقذ الريش : قطع أطرافه وحذفه على نحو الحذو والتدوير والتسوية ، وحذو القذة بالقذة ، يعنى : كما تقدر كل واحدة منهن على صاحبتها وتقطع . انظر اللسان ٣ / ٥٠٣ (ق ذ ذ) .

(٣) فى المطبوعة : فى . والمثبت من : ج ، د .

أو الأسماء ، أو الكُنَى لم يستغن عنه ، فمنهم من نسبه إلى نفسه ، مثل أبى زُرْعة ، وأبى حاتم ، ومسلم ، ومنهم مَن حكاه عنه ، فالله يرحمه ، فإنه الذى أصَّل الأصول .

وذكر الحاكم أبو أحمد ، كلاما سوى هذا .

وقال محمد بن أبى حاتم : رأيتُ أبا عبد الله استلْقى على قَفاه يوما ، ونحن بفَرَبْر ، فى تصنيف « كتاب التفسير » وأتعب نفسَه يومئذ ، فقلتُ : إنى أراك تقول : إنى ما أتيتُ شيئًا بغير علم قطُّ منذ عقَلت ، فما الفائدة فى الاستلْقاء ؟ قال : أتعبْنا أنفسَنا اليوم ، وهذا ثغْر من الثغور ، خشيتُ أن يحدُث حدث مِن أمر العدوّ ، فأحببتُ أن أستريح ، وآخذَ أُهْبةً ، فإن غافصَنا[1] العدوُّ كان بنا حَراك ، وكان يركب إلى الرَّمْى ، فما أعلم أنى رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمُه الهدفَ ، إلا مرتين ، وكان لا يُسْبَق .

وسمعتُه يقول : ما أردتُ أن أتكلَّم بكلام ، فيه ذكر الدنيا ، إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه .

قال : وكان لأبى عبد الله غَرِيم ، قطع عليه مالا كثيرا ، فبلغه أنه قَدِم آمُل ، ونحن بفَرَبْر ، فقلنا له : ينبغى أن تعبُر ، وتأخذه بمالك ، فقال : ليس لنا أن نُرَوِّعَه .

ثم بلغ غريمه ، فخرج إلى خُوارَزْم ، فقلنا : ينبغِى أن تقول لأبى سلَمة الكُشَانِىّ[2] ، عامل آمُل ، ليكتب إلى خُوارَزْم فى أخذِه . فقال : إن أخذتُ منهم كتابًا طمِعوا منِّى فى كتاب ، ولست أبيع دِينى بدنياى .

فجهِدنا ، فلم يأْخُذ ، حتى كلَّمنا السلطانَ عن غير أمره ، فكتب إلى وَالى خُوارَزْم .

فلما بلغ أبا عبد الله ذلك وجِد وجدًا شديدًا ، وقال : لا تكونوا أشفقَ علىَّ مِن نفسى . وكتب كتابًا ، وأرْدف تلك الكتب بكتب ، وكتب إلى بعض أصحابه بخُوارَزْم : أن لا يتعرّض لغريمه .

---

(١) غافصه : فاجأه وأخذه على غرة .

(٢) بضم أولها والشين المعجمة وفى آخرها النون ، نسبة إلى كشانية ، وهى بلدة من بلاد الصغد ، بنواحى سمرقند . اللباب ٣ / ٤٢ .

فرجع غريمه ، وقصد ناحية مَرْو ، فاجتمع التجار ، وأُخْبِر السلطان ، فأراد التَّشْديد على الغريم ، فكره ذلك أبو عبد الله ، وصالح غريمَه على أن يُعطِيَه كلَّ سنة عشرة دراهم ، شيئًا يسيرًا ، وكان المال خمسة وعشرين ألفا ، ولم يصل من ذلك إلى درهم ، ولا إلى أكثر منه .

سمعتُ أبا عبد الله ، يقول : ما تولّيتُ شراء شيءٍ قطّ ، ولا بيعَه .

قلتُ : فمن يتولّى أمرَك فى أسفارك ؟

قال : كنت أُكْفَى أمرَ ذلك .

وذكر بكر بنُ منير : أنه حَمل إلى البخاريّ بضاعةً ، أنفذها إليه ابنُه أحمد ، فاجتمع به بعض التجار ، فطلبوها [منه][1] بربح خمسة آلاف درهم . فقال : انصرفوا الليلة . فجاءه من الغد تجار آخرون ، فطلبوها منه بربح عشرة آلاف درهم ، فقال : إنى نويتُ البارحةَ بيعَها للذين أَتَوا البارحة .

قلتُ : وقال محمد بن أبى حاتم : سمعتُ أبا عبد الله يقول : ما ينْبغى للمسلم أن يكون بحالةٍ ، إذا دُعِيَ لم يُسْتَجَبْ له .

قال : وسمعتُه يقول : خرجتُ إلى آدم بن أبى إياس ، فتخلَّفَتْ عنِّى نفقتى ، حتى جعلتُ أتناولُ الحشيشَ ، ولا أُخبر بذلك أحدًا ، فلما كان اليوم الثالث ، أتانى آتٍ لم أعْرفْه ، فناولنى صُرَّةَ دنانير ، وقال : أنْفق على نفسِك .

وسمعتُ سُلَيم بن مجاهد ، يقول : ما رأيتُ بعينى منذ ستِّين سنة أفقهَ ، ولا أورعَ ، ولا أزهدَ فى الدنيا ، من محمد بن إسماعيل .

واعلم أن مناقبَ أبى عبد الله كثيرة ، فلا مطمَع فى استيعاب غالبها ، والكتب مشحونة به ، وفيما أوردناه مَقْنَع وبلاغ .

---

(١) زيادة من المطبوعة على ما فى : ج ، د .

(قصته مع محمد بن يحيىٰ الذُّهْلِىّ)

قال الحسن بن محمد بن جابر : قال لنا الذُّهْلِىّ ، لما ورَد البخارىّ نَيْسابور : اذْهبوا إلى هذا الرجل الصالح ، فاسْمعوا منه . فذهب الناس إليه ، وأقبلوا على السماع منه ، حتى ظهر الخَلَل فى مجلس الذُّهْلِىّ ، فحسده بعد ذلك ، وتكلّم فيه .

وقال أبو أحمد بن عَدِىّ : ذكر لى جماعة من المشَايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نَيْسابور ، واجتمعوا عليه حسَدَه بعضُ المشايخ ، فقال لأصحاب الحديث : إن محمد ابن إسماعيل يقول : اللفظ بالقرآن مخلوق ، فامتحِنوه .

فلما حضر الناس ، قام إليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فى اللفظ بالقرآن ، مخلوق هو ، أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه ، ولم يُجِبْه ، فأعاد السؤال ، فأعرض عنه ، ثم أعاد ، فالتفتَ إليه البخارىّ ، وقال : القرآن كلام الله غيرُ مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة ، والامتحان بِدْعة .

فشغَب الرجل ، وشغَب الناس ، وتفرّقوا عنه ، وقَعد البخارىّ فى منزله .

قال محمد بن يوسف الْفَرَبْرِىّ : سمعتُ محمد بن إسماعيل ، يقول : أمّا أفعال العباد فمخلوقة ؛ فقد حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا مَرْوان بن معاوية ، حدثنا أبو مالك ، عن رِبْعِىّ ، عن حُذَيفة ، قال : قال النبىُّ ﷺ : « إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ » ، وسمعتُ عُبَيْد الله بن سعيد : سمعتُ يحيى بن سعيد ، يقول : ما زلتُ أسمع أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة .

قال البخارىّ : حركاتُهم ، وأصواتُهم ، واكتسابُهم ، وكتابتُهم مخلوقة ؛ فأمّا القرآن المتْلُوّ ، المُثْبَتُ فى المصاحف ، المسطُور ، المكتوب ، المُوعَى فى القلوب ، فهو كلام الله ، ليس بمخلوق ؛ قال الله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[1] .

---

(١) سورة العنكبوت ٤٩ .

وقال : يُقال فلان حسن القراءة ، ورَدىء القراءة . ولا يقال : حسن القرآن ، ولا رَدِىء القرآن ، وإنما يُنسَب إلى العباد القراءة ؛ لأن القرآن كلام الرب ، والقراءة فعلُ العبد ، وليس لأحد أن يُشَرِّع فى أمر الله بغير علم ، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا ، وألفاظُنا به شيء واحد ، والتلاوة هى المَتْلُوّ ، والقراءة هى المَقْرُوء .

فقيل له : إن التِّلاوة فعلُ القارئ ، وعمل التَّالى .

فرجع ، وقال : ظننتُهما مصْدرين .

فقيل له : هلَّا أمسكتَ كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثتَ إلى مَن كتب عنك ، واستَرْدَدت ما أثْبَتَّ ، وضربْتَ عليه .

فزعَم أن كيف يُمكِن هذا ، وقال : قلتُ ، ومضى .

فقلت له : كيف جازَ لك أن تقول فى الله شيئًا لا تقوم به شرحا وبيانا ، إذا لم تميِّز بين التِّلاوة والمَتْلُوّ . فسكت ، إذ لم يكن عنده جواب .

وقال أبو حامد الأعْمَشِيّ : رأيتُ البخاريّ فى جِنازة سعيد بن مَرْوان ، والذُّهْلِيّ يسأله عن الأسماء والكُنَى والعِلَل ، ويمرُّ فيه البخاريّ مثلَ السَّهم ، فما أتى على هذا شهر ، حتى قال الذُّهْلىّ : ألا مَن يختلفُ إلى مجلسه فلا يأتينا ؛ فإنهم كتبوا إلينا مِن بغداد أنه تكلم فى اللفظ ، ونهيْناه فلم ينْتَهِ ، فلا تقْرَبوه .

قلتُ : كان البخاريّ على ما رُوِىَ ، وسنحكى ما فيه ، مِمَّن قال : لفظى بالقرآن مخلوق .

وقال محمد بن يحيىٰ الذُّهْلِيّ : مَن زعم أن لفظى بالقرآن مخلوق فهو مُبتدِعٌ لا يُجالَس ، ولا يُكلّم ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر .

وإنما أراد محمد بن يحيىٰ – والعلم عند الله – ما أراده أحمد بن حنبل ، كما قدمناه فى ترجمة الكَرابِيسِىّ [1] ، من النَّهيِ عن الخوض فى هذا ، ولم يُرِد مخالفة البخارىّ ، وإن خالفه وزعم أن لفظَه الخارج من بين شفتيه المُحْدَثَتَيْن قديم ، فقد باءَ بأمرٍ عظيم ، والظن به خلاف ذلك ،

---

(١) صفحة ١١٨ من هذا الجزء .

وإنما أراد هو ، وأحمد ، وغيرهما من الأئمة النهىَ عن الخوض فى مسائل الكلام ، وكلام البخارىّ عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج إليه ، فالكلام فى الكلام عند الاحتياج واجب ، والسكوت عنه عند عدم الاحتياج سنة .

فافهم ذلك ، ودع خُرافات المُؤَرِّخين ، واضرب صفحًا عن تمْويهات الضَّالِّين ، الذين يظنُّون أنهم مُحدِّثون ، وأنهم عند السنة واقفون ، وهم عنها مبعَدون ، وكيف يُظن بالبخارىّ أنه يذهب إلى شىء من أقوال المعتزلة ، وقد صح عنه فيما رواه الفَرَبْرِىّ ، وغيره ، أنه قال : إنى لأستَجْهل مَن لا يكَفِّر الجَهْمِيَّة .

ولا يرتاب المُنصِف فى أن محمد بن يحيىٰ الذُّهْلِىّ لحقتْه آفةُ الحسد ، التى لم يَسْلَم منها إلا أهل العِصْمة .

وقد سأل بعضُهم البخارىّ ، عما بينه وبين محمد بن يحيٰى ، فقال البخارىّ : كَمْ يَعْترِى محمد بن يحيىٰ الحسدُ فى العلم ، والعلم رزقُ الله يعطيه مَن يشاء .

ولقد ظَرُف البخارىّ ، وأبان عن عظيم ذكائه ، حيث قال ، وقد قال له أبو عمْرو الخفَّاف : إن الناس خاضُوا فى قولك « لفظى بالقرآن مخلوق » : يا أبا عمْرو ، احفظْ ما أقول لك : مَن زعم من أهل نيْسابور ، وقُومِس ، والرَّىِّ ، وهَمَذَان ، وبغْداد ، والكوفة ، والبصرة ، ومكة ، والمدينة ، أنى قلت : « لفظى بالقرآن مخلوق » فهو كذّاب ، فإنى لم أقله ، إلا أنى قلتُ : أفعال العباد مخلوقة .

قلتُ : تأمَّلْ كلامه ، ما أذكاه ! ومعناه – والعلم عند الله – إنى لم أقل لفظى بالقرآن مخلوق ؛ لأن الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام ، وصفاتِ الله [التى][1] لا ينبغى الخوض فيها ، إلا للضرورة ، ولكنى قلتُ : أفعال العباد مخلوقة ، وهى قاعدة مُغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر ؛ فإن كل عاقل يعلم أن لفظنا من جملة أفعالنا ، وأفعالنا مخلوقة ، فألفاظنا مخلوقة .

---

(١) زيادة من : ج ، د ، على ما فى المطبوعة .

لقد أفصح بهذا المعنى فى رواية أخرى صحيحة عنه ، رواها حاتم بن أحمد [بن][1] الكِنْدِىّ ، قال : سمعتُ مسلم بن الحجَّاج . فذكر الحكاية ، وفيها : أن رجلا قام إلى البخارىّ ، فسأله عن اللفظ بالقرآن . فقال : أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا .

وفى الحكاية : أنه وقع بين القوم إذ ذاك اختلاف على البخارىّ ، فقال بعضهم : قال : لفظى بالقرآن مخلوق ، وقال آخرون : لم يقل .

قلتُ : فلم يكن الإنكار إلا على مَن يتكلَّم فى القرآن .

فالحاصل ما قدمناه فى ترجمة الكَرَابِيسِىّ ، من أنَّ أحمد ابن حنبل ، وغيره من السادات الموفَّقين ، نَهَوْا عن الكلام فى القرآن جملة ، وإن لم يخالفوا فى مسألة اللفظ ، فيما نظنه فيهم ، إجلالا لهم ، وفهما من كلامهم فى غير رواية ، ورفعا لمحلِّهم عن قولٍ لا يشهد له معقول ولا منقول ، ومن أن الكَرَابِيسِىّ ، والبخارىّ ، وغيرهما من الأئمة الموفَّقين أيضا أفصحوا بأن لفظهم مخلوق ، لَمَّا احتاجوا إلى الإفصاح ، هذا إن ثبت عنهم الإفصاح بهذا ، وإلا فقد نقلنا لك قول البخارىّ ، أن مَن نقل عنه هذا فقد كذَب عليه .

فإن قلتَ : إذا كان حقًّا لِمَ لا يُفْصِح به ؟

قلتُ : سبحان الله ! قد أنبأْناك أن السرَّ فيه تشديدُهم فى الخوض فى علم الكلام ، خشية أن يجرَّهم الكلام فيه إلى ما لا ينبغى ، وليس كل علم يُفْصَح به ، فاحفظ ما نُلْقيه[2] إليك ، واشْدُد عليه يديْك .

ويعجبُنى ما أنشده الغزالىّ فى « منهاج العابدين »[3] لبعض أهل البيت :

إنِّى لأكتمُ مِن عِلمى جواهرَه ... كى لا يرَى الحقَّ ذو جهلٍ فيفتَتِنَا
يا رُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوحُ به ... لقيلَ لى أنتَ ممَّن يعبدُ الوثَنا
ولاسْتحلَّ رجالٌ صالحون دمِى ... يروْنَ أقبحَ ما يأتونَه حسنَا
وقد تقدَّمَ فى هذا أبو حسَنٍ ... إلى الحسيْنِ ووصَّى قبلَه الحسَنَا[4]

---

(1) زيادة من : ج ، د على ما فى المطبوعة .
(2) فى المطبوعة : نقلته ، والمثبت من : ج ، د .
(3) منهاج العابدين صفحة ٣ . وقد نسب الغزالى الأبيات إلى زين العابدين على بن الحسين بن على ، كما ورد فى حاشية د .
(4) ورد هذا البيت فى منهاج العابدين بعد قوله : « إنى لأكتم .. » .

قال ابن عَدِىّ : سمعت عبد القُدُّوس بن عبد الجبَّار السَّمَرْقَنْدِىّ ، يقول : جاء البخارىّ إلى خَرْتَنْك ، قريةٍ مِن قرى سَمَرْقَنْد ، على فرسخين منها ، وكان له بها أقرباءُ ينزل عندهم ، قال : فسمعتهُ ليلة ، وقد فرغ من صلاة الليل ، يقول فى دعائه : اللهم إنى ضاقت علىَّ الأرض بما رَحُبَت ، فاقْبِضْنى إليك .

قال : فما تمَّ الشهر حتى قبضَه الله ، وقبره بخَرْتَنْك .

وعن عبد الواحد بن آدم الطَّواوِيسِىّ : رأيتُ النبىَّ ﷺ فى المنام ، ومعه جماعة من أصحابه ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ علىَّ السلام ، فقلت : ما وقوفك يا رسول الله ؟ فقال : « أَنْتَظِرُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِىّ » ، فلما كان بعد أيام بلغنى موته ، فنظرنا ، فإذا هو قد مات فى الساعة التى رأيتُ النبىَّ ﷺ فيها .

قال الحاكم أبو عبد الله : سمعتُ أبا صالح خلَف بن محمد بن إسماعيل البخارىّ ، يقول : سمعت أبا حسان مَهيب[1] بن سُلَيم الكَرْمَانِىّ ، يقول : مات محمد بن إسماعيل رحمه الله عندنا ، ليلة الفِطر ، أول ليلة من شوال ، سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان بلغ عمرُه اثنتين وستين سنة ، غير ثنتى عشرة ليلة ، وكان مولده فى شوال ، سنة أربع وتسعين ومائة ، وكان فى بيتٍ وحده ، فوجدناه لما أصبحنا وهو مَيِّت .

وقال بكر بن مُنِير بن خُلَيد البخارىّ : بعث الأمير خالد بن أحمد الذُّهْلِىّ ، مُتولِّى بُخارى إلى محمد بن إسماعيل : أن احمل إلىَّ كتاب « الجامع » و « التاريخ » وغيرهما ؛ لأسمع منك .

فقال لرسوله : أنا لاأذِلُّ العلم ، ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كان له إلى شيءٍ منه حاجةٌ فليحضرُ فى مسجدى ، أو فى دارى ، وإن لم يعجبْه هذا ، فإنه سلطان فلْيمنعنى

---

(١) فى المطبوعة، ج «مهنب» والمثبت من: د ، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٤، وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٩٠، ٩١ ، ١٢/ ٤٦٨ .

من الجلوس ؛ ليكون لى عذرٌ عند الله يوم القيامة ؛ لئلّا أكتمَ العلم . فكان هذا سببَ الوحشة بينهما .

وقال أبو بكر بن أبى عَمْرو البخاريّ : كان سببُ منافرة البخاريّ أن خالد بن أحمد ، خليفة الظّاهريّة ببُخارى سأله أن يحضر منزله ، فيقرأ « الجامع » و « التاريخ » على أولاده ، فامتنع ، فراسله بأن يعقد مجلسا خاصًّا لهم ، فامتنع ، وقال : لا أخصُّ أحدا . فاستعان عليه بحُرَيْث بن أبى الوَرْقاء ، وغيره ، حتى تكلّموا فى مذهبِه ، ونفاه عن البلد ، فدعا عليهم ، فلم يأتِ إلا شهر حتى ورد أمر الظّاهريّة بأن ينادَى على خالد فى البلد ، فنُودى عليه على أتانٍ ، وأما حُرَيث فابْتُلىَ بأهله ، ورأى فيها ما يجِلّ عن الوصف ، وأما فلان فَابْتُلِىَ بأولاده .

رواها الحاكم ، عن محمد بن العبَّاس الضَّبِّىّ ، عن أبى بكر هذا .

وحُرَيْث بن أبى الوَرْقاء من كبار فقهاء الرَّأْى ببُخارى .

قال محمد بن أبى حاتم : سمعت غالب بن جبريل ، وهو الذى نزل عليه أبو عبد الله ، يقول : أقام أبو عبد الله عندنا أياما ، فمرض ، واشتد به المرضُ ، حتى جاء رسول إلى سَمَرْقَنْد بإخراجه ، فلما وَافَى[1] ، تهيَّأ للركوب ، فلبس خُفَّيْه وتعمَّم ، فلما مشى قدرَ عشرين خُطوة أو نحوها ، وأنا آخذ بعَضُده ، ورجل آخر معى يقود الدابة ، ليركبها ، فقال رحمه الله : أرسلونى ، فقد ضَعُفت ، فدعا بدعوات ، ثم اضطجع فقَضى رحمه الله ، فسال منه [من][2] العرق شىء لا يُوصَف ، فما سكن منه العرق إلى أن أدرَجْناه فى ثيابه .

وكان فيما قال لنا ، وأوصى إلينا ، أن كفِّنونى فى ثلاثة أثواب بيض ، ليس فيها قميص ، ولا عِمامة ، ففعلنا ذلك .

فلما دفنَّاه فاح من تراب قبره رائحةُ غَالِية ، فدام على ذلك أياما ، ثم علَت سوارىُّ بيضٌ فى السماء مستطيلة ، بحذاء قبره ، فجعل الناس يختْلِفون ويتعجَّبون . وأما التراب ، فإنهم كانوا يرفعون عن القبر ، حتى ظهر القبر ، ولم يكن يُقْدَر على حفظ

---

(١) فى المطبوعة : فلما رآنا ، والمثبت من : ج ، د . وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٦٦ .

(٢) زيادة من : ج ، على ما فى المطبوعة ، د .

القبر بالحرّاس ، وغُلبْنا على أنفسنا ، فنصَبْنا على القبر خشبا مُشبَّكًا ، لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر .

وأما ريح الطِّيب ، فإنه تداوم أياما كثيرة ، حتى تحدّث أهل البلدة ، وتعجَّبوا من ذلك .

وظهر عند مخالفيه أمرُه بعد وفاته ، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره ، وأظهرَ التوبة والندامة .

قال محمد : ولم يعِشْ غالِبٌ بعده إلَّا القليل ، ودفن إلى جانبه .

وقال أبو على الغَسَّانِيّ الحافظ : أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السَّكَنِيّ ، السَّمَرْقَنْدِيّ ، قدِم علينا بَلَنْسِية عام أربع وستين وأربعمائة ، قال : قُحِط المطرُ عندنا بسَمَرْقَنْد فى بعض الأعوام ، فاستَسْقى الناس مِرارا فلم يُسْقَوا ، فأتى رجل صالح معروف بالصّلاح إلى قاضى سَمَرْقَنْد ، فقال له : إنى قد رأيت رأيا أعرضه عليك . قال : وما هو ؟ قال : أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البُخارىّ ، ونستَسقى عنده ، فعسى الله أن يَسقِينا ، فقال القاضى : نِعْم ما رأيت .

فخرج القاضى ، والناس معه ، واستسقى القاضى بالناس ، وبكى الناس عند القبر ، وتشفَّعوا بصاحبه ، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير ، فقام الناس مِن أجله بخَرْتَنْك سبعة أيام أو نحوها ، لا يستطيع أحد الوصول إلى سَمَرْقَنْد ، من كثرة المطر وغزارته ، وبين سَمَرْقَند وخَرْتَنْك نحو ثلاثة أميال .

قلتُ : وأما « الجامع الصحيح » وكونُه ملجأً للمُعضِلات ، ومُجرَّبًا لقضاء الحوائج فأمر مشهور ، ولو اندفعنا فى ذكر تفصيل ذلك ، وما اتفق فيه لطال الشرح .

(ذكر نخب وفوائد ولطائف عن أبى عبد الله)

قال الحاكم أبو عبد الله : ومن شعر البخاريّ ، قرأت بخط أبى عمرو المُسْتَمْلِى : وأنشد البخاريّ :

اغتنمْ فى الفراغِ فضْلَ ركوعٍ   فعسى أن يكون موتُك بَغْتَهْ
كم صحيحٍ رأيت من غيرِ سُقْمٍ   ذهبتْ نفسُه الصحيحةُ فَلْتَهْ

قال : وأنشد البخاريّ :

خالقِ الناسَ بخُلْقٍ واسعٍ   لا تكنْ كلبًا على الناسِ تَهِرّ[1]

قال : وأنشد أبو عبد الله :

مِثْلُ البهائمِ لا ترى آجالَها   حتى تُساقَ إلى المجازرِ تُنْحَرُ

قال : وأنشد البخاريّ :

إن تَبْقَ تُفجَعْ بالأحبَّةِ كلِّهمْ   وفَناءُ نفسِك لَا أبا لَكَ أفْجعُ

قلت : هذا أحسن وأجمع من قول القائل :

ومَن يُعمَّرْ يلْقَ فى نفسِهِ   ما يتمنَّـــاهُ لأعْدائِـــهِ

ومن قول الطُّغْرَائِىّ :

هذا جزاءُ امرِئٍ أقرانُه درَجوا   مِن قبله فتمنَّى فُسحةَ الأَجَلِ

وهى من قصيدته التى تسمى « لاميَّة العجم » ، وهى هذه[2] :

أصالةُ الرَّأيِ صانتْنى عن الخطَلِ   وحِلْيَة الفضل زانتْنى لدَى العَطَلِ
مجْــدى أخيرا ومجدى أوَّلًا شَرَعٌ   والشمسُ رأْدَ الضُّحى كالشمسِ فى الطَّفَلِ[3]

---

(١) فى ج : بخلق واسمع . والمثبت فى المطبوعة ، د .

(٢) شرح الصفدى هذه القصيدة شرحا وافيا ، وأفرد لهذا مصنفا سماه : « الغيث المسجم فى شرح لامية العجم » . وهى فى ديوانه ٣٠١ – ٣٠٩ .

(٣) شرع : سواء . ورأد الضحى : ارتفاعه . والطفل : ما بعد العصر .

فِي مَ الإقامةُ بالزَّوْراءِ لا سكنِي بها ولا ناقتى فيها ولا جملِي[١]

ناءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الرَّحْل منفردٌ كالسيف عُرِّىَ مَتْناهُ مِن الْخِلَلِ[٢]

فلا صديقٌ إليه مُشتكَى حَزَني ولا أنيسٌ لديهِ مُنتَهى جَذَلِي

طال اغْترابىَ حتَّى حنَّ راحلتى ورَحلُها وقِرَى العَسَّالةِ الذُّبُلِ[٣]

وضجَّ مِن لَغَبٍ نِضْوِى وعجَّ لِما يلْقَى رِكابِى ولجَّ الركبُ فِى عَذَلِى[٤]

أريدُ بَسْطةَ كفٍّ أسْتعينُ بها على قضاءِ حقوقٍ للعُلى قِبَلِى

والدَّهرُ يعكسُ آمالِى ويُقنِعُنى مِن الغنيمةِ بعد الكَدِّ بالْقَفَلِ[٥]

وذِى شَطاطٍ كصدْرِ الرُّمح مُعْتَقِلٍ لمثله غيرِ هيَّابٍ ولا وَكِلِ[٦]

حُلوِ الفُكاهةِ مُرِّ الجَدِّ قد مُزِجتْ بقوّة البأسِ منه رِقَّةُ الغَزَلِ[٧]

طردتُ سَرْحَ الكرى عن وِرْد مُقلتِه والليلُ أغرى سَوامَ النَّومِ بالمُقَلِ[٨]

والركبُ مِيلٌ على الأكْوارِ مِن طَرِبٍ صاحٍ وآخرَ مِن خمرِ الكرى ثَمِلِ[٩]

فقلتُ أدْعوكَ للجُلَّى لتَنْصُرَنِى وأنتَ تخذُلُنى فى الحادثِ الجَلَلِ[١٠]

تنامُ عينى وعينُ النَّجم ساهرةٌ وتَسْتَحِيلُ وصَبْغُ اللَّيْلِ لم يَحُلِ[١١]

فهل تُعِين على غَيٍّ هَمَمتُ بهِ والغَيُّ يزجُر أحيانا عن الفَشَلِ

---

(١) الزوراء : بغداد .

(٢) فى الأصول : منفردا ، والمثبت من الغيث ١ / ١١٥ ، وفيه : صفر الكف ... عن الخلل . والخلل : بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف ، منقوشة بالذهب وغيره .

(٣) القارية من السنان : أعلاه ، والعسالة : الرماح ، والذبل : جمع ذابل ، وهو من صفات الرمح ، كأنه يصف الرماح بالخفة والدقة .

(٤) اللغب: الإعياء والتعب، والنضو: البعير المهزول، والعجيج: رفع الصوت، وفى الغيث ١/١٦٦: ألقى.

(٥) القفل : الرجوع من السفر .

(٦) الشطاط – بالفتح والكسر – : اعتدال القامة ، واعتقال الرمح : أن يضعه الفارس بين ساقه وركابه ، والوكل : العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٧) فى ج : بقسوة الناس فيه رقة الغزل ، وفى د : بقوة البأس فيه ، وفى الغيث ١ / ٢٥٠ : بشدة البأس منه . والمثبت فى المطبوعة .

(٨) السرح : السائم .

(٩) ميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يستوى على السرج .

(١٠) الجلى : الأمر العظيم .

(١١) الاستحالة : التغير ، والصبغ : اللون .

إنّى أُريدُ طُروقَ الجزعِ مِن إضَمٍ	وقد حماهُ رماةُ الحىِّ مِن ثُعَلِ[1]
يحمون بالبِيضِ والسُّمْرِ اللِّدانِ بهِ	سودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلْيِ والحُلَلِ[2]
فسِرْ بنا فى ذِمامِ الليلِ مُهتدِيًا	فنَفْحةُ الطِّيبِ تَهْدينا إلى الحِلَلِ[3]
فالحِبُّ حيث العِدى والأُسْدُ رابضةٌ	حولَ الكِناسِ لها غابٌ مِن الأسَلِ[4]
نَؤُمُّ ناشِئةً بالجِزْعِ قد سُقِيَتْ	نِصالُها بمياهِ الغَنْجِ والكَحَلِ[5]
قد زادَ طيبَ أحاديثِ الكرامِ بها	ما بالكرائمِ مِن جُبْنٍ ومِن بَخَلِ
تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ فى كبِدٍ	حَرَّى ونارُ القِرى منهم على القُلَلِ[6]
يَقْتُلْنَ أنْضاءَ حُبٍّ لا حَراكَ بهِ	وينحرون كِرامَ الخيلِ والإبلِ[7]
يُشْفَى لديغُ العَوالى فى بيوتِهمُ	بنَهْلةٍ مِن غديرِ الخمرِ والعَسَلِ[8]
لعلَّ إلْمامةً بالجِزْعِ ثانيةً	يَدِبُّ منها نسيمُ البُرْءِ فى عِلَلى
لا أكْرهُ الطَّعنةَ النَّجْلاءَ قد شُفِعَتْ	بَرَشْقَةٍ مِن نِبالِ الأعْيُنِ النُّجُل
ولا أهابُ الصِّفاحَ البِيضَ تُسْعِدنى	باللَّمْحِ مِن صَفَحاتِ البِيْضِ فى الكِلَلِ[9]

---

(١) الطروق : هو المجىء بليل ، والجزع : منعطف الوادى ووسطه . وإضم : جبل بأرض المدينة ، وثعل : أبو حى من طى ، وهم مشهورون بإتقان الرمى . وفى الغيث ١ / ٣٣٠ : طروق الحى .

(٢) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح ، واللدان : جمع لدن ، وهو اللين .

(٣) الذمام : الحرمة ، والحلل : جمع حلة ، وهى بيوت القوم . وفى الغيث ١ / ٣٤٦ : معتسفا .

(٤) الحب – بالضم – : المحبة ، وبالكسر : الحبيب ، والكناس : موضع الظبى الذى يكنسه ، والأسل : نبات طويل له شوك ، والمراد هنا الرماح . وفى ج : حول الكباش .

(٥) الأم : القصد ، والكحل : سواد يعلو جفون العين مثل الكحل ، من غير اكتحال .

(٦) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الجبل . وفى ج : على قبل ، وفى المطبوعة : على قلل . والمثبت من : د ، والغيث ١ / ٣٨٣ .

(٧) فى ج : يقللن . والمثبت من المطبوعة ، د ، والغيث ١ / ٣٩٥ ، وفيه : لا حراك بهم . ونضو الحب : من أسقمه الهوى .

(٨) فى ج : الغوالى ، والمثبت من : المطبوعة ، د ، والغيث ١ / ٤٠٨ ، والعوالى : الرماح . والنهلة : الشربة الواحدة .

(٩) فى الغيث ٢ / ١٧ : باللمح من خلل الأستار والكلل . والصفاح البيض : السيوف العريضة . والبيض : النساء ، والكلل : جمع كلة ، وهى الستر الرقيق ، يخاط كالبيت ، يتوق به .

ولا أُخِلُّ بغِزْلَانٍ أُغازِلُها ... ولو دَهَتْنى أُسودُ الغِيلِ بالغِيَلِ[1]

حبُّ السَّلامةِ يَثْنِى همَّ صاحِبه ... عن المعالى ويُغْرِى المرْءَ بالكَسَلِ

فإن جنَحتَ إليه فاتَّخِذْ نَفقًا ... فى الأرضِ أو مصْعدًا فى الجوِّ فاعْتزِلِ[2]

ودَعْ غِمارَ العُلى للمُقدِمين على ... رُكوبها واقتَنِعْ منهُنَّ بالبَلَلِ

رِضَا الذَّليلِ بخَفْضِ العيْشِ مَسْكَنَةٌ ... والعِزُّ عند رَسِيمِ الأيْنُقِ الذُّلُلِ[3]

فادْرأْ بها فى نحورِ البيدِ جافِلةً ... مُعارِضاتٍ مَثانِى اللُّجْمِ بالجُدُلِ[4]

إنَّ العُلى حدَّثتْنى وهْىَ صادقةٌ ... فيما تُحدِّثُ أن العِزَّ فى النُّقَلِ

لوْ أنَّ فى شرفِ المأْوى بلوغَ عُلًا ... لم تبرحِ الشمسُ يومًا دارَةَ الحَمَلِ[5]

أهبْتُ بالحظِّ لو ناديتُ مُستمِعًا ... والحظُّ عنِّىَ بالجُهَّالِ فى شُغُلِ

لعلَّهُ إنْ بَدَا فَضْلِى ونقصُهُمُ ... لعينِه نامَ عنهُمْ أوْ تنبَّهَ لِى

أُعَلِّلُ النفسَ بالآمالِ أرقبُها ... ما أضْيَقَ العيشَ لولا فُسْحَةُ الأمَلِ[6]

لم أرضَ بالعيْشِ والأيَّامُ مُقْبِلةٌ ... فكيف أرْضى وقد ولَّتْ على عَجَلِ[7]

غالَى بنفسِىَ عِرْفَانِى بقِيمَتِها ... فصُنْتُها عن رخيصِ القَدْرِ مُبْتَذَلِ

وعادةُ النَّصْلِ أن يُزْهَى بجَوْهَرِهِ ... وليس يعملُ إلَّا فى يَدَىْ بَطَلِ[8]

---

(١) فى ج : ولا أجل ، والمثبت من المطبوعة ، د ، والغيث ٢ / ٣٠ . وأخل بالشىء : قصر فيه أو تركه ولم يأت به ، والغيل : الأجمة ، والشجر الملتف . والغيل : الدواهى .

(٢) فى الغيث ٢ / ٤٤ : أو سلما .

(٣) فى المطبوعة : يرضى ، وفى ج : يرضى الذليل بخفض العيش يخفضه . والمثبت من : د ، وفيه : منقصة . والغيث ٢ / ٦١ . والرسيم : ضرب من سير الإبل .

(٤) ادرأ بها : ادفع بها ، جافلة : مسرعة منزعجة ، معارضات : مقابلات ، والمثانى : جمع مثنى ، واللجام للخيل بمثابة الزمام للناقة ، والجدل : جمع الجديل ، وهو زمام الناقة المجدول من أدم .

(٥) فى الغيث ٢ / ٩٠ : بلوغ منى . والدارة : تكون للشمس والقمر ، ولعله أراد بها ما يدور حول الشىء ، والحمل : أول برج من بروج الكواكب الاثنى عشر .

(٦) فى الغيث ٢ / ١٣١ : ما أضيق الدهر .

(٧) فى الغيث ٢ / ١٥٣ : لم أرتض العيش .

(٨) فى ج : فليس ، والمثبت من المطبوعة ، د ، الغيث ٢ / ١٦٥ ، وزهى الرجل بكذا – بالبناء للمفعول – تاه وتكبر . وهو مما نطقت به العرب على سبيل المفعول وإن كان بمعنى الفاعل .

ما كنتُ أُوثِرُ أن يمتدَّ بى زمَنِى حتَّى أرَى دوْلَةَ الأوْغادِ والسَّفِلِ

تقدَّمَتْنى رجالٌ كان شوطُهمُ وراءَ خَطْوِى لَوْ أمْشى على مَهَلِ[1]

هذا جزاءُ امْرِئٍ أقرانُه دَرَجُوا مِن قبلِه فتمنَّى فُسحَةَ الأجَلِ

وإن عَلانِىَ مَن دُونى فلا عجَبٌ لى أُسْوةٌ بانْحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ[2]

فاصْبِرْ لها غيرَ مُحتالٍ ولا ضَجِرٍ فى حادثِ الدَّهرِ ما يُغْنى عن الحِيَلِ

أعْدَى عَدُوِّك أدْنى مَن وَثِقْتَ بهِ فحاذِرِ الناسَ واصْحَبْهُمْ على دَخَلِ[3]

وإنَّما رجلُ الدُّنيا وواحدُها مَن لا يُعَوِّلُ فى الدنيا على رَجُلِ

وحسنُ ظنِّك بالأيَّامِ مَعْجَزَةٌ فظُنَّ شَرًّا وكُن منها على وَجَلِ

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغَدْرُ وانفرجَتْ مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعمَلِ

وشانَ صِدْقَك عند الناسِ كِذْبُهُمُ وهل يُطابَقُ مُعْوَجٌّ بمُعْتَدِلِ[4]

إن كان يَنْجَعُ شىءٌ فى ثباتِهِمُ على العُهودِ فسَبَقَ السيفِ لِلْعَذَلِ[5]

يا وارِدًا سُؤْرَ عيشٍ كُلُّه كَدَرٌ أنْفقْتَ صَفْوَكَ فى أيَّامِك الأُوَلِ

فى مَ اعْتراضُك لُجَّ البحرِ تركبُهُ وأنتَ يكْفيكَ منه مَصَّةُ الوَشَلِ[6]

مُلكُ القناعةِ لا يُخْشَى عليهِ ولا يُحتاجُ فيهِ إلى الأنْصارِ والخَوَلِ[7]

ترجُو البقاءَ بدارٍ لا ثباتَ لها فهل سمعتَ بظِلٍّ غيرِ مُنْتَقِلِ

أيَا خبيرًا على الأسْرارِ مُطَّلِعًا اصمُتْ ففى الصَّمْتِ مَنْجاةٌ مِنَ الزَّلَلِ[8]

---

(١) فى المطبوعة : ولو ، وفى ج : إذ أمشى ، والمثبت من : د ، والغيث ٢ / ١٨٥ .

(٢) زحل : نجم من النجوم الخنس فى السماء السابعة .

(٣) الدخل : المكر والخديعة .

(٤) شان الشىء : عابه .

(٥) نجع فى ثباتهم : أفاد ثباتهم ، والعذل : اللوم ، وهو من قول العرب « سبق السيف العذل » يضرب مثلا فى الأمر الذى لا يقدر على رده ، راجع أصل المثل فى : الغيث ٢ / ٣١٩ .

(٦) فى الغيث ٢ / ٣٤٤ : فيم اقتحامك ، واللج : معظم الماء ، والوشل : الماء القليل .

(٧) خول الرجل : حشمه ، الواحد : خائل ، وقد يكون الخول واحدا ، وهو اسم يقع على العبد والأمة .

(٨) فى ج : أنصت ففى الصمت منجاة عن الزلل . والمثبت فى المطبوعة ، د ، والغيث ٢ / ٣٧٦ .

قد رشَّحُوكَ لأمْرٍ لو فَطَنْتَ لهُ   فاربَأْ بنَفْسك أن تَرْعَى مع الهَمَلِ[1]

* * *

● فى صحيح البخارىّ[2] عن الحسن : أن مَن عليه صوم رمضان ، إذا مات ، فصام عنه ثلاثون رجلا فى يوم واحد أجْزأه .

(فرع غريب)

يقع تفريعا على القول بأنه يُصام عن الميت ، وقد ذكره النَّوَوِىّ فى « شرح المهذب » ، وقال : لم أرَ لأصحابنا فيه كلاما ، قال : وهو الظاهر .

وكذلك قال الوالد فى « شرح المنهاج » : إن ما قاله الحسن هو الظاهر ، الذى نعتقده .

● استدل البخارىّ[3] على جواز النظر إلى المخطوبة ، بقول النبىِّ ﷺ لعائشة رضى الله عنها : « رَأَيْتُكِ فى الْمَنَامِ يَجِىءُ بِكِ الْمَلَكُ فى سَرَقَةٍ[4] مِنْ حَرِيرٍ ، فَقَالَ لِى : هٰذِهِ امْرَأَتُكَ ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ ؛ فَإِذَا أَنْتِ هِىَ » .

قال الوالد رحمه الله فى « شرح المنهاج » : وهذا استدلال حسن ؛ لأن فعل النبىِّ ﷺ فى النوم واليقظة سواء ، وقد كشف عن وجهها .

● ذكر أبو عاصِم العبَّادِىّ ، أن السَّاجِىّ ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، عن الحسين ، عن الشَّافعىّ ، أنه قال : يُكْرَه أن يقول الرجل[5] : قال الرسول . بل يقول : قال رسول الله ﷺ ؛ ليكون مُعظِّما . انتهى .

والحسين: هو الكَرَابِيسِىّ، ومحمد بن إسماعيل: هو البخارىّ. فيما ذكر أبو عاصم.

---

(١) فى ج : على الهمل ، والمثبت من المطبوعة ، د ، والغيث ٢ / ٣٨٧ . والهمل : الإبل بلا راع .

(٢) صحيحه فى (باب من مات وعليه صوم ، من كتاب الصوم) ٣ / ٤٥ .

(٣) صحيحه فى (باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ، من كتاب النكاح) ٧ / ١٨ .

(٤) فى المطبوعة : شقة . والتصويب من : ج ، د والصحيح ٧ / ١٩٨ . والسرقة : شقة الحرير الأبيض ، أو الحرير عامة .

(٥) فى طبقات العبادى ٥٤ : عن أبى ثور وحسين الحلوانى ، ... أكره أن يقول... وتقدم هذا فى ١٢٦.

ورأيت بخط ابن الصلاح : أحسِب أبا عاصم واهمًا ، ومحمد بن إسماعيل هذا هو السُّلَمِىّ[1] .

● نقلتُ من خط الشيخ الإمام رحمه الله ، قال ابن بَشْكُوَال فى « الصلة » فى تاريخ الأندلس ، فى ترجمة عبد الله بن محمد بن عبد البر ، والد أبى عمر : وقد جوَّز البخارىّ أن يُحدِّث الرجلُ عن كتاب أبيه ، بتبيين[2] أنه خطُّه ، دون خط غيره .

قال الوالد : قوله « دون خَطِّ غيره » إن كان المراد بتبيين أنه ليس خط غيره ، فهو موافق لما قاله الناس ، وإن كان المراد أنه لا يحدِّث عن خط غيره ، فغير معروف .

٥١

محمد بن عاصم بن يحيى

أبو عبد الله الأصْبهانىّ ، كاتب القاضى*

رحل ، وأخذ عن أصحاب الشافعىّ ، وابن وَهْب .

وسمع من علىّ بن حرْب ، وسلَمة بن شَبيب .

روى عنه أحمد بن بُنْدار ، والطَّبَرَانِىّ ، وغيرهما .

قال أبو الشيخ : صنَّف كتبًا كثيرة[3] .

توفى سنة تسع وتسعين ومائتين .

---

(١) فى المطبوعة : النفيلى . والمثبت من : ج ، د . وانظر العبر ٢ / ٦٤ .
(٢) فى الصلة ١ / ٢٣٨ : بتيقن .
*له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ٩/ ٢٤١ ، ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٣٣ .
(٣) طبقات المحدثين بأصبهان ٤/ ٢٠٥ .

٥٢

محمد بن عبد الله بن مَخْلَد

أبو الحسين الأصبْهانِىّ*

يُعرَف بصاحب الشافعىّ ، وبورَّاق الربيع بن سليمان .

نزل مصر ، وحدَّث عن قتيبة بن سعيد ، ومحمد بن أبى بكر المُقَدَّمِىّ ، وهانئ ابن المتوكِّل ، وداود بن رُشَيد ، وجماعة .

روى عنه ابن جَوْصا ، وغيره .

توفى سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

وقال أبو نُعَيم : بل بعد ذلك[1] .

٥٣

محمد بن على البَجَلىّ القَيْرَوانِىّ**

.....[2]

---

* له ترجمة فى : ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٢٩، الوافى بالوفيات ٣/ ٣٣٩ .

(١) قال أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان : توفى بمصر قبل التسعين .

** له ترجمة فى علماء إفريقية ٢٧٨ .

(٢) بياض فى كل الأصول ، وقد أورد المصنف ترجمته فى الطبقات الوسطى على هذا النحو :

محمد بن على البجلى الشافعى

أبو عبد الله القيروانى

من فضلاء المغرب الشافعيين ، ومن أصحاب الربيع بن سليمان .

قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر أبو عبد الله محمد بن على البجلى الشافعى القيروانى ، وكان فاضلا ، قال : حدثنى الربيع بن سليمان قال : قال سمعت ابن هشام ، صاحب « المغازى » يقول : كان الشافعى حجة فى اللغة .

قال البجلى : وقال لى الربيع : كان الشافعى إذا خلا فى بيته كالسيل يهدر بأيام العرب .

٥٤

محمد بن عُقَيل الفِرْيابِيّ

أبو سعيد ، وعُقَيل بضم العين ثم قاف مفتوحة

من أصحاب أبى إسماعيل المُزَنِىّ ، والربيع بن سليمان .

حدَّث بمصرَ عن قُتَيبة بن سعيد ، وداود بن مِخْراق ، وجماعة .

وعنه علىّ بن محمد المِصْرِىّ الواعظ ، وأبو محمد بن الوَرْد ، وأبو طالب أحمد بن نَصْر ، وغيرهم .

وكان من الفقهاء الشافعيِّين بمصر .

توفى بها فى صفر ، سنة خمس وثمانين ومائتين .

● قال البَيْهَقِىّ فى « كتاب المدخل » : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى أبو عبد الله الزُّبير بن عبد الواحد الحافظ الأَسَدابَاذِىّ[1] ، قال : سمعت أبا سعيد محمد بن عُقَيل الفرْيابىّ ، يقول : قال المُزَنِىّ ، أو الربيع : كنا يوما عند الشافعىّ ، بين الظهر والعصر ، عند الصَّحْن فى الصُّفَّة ، والشافعىّ قد استند ، إمَّا قال إلى الأُسْطُوانة ، وإما قال إلى غيرها ، إذ جاء شيخ عليه جُبَّة صوف ، وعمامة صوف ، وإزار صوف ، وفى يده عُكَّازه ، قال : فقام الشافعىّ ، وسوَّى عليه ثيابَه ، واستوى جالسا ، قال : وسلَّم الشيخ ، وجلس ، وأخذ الشافعىّ ينظر إلى الشيخ هَيْبَةً له ، إذ قال له الشيخ : أسأَلُ ؟

قال الشافعىّ : سَلْ .

قال : أَيش الحجَّةُ فى دين الله ؟

فقال الشافعىّ : كتابُ الله .

---

(١) بفتح الألف والسين والدال المهملتين والباء المفتوحة المعجمة بواحدة بين الألفين الساكنين وفى آخرها ذال معجمة ، نسبة إلى أسداباذ ، وهى بليدة على منزل من همذان إذا خرجت إلى العراق . اللباب ١ / ٤١ . وفى المطبوعة : الاسترابادى ، وهو خطأ ، صوابه من : ج ، د ، اللباب .

قال : وماذا ؟

قال : وسنة رسول الله ﷺ .

قال : وماذا ؟

قال : اتِّفاق الأمَّة .

قال : مِن أين قلتَ اتِّفاق الأمَّة ؟

قال : مِن كتاب الله .

قال : مِن أين فى كتاب الله ؟

قال : فتدبَّر الشافعىّ ساعة .

فقال الشيخ : قد أَجَّلْتُك ثلاثة أيام ولياليها ، فإن جئتَ بحجَّةٍ من كتاب الله فى الاتِّفاق ، وإلا تُبْ إلى الله عز وجل .

قال : فتغَيَّر لونُ الشافعىّ ، ثم إنه ذهب ، فلم يخرج ثلاثة أيام ولياليهنّ .

قال : فخرج إلينا فى اليوم الثالث ، فى ذلك الوقت ، يعنى بين الظهر والعصر ، وقد انتفخ وجهُه ويداه ورجلاه ، وهو مِسْقام ، فجلس ، قال : فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ ، فسلّم ، وجلس ، فقال : حاجتى .

فقال الشافعىّ : نعم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1] لا نُصْليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فَرْض .

فقال : صدقتَ ، وقام ، وذهب .

قال الفِرْيَابىّ : قال المُزَنىّ ، أو الربيع : قال الشافعىّ : لما ذهب الرجل ، قرأت القرآن فى كل يوم وليلة ثلاث مرات ، حتى وقفت عليه .

---

(١) سورة النساء ١١٥ .

قلتُ : إن ثبتتْ هذه الحكاية ، فيمكن أن يكون هذا الشيخ الخِضْر عليه السلام ، وقد فهمه الشافعىّ حين أجَّله ، واستمع له ، وأصغى لإغلاظه فى القول ، واعتمد إشارتَه ، وسنَدُ هذه الحكاية صحيحٌ ، لا غُبار عليه .

٥٥

محمد بن على بن الحسن بن بِشْر

المحدِّث ، الزَّاهد ، أبو عبد الله ، الحكيم ، التِّرْمِذِىّ*

الصُّوفِى ، صاحب التصانيف .

سمع الكثير من الحديث بخُراسان ، والعراق .

وحدَّث عن أبيه ، وعن قُتَيبة بن سعيد ، وصالح بن عبد الله التِّرْمِذِىّ ، وصالح بن محمد التِّرْمِذِىّ ، وعلى بن حُجْر السَّعْدِىّ ، ويعقوب الدَّوْرَقِىّ ، وسفيان بن وَكِيع ، وغيرهم .

روى عنه يحيىٰ بن منصور القاضى ، وغيره من علماء نيْسابور ؛ فإنه حدَّث بها فى سنة خمس وثمانين ومائتين .

لقى الحكيم أبو عبد الله أبا تُراب النَّخْشَبِىّ[١] ، وصحب يحيىٰ بن الجلَّاء[٢] .

قال أبو عبد الرحمٰن السُّلَمِىّ : نَفوْه من تِرْمِذ ، وأخرجوه منها ، وشهدوا عليه بالكفر ؛ وذلك بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » وكتاب « علل الشريعة » وقالوا : إنه يقول : إن للأولياء خاتمًا ، كما أن للأنبياء خاتمًا ، وإنه يفضِّل الولاية على النبوّة ، واحتج بقوله عليه السلام : « يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ » ، وقال : لو لم يكونوا أفضلَ منهم لم يغبطوهم ، فجاء إلى بَلْخ فقبلوه بسبب موافقته إياهم على المذهب ، ثم اعتذر السُّلَمِىّ عنه ببُعْد فهم الفاهمين .

---

* له ترجمة فى: حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٣، الرسالة القشيرية ٢٩ ، صفة الصفوة ٤/ ١٤١، طبقات الشعرانى ١ / ١٠٦ ، طبقات الصوفية ٢١٧ .

(١) بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمة وفى آخرها باء موحدة ، هذه النسبة إلى نخشب ، مدينة من بلاد ما وراء النهر . اللباب ٣ / ٢١٩ .

(٢) بفتح الجيم وتشديد اللام ألف ، هو اسم لمن يجلو الأشياء كالمرآة والسيف ونحوهما . اللباب ١ / ٢٥٩ .

قلتُ : ولعل الأمر كما زعم السُّلَمِىّ ، وإلا فما نظن بمسلم [(1)]أنه يفضل بشرًا غير الأنبياء عليهم السلام على الأنبياء[(1)] .

ومن تصانيف التِّرمِذِىّ كتاب « الفروق » لا بأس به ، بل ليس فى بابه مثله ، يفرِّق فيه بين المُداراة والمُداهنة ، والمُحاجَّة والمجادلة ، والمُناظَرة والمُغالَبة ، والانتصار والانتقام ، وهلم جرا ، من أمور متقاربة المعنى ، وله أيضًا كتاب « غرس الموحِّدين » وكتاب « عود الأمور » وكتاب « المناهى » وكتاب « شرح الصلاة » .

٥٦
محمد بن نصْر المَرْوَزِىّ
الإمام الجليل ، أبو عبد الله*

أحد أعلام الأمة ، وعقلائها ، وعُبَّادها .

ولد سنة اثنتين ومائتين ببغداد ، ونشأ بنيْسابور ، وسكن سَمَرْقَنْد ، وكان أبوه مَرْوَزيًّا .

سمع محمد بن نصر هشامَ بن عمَّار ، وهشام بن خالد ، والمسيّب بن واضح ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق ، وعلى بن بحْر القطَّان ، والربيع بن سليمان ، ويونس بن عبد الأعلى وعمْرو بن زُرَارة ، وعلىّ بن حُجْر ، وهُدْبَة ، وشيْبان ، ومحمد بن عبد الله بن نُمَير ، وخلْقًا .

وتفقه على أصحاب الشافعىّ .

روى عنه أبو العبّاس السَّرَّاج ، وأبو حامد بن الشَّرْقِىّ ، ومحمد بن المُنْذر شَكَّر[(2)] ، وأبو عبد الله بن الأخْرَم ، وابنه إسماعيل بن محمد بن نصر ، وطائفة .

---

(١) كانت العبارة فى المطبوعة هكذا : أنه يفضل بشرا على الأنبياء عليهم السلام . والمثبت من : ج ، د .

* له ترجمة فى: تاريخ بغداد ٣/ ٣١٥ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٨٩، طبقات الشيرازى ٨٧، طبقات ابن هداية الله ٩ ، العبر ٢ / ٩٩ ، النجوم الزاهرة ٣ / ١٦١ .

(٢) فى المطبوعة : سكر ، والمثبت من : ج ، د ، وانظر المشتبه ٣٦٣ .

قال الحاكم : هو الفقيه ، العابد ، العالم ، إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة .

وقال الخطيب : كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ، ومَن بعدهم [فى الأحكام][1] .

وقال ابن حَزْم فى بعض تآليفه : أعلم الناس مَن كان أجمعهم للسُّنن ، وأضبطَهم لها وأذكرهم لمعانيها ، وأدراهم بصحتها ، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه ، وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتمَّ منها فى محمد بن نصْر المَرْوَزىّ ، فلو قال قائل : ليس لرسول الله ﷺ حديثٌ ، ولا لأصحابه ، إلا وهو عند محمد بن نصْر ، لما بَعُد عن الصدق .

وقال أبو ذَرّ محمد بن محمد بن يوسف القاضى : كان الصَّدْرُ الأوّل من مشايخنا ، يقولون : رجال خُراسان أربعة : ابن المبارك ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق بن رَاهُويه ، ومحمد بن نصْر المَرْوَزىّ .

وقال أبو بكر الصَّيْـرَفِىّ : لو لم يصنِّف المَرْوَزىّ إلا كتاب « القَسامة » لكان من أفقه الناس ، فكيف وقد صنف كتبا سواها !

وقال الشيخ أبو إسحاق الشِّيرازِىّ : صنف محمد هذا كتبا ضمّنها الآثار والفقه ، وكان مِن أعلم الناس باختلاف الصحابة ومَن بعدهم فى الأحكام ، وصنف « كتابا فيما خالف فيه أبو حنيفة عليًّا وعبد الله رضى الله عنهما » .

وقال ابن الأَخْرم : انصرف محمد بن نصْر من الرحلة الثانية ، سنة ستين ومائتين ، فاستوطن نيسابور ، ولم تزل تجارتُه بنيسابور ، أقام مع شريك له مُضارب ، وهو يشتغل بالعلم والعبادة ، ثم خرج سنة خمس وسبعين إلى سَمَرْقَنْد ، فأقام بها ، وشريكُه بنيسابور ، وكان وقتَ مُقامِه هو المفتى والمقدَّم ، بعد وفاة محمد ابن يحيى ، فإن حَيْكان ، يعنى يحيى بن محمد بن يحيى ، ومَن بعده أقرُّوا له بالفضل والتَّقدُّم .

قال ابن الأَخْرَم ؛ حدثنا إسماعيل بن قُتَيبة : سمعت محمد بن يحيى غير مرة ، إذا سُئل عن مسألة ، يقول : سلُوا أبا عبد الله المَرْوَزِىّ .

وقال أبو بكر الصِّبْـغِىّ[2] ، فيما أخبرنا به الشيخ الإمام الفقيه ، شيخ الشافعية ،

---

(١) تكملة من : تاريخ بغداد ٣ / ٣١٥ .

(٢) فى المطبوعة : الضبعى . والمثبت من : ج ، المشتبه ٤٠٧ .

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ، ابن شيخ الشافعية تاج الدين أبى محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم الفَزَارِىّ[1] فى كتابه إلىَّ من دمشق ، وعمر بن الحسن المَرَاغِىّ بقراءتى عليه ، قال الأول : أخبرنا المُسْلِم بن محمد بن المُسْلِم القَيْسِىّ ، سماعا عليه ، وقال الثانى : أخبرنا أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن المُجاوِر إجازة ، قالا : أخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْدِىّ سماعا ، قال : أخبرنا أبو منصور عبد الرحمٰن بن محمد القَزَّاز ، سماعا ، قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب ، قال : أخبرنى محمد بن على بن يعقوب المُعدِّل ، قال : أخبرنا محمد بن عبد الله النَّيسابُورِىّ قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق ، يقول : أدركتُ إمامين لم أُرْزَق السماعَ منهما : أبا حاتم الرَّازىّ ، ومحمد بن نصْر المَرْوَزِىّ ؛ فأما محمد بن نصر فما رأيت أحسن صلاةً منه ، ولقد بلغنى أن زُنبورا قعد على جبهته ، فسال الدم على وجهه ، ولم يتحرك .

وقال ابن الأخْرم : ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر ، كان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ، ولا يَذُبُّه عن نفسه ، ولقد كنا نتعجَّب من حسن صلاته ، وخشوعه ، وهَيْبته للصلاة ، كان يَضعُ ذَقْنه على صدرِه : فينتصِبُ كأنه خشبة منصوبة ، وكان من أحسن الناس خَلْقا ، كأنما فُقِئ فى وجهه حبُّ الرُّمّان ، وعلى خدَّيْه كالورد ، ولحيته بيضاء .

وقال السُّلَيمانىّ : محمد بن نصر ، إمام الأئمة ، الموفَّق من السماء .

وقال أحمد بن إسحاق الصِّبْغِىّ : سمعتُ محمد بن عبد الوهَّاب الثَّقفىّ ، يقول : كان إسماعيل بن أحمد والى خُراسان ، يصل محمد بن نصر فى السنة بأربعة آلاف درهم ، ويصله أخوه إسحاق بمثلها ، ويصله أهل سَمَرْقَنْد بمثلها ، فكان يُنفقُها من السنة إلى السنة من غير أن يكون له عِيال ، فقيل له : لو ادَّخرْتَ لنائبة . فقال : سبحان الله ! أنا بقيتُ بمصر كذا وكذا سنة ، قُوتى ، وثيابى ، وكاغِدى ، وحِبْرى ، وجميع ماأنفقه على نفسى فى السنة عشرون[2] درهما، فترى إنْ ذهب ذَا لايبْقى ذاك !

---

(١) فى ج : المغرارى ، وفى د : الفرارى ، والمثبت فى المطبوعة ، وهو الصواب ، وقد ترجم له المصنف فى الطبقة السابعة ، وانظر الدرر الكامنة ١ / ٣٤ .

(٢) فى الأصول : « عشرين » . وكذلك فى أصل سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٧ .

قلتُ : انْظُر حالَة مَن لا فرق بين القلة والكثرة عنده .

أخبرنا محمد بن العلّامة أبو[1] إسحاق الفَزارِيّ ، إذنا ، أخبرنا المُسْلِم بن محمد .

ح : وأخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن بن مَزِيد بن أُمِيلة المَرَاغِيّ ، بقراءتى عليه ، قال : أخبرنا يوسف بن يعقوب بن المُجاوِر ، إجازة ، قالا : أخبرنا أبو اليُمْن الكِنْدِىّ ، أخبرنا أبو منصور القَزّاز ، أخبرنا أبو بكر الخطيب ، أخبرنا الجَوْهَرِىّ ، أخبرنا ابن حَيُّويه ، حدثنا عثمان بن جعفر اللَّبَّان ، حدثنى محمد بن نصْر ، قال : خرجتُ من مصر ، ومعى جارية لى ، فركبتُ البحر أريد مكة ، فغرقتُ فذهب منى ألفا جزء ، وصرت إلى جزيرة ، أنا وجاريتى ، فما رأينا فيها أحدا ، وأخذنى العطش . فلم أقدر على الماء ، فوضعت رأسى على فَخِذ جاريتى ، مستسلما للموت ، فإذا رجل قد جاءنى ، ومعه كوز ، فقال : هاه . فشربتُ وسقيْتُها ، ثم مضى ، فلا أدرى من أين جاء ، ولا من أين ذهب[2] .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم بن القَوَّاس ، أخبرنا زيد بن الحسن الكِنْدِىّ ، إجازة ، أخبرنا أبو الحسن بن عبد السلام ، أخبرنا الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن على الفَيْرُوزَابَادِىّ ، قال : رُوِى عنه ، يعنى محمد بن نصر ، أنه قال : كتبتُ الحديث بِضْعا[3] وعشرين سنة ، وسمعت قولا ومسائل ، ولم يكن لى حسن رأى فى الشافعىّ ، فبينا أنا قاعد فى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، إذ أغفيْتُ إغفاءةً ، فرأيت النبىَّ ﷺ فى المنام ، فقلت : يا رسول الله ، أكتبُ رأْىَ أبى حنيفة ؟ فقال : « لَا » فقلت : رأْىَ مالك ؟ فقال « اكْتُبْ مَا وَافَقَ حَدِيثِى » فقلت : أكتب رأْىَ الشافعىّ ؟ فطأطأ رأسه شِبه الغَضبان ، وقال : « تَقُولُ رَأْىَ ؟ لَيْسَ هُوَ بِالرَّأْىِ[4] ، هُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ خَالَفَ سُنَّتِى » قال : فخرجت فى أثَر هذه الرؤيا إلى مصر ، فكتبتُ كُتب الشافعىّ .

---

(١) كذا فى الأصول . والمصنف يروى عن « أبى إسحاق » مباشرة ، كما أنهم لم يذكروا فى ترجمته ابنه « محمدا » هذا . وانظر ٩ / ٣١٢ .

(٢) كذا فى الأصول ، وتاريخ بغداد ٣ / ٣١٧ . وفى سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٨ : « من أين راح » .

(٣) فى طبقات الشيرازى ٨٧ : سبعا وعشرين .

(٤) فى طبقات الشيرازى : تقول برأى وليس بالرأى .

أخبرنا الإمام أبو إسحاق الشافعىّ ، إجازة ، والمُسْنِد أبو حفص المَرَاغِىّ ، بقراءتى ، قال الأول : أخبرنا أبو الغنائم بن عَلَّان ، سماعا ، وقال الثانى : أخبرنا أبو الفتح بن المُجَاوِر الشَّيْبانىّ ، إجازة ، قالا : أخبرنا زيد بن الحسن ، أخبرنا أبو منصور القَزّاز ، أخبرنا أحمد بن على الحافظ ، أخبرنى أبو الوليد الحسن بن محمد الدَّرْبَنْدِىّ(1) ، أخبرنا محمد بن أحمد بن [محمد بن](2) سليمان الحافظ ، ببخارى ، قال : سمعت أبا صخر محمد بن مالك السَّعْدِىّ ، يقول : سمعت أبا الفضل محمد بن عُبَيد الله البَلْعَمِىّ(3) ، يقول : سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد ، يقول : كنت بسَمَرْقَنْد ، فجلست يوما للمَظالم ، وجلس أخى إسحاق إلى جنْبى ؛ إذ دخل أبو عبد الله محمد بن نصر ، فقمت له إجلالا لعلمه ، فلما خرج عاتبنى أخى إسحاق ، وقال : أنت والى خُراسان ، يدخل عليك رجل مِن رعيَّتك ، فتقوم إليه ، وبهذا ذَهاب السياسة ! فبتُّ تلك الليلة ، وأنا منقسم(4) القلب بذلك ، فرأيت النبىَّ ﷺ فى المنام ، كأنى واقف مع أخى إسحاق ، إذ أقبل النبىُّ ﷺ فأخذ بعَضُدِى ، وقال : يا إسماعيل ثبت مُلْكُك . وملك بَنِيك ، بإجلالك لمحمد بن نصر ، ثم التفتَ إلى إسحاق ، فقال : ذهب مُلْكُ إسحاق ، وملك بَنِيه ، باستخْفافِه بمحمد بن نصر(5) .

(حكاية إملاق المحمدين بمصر)(6)

قرأتُ على أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَبَّاز ، قلت له : أخبرك أبو الغَنائم المُسلِم بن محمد بن عَلَّان ، قراءة عليه وأنت تسمع ، فأقرّ به ، أخبرنا أبو اليُمن

---

(1) فى المطبوعة : الدرنبدى . وفى د : الدرنيدى ، والمثبت من : ج ، نسبة إلى دربند ، وهو باب الأبواب . معجم البلدان ٢ / ٥٦٤ .

(2) زيادة من : ج ، د على ما فى المطبوعة .

(3) بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفتح العين المهملة ، وفى آخرها الميم ، نسبة إلى بلعم ، بلدة من بلاد الروم ، وفى سبب نسبة جد الوزير أبى الفضل إليها اختلاف ، انظره فى اللباب ١ / ١٤١ .

(4) فى المطبوعة : متألم ، والمثبت من : ج ، د .

(5) بعد هذا فى الطبقات الوسطى : فبقى ملك إسماعيل وبنيه أكثر من مائة وعشرين سنة .

(6) فى د : حكاية إملاق محمد بن نصر ، والمثبت فى : المطبوعة ، ج .

زيد بن الحسن الكِنْدِىّ ، أخبرنا أبو منصور القزَّاز ، أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب ، حدثنى أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن محمد الْخَرْجُوشِيّ[1] الشِّيرَازِىّ ، لفظا ، سمعت أحمد بن منصور بن محمد الشِّيرَازِىّ ، يقول : سمعت محمد بن أحمد[2] الصَّحَّاف السِّجِسْتانِىّ ، يقول : سمعت أبا العباس البَكْرِىّ ، مِن وَلَد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، يقول : جمعتِ الرحلةُ بين محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خُزَيْمة ، ومحمد بن نصْر المَرْوَزِىّ ، ومحمد بن هارون الرُّويَانِىّ ، بمصر فأرْمَلُوا ، ولم يبق عندهم ما يقوتُهم ، وأضَرَّ بهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأْوُون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهِموا ، ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعةُ سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خُزيمة ؛ فقال لأصحابه : أمْهِلونى حتى أتوضأ وأصلِّىَ صلاة الْخِيَرَة ، فاندفع فى الصلاة ، فإذا هم بالشموع ، وخَصِىٌّ من قِبَل والى مصر يدق الباب ، ففتحوا الباب ، فنزل عن دابته ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هو هذا ، فأخرج صُرَّة فيها خمسون دينارا ، فدفعها إليه [3][ثم قال . أيكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا . فأخرج صُرَّة فيها خمسون دينارا . فدفعها إليه][3] ثم قال : أيكم محمد بن إسحاق بن خُزَيمة ؟ فقالوا : هو هذا يصلى ، فلما فرغ من صلاته دفع إليه الصُّرة وفيها خمسون دينارا . ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ وفعل به كذلك ، ثم قال : إن الأمير كان قائلا[4] بالأمس ، فرأى فى المنام خيالا ، قال : إن المحامِدَ طَوَوْا كَشحَهم جياعا ، فأنفذ إليكم هذه الصِّرار . وأقسم عليكم إذا نفِدت فابعثوا إلىّ أحدَكم[5] .

قلتُ : ابن نصر ، وابن جرير ، وابن خُزَيمة مِن أركان مذهبنا ، وأما محمد بن هارون الرُّويَانِىّ ، فهو الحافظ أبو بكر ، له مُسنَد مشهور ، روى عن أبى كُرَيب ، وبُنْدار ، وهذه الطبقة ، مات سنة سبع وثلثمائة .

---

(١) بفتح الخاء وسكون الراء وضم الجيم وفى آخرها شين معجمة نسبة إلى خرجوش ، بعض أجداده . اللباب ١ / ٣٥٣ .

(٢) فى المطبوعة : أحمد بن محمد ، والمثبت من : ج ، د ، والطبقات الوسطى .

(٣) ساقط من : د .

(٤) فى المطبوعة : نائما ، والمثبت من : ج ، د .

(٥) انظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٥٣ (ترجمة محمد بن هارون) .

وحُكِيَ أن محمد بن نصر ، كان يتمنَّى على كبر سنه أن يولد له ابن .

قال الحاكى : فكنا عنده يوما ، وإذا برجل من أصحابه قد جاء ، وسارَّه فى أذنه ، فرفع يديه ، وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ ﴾[1] ثم مسح وجهه بباطن كفه ، ورجع إلى ما كان فيه .

قال الحاكى : فرأينا أنه استعمل فى تلك الكلمة الواحدة ثلاثَ سُنَن ؛ تسمية الولد ، وحمد الله على الموهبة ، وتسميته إسماعيل ؛ لأنه ولد على كِبَر سِنّه ، وقال الله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[2] .

قلتُ : كذا أسند هذه الحكاية الحاكم أبو عبد الله ، وإن كان محمد بن نصر قصد الثلاث ، فنستفيد من هذا أنه يُستحَب لمن وُلِد له ابن على الكبر ، أن يُسَمِّيَه إسماعيل ، وهى مسألة حسنة ، وأحسِب إسماعيل هذا من خَتَّة[3] بخاء معجمة ثم نون ، وهى أخت القاضى يحيى بن أكْثم ، كان محمد بن نصر قد تزوجها .

توفى محمد بن نصر بسَمَرْقَنْد فى المحرم ، سنة أربع وتسعين ومائتين .

(ومن غرائبه)

● ذهب إلى أن صلاة الصبح تُقصَر فى الخوف إلى ركعة .

● وأنه يُجْزِئ المسحُ على العمامة .

● ونقل فى كتابه « تعظيم قدر الصلاة » عن بعض أهل العلم ، أن عِلَّة النهى عن السَّمَر بعد العشاء الآخرة ؛ لأن مُصَلِّىَ العشاء قد كُفِّرت عنه ذنوبُه بصلاته ، فيُخشَى أن يكون منه الزَّلَّة ، فيتدنَّس بالذنب بعد الطهارة .

قلتُ : وعلَّله آخرون بوقوع الصلاة ، التى هى أفضل الأعمال خاتمةَ عمله ، وهو قريب من ذلك . وآخرون بأن الله قد جعل الليل سكنا ، والحديث يخرجه عن ذلك . وآخرون

---

(١) سورة إبراهيم ٣٩ .
(٢) سورة الأنعام ٩٠ .
(٣) المشتبه ٢١٩ .

بأن نومه يتأخر ، فيُخاف فواتُ الصبح عن وقتها ، أو عن أوله . وآخرون بخشية مَن له تهجُّدٌ فواتَه .

قلتُ : ويمكن أن يُتعلق[1] بكل من هذه المعانى ؛ بجواز[2] اجتماعها ، ولا يمكن أن يُقتصر على واحد من التعليلين الأخيرين ؛ لئلا يلزم اختصاصُ الكراهة بمن يخشى فوات الصبح ، واختصاصُهما[3] بمن له تهجد يَخْشَى فواتَه .

(حديث « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »)

هذا الحديث كثُر ذكره على ألسنة الفقهاء والأصوليين ، وتكلمتُ عليه قديما فيما كتبته على أحاديث « منهاج البَيْضاوِىّ » ثم وقفت على كتاب « اختلاف الفقهاء » للإمام محمد بن نصر ، وهو مختصر يذكر فيه خلافيات العلماء ، ويبدأ فى كل مسألة بذكر سُفيان الثَّوْرِىّ ، فأبصرت فيه فى « باب طلاق المكرَه وعتاقه » ما نصه : ويُرْوَى عن النبىِّ ﷺ ، أنه قال : « رَفَعَ اللهُ عَنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ ، وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ » إلا أنه ليس له إسناد يُحتَجّ بمثله . انتهى .

فاستفدت من هذا ، أن لهذا اللفظ إسنادا ، ولكنه لا يثبُت .

وقد وقع الكلام فى هذا الحديث قديما بدمشق ، وبها الشيخ برهان الدين بن الفِرْكاح ، شيخ الشافعية ثَمَّ إذ ذاك ، وبالغ فى التنقيب عنه ، وسؤال المُحَدِّثين ، وذكر فى « تعليقته على التنبيه » فى « كتاب الصلاة » قولَ النَّوَوِىّ فى « زيادة الروضة » فى « كتاب الطلاق » فى الباب السادس ، فى تعليق الطلاق ، إنه حديث حسن .

قال الشيخ بُرهان الدين : ولم أجد هذا اللفظ ، مع شهرته ، ثم ذكر أن فى « كامل ابن عَدِىّ » فى ترجمة جعفر بن فَرْقد ، من حديثه ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن أبى بَكْرة ،

---

(١) فى المطبوعة : يتعلل ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : لجواز ، والمثبت من : ج ، د .

(٣) فى المطبوعة : واختصاصها . والمثبت من : ج ، د .

قال : قال رسول الله ﷺ : « رَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ ثَلَاثًا : الْخَطَأَ ، والنِّسْيَانَ ، وَالأَمْرَ يُكْرَهُونَ عَلَيْهِ » وجعفر بن جِسْر[1] وأبوه ضعيفان .

قلتُ : ثم وجد رفيقُنا فى طلب الحديث ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى الحَنْبَلِيّ الحديثَ بلفظه ، فى رواية أبى القاسم الفضل بن جعفر بن محمد التَّمِيمِيّ ، المُؤَذِّن ، المعروف بأخى عاصم ؛ فإنه قال : حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا محمد بن مُصَفَّى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأَوْزَاعِيّ ، عن عَطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رُفِعَ عَنْ أُمَّتِى الْخَطَأُ ، وَالنِّسْيَانُ ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » .

لكن ابن ماجه روى فى سننه[2] الحديث بهذا الإسناد ، بلفظ غيره ، فقال : حدثنا محمد بن مُصَفَّى الحِمْصِيّ ، عن الوليد بن مُسلِم ، عن الأَوْزَاعِيّ ، عن عطاء ابن أبى رَباح ، عن ابن عباس ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِى الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » ولفظ « الوضع » و « الرفع » متقاربان ، فلعل أحد الراويَيْن[3] روى بالمعنى .

وسُئل أحمد بن حنبل عن الحديث ، فقال : لا يصح ، ولا يثبتُ إسناده .

قلتُ : ورُوِى من حديث ابن عباس : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِى عَنْ أُمَّتِى الْخَطَأَ ، والنِّسْيَانَ ، وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ » كذا رواه الطَّبَرانِيّ من حديث الأَوْزاعِيّ . عن عَطاء بن أبى رَباح ، عن عُبَيد بن عُمَير ، عن ابن عباس .

وبالجملة ، الأمر فى الحديث وإن تعدَّدت ألفاظُه ، كما قال الإمامان أحمد بن حنبل ، ومحمد ابن نصر : إنه غير ثابت ، وذكر الخَلَّال من الحنابلة فى « كتاب العلم » أن أحمد قال :

---

(١) فى المطبوعة : جعفر بن فرقد ، والمثبت من : ج ، د ، وهو جعفر بن جسر بن فرقد . ميزان الاعتدال ٢ / ١٨٧ . وانظر القاموس (ج س ر) .

(٢) سننه فى (باب طلاق المكره ، والناسى ، من كتاب الطلاق) ١ / ٦٥٩ .

(٣) فى المطبوعة ، د : الروايتين ، والمثبت من : ج .

مَن زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع ، فقد خالف كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ؛ فإن الله أوجب فى قتل النفس فى الخطأ الكفّارة .

قلتُ : ولا مَحْمَل لهذا الكلام ، إلا أن يُقال : أراد به مَن زعم ارتفاعَهما على العموم فى خطاب الوضع وخطاب التكليف ، وإلا فقائل هذا المقالة أشبه بوفاق الإجماع .

٥٧

إبراهيم بن محمد البَلَدىّ

● نقل الغزالىّ فى « الوسيط » أنه روى عن المُزَنِىّ ، عن الشافعى : أنه رجع عن تنْجيس شَعْر الآدمىّ .

وقد سبق الغزالى إلى هذا النقل أبو عاصم العبَّادِىّ ، والقاضى المَاوَرْدِىّ ، وجماعات .

والرجل معروف الاسم بين المتقدمين ، لا ينبغى إنكاره ، غير أن ترجمته عزيزة ، لم أجدها إلى الآن كما فى النفس .

وقد ذكره العبَّادِىّ فى الطبقة الثانية ، فى المُقلّين المنفردين بروايات ، وسيأتى ما يؤيد روايتَه ؛ فإنا إن شاء الله سنذكر فى الطبقة الثالثة ، فى ترجمة محمد بن عبد الله بن أبى جعفر ، قوله : سمعت ابن أبى هريرة ، يقول : سمعت ابن سُرَيج ، يقول : سمعت أبا القاسم الأنْمَاطِىّ ، يقول : إن أبا إبراهيم المُزَنِىّ ، قال : سمعت الشافعىّ ، يقول قبل وفاته بشهر : إن الشَّعَر لا يموت بموت ذات الروح . فقد تابع الأنْماطِىُّ البَلَدِىّ ، وهذه متابعة جيدة ، لم أجد فى الباب مثلَها .

٥٨

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بِشر الحَرْبىّ
أبو إسحاق*

الفقيه ، الحافظ .

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة .

وسمع هَوْذَة بن خليفة ، وأبا نُعَيم ، وعبد الله بن صالح العِجْلِىّ ، وعاصم بن علي ، وعفَّان ، وأبا سَلَمة التَّبوذَكِىّ ، ومُسَدَّد بن مُسَرْهَد ، وأبا عُبَيد القاسم بن سلَّام ، وشُعَيْث[١] بن مُحْرِز ، وغيرهم .

روَى عنه ابن صاعِد ، وأبو بكر النَّجَّاد ، وأبو بكر الشافعىّ ، وعبد الرحمن بن العباس المُخلِّص ، وخلق آخرهم موتا أبو بكر القَطِيعىّ .

أخذ الفقه عن الإمام أحمد بن حنبل .

قال الخطيب : كان إماما فى العلم ، وإماما فى[٢] الزهد ، عارفا بالفقه ، بصيرا بالأحكام ، حافظا للحديث ، مُميِّزا لعِلله ، قيِّما بالأدب ، جمَّاعا للغة ، صنف « غريب الحديث » وكتبا كثيرة .

أصله مِن مَرْو .

وكان يقول : أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجْرِ مع القَدَر لم يَتَهَنَّأ[٣] بعيشه .

قال[٤] : وقميصى أنظفُ قميص ، وإزارى أوسخُ إزار ، ما حدثتُ نفسى بأنهما يستويان

---

* له ترجمة فى : إنباه الرواة ١/١٥٥ ، الأنساب ١٦٢ ، بغية الوعاة ١٧٨ ، تاريخ بغداد ٦/٢٧ ، شذرات الذهب ٢ / ١٩٠ ، صفة الصفوة ٢ / ٢٢٨ ، طبقات الشيرازى ١٤٥ ، طبقات ابن هداية الله ٩ ، العبر ٢ / ٧٤ ، فوات الوفيات ١ / ٣ ، معجم الأدباء ١ / ١١٢ ، معجم البلدان ٢ / ٣٣٤ ، النجوم الزاهرة ٣ / ١١٦ ، نزهة الألبا ٢٧٦ . والحربى نسبة إلى الحربية ، محلة بغربى بغداد .

(١) فى المطبوعة ، د : شعيب ، والتصويب من : ج ، والمشتبه ٣٩٧ .

(٢) فى تاريخ بغداد : كان إماما فى العلم ، رأسا فى الزهد .

(٣) فى المطبوعة ، د : لم يهنأ بعيشه ، والمثبت من : ج ، د ، تاريخ بغداد .

(٤) فى تاريخ بغداد : كان يكون قميصى .

قط ، وفرد عَقِبى صحيح ، والآخر مقطوع ، ولا أحدِّث نفسى أنى أصلحها ، ولا شكوتُ لأهلى وأقاربى حُمَّى أجدها ، ولى عشر سنين أُبصِر بفَرْد عَيْنٍ ، ما أخبرت به أحدا ، وأفنيتُ من عمرى ثلاثين سنة برغيفين ، إن جاءتنى بهما أمى أو أُختى ، وإلا بقيتُ جائعا إلى الليلة الثانية ، وأفنيت ثلاثين سنة برغيف فى اليوم والليلة ، إن جاءتنى به امرأتى أو بناتى ، وإلا بقيت جائعا ، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة ، وقام إفطارى فى رمضان هذا ، بدرهم ودانقين ، ونصف .

قال السُّلَمِىّ : سألتُ الدَّارَقُطنِىّ عن إبراهيم الحْربىّ ، فقال : كان يقاس بأحمد ابن حنبل فى زهده وعلمه ، وورعه .

وقال الحاكم : سمعت محمد بن صالح القاضى ، يقول : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم فى الأدب ، والفقه ، والحديث والزهد .

وقال أبو بكر الشافعىّ : سمعت إبراهيم الحربىّ يقول : عندى عن على بن المَدِينىّ قِمَطْر ، ولا أحدِّث عنه بشىء ، لأنى رأيته بالمغرب ، ونعله بيده مبادرا ، فقلت : إلى أين ؟ قال : ألحق الصلاة مع أبى عبد الله . قلت : من أبو عبد الله ؟

قال[1] : ابن أبى دُؤاد .

قلتُ : نُقِم عليه اقتداؤه بابن أبى دؤاد، القائل بخلق القرآن ، وقد كان ابن المَدِينىّ ممن يقول بذلك ؛ فإنما نقم عليه فى الحقيقة نفس البدعة ، وأنا أنقِم عليه مع البدعة مبادرتَه وسعيَه ، والسنة أن يأتىَ الصلاة وهو يمشى ، وعليه السكينة ، ولا يأتيها وهو يسعى .

توفى الحَرْبىّ فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين ، وذكره فى الحنابلة أولى من ذكره فى الشافعية[2] .

---

(١) من هنا يبدأ السقط فى ج .
(٢) وترجمته فى طبقات الحنابلة ١/ ٨٦ – ٩٣ .

٥٩

إسحاق بن موسى بن عِمْران الإسْفَرايِنِىّ

الفقيه ، الزاهد ، أبو يعقوب ، صاحب المُزَنِىّ ، والربيع

تفقهّ على المُزَنِىّ ، وسمع « المبسوط » من الربيع .

وسمع من قُتَيْبة بن سعيد ، وإسحاق بن رَاهُويه ، وعلى بن حُجْر ، وإبراهيم بن يوسف البَلْخِىّ ، وجُبَارة[1] بن المُغَلِّس ، وهشام بن عمَّار ، وخلق بالعراق ، والشام ، ومصر .

روَى عنه مُؤَمَّل بن الحسن ، وأبو عَوَانة ، ومحمد بن عَبْدَك[2] ، ومحمد بن الأخْرَم وجماعة .

وكان فقيها ، مُحدِّثا ، زاهدا ، ورعا .

ذكره الحاكم ، وذكر أن كنية والده أبو عِمران ؛ فلذلك ربما قيل : إسحاق بن أبى عمران .

وقال : - أعنى الحاكم - كان أحد أئمة الشافعيِّين ، والرَّحّالة فى طلب الحديث ، توفى بإسْفَرَاين ، سنة أربع وثمانين ومائتين .

قلتُ : هنا فائدتان ، إحداهما أن شيخنا الذهبىّ قال : إن هذا الشيخ هو والد أبى عَوَانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد ، وإنه يظن أن الحاكم وَهَم فى تسمية أبيه بموسى بن عِمران .

قال[3] : وقد ذكر أن أبا عَوَانة روَى عنه ، وما بَيَّن أنه ولدُه ، وما ذكر فى تاريخه ترجمة أخرى لوالد أبى عَوَانة ، وقد رأيتُ أنا فى « صحيح أبى عَوَانة » روايته عن أبيه إسحاق بن أبى عمران[3] ، فهو أبوه ، والله أعلم . هذا كلام شيخنا الذَّهبىّ[4] .

---

(١) فى المطبوعة : جنادة . والتصويب من : د .

(٢) فى الأصل : عيدك . والتصويب من ميزان الاعتدال ٣ / ٩٦ .

(٣) ساقط من : د .

(٤) بعض هذا الكلام فى سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٥٨. وانظر الوافى بالوفيات ٨/ ٤١٩ .

والثانية : أن الذهبىّ قال عَقِيب هذه الترجمة : إسحاق بن أبى عمران ، أبو يعقوب اليَحْمَدِىّ الإسْتَرَاباذِىّ ، هو إسحاق بن موسى بن عبد الرحمن بن عُبَيد الشافعىّ ، الفقيه أيضا ، سمع قُتَيبة ، وابن رَاهُويه ، وهِشام بن عمَّار ، وحَرْمَلة ، وطبقتهم بخُراسان ، والشام ، ومصر ، والعراق ، روَى عنه أبو نُعَيم بن عَدِىّ ، ووالد عبد الله بن على بن القطَّان ، ذكره حمزة فى « تاريخ جُرْجَان » انتهى كلام شيخنا الذهبىّ .

والذى يقع لى أنهما واحد ، وليس هو والد أبى عَوَانة ، بل غيره ، هذا إسحاق ابن موسى ، وربما قيل ابن أبى عِمْران ، ووالد أبى عَوَانة غيره .

وقول شيخنا الذهبىّ . ما ظفرت له برواية عن إسحاق بن أبى عِمْران ، لا يلزم منه أن يكون هو أباه ، فإن أبا عَوَانة لم يستوعِب فى مُسنَده شيوخه ، هذا إن صح أنه لم يذكر فى كتابه إسحاق بن أبى عِمْران .

فإن قلتَ : لا شك أن روايته عن أبيه ، وعدم روايته عن إسحاق بن أبى عِمْران قرينةٌ .

قلت : لكن ذِكْر الحاكم لأبى عَوَانة فى الرواة[2] عن هذا الشيخ ، من غير تنبيه عنه على أنه ولده قرينة فى أنه غيره ، أقوى من تلك ، مع ما ينْضَمُّ إليها من أن أبا عَوَانة نفسه أخذ عن المُزَنِىّ والربيع ، على أن الحال[3] مُحتمِل ، والخطب فيه يسير .

وأما تفرقة شيخنا بين إسحاق بن موسى بن عِمران ، وإسحاق بن أبى عِمْران ، فلا أحسبه إلا وَهْما ، وما أرى إلا أنهما واحد ، والعلم عند الله تعالى .

---

(١) فى المطبوعة : أنه يعقوب النجمدى . والمثبت من : د . واليحمدى بفتح الياء وسكون الحاء وفتح الميم وبعدها دال مهملة ، نسبة إلى يحمد ، وهو بطن من الأزد . اللباب ٣ / ٣٠٥ .

(٢) فى د : الرواية ، والمثبت فى المطبوعة .

(٣) فى د : الحاصل ، والمثبت فى المطبوعة .

٦٠

الجُنَيد بن محمد بن الجُنَيد

أبو القاسم ، النُّهَاوَنْدِىّ الأصل ، البغدادىّ ، القَوَارِيرىّ ،الخزَّاز*

سيّد الطائفة ، ومقدَّم الجماعة ، وإمام أهل الخِرقة ، وشيخ طريقة التصوف ، وعلَم الأولياء فى زمانه ، وبُهْلُوان العارفين .

تفقه على أبى ثَوْر ، وكان يُفْتى بحلْقته وله من العمر عشرون سنة .

وسمع الحديث من الحسن بن عَرَفة ، وغيره .

واختُصّ بصحبة السَّرِىّ السَّقَطِىّ ، والحارث بن أسد المُحاسِبِىّ ، وأبى حمزة البغْدادىّ .

قال جعفر الخُلْدِىّ[1] : لم نرَ فى شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنَيْد ، إذا رأيتَ علمَه رجّحتَه على حاله ، وإذا رأيت حالهَ رجَّحْتَه على علمه .

وعن أبى العباس بن سُرَيج ، أنه تكلم يوما ، فأُعجِب به بعض الحاضرين ، فقال ابن سُرَيج : هذا ببركة مجالستى لأبى القاسم الجُنَيد رحمه الله .

وقال أبو القاسم الكَعْبىّ المتكلم المعتزلىّ : ما رأت عيناى مثلَه ، كان الكَتَبة يحضرونه لألفاظه ، والفلاسفة لدِقَّة معانيه ، والمتكلمون لعلْمه .

---

* له ترجمة فى: الأنساب ٤٦٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، الرسالة القشيرية ٢٤، صفة الصفوة ٢ / ٣٢٥ ، طبقات الحنابلة ١ / ١٢٧ ، طبقات الصوفية ١٥٥ ، طبقات ابن هداية الله ١٠ ، العبر ٢ / ١١٠ ، اللباب ٣ / ٩ ، النجوم الزاهرة ٣ / ١٧٧ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٢٣ ، والقواريرى : بفتح القاف والواو وبعد الألف ياء ساكنة تحتها نقطتان بين راءين مهملتين مكسورتين ، نسبة إلى عمل القوارير وبيعها ، والخزاز : بفتح الخاء وتشديد الزاى الأولى ، بينها وبين الزاى الثانية ألف ، نسبة إلى بيع الخز .

(١) بضم الخاء وسكون اللام وفى آخرها دال مهملة ، نسبة إلى الخلد ، محلة ببغداد ، وإنما سمى جعفر بن محمد بالخلدى ؛ لأنه كان يوما عند الجنيد ، فسئل الجنيد عن مسألة ، فقال الجنيد : أجبهم . فأجابهم ، فقال : يا خلدى ، من أين لك هذه الأجوبة ؟ فبقى عليه . اللباب ١ / ٣٨٢ .

قال الخُلْدِىّ : قال الجُنَيد ذات يوم : ما أخرج الله إلى الأرض عِلما ، وجعل للخلق إليه سبيلا ، إلا وقد جعل لى فيه حظًّا ونصيبا .

قال الخُلْدِىّ : وبلغنى أن الجُنَيد كان فى سوقه ، وكان وِرْده فى كل يوم ثلاثمائة ركعة ، وثلاثين ألف تسبيحة .

قال : وسمعته يقول : ما نزعتُ ثوبى للفراش منذ أربعين سنة .

قال : وكان[1] الجُنَيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ، ويصلى كل ليلة أربعمائة ركعة .

قال أبو الحسن الْمَحْلَبِىّ[2] : قلت[3] للجُنَيد : ممن استفدتَ هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأومأ إلى درجة فى داره .

قال إسماعيل بن نُجَيد : كان الجنيد يجىء كل يوم إلى السوق ، فيفتح حانوته ، فيدخله ، ويسبل السِّتر ، ويصلى أربعمائة ركعة ، ثم يرجع إلى بيته .

قال على بن محمد الحُلْوانِىّ[4] : حدثنى خَيْر ، قال : كنت جالسا يوما فى بيتى ، فخطر لى خاطر ، أن أبا القاسم الجُنَيد بالباب ،اخْرُجْ إليه . فنفيْت ذلك عن قلبى ، وقلت : وسْوَسة . فوقع لى خاطر ثان ، فنفيته ، فوقع خاطر ثالث ، فعلمت أنه حق ، وليس بوَسْوَسَة ، ففتحت الباب ، فإذا أنا بالجُنَيد قائم ، فسلم علىَّ ، وقال : يا خَيْر ، ألا خرجتَ مع الخاطر الأول .

قال أبو عمرو بن عُلْوان : خرجت يوما إلى سوق الرَّحْبة[5] فى حاجة ، فوقعت عينى

---

(١) فى المطبوعة : ومكث ، والمثبت من : د ، وصفة الصفوة .

(٢) المحلبية : بليدة بين الموصل وسنجار . مراصد الاطلاع ١٢٣٥ .

(٣) فى د : قيل ، والمثبت فى المطبوعة .

(٤) هذا الضبط من الطبقات الوسطى (ضبط قلم) ، ولم نجد على بن محمد الحلوانى فيما بين أيدينا من مراجع ، وهو بضم الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها واو وفى آخرها نون ، هذه النسبة إلى مدينة حلوان ، وهى آخر السواد مما يلى الجبل . اللباب ١ / ٣١١ .

(٥) لعلها رحبة مالك بن طوق ، على الفرات بين الرقة وعانة ، انظر مراصد الاطلاع ٦٠٨ ، القاموس (ر ح ب) .

على امرأة مُسْفِرة ، من غير تعمُّد ، فألحَحتُ بالنظر ، فاسترجعتُ ، واستغفرت الله ، وعدت إلى منزلى ، فقالت لى عجوز : يا سيدى ، مالى أرى وجهك أسْود . فأخذت المرآة ، فنظرت ، فإذا وجهى أسود ، فرجعت إلى سِرّى أنظر من أين دُهيتُ فذكرت النظرة ، فانفردت فى موضع أستغفر الله ، وأسأله الإقالة أربعين يوما ، فخطر فى قلبى : أن زُر شيخك الجُنَيد ، فانحدرت إلى بغداد ، فلما جئت الحجرة التى هو فيها طرقت الباب ، فقال لى : ادخل يا أبا عمرو ، وتُذنِب فى الرَّحْبة ، ونستغفر لك ببغداد .

قال أبو بكر العطَّار : حضرتُ الجُنَيد عند الموت ، فى جماعة من أصحابنا ، فكان قاعدا يصلى ، ويَثنى رجله كلما أراد أن يسجد ، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح مِن رجله ، فَثَقُلَت عليه حركتُها ، فمد رجليْه وقد تورَّمتا ، فرآه بعض أصدقائه ، فقال : ما هذا يا أبا القاسم ؟ قال : هذه نِعَم ، الله أكبر . فلما فرغ من صلاته ، قال له أبو محمد الجَرِيرِىّ[1] : لو اضطجعتَ ، قال : يا أبا محمد ، هذا وقتٌ يُؤخذ [منه][2] الله أكبر . فلم يزل كذلك[3] حتى مات .

وعن الجُنَيد : أرِقتُ ليلة ، فقمت إلى وِرْدى ، فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة ، فأردت النوم ، فلم أقدر ، فأردت القعود ، فلم أُطِقْ ، ففتحت الباب ، وخرجت ، فإذا رجل ملتفٌّ فى عَباءة ، مطروح على الطريق ، فلما أحس بى رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم إلىَّ الساعة .

فقلت : يا سيدى ، من غير موعد !

فقال : بلى ، سألت مُحرِّك القلوب أن يحرك [لى][1] قلبك .

فقلت : ما حاجتُك ؟

فقال : متى يصير داءُ النفس دواها ؟

---

(١) بفتح الجيم والياء المعجمة باثنتين من تحتها الساكنة بين الراءين المهملتين ، نسبة إلى جرير بن عبد الله البجلى . اللباب ١ / ٢٢٤ ، والمشتبه ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) زيادة من المطبوعة على ما فى : د .

(٣) فى د : فلم يزل ذلك حاله . والمثبت فى المطبوعة .

فقلت : إذا خالفتْ هواها ، صار داؤُها دواها .

فأقبل على نفسه ، فقال : اسمعى ، قد أجبتُك بهذا الجواب سبع مرات ، فأبيت إلا أن تسمعيه من الجُنَيد ، فقد سمعتِ . وانصرف عنى ، ولم أعرفه ، ولا وقفت عليه .

وقال : كنت جالسا فى مسجد الشُّونيزيّة[1] أنتظر جنازة أصلِّى عليها ، وأهل بغداد على طبقاتهِم جلوس ، ينتظرون الجنازة ، فرَأَيت فقيرا عليه أثر النُّسْك ، يسأل الناس . فقلت فى نفسى : لو عمِل هذا عملا يصونُ به نفسَه كان أجمل به . فلما انصرفتُ إلى منزلى ، وكان لى شىء من الوِرد بالليل ، من الصلاة ، والقراءة ، والبكاء ، فثقلتْ علىَّ جميعُ أورادى ، فسهرتُ وأنا قاعد ، فغلبتْنى عيناى ، فرأيت ذلك الفقير ، وقد جاءوا به ممدودا على خِوان ، وقالوا لى : كُلْ لحمَه ، فقد اغتبته .

فكُشِف لى عن الحال ، وقلتُ : ما اغتبتُه ، إنما قلت شيئًا فى نفسى .

فقيل لى : ما أنت ممن يُرْضَى منك بمثل هذا ، اذهبْ إليه ، واسْتحِلّه .

فأصبحتُ ولم أزل أتردد ، حتى رأيتُه فى موضع يلتقط من أوراق البَقْل ، فسلَّمت عليه ، فقال : تَعودُ يا أبا القاسم ؟

فقلتُ : لا .

فقال : غفر الله لنا ولك .

(ومن كلام الجنيد رحمه الله)

الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلقه ، إلا على المقتفين آثارَ رسول الله ﷺ ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2]

وقال : لولا أنه يُروَى ، أنه يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ، ما تكلمتُ عليكم .

---

(١) الشونيزية : مقبرة ببغداد ، بالجانب الغربى ، فيها مسجد الجنيد ، وعنده خانقاه للصوفية . المراصد ٨٢١ .

(٢) سورة الأحزاب ٢١ .

وقال : أضرُّ ما على أهل الديانات الدَّعاوِى .

وقال : المروءة احتمال زَلَل الإخوان .

وقيل له : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : توبةٌ تَحُلّ الإصرار ، وخوفٌ يزيل الغِرَّة ، ورجاءٌ مُزعِج إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله فى خواطر القلوب .

وقال : ليس بشَنِيع[1] ما يرِد علىَّ من العالم ؛ لأنى قد أصَّلْت أصلا ، وهو أن الدارَ دارُغمّ ، وهمّ ، وبلاء وفتنة ، وأن العالم كله شر ، ومِن حُكْمِه أن يتلقَّانى بكل ما أكره ، وإن تلقَّانى بما أُحب فهو فضل ، وإلا فالأصل الأول .

وقال : الزهد خلوُّ القلب عما خلت منه اليد ، واستصغار الدنيا ، ومحو آثارها من القلب .

وقال : الخوف توقُّع العقوبة مع مجارى الأنفاس .

وقال : الخشوع تذلّل القلوب لعلّام الغيوب .

وقال : التواضع خفض الجَناح ، ولِين الجانب .

وقال ، وسأله جماعة : أنطلبُ الرزق ؟ فقال : إن علمتم أىَّ موضع هو فاطلبوه . قالوا : نسأل الله فيه . قال : إن علمتم أنه ينْساكم فذكِّروه. فقالوا : أندخل البيت ونتوكل ؟ فقال : التجربة شكٌّ . فقالوا : فما الحيلة ؟ قال : تركُ الحِيلة .

وفى بعض الكتب نسبة هذه الحكاية إلى الخوَّاص .

وقال : اليقينُ استقرار العِلم الذى لا يتقلَّب ، ولا يحُول ، ولا يتغير فى القلب .

وقال أيضا : اليقين ارتفاع الرَّيْب فى مشهد الغيب . فعرّف اليقين بتعريفين ، وسيأتى عنه أيضا للشكر تعريفان ، والكل حق صحيح .

وقال : المَسِير من الدنيا إلى الآخرة سهل هيِّن على المؤمن ، وهِجْران الخلق فى جنب[2] الحق شديد ، والمَسِير[3] من النفس إلى الله صعب شديد ، والصبر مع الله تعالى أشد .

---

(١) فى صفة الصفوة : ليس يتسع على ، وفى الطبقات الوسطى : ليس يتبشع على .

(٢) فى د : فى حب الحق ، والمثبت فى المطبوعة .

(٣) فى د : اليقين ، والمثبت فى المطبوعة .

وقال : الصبر تجرُّع المرارة ، من غير تَعْبيس .

وقال : مَن تحقَّق فى المراقبة خاف على فَوْت حظه من الله تعالى .

وقال – وقد قال الشِّبْلىّ يوما بين يديه : لا حولَ ولا قوة إلا بالله – : قولك ذا ضِيقُ صدر ، وهو ترك للرضا بالقضاء ، والرضا رفع الاختيار .

وقيل له : ما للمُريد فى مجاراة الحكايات ؟ فقال : الحكايات جند من جنود الله ، يُقوِّى بها قلوب المريدين . فسُئِل على ذلك شاهدا ؟ فقال : قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[1] .

وقيل له : ما الفرق بين المريد والمُراد ؟ فقال : المريد تتولَّاه[2] سياسة العلم ، والمراد تتولَّاه[2] رعايةُ الحق ، لأن المريد يسير ، والمراد يطير ، وأين السائر من الطائر ؟

وقال : الإخلاص سر بين الله وعبده ، ولا يعلمه ملَك فيكتبَه ، ولا شيطان فيفسدَه ، ولا هوى فيُمِيلَه .

وقال : الصادق يتقلَّب فى اليوم أربعين مرة ، والمُرائِى يثبُتُ على حالة واحدة أربعين سنة .

وسئل عن الحياء ، فقال : رؤية الآلاء ورؤية التَّقصير ، يتولد منهما حالة تسمى الحياء .

وقال : الفُتُوَّة كفُّ الأذى ، وبذْل النَّدى .

وقال : لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثرَ مما نالَه .

قلتُ: والناس يستشكلون هذه الكلمة ويتطلبون تقريرها، وسألت عنها بعض العارفين بالتصوف ، فقال: معناها يظهر بضرب مثل؛ وهو أن الغَوَّاص إذا غاص فى البحر منقِّبًا على نفيس الجواهر إلى أن قارب قَراره، وكاد يحظى بمراده أعرض وترك، كان مافاته أكثر مما ناله، وكذلك من أقبل على الحقّ ألف ألف سنة ثم أعرض، فتلك

---

(١) سورة هود ١٢٠ .

(٢) فى د : مولاه . والمثبت فى المطبوعة .

اللحظة التى أعرض فيها لو لم يُعرض نتيجة عمل ألف ألف سنة ، فلما أعرض فاتته تلك النتيجة التى هى غاية عمل ألف ألف سنة ، فظهر أن ما فاته أكثر ممّا ناله .

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِىّ : سمعت جَدّى إسماعيل بن نُجَيْد يقول : دخل أبو العباس بن عطاء على الجُنَيْد وهو فى النَّـزْع ، فسلّم فلم يردّ عليه ، ثم رد عليه بعد ساعة ، وقال : اعذرنى ، فإنى كنت فى وِرْدى . ثم حوّل وجهه إلى القبلة وكبَّر ومات .

وقال أبو محمد الْجَرِيرِىّ : كنت واقفا على رأس الجُنَيد فى وقت وفاته ، وكان يوم جمعة ، وهو يقرأ القرآن ، فقلت : يا أبا القاسم ، ارفُق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ، ما رأيتُ أحدا أحوجَ إليه منى فى هذا الوقت ، وهو ذا تُطْوَى(1) صحيفتى .

ويقال : كان نقْشُ خاتم الجُنَيد « إذا كنت تأمُله فلا تأمنْه » .

وكان يقول : ما أخذنا التصوفَ من القال والقيل ، ولكن عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات .

قال أبو سهل الصُّعْلُوكِىّ : سمعت أبا محمد المُرتعِش ، يقول : قال الجُنَيد : كنت بين يدى السَّرِىّ السَّقْطِىّ ألعبُ ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر ، فقال : يا غلام ، ما الشكر ؟

فقلت : أن لا تَعصىَ اللهَ بنعمِه .

فقال : أخشى أن يكون حظُّك من الله لسانَك .

قال الجُنَيد : فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها لى .

وعن الجُنَيد : الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة .

وعن الجُنَيد : أعلى درجة الكِبر أن ترى نفسك ، وأدناها أن تخطُر ببالك ، يعنى نفسك .

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِىّ : سمعتُ عبد الواحد بن بكر الوَرَثَانِىّ(2) ، قال : سمعت محمد

---

(1) فى المطبوعة ، د : « يطوى » بالياء . والمثبت من الطبقات الوسطى .

(2) بفتح الواو والراء والثاء المثلثة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى ورثان ، بلد فى حدود أذربيجان . اللباب ٣ / ٢٦٧ ، والمراصد ١٤٣٢ . هذا ولم يرو السلمى عن الورثانى هذا القول فى طبقات الصوفية ، وإنما روى قول الجنيد الذى بعده عن الورثانى عن همام بن الحارث صفحة ١٥٧ .

ابن عبد العزيز ، يقول : سُئِل الجُنَيد عمَّن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مصِّ نواةٍ ، فقال : المكاتَب عبد ما بقى عليه درهم .

ومن كلام الجنيد : باب كل علم نفيس جليل بذلُ المجهود ، وليس من عبَد الله ببذل المجهود كمن طلبه من طريق الجُود .

وقال : إن الله يَخْلُص إلى القلوب من بِرِّه ، حسَب ما خَلَصت القلوب به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك .

وقال أبو عَمرو الزُّجَاجىّ[1] : سألت الجُنَيد عن المحبة . فقال : تُريد الإشارة ؟ فقلت : لا . قال : تريد الدَّعْوى ؟ قلت : لا . قال : فأَيش تريد ؟ قلت : عينَ المحبَّة . فقال : أن تحبَّ ما يحب الله فى عباده ، وتكرَه ما يكره فى عباده .

وسُئِل عن قُرْب الله تعالى ، فقال : قريب لا بالتَّلاق ، بعيد لا بافْتراق .

وقال : مكابَدة العزلة أيسر من مداراة الخُلْطة .

توفى الجُنَيد يوم السبت ، فى شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقيل سنة سبع وتسعين .

قال الخُلْدىّ : رأيته فى النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنِيت تلك العلوم ، ونفِدت تلك الرُّسوم ، وما نفعنا إلا رُكَيْعات كنا نركعها فى[2] السحَر .

(ذكر شىء من الرواية عنه)

وقد ذُكِر أنه لم يُحدِّث إلا بحديث واحد ، حدثناه الحافظ أبو العباس بن المُظَفَّر إملاء ، قال : أخبرنا أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد بن المُجاوِر ، إذنا ، أخبرنا الإمام أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْدِىّ ، أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القَزَّاز ، المعروف بابن زُرَيْق ، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب ،

---

(١) فى د : « أبو عمر » . والمثبت من المطبوعة . وهو : محمد بن إبراهيم بن يوسف . ترجمته فى طبقات الصوفية ٤٣١ ، و « الزُّجاجى » بتخفيف الجيم .

(٢) فى د : عند السحر ، والمثبت فى : المطبوعة ، وصفة الصفوة .

أخبرنا أبو سعيد المَالِينِىّ ، أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن مُقْبِل ، أخبرنا جعفر الخُلْدِىّ ، حدثنا جُنَيد بن محمد .

ح : وأخبرنا أبو العباس بن المُظفَّر ، بقراءتى عليه ، أخبرنا القاضى محمد بن محمد بن سالم بن يوسف بن صاعِد بن السِّلْم سماعا ، أخبرنا الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقىّ ، أخبرنا أبو طاهر السِّلَفىّ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن على بن الحسن ابن زكريا الصُّوفِىّ ، فيما قرأت عليه ، أخبرنا والدى أبو الحسن على بن الحسن الطُّرَيْثِيثىّ[1] ، حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل الهَرَوِىّ ، لفظا ، أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن مُقْبِل ، حدثنا جعفر بن محمد ابن نُصَير ، أخبرنا أبو القاسم الجُنَيد ، حدثنا الحسن بن عَرَفة .

ح : وبإسنادنا المشهور إلى ابن عرفة ، حدثنا محمد بن كثير الكوفىّ ، عن عمرو ابن قيس المُلائى[2] ، عن عطيَّة ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ » ثم قرأ : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[3] .

قال أبو بكر الخطيب : لا يُعرف للجُنَيد غيرُ هذا الحديث .

قال أبو الفرج ابن الجَوْزِىّ : وقد رأيت له حديثًا آخر .

قلت : أخبرنَاه أبو العباس بن المظفَّر الحافظ بقراءتى عليه ، عن أبى الحسن ابن البخارىّ ، عن أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجَوْزِىّ ، أخبرنا محمد بن عبد الباقى ، أخبرنا رِزق الله بن عبد الوهّاب ، أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، حدثنا أحمد بن عطاء الصوفىّ ، حدثنا محمد بن على بن الحسين ، قال : سئل الجُنَيد عن الفِراسة ، فقال : حدثنا الحسن بن

---

(١) بضم الطاء وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحته وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ثاء مثلثة ، نسبة إلى طريثيث ، ناحية كبيرة من نواحى نيسابور . اللباب ٢ / ٨٦ .

(٢) بضم الياء وبعد اللام ألف وياء مثناة من تحتها ، نسبة إلى بيع الملاءة التى تتستر بها النساء . اللباب ٣ / ١٩٦ .

(٣) سورة الحجر ٧٥ .

عَرفة ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ، قال : كنت أرعى غنما لعُقْبَة بن أبى مُعَيط ، وذكر الحديث . وقال فى آخره : قال لى النبى ﷺ : « إنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ » .

أخبرنا المسنِد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَبَّاز ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو الغنائم المُسلِم بن محمد بن عَلَّان القَيْسىّ ، سماعًا عليه ، حدثنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِندىّ ، أخبرنا الشيخ أبو منصور عبد الرحمن بن زُريق الشَّيبانىّ ، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على البغدادىّ ، حدثنا محمد بن المظفَّر بن السَّرَّاج ، من حفظه ، قال : سمعت جعفر بن محمد الخُلْدىّ ، يقول : قال لى أبو القاسم الجُنَيد رحمه الله : اطِّراح هذه الأمة من المروءة ، والاستئناس بهم حِجاب عن الله تعالى ، والطمع فيهم فقر الدنيا والآخرة .

أخبرنا أبو العباس أحمد بن المظفَّر بن أبى محمد النابُلْسىّ الحافظ ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أقضى القضاة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن نجم الدين محمد بن سالم بن يوسف بن صاعد بن السِّلْم النابُلْسىّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا الشيخ تقى الدين أبو على الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقى ، سماعًا ، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفىّ سماعًا .

ح : وكتب إلىّ أحمد بن على الجَزَرِىّ ، وفاطمة بنت إبراهيم ، وغيرهما ، عن محمد بن عبد الهادى ، عن السِّلَفىّ ، إجازات ، أخبرنى أبو بكر أحمد بن على بن الحسين ، أخبرنا والدى ، حدثنا أبو سعد أحمد بن محمد المالِينىّ ، سمعت أبا الوزير على بن إسماعيل الصوفىّ ، يقول : سمعت أبا الحسن المنصورىّ ، يقول : سألت الجُنَيد : متى يستوجب العبدُ أن يقال له عاقل ؟ قال : سمعت سَرِيًّا يقول : هو أن لا يَظهر فى جوارحه شىءٌ قد ذمّه مولاه .

وبه إلى المالِينىّ ، سمعت أبا القاسم يوسف بن يحيى ، سمعت أبا القاسم الجُنَيد بن محمد يدعو : بمَوضعك فى قلوب العارفين دُلَّنى على رضاك ، وأخرج من قلبى مالا ترضاه ، وأسكِن فى قلبى رضاك .

● وبه قال : سمعت عثمان بن عبد الله الزَّنْجىّ يقول : سمعت الجُنَيد بن محمد يقول ، وقد سئل عن اليقين ما هو ؟ فقال : ترْك ما تَرى لما لا تَرى .

وبه قال : سمعت أبا الحسين أحمد بن زيزى يقول : قلت للجُنَيد : مَن أصحب بعدك ؟ قال : اصحبْ بعدى مَن تأمنه سرَّ الله فيك .

وبه قال : سمعت أبا الحسن على بن أحمد بن قُرْقُر[1] ، يقول : سمعت أبا الحسن على بن محمد السِّيرَوَانِىّ[2] ، يقول : سمعت أبا عمرو ابن عُلوان ، يقول : سمعت أبا القاسم الجُنَيد بن محمد يقول : حضرتُ إملاك بعض الأبدال[3] من النساء ببعض الأبدال من الرجال ، فما كان فى جماعة مَن حضر إلا مَن ضرب بيده إلى الهواء ، فأخذ شيئًا وطرحه من دُرٍّ وياقوت ، وما أشبهه . قال أبو القاسم : فضربت بيدى فأخذت زَعفرانا وطرحته ، فقال لى الحُضَّر[4] : ما كان فى الجماعة مَن أهدى ما يصلح للعرس غيرك .

وبه قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد ، سمعت إبراهيم بن داود البَرْدَعِىّ ، يقول : سمعت الجُنَيد يقول : نهايةُ الصابر فى حال الصبر حملُ المُؤَن لله حتى تنقضى أوقات المكروه .

وبه قال : سمعت أبا القاسم يوسف بن يحيى ، يقول : سمعت الجُنَيد يدعو إذا سأله إنسان أن يدعو له : جمعَ الله همَّك ولا شتَّت سرَّك ، وقطعك عن كل قاطع يقطعك عنه ، ووصلك إلى كل واصل يوصلك إليه ، وجعل غَناه فى قلبك ، وشَغَلك به عمّن سواه ، ورزقك أدبًا يصلح لمجالسته ، وأخرج من قلبك مالا يرضى ، وأسكن فى قلبك رضاه ، ودلّك عليه من أقرب الطرق .

---

(١) انظر المشتبه ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت ٣ / ٢١٥ .

(٣) قال أبو عبد الرحمن السلمى : « هم فى الأمم خلفاء الأنبياء والرسل ، صلوات الله عليهم ، وهم أرباب حقائق التوحيد والمحدثون ، وأصحاب الفراسات الصادقة ، والآداب الجميلة ، والمتبعون لسنن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين إلى أن تقوم الساعة » . طبقات الصوفية ٢ .

(٤) فى المطبوعة ، د : « الخضر » . والمثبت من الطبقات الوسطى . والحضر : جمع حاضر .

● أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَبَّاز، بقراءتى عليه ، أخبرنا الشيخان أبو الفِداء إسماعيل بن أبى عبد الله بن حمّاد بن العَسْقَلانِىّ ، وأبو إسحاق إبراهيم بن حَمْد[1] بن كامل ابن عمر المَقْدِسىّ ، سماعًا ، قالا : أخبرنا أبو محمد بن مَنِينا ، وعبد الوهّاب بن سُكَيْنة ، إجازة ، قالا : أخبرنا محمد بن عبد الباق الأنصارىّ القاضى ، أخبرنا الخطيب أبو بكر ، أخبرنا محمد بن الحسن الأهوازِىّ ، قال : سمعت أبا حاتم الطَّبَرِىّ ، يقول : سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن التصوف ، فقال : استعمال كلِّ خُلق سَنِىّ ، وترك كلِّ خُلق دَنِىّ .

● وبه إلى الخطيب ، أخبرنا بكرانُ بن الطَّيِّب الجَرْجَرائى[2] ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد ، قال : سمعت الجُنَيد يقول : لا تكون من الصادقين أو تصدُقَ [مكانا][3] لا ينجيك إلا الكذبُ فيه .

أخبرنا المسنِد عزّ الدين أبو الفضل محمد بن ضياء الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن الحَمَوِىّ ، قراءةً عليه . وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الحسن ابن البخارىّ ، أخبرنا أبو حفص بن طَبَرْزَد ، أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباق الأنصارىّ ، أخبرنا [أبو حفص][4] هَنّاد بن إبراهيم ، أبو المظفَّر القاضى النَّسَفِىّ ، قال : سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسىّ ، يقول : كان الجُنَيد بات ليلة العيد فى موضع غيرِ الموضع الذى كان يعتاده فى البَرِّيّة ، فلما أن صار وقت السَّحَر إذا بشابٍّ ملتفٍّ فى عباءة ، وهو يبكى ويقول :

بحُرمةِ غُرْبتى كم ذا الصُّدودُ ... ألا تعطفْ علىّ ألا تجودُ
سرورُ العيد قد عمّ النَّواحِى ... وضُرِّى[5] فى ازديادٍ لا يبيدُ
فإن كنتُ اقترفتُ خِلالَ سوءٍ ... فعُذرى فى الهوى أن لا أعودُ

---

(١) فى المطبوعة : « أحمد » . وأثبتنا ما فى د ، والطبقات الوسطى .

(٢) فى المطبوعة : « بن الطيب الجرجانى » والمثبت من الطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد ٧ / ٢٤٥ ، وهو نسبة إلى جرجرايا ، بفتح الجيم وسكون الراء الأولى : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد ، ياقوت ٢ / ٥٤ .

(٣) من : تاريخ بغداد ٧ / ٢٤٥ .

(٤) من : د .

(٥) فى : د « وحزنى » والمثبت فى المطبوعة ، والطبقات الوسطى .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا المشايخ أبو بكر إسماعيل بن الأنماطِىّ ، وأخته رُقَيّة ، وغيرهما ، حضورا ، عن أبى بكر بن أبى سعد الصَّفّار ، أخبرنا أبو منصور عبد الخالق بن زاهر الشَّحّامىّ ، أخبرنا الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد المؤذِّن ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن باكُويه ، أخبرنا نصر بن أبى نصر ، أخبرنا جعفر بن نُصَير[1] ، قال سمعت الجُنَيد قال : حججتُ على الوَحْدة ، فجاورت بمكة ، فكنت إذا جنَّ الليلُ دخلت الطَّواف فإذا بجارية تطوف وتقول :

أبى الحبُّ أن يَخفَى وكم قد كتمتُهُ   فأصبح عندى قد أناخ وطَنَّبا
إذا اشتدّ شوقى هام قلبى بذكرِهِ   فإن رُمتُ قُربًا مِن حبيبى تقَرَّبا
ويبدو فأفنَى ثم أحيى بِهِ لهُ   ويُسعدنى حتى أَلَذَّ وأطْرَبا

قال فقلت لها : يا جارية أما تتَّقين الله ، فى مثل هذا المكان تتكلّمين بمثل هذا الكلام ؟ فالتفتتْ إلىّ وقالت : يا جُنَيد ،

لولا التُّقى لم تَرنِى   أهجُرُ طِيبَ الوَسَنِ
إن التُّقى شَرَّدَنِى   كما ترى عن وطَنِى
أَفِرُّ مِن وَجْدى بِهِ   فحبُّــه هَيَّمَنِــى

ثم قالت : يا جُنَيد تطوف بالبيت أم بربّ البيت ؟ فقلت : أطوف بالبيت ، فرفعت طَرْفها[2] إلى السماء وقالت : سبحانك ، ما أعظمَ مشيئتَك فى خَلقك ! خلْقٌ كالأحجار يطوفون بالأحجار ، ثم أنشأت تقول :

يطوفون بالأحجارِ يبغون قُرْبةً   إليك وهُم أقسى قلوبًا من الصَّخْرِ
وتاهوا فلم يَدْروا مِن التِّيه مَن هُمُ   وحَلُّوا مَحلَّ القُرب فى باطن الفِكْرِ
فلو أخلصوا فى الوُدِّ غابت صفاتُهمْ   وقامت صِفاتُ الودِّ للحقّ بالذِّكرِ

---

(١) فى المطبوعة : « نصر » والمثبت من : د ، والطبقات الوسطى .
(٢) فى الطبقات الوسطى : « رأسها » .

أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفَّر ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أحمد بن هبة الله بن عساكر ، بقراءتى عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل القارِى ، إجازةً ، أخبرنا هِبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القُشَيْرِىّ ، سماعا عليه إملاء ، قال : سمعت الشيخ أبا سعيد محمد بن عبد العزيز الصَّفّار ، قال : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، قال : سمعت منصور بن عبد الله ، قال : سمعت أبا عُمر الأَنْماطِىّ ، قال : قال رجل للجُنَيد : على ماذا يتأسَّف المحبُّ مِن أوقاته ؟ فقال : على زمانِ بَسْطٍ أورث قَبضا ، أو زمانِ أنس أورث وحشة ، ثم أنشأ يقول :

قد كان لى مَشْربٌ يصفو بقُرْبِكُم[1] فكدَّرتْه يدُ الأيام حين صَفا

وبه إلى هبة الرحمن القُشَيْرىّ ، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذِّن ، أخبرنا أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهَانىّ ، قال : سمعت أبا الحسن على بن هارون بن محمد ، وأبا بكر محمد بن أحمد المُفِيد ، يقولان : سمعنا أبا القاسم الجُنَيد ابن محمد غير مَرّة يقول : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقّه لا يُقتدى به .

وأخبرناه أيضًا أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الخِلاطِىّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع بالقاهرة ، أخبرنا نَفيس الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم بن أبى القاسم ، أخبرنا والدى ، أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطُّوسِىّ ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزَّاق الزَّعفرانىّ البغدادىّ ، قراءةً عليه فى المحرم سنة سبع وخمسمائة ، قيل له : أخبركم أبو الحسن على بن أحمد بن على بن عبد الله الحافظ الصَّقَلِّىّ ، أخبرنا أبو الحسن على بن هارون بن محمد ، وأبو بكر محمد بن أحمد المُفيد ، قالا : سمعنا أبا القاسم الجُنَيد بن محمد رحمه الله يقول : تفقَّهتُ على مذهب أصحاب الحديث ، كأبى عُبيد ، وأبى ثَوْر ، وصحبتُ الحارث

---

(١) فى طبقات الصوفية ١٦٣ « برؤيتكم » وفى الطبقات الوسطى « بذكركم » . والمثبت فى المطبوعة ، د .

المُحاسِبِىّ ، وسَرِىّ بن المُغَلِّس رحمةُ الله عليهم ، وذلك كان سببَ فلاحى ، إذ عِلمُنا هذا مضبوط بالكتاب والسنَّة ، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ويتفقَّه قبْل سُلوكه فإنه لا يجوز الاقتداء به .

أخبرنا الشيخ الوالد رحمه الله ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا عبد الرحمن بن مخلوف بن جَماعة .

ح : وأخبرنا يحيى بن يوسف المِصرىّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، قالا : أخبرنا عبد الوهّاب بن ظافر بن رَواج ، قال ابن جماعة : سماعا ، وقال شيخنا : إجازة ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفىّ ، أخبرنا أبو الحسن العَلّاف ، أخبرنا أبو الحسن الحَمَّامِىّ ، حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر الخُتُّلِىّ ، سمعت أبا القاسم بن بُكير ، قال : سمعت الجُنَيد يقول : بُنِى أمرنا هذا على أربع : لا نتكلم إلا عن وجود ، ولا نأكل إلا عن فاقة ، ولا ننام إلا عن غَلَبَة ، ولا نسكت إلا عن خشية .

(ذكر نُخب وفوائد عن أبى القاسم رحمه الله)

● هل الأفضل للمحتاج أن يأخذ من الزكاة أو صدقة التطوع ؟

قال الغزالىّ فى « الإحياء »[1] : اختلف فيه السلف ، وكان الجُنَيد والخَوّاص وجماعة يقولون : الأخذ من الصدقة أفضل ؛ لئلا يُضيِّق على الأصناف ، ولئلا يُخلّ بشرط من شروطها . وقال آخرون : الزكاة أفضل لأنها إعانة على واجب ، ولو ترك أهل الزكاة أخذها أَثِموا ؛ ولأن الزكاة لا مِنَّة فيها .

قال الغزالىّ : والصواب أنه يختلف بالأشخاص ، فإن عَرض له شبهةٌ فى استحقاقه لم يأخذ الزكاة ، وإن قطع باستحقاقه يُنظر ؛ إن كان المتصدِّق إن لم يأخذها هذا لم يتصدق

---

(١) ١ / ٢٠٦ والمصنف ينقل عن الغزالى بتصرف .

فلْيأخذ الصدقة ، فإن إخراج الزكاة لا بد منه ، وإن كان لا بد من إخراج تلك الصدقة يُخيَّر ، قال : وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس .

٦١

الحارث بن أسد المُحاسِبىّ*

أبو عبد الله

عَلَمُ العارفين فى زمانه ، وأستاذ السائرين ، الجامع بين عِلْمَى الباطن والظاهر ، شيخ الجُنَيد .

ويقال : إنما سُمّى المُحاسِبىّ لكثرة محاسبته لنفسه .

قال ابن الصَّلاح : ذكره الأستاذ أبو منصور فى الطبقة الأولى ، فيمن صَحِب الشافعىّ وقال : كان إمام المسلمين فى الفقه والتصوف والحديث والكلام ، وكتبُه فى هذه العلوم أصول مَن يصنِّف فيها ، وإليه يُنسب أكثر متكلِّمى الصِّفاتية ..

ثم قال : لو لم يكن فى أصحاب الشافعىّ فى الفقه والكلام والأصول والقياس ، والزهد والورع والمعرفة إلا الحارث المُحاسِبىّ لكان مُغَبِّرا فى وجوه مخالفيه ، والحمد لله على ذلك .

قال ابن الصَّلاح : صُحبتُه للشافعىّ لم أر أحدا ذكرها سواه ، وليس أبو منصور من أهل هذا الفن فيُعتمدَ فيما تفرّد به ، والقرائن شاهدة بانتفائها .

قلت : إن كان أبو منصور صرّح بأنه صحب الشافعىّ فالاعتراض عليه لائح ، وإلا فقد يكون أراد بالطبقة الأولى مَن عاصر الشافعىّ ، وكان فى طبقة الآخذين عنه ، وقد ذكره فى الطبقة الأولى أيضا أبو عاصم العَبّادِىّ ، وقال : كان ممّن عاصر الشافعىّ واختار مذهبَه ، ولم يقل : كان ممّن صحبه . فلعلّ هذا القَدْرَ مُراد أبى منصور .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٨/ ٢١١ ، تهذيب التهذيب ٢/ ١٣٤ ، حلية الأولياء ١٠/ ٧٣ ، الرسالة القشيرية ١٥ ، شذرات الذهب ١ / ١٠٣ ، صفة الصفوة ٢ / ٢٠٧ ، طبقات الصوفية ٥٦ ، طبقات الشعرانى ١ / ٦٤ ، العبر ١ / ٤٤٠ ، ميزان الاعتدال ١ / ١٩٩ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٤٨ .

روى الحارث عن يزيد بن هارون ، وطبقته .

روى عنه أبو العباس بن مَسرُوق ، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفىّ ، والشيخ الجُنَيد ، وإسماعيل بن إسحاق السَّرَّاج ، وأبو على الحسين بن خَيران الفقيه ، وغيرهم .

قال الخطيب : له كتب كثيرة فى الزهد وأصول الديانة ، والرد على المعتزلة والرافضة .

قلت : كتبه كثيرة الفوائد جمّة المنافع ، وقال جمع من الصوفية : إنها تبلغ مائتى مصنَّف .

قال الأستاذ أبو عبد الله بن خَفِيف : اقتدوا بخمسة من شيوخنا ، والباقون سَلِّموا إليهم أحوالهم : الحارث بن أسد المُحاسِبِىّ ، والجُنَيد بن محمد ، وأبو محمد رُوَيْم ، وأبو العباس بن عطاء ، وعمرو بن عثمان المَكِّىّ ، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق .

وقال جعفر الخُلْدىّ : سمعت الجُنَيد يقول : كنت كثيرا أقول للحارث : عزلتى أُنسى . فيقول : كم تقول أُنسى وعزلتى ! لو أن نصف الخلق تقرَّبوا منّى ما وجدتُ بهم أُنْسًا ، ولو أن نصف الخلق الآخَر نأَوا عنى ما استوحشت لبُعْدهم .

قال : وسمعت الجُنَيد يقول : كان الحارث كثير الضُّرّ ، فاجتاز بى يوما وأنا جالس على بابنا ، فرأيت على وجهه زيادة الضُّرّ من الجوع ، فقلت له : يا عمّ ، لو دخلتَ إلينا نلتَ من شىء من عندنا ! وعَمَدت إلى بيت عمى ، وكان أوسع من بيتنا ، لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها فى بيتنا سريعا ، فجئت بأنواع كثيرة من الطعام ، فوضعته بين يديه ، فمدّ يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه ، فرأيته يَعلِكها ولا يَزدَرِدها ، ثم وثب وخرج وما كلّمنى ، فلما كان الغد لقيته فقلت له : يا عمّ سررتنى ثم نَغَّصت علىَّ ! قال : يا بُنى ، أمّا الفاقة فكانت شديدة ، وقد اجتهدت فى أن أنال من الطعام الذى قدمتَه إلىّ ، ولكنّ بينى وبين الله علامةً ، إذا لم يكن الطعام مَرضِيًّا ارتفع إلى أنفى منه زَفرة فلم تقبله نفسى ، فقد رميت بتلك اللُّقمة فى دِهليزكم .

وفى رواية أخرى : كان إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرّك له عِرق فى أصبعه ، فيمتنع منه .

وقال الجُنَيد : مات أبو الحارث يوم مات وإن الحارث لمحتاج إلى دانِق فضة ، وخلّف أبوه مالا كثيرا ، وما أخذ منه حَبّة واحدة ، وقال : أهل مِلَّتين لا يتوارثان ، وكان أبوه رافضيا[1] .

وقال أبو على بن خَيران الفقيه : رأيت الحارث بباب الطاق[2] ، فى وسط الطريق ، متعلِّقا بأبيه ، والناس قد اجتمعوا عليه يقول : أمى طلِّقها ؛ فإنك على دين وهى على دينٍ غيره .

● وهذا من الحارث بناء على القول بتكفير القَدَرِيّة ، فلعله كان يرى ذلك . وأما الحكاية المتقدمة فى أنه لم يأخذ من ميراث أبيه ، فلعله ترك الأخذ من ميراثه ورَعًا ، لأنه فى محل الخلاف ، إذ فى تكفير القَدَريّة خِلاف ، وفى نفى التوارُث بناء على التكفير أيضا خلاف . وابن الصلاح جعل عدم أخذه من ميراث أبيه دليلا منه على أنه يقول بالتكفير . وفيه نظر ؛ لاحتمال أنه فعل ذلك ورعا . وقد صرّح بعضهم بذلك ، وبأن الله عوَّضه عن ذلك بأنه كان لا يدخل بطنه إلا الحلال المحض ، كما تقدم .

وأما حمله أباه على أن يطلِّق امرأته ، فصريح فى أنه كان يرى التكفير ، إذ لا محل للورع هنا .

وقيل : أنشد قوّال بين يدى الحارث هذه الأبيات :

أنا فى الغُرْبة أبكِى ... ما بكتْ عينُ غريبِ
لم أكن يومَ خُروجى ... مِن بلادى بمُصيبِ
عجبًا لى ولتَرْكى ... وطنًا فيه حبيبى

فقام يتواجد ويبكى ، حتى رحمه كلُّ مَن حضره .

وروى الحسين بن إسماعيل المَحامِلىّ القاضى ، قال : قال أبو بكر بن هارون بن المُجَدَّر :

(١) فى الطبقات الوسطى . « واقفيا » .

(٢) محلة كبيرة كانت ببغداد ، بالجانب الشرقى . المراصد ١٤٥ .

سمعت جعفر ابن أخى أبى ثَوْر يقول : حضرت وفاة الحارث فقال : إن رأيتُ ما أُحب تبسّمت إليكم ، وإن رأيت غير ذلك تنسَّمتم فى وجهى . قال : فتبسّم ثم مات .

قوله : « تنسَّمتم فى وجهى » بفتح التاء المثناة من فوق بعدها نون ثم سين ، ضبطناه لئلا يتصحّف .

توفى الحارث سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(ذكر البحث عما كان بينه وبين الإمام أحمد)

● أول ما نقدمه ، أنه ينبغى لك أيّها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم فى بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح ، ثم إن قَدَرت على التأويل وتحسين الظن فدونك ، وإلا فاضرب صفحا عمّا جرى بينهم ؛ فإنك لم تُخلق لهذا ، فاشتغل بما يَعنيك ودع مالا يَعنيك . ولا يزال طالب العلم عندى نبيلا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ، ويقضى لبعضهم على بعض . فإيّاك ثم إيّاك أن تُصغىَ إلى ما اتفق بين أبى حنيفة وسُفيان الثَّورِىّ ، أو بين مالك وابن أبى ذِئب ، أو بين أحمد بن صالح والنَّسائىّ ، أو بين أحمد ابن حنبل والحارث المُحاسِبِىّ ، وهلمّ جَرًّا ، إلى زمان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقىّ الدين بن الصَّلاح ، فإنك إن اشتغلت بذلك خشيتُ عليك الهلاك . فالقوم أئمة أعلام ، ولأقوالهم مَحامِل ، ربما لم يُفهم بعضها ، فليس لنا إلا الترضّى عنهم والسكوت عما جرى بينهم ، كما يُفعل فيما جرى بين الصحابة رضى الله عنهم .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن الإمام أحمد رضى الله عنه ، كان شديد النكير على من يتكلم فى علم الكلام ، خوفا أن يجرّ ذلك إلى مالا ينبغى ، ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدعُ إليه الحاجة أولى ، والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة ، وكان الحارث قد تكلّم فى شيء من مسائل الكلام .

قال أبو القاسم النَّصراباذىّ : بلغنى أن أحمد ابن حنبل هجره بهذا السبب .

قلت : والظن بالحارث أنه إنما تكلم حين دعت الحاجة ، ولكلّ مَقْصِد ، والله يرحمهما .

وذكر الحاكم أبو عبد الله أن أبا بكر أحمد بن إسحاق الصِّبْغِيّ أخبره ، قال : سمعت إسماعيل بن إسحاق السرَّاج يقول : قال لى أحمد بن حنبل : بلغنى أن الحارث هذا يُكثر الكونَ عندك ، فلو أحضرته منزلك وأجلستنى من حيث لا يرانى ، فأسمع كلامه . فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة ، وأن يُحضر أصحابه ، فقال : فيهم كثرة ، فلا تَزِدْهم على الكُسْب[1] والتمر . فأتيت أبا عبد الله فأعلمته ، فحضر إلى غرفة ، واجتهد فى وِرْده ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم صلّوا العَتَمة ، ولم يصلّوا بعدها ، وقعدوا بين يدى الحارث لا ينطقون إلى قريب نصف الليل ، ثم ابتدأ رجل منهم فسأل عن مسألة ، فأخذ الحارث فى الكلام ، وأصحابه يستمعون كأن على رؤوسهم الطير ، فمنهم من يبكى ومنهم من يَحِنّ ، ومنهم من يَزعَق ، وهو فى كلامه ، فصعدت الغرفة لأتعرّف حال أبى عبد الله ، فوجدته قد بكى حتى غُشِيَ عليه ، فانصرفت إليهم ، ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا وذهبوا . فصعدت إلى أبى عبد الله ، فقال : ما أعلم أنى رأيت مثل هؤلاء القوم ، ولا سمعت فى علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ! ومع هذا فلا أرى لك صُحبتهم . ثم قام وخرج . وفى رواية أخرى أن أحمد قال : لا أُنكر من هذا شيئًا .

قلت : تأمّل هذه الحكاية بعين البصيرة ، واعلم أن أحمد بن حنبل إنما لم ير لهذا الرجل صحبتهم ؛ لقُصوره عن مَقامهم ، فإنهم فى مَقامٍ ضيّق لا يسلكه كل أحد ، فيُخاف على سالكه ، وإلا فأحمد قد بكى وشكر الحارث هذا الشكر ، ولكلّ رأىٌ واجتهاد . حشرنا الله معهم أجمعين فى زمرة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم .

---

(١) الكسب ، بالضم : عصارة الدهن .

(ذكر شيء من الرواية عن الحارث)

أخبرنا الحافظ أبو العباس أحمد بن المظفَّر النابُلْسِيّ ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أقضى القضاة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن نجم الدين محمد بن سالم بن يوسف بن صاعد بن السِّلْم النابُلسِيّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا الشيخ تقى الدين أبو على الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقى ، سماعا ، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفىّ ، سماعا عليه .

ح : وكتب إلىّ أحمد بن على الجَزَرِىّ ، وفاطمة بنت إبراهيم ، وغيرهما ، عن محمد بن عبد الهادى ، عن السِّلَفىّ ، أخبرنى الشيخ أبو بكر أحمد بن على بن الحسين ، فيما قرأت عليه من أصل سماعه ، بمدينة السلام ، فى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، أخبرنا والدى أبو الحسن على بن الحسين الطُّرَيْثِيثِىّ[1] الصوفىّ ، حدثنا أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله المالِينىّ ، لفظا ، أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الشِّمْشاطِىّ[2] ، حدثنا أحمد بن القاسم بن نصر ، أخبرنا الحارث بن أسد المُحاسِبىّ العَنْزِىّ[3] ، أخبرنا يزيد بن هارون ، عن شعبة ، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن عطاء الكَيْخارانِىّ[4] أو الخُراسانىّ ، عن أم الدَّرداء ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِى مِيزَانِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الخُلُقِ » .

أخبرنا الشيخ المسنِد تاج الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليَسَر ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا جَدِّى أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبى سعد النيَّسابورىّ .

---

(١) نسبة إلى طريثيث – بضم أوله وفتح ثانية ثم ياء مثناة من تحت وثاء مثلثة – ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور . ياقوت ٣ / ٥٣٤ .

(٢) نسبة إلى شمشاط – بكسر أوله وسكون ثانية وشين مثل الأولى وآخره طاء مهملة – مدينة بالروم على شاطئ الفرات . ياقوت ٣ / ٣١٩ .

(٣) فى الأصول: « العزى » وأثبتنا ما فى طبقات الصوفية ٥٦ . وانظر اللباب ٢ / ١٥٦ .

(٤) بفتح أولها وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الخاء وسكون الألفين بينهما راء مفتوحة وبعدهما نون ، هذه النسبة إلى كيخاران ، وهى قرية من قرى اليمن . اللباب ٣ / ٦٤ . وفيه : « قال أبو العباس المستغفرى : كيخارا من قرى مرو . وليس بصحيح ، فإن هذه القرية لا تعرف بمرو ، وإنما هى من اليمن » .

ح : وأخبرنا أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن عمر بن الحَمَوِىّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا ابن البُخارىّ ، أخبرنا ابن طَبَرْزَد .

ح : وأخبرنا الوالد تغمده الله برحمته قراءةً عليه ، أخبرنا أبو محمد الدِّمياطِىّ الحافظ ، أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ ، أخبرنا أبو القاسم الأَزَجِىّ[1] ، أخبرنا أبو طالب اليُوسُفِىّ ، قال النَّيسابورىّ وابن طَبَرْزَد : أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارىّ قال : سمعت ، وقال اليوسفىّ : قال النيسابورىّ : أخبرنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرىّ ، سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد بن عُبيد العَسكرىّ يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن مَسروق يقول : سمعت حارثا المُحاسِبىّ يقول : ثلاثة أشياءَ عزيزة أو معدومة : حسنُ الوجه مع الصيانة ، وحسنُ الخُلقِ مع الديانة ، وحسنُ الإخاء مع الأمانة .

● أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفَّر بقراءتى عليه ، أخبرنا ابن السِّلْم ، أخبرنا الأوقى ، أخبرنا السِّلَفىّ ، أخبرنى الشيخ أبو بكر أحمد بن على بن الحسين بن زكريا الصُّوفىّ ، فيما قرأت عليه ، أخبرنا والدى أبو الحسن على بن الحسين الطُّرَيْثِيثىّ الصوفىّ ، حدثنا أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفص بن خليل الهروىّ المَالِينىّ ، لفظا ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن بنت أبى حفص النَّسائىّ ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد المَلَطِىّ[2] ، أخبرنا محمد بن أحمد بن أبى شَيْخ ، قال : قال لى أحمد بن الحسن الأنصارىّ : سألت الحارث المُحاسِبىّ عن العقل فقال : هو نور الغريزة مع التجارب ، يزيد ويَقوى بالعلم والحِلْم .

قلت : هذا الذى قاله الحارث فى العقل قريب مما نُقل عنه ، أنه غريزة يتأتَّى بها دَرْك العلوم . وسنتكلم عن ذلك .

---

(١) فى المطبوعة : « الأرجى » بالراء المهملة ، والتصويب من د ، اللباب ١ / ٣٥ ، وهو بفتح الألف والزاى وفى آخرها الجيم ، نسبة إلى باب الأزج ، وهى محلة كبيرة ببغداد .

(٢) بفتح الميم واللام وفى آخرها طاء مهملة . هذه النسبة إلى مدينة ملطية . قال ابن الأثير : وكانت من ثغور الروم ، وهى الآن فى بلاد الإسلام . اللباب ٣ / ١٧٦ .

(ومن كلمات الحارث والفوائد عنه)

أصل الطاعة الورعُ ، وأصل الورع التقوى ، وأصل التقوى محاسبةُ النفس ، وأصل محاسبة النفس الخوفُ والرجاء ، وأصل الخوف والرجاء معرفةُ الوعد والوعيد ، وأصل معرفة الوعد والوعيد داءٌ عظيم الجزاء[1] ، وأصل ذلك الفكرةُ والعبرةُ ، وأصدق بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت الأنصاريّ رضى الله عنه :

وما حَملتْ من ناقةٍ فوق كُورِها أعزَّ وأوفى ذمَّةً من محمدِ[2]

قلت : وهذا حق . ونظير هذا البيت فى الصدق قول حسان أيضا :

وما فقد الماضونَ مثلَ محمدٍ ولا مثلُه حتى القيامةِ يُفقدُ[2]

وقوله ﷺ : « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ » قَالَهَا لَبِيدٌ[3] :

* ألا كلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ *

ذاك أصدق كلمات لبيد نفسه ، فلا ينافى هذا .

وقال الحارث : العلم يورث المخافةَ ، والزهدُ يورث الراحة ، والمعرفةُ تورث الإنابة ، وخيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتُهم عن دنياهم ، ولا دنياهم عن آخرتهم ، ومن حسُنت معاملته فى ظاهره مع جُهد باطنه ورَّثه الله الهداية إليه ؛ لقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4] .

وقال : حُسْن الخلُق احتمالُ الأذى ، وقلّة الغضب ، وبسط الرحمة ، وطِيب الكلام . ولكلّ شىء جوهر ، وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر ، والعمل بحركات القلوب فى مطالعات الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح .

---

(١) فى حلية الأولياء ١٠ / ٧٦ : « ومعرفة أصل معرفة الوعد والوعيد عظم الجزاء » .

(٢) البيت الأول ليس فى ديوان حسان المطبوع . وينسب أيضًا إلى أنس بن زنيم ، وإلى سارية ابن زنيم أيضًا . انظر الإصابة ١/٧٠ ، ٣/٥٢ ، أما البيت الثانى فهو فى ديوان حسان ٨٥ .

(٣) ديوانه ٢٥٦ . وعجزه :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ *

(٤) الآية الأخيرة من سورة العنكبوت .

وقال : إذا أنت لم تسمع نداء الله فكيف تجيب دعاه[1] ! ومن استغنى بشيء دون الله جَهِل قَدْرَ الله ، والظالم نادم وإن مدحه الناس ، والمظلوم سالم وإن ذمَّه الناس ، والقانع غنيّ وإن جاع ، والحريص فقير وإن ملَك ، ومن لم يشكرِ الله تعالى على النِّعمة فقد استدعَى زوالَها .

● قال إمام الحرمين فى « البرهان » عند الكلام فى تعريف العقل : وما حوّم عليه أحدٌ من علمائنا غير الحارث المُحاسبِىّ ؛ فإنه قال : العقل غريزة يتأتى بها دَرْك العلوم ، وليست منها[2] . انتهى .

وقد ارتضى الإمام كلام الحارث هذا ، كما ترى ، وقال عَقيبه : إنه صفة إذا ثبتت يتأتّى بها التوصلُ إلى العلوم النظرية ، ومقدِّماتِها من الضروريات التى هى من مستنَد النظريات . انتهى .

وهو منه بناء على أن العقل ليس بعلم . والمعزوّ إلى الشيخ أبى الحسن الأشعرىّ : أنه العلم .

وقال القاضى أبو بكر : إنه بعض العلوم الضرورية .

والإمام حكى فى « الشامل » مقالة الحارث هذه التى استحسنها [هنا][3] ، وقال : إنا لا نرضاها ، ونتَّهم فيها النَّقَلة عنه .

ثم قال : ولو صح النقل عنه فمعناه أن العقل ليس بمعرفة الله تعالى ، وهو إذا أطلَق المعرفة أراد بها معرفة الله فكأنه قال : ليس العقل بنفسه بمعرفة الله تعالى ، ولكنه غريزة ، وعنى بالغريزة أنه عالم لأمرٍ جَبَل الله عليه العاقل ، ويُتوصَّل به إلى معرفة الله . انتهى كلامه فى « الشامل » .

والمنقول عن الحارث ثابت عنه . وقد نص عليه فى كتاب « الرعاية » وكأن إمام الحرمين نظر كلام الحارث بعد ذلك ، ثم لاحت له صحّته بعدما كان لا يرضاه .

واعلم أنه ليس فى ارتضاء مذهب الحارث واعتقاده ما يُنتقد ، ولا يلزمه قولٌ بالطبائع ، ولا شيءٌ من مقالات الفلاسفة كما ظنه بعض شرّاح كتاب « البرهان » . وقد قررنا هذا

---

(١) فى طبقات الصوفية ٦٠ : داعى الله .
(٢) البرهان ١/ ١١٢ .
(٣) من : د .

فى غير هذا الموضع . وقول إمام الحرمين : « إنه أراد معرفة الله » ممنوع ، فقد قدّمنا عن الحارث بالإسناد قوله : « إنه نور الغريزة ، يَقوى ويزيد بالتقوى » . نعم ، الحارث لا يريد بكونه نورا ما تدّعيه الفلاسفة .

٦٢

داود بن على بن خَلَف

أبو سليمان البغدادىّ الأصبَهانىّ*

إمام أهل الظاهر .

ولد سنة مائتين ، وقيل سنة اثنتين ومائتين .

وكان أحد أئمة المسلمين وهداتهم . وله فى فضائل الشافعىّ رحمه الله مصنَّفات .

سمع سليمان بن حَرب ، والقَعْنَبِىّ ، وعمرو بن مرزوق ، ومحمد بن كثير العَبدِىّ ، ومُسَدَّدا ، وأبا ثور الفقيه ، وإسحاق بن راهُويه ؛ رحل إليه إلى نيسابور ، فسمع منه المسنَد والتفسير ، وجالس الأئمة ، وصنَّف الكتب .

قال أبو بكر الخطيب : كان إماما ورعا ناسكا زاهدا ، وفى كتبه حديث كثير ، لكن الرواية عنه عزيزة جدًّا . روى عنه ابنه محمد ، وزكريا السَّاجِىّ ، ويوسف بن يعقوب الدَّاوُدِىّ[1] الفقيه ، وعباس بن أحمد المذكِّر[2] وغيرهم .

وقال أبو إسحاق الشِّيرازِىّ . ولد سنة اثنتين ومائتين[3] وأخذ العلم عن إسحاق

---

* له ترجمة فى : أنساب السمعانى ١٣٧٧، تاريخ بغداد ٣٦٩/٨، تذكرة الحفاظ ٥٧٢/٢، ٥٧٣، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٢ / ٤١٩ ، ذكر أخبار أصبهان ١ / ٣١٢ ، شذرات الذهب ٢ / ١٥٨ ، طبقات الشيرازى ٧٦ ، العبر ٢ / ٤٥ ، الفهرست لابن النديم ٣٠٣ ، لسان الميزان ٢ / ٤٢٢ ، ميزان الاعتدال ١ / ٣٢١ ، وفيات الأعيان ٢ / ٢٦ .

(١) فى المطبوعة : « الداوردى » والمثبت من : د ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٧٠ .

(٢) فى المطبوعة : « المذكور » ، والمثبت من : د ، والطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد ٨ / ٣٧٠ .

(٣) بعده فى طبقات الشيرازى : ومات سنة تسعين ومائتين .

وأبي ثور ، وكان زاهدا متقلّلا ، وقال أبو العباس ثَعلب : كان داود عقلُه أكثر من علمه .

قال الشيخ أبو إسحاق : وقيل : كان فى مجلسه أربعمائة صاحب طَيْلَسان أخضر ، وكان من المتعصِّبين للشافعي . صنّف كتابين فى فضائله والثناءِ عليه .

وقال أبو إسحاق : وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد . وأصله من أصْفهان ، ومولده بالكوفة ، ومنشأه ببغداد وقبره بها[1] .

وقال أبو عمرو أحمد بن المبارك المُستَمْلِى[2] : رأيت داود بن علىّ يردّ على إسحاق بن راهُويه ، وما رأيت أحدا قبله ولا بعده يردّ عليه ؛ هيبةً له .

وقال عمر بن محمد بن بُجَيْر[3] : سمعت داود بن على يقول : دخلت على إسحاق ابن راهُويه وهو يحتجم ، فجلست فرأيت كتاب[4] الشافعىّ ، فأخذت أنظر ، فصاح : أيش تنظر ؟ فقلت : ﴿ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ﴾[5] فجعل يضحك ويتبسّم .

● وقال سعيد البَرْدِعِىّ : كنا عند أبى زُرْعة ، فاختلف رجلان فى أمر داود والمُزَنىّ . والرجلان فَضْلَك الرازىّ وابن خِراش . فقال ابن خِراش : داود كافر ، وقال فَضْلَك : المزنىّ جاهل . فأقبل عليهما أبو زُرْعة فوبّخهما وقال : ما واحدٌ منكما له بصاحب ! ثم قال : نرى داود هذا لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم ، لظننتُ أنه يكمِد أهل البدع بما عنده من البيان والأدلة ، ولكنه تعدّى . لقد قدم علينا من نيسابور فكتب إلىّ محمد بن رافع ،

---

(١) فى طبقات الشيرازى : « وقبره فى الشونيزية » .

(٢) بضم الميم وسكون السين وفتح التاء ثالث الحروف وسكون الميم ، وفى آخرها لام . ويقال هذا لمن يستملى على العلماء . اللباب ٣ / ١٣٦ .

(٣) اضطربت الأصول فيه . وصححناه من سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠٢ ، وحواشيه .

(٤) فى المطبوعة والطبقات الوسطى « كتب » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة رقم ١٦٣ تاريخ ، بدار الكتب المصرية من الطبقات الكبرى .

(٥) سورة يوسف ٧٩ .

ومحمد بن يحيى ، وعمر بن زُرارة ، وحسين بن منصور ، ومَشْيخة نيسابور بما أحدث هناك ، فكتمت ذلك لما خِفت من عواقبه ، ولم أُبد له شيئًا ، فقدم بغداد ، وكان بينه وبين صالح بن أحمد حُسنٌ[1] ، فكلّم صالحا أن يتلطف له فى الاستئذان على أبيه ، فأتَى[2] وقال : سألنى رجل أن يأتيَك ، قال : ما اسمه ؟ قال : داود ، قال ابن مَن[3] ؟ قال : هو من أهل أصبهان ، وكان صالح يروغ عن تعريفه ، فما زال أبوه يفحَص حتى فطِن به ، فقال : هذا قد كتب إلىَّ محمد بن يحيى فى أمره أنه زعم أن القرآن محدَث فلا يقرَبنّى ، قال : إنه يَنْتفى من هذا ويُنكره ، قال : محمد بن يحيى أصدق منه ، لا تأذن له .

قال الخَلّال : أخبرنا الحسين بن عبد الله قال : سألت المَرْوَزِىّ عن قصة داود الأصبهانىّ ، وما أنكر عليه أبو عبد الله ، فقال : كان داود خرج إلى خُراسان إلى ابن راهُويه ، فتكلم بكلام شهد عليه أبو نصر بن عبد المجيد وآخر ؛ شهدا عليه أنه قال : إن القرآن محدَث ، فقال لى أبو عبد الله بن داود بن على : لا فرّج الله عنه .

قلت : هذا من غلمان أبى ثَور ، قال : جاءنى كتاب محمد بن يحيى النَّيسابورىّ أن داود الأصبهانىّ قال ببلدنا : إن القرآن محدَث .

قال المروزِىّ : حدثنى محمد بن إبراهيم النَّيسابورىّ أنَّ إسحاق بن راهُويه لما سمع كلام داود فى بيته ، وثب عليه إسحاق فضربه ، وأنكر عليه .

قال الخلّال : سمعت أحمد بن محمد بن صَدَقة ، سمعت محمد بن الحسين بن صَبيح ، سمعت داود الأصبهانىّ يقول : القرآن محدَث ، ولفظى بالقرآن مخلوق .

أخبرنا سعيد بن أبى مُسلم ، سمعت محمد بن عَبْدة يقول : دخلت إلى داود ، فغضب علىَّ أحمد بن حنبل ، فدخلت عليه فلم يكلمنى ، فقال له رجل : يا أبا عبد الله ، إنه ردّ عليه مسألة ! قال : وما هى ؟

● قال ، قال : الخُنْثى إذا مات مَن يغسّله ؟ فقال داود : يغسّله الخدم ، فقال محمد بن عَبدة :

---

(١) فى المطبوعة « وحشة » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ . وسير أعلام النبلاء ٩٩/١٣ .

(٢) فى السِّيَر : فأتى صالحٌ أباه ...

(٣) الذى فى السِّيَر : مِن أين هو ؟

الخدم رجال ! ولكن يُيَمَّم ، فتبسم أحمد وقال : أصاب [أصاب][1] ما أجود ما أجابه !

قلت : ليس فى جواب داود فى مسألة الخُنثى ما هو بالغ فى النُّكرة !

وفى مذهبنا وجه أنه يُيمَّم ، وآخر أنه يُشترى من تركته جارية لتغسّله ، والصحيح أنه يُغسّله الرجال والنساء جميعا ؛ للضرورة واستصحابا لحكم الصِّغَر .

فقول داود : « يغسّله الخدم » ليس ببعيد فى القياس أن يذهب إليه ذاهب ، ولا واصل إلى أن يُجعل مما يُضحك منه !

وقد كان داود موصوفا بالدين المتين . قال القاضى المَحامِلِىّ : رأيت داود بن على يصلى ، فما رأيت مسلما يشبهه فى حسن تواضعه .

قال ابن كامل : توفى داود فى رمضان سنة سبعين ومائتين .

(ذكر شيء من الرواية عنه)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إذنا خاصا ، أنبأنا ابن سلامة ، عن اللَّبّان ، عن الشِّيُرُوِيّ[2] ، أخبرنا عبد الكريم بن محمد أبو نصر الشِّيرازِىّ ، قراءةً عليه ، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن حَمْكُويه المفسّر الرُّويانِىّ بآمُل ، أخبرنا والدى ، أخبرنا أبو تُراب على بن عبد الله بن القاسم البصرىّ بالدِّينَوَر ، حدثنا داود بن على بن خلف البغدادىّ المعروف بالأصبهانىّ ، حدثنا أبو خَيْثَمة ، حدثنا بِشر بن السَّرِىّ ، حدثنا حمَّاد بن سَلَمَة ، عن ثابت ، عن ابن أبى ليلى ، عن صُهَيب ، عن النبى ﷺ قال : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ . فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُثْقِلْ مَوَازِينَنَا ؟ ... » الحديث .

● قلت : كذا أورد شيخنا الذهبىّ بعض الحديث على عادته فى كثير من الأوقات . وأنا لا أحب ذلك .

---

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) فى المطبوعة « السروى » وفى د : « الشروى » ، وفى النسخة ١٦٣ : « الشيروى » ولعل ما أثبتناه أقرب لما فى اللباب ٢ / ٤١ ، وهو بكسر الشين وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء وسكون الواو ، وفى آخرها ياء أخرى . نسبة إلى شيرويه .

وعندى أنه لا يجوز روايته بكماله ، وإنما يُروى منه ما صرّح به ، فلهذا اتبعته ، واقتصرت على القَدْر الذى ذكره منه . ولو قال لى علقمة : حدثنى عمر بن الخطاب بحديث « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » لما قلت إلا : قال لى عَلْقمة حدثنى عمر بحديث « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ولم أَقل : قال لى عَلْقمة : حدثنى عمر أن النبى ﷺ قال : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » ولو قلت ذلك لكنت كاذبا على عَلْقمة ؛ فإنه لم يقل لى ذلك ، بل لو قلت : إن علقمة حدثنى بحديث « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » والحالة هذه لكذبت عليه ، فإنه لم يحدثنى به . فافهم واحترز وراقب قوله ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

فإن قلتَ : قد نقل الخطيب أن أبا بكر الإسماعيلىّ سئل عمّن قرأ إسناد الحديث على الشيخ ثم قال : وذكر الحديث ، هل يجوز أن يحدِّث بجميعه ؟ فقال : أرجو أن يجوز . وذكر قريبا منه عن أبى على الزَّجَّاجِىّ الطَّبرىّ .

قلت : أفتى الأستاذ أبو إسحاق فى « المسائل الحديثية » التى سأله عنها الحافظ أبو سعد بن[1] عَلِيَّك بأن هذا لا يجوز . وهذا هو الأرجح عندى .

(ومن حديث داود)

ما رواه أبو بكر محمد ابنه عنه قال : حدثنى سُوَيد بن سعيد ، قال : حدثنى على ابن مُسْهِر عن أبى يحيى القَتّات[2] عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » .

قال الحاكم أبو عبد الله : أنا أتعجَّب من هذا الحديث ! فإنه لم يحدِّث به عن سُوَيد ابن سعيد ثقةٌ ! وداود وابنه ثقتان .

---

(١) فى المطبوعة : « أبو سعدان عليك » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ . وانظر المشتبه ٤٦٩ .
(٢) انظر المشتبه ٥١٩ .

ومن حديث داود أيضًا « مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

رواه الخطيب فى ترجمة داود ، والحمل فيه على الراوى عنه العباس بن أحمد بن المُذكِّر[1] .

(ذكر اختلاف العلماء فى أن داود وأصحابه هل يُعتَدُّ بخلافهم فى الفروع)

الذى تحصّل لى فيه من كلام العلماء ثلاثة أقوال :

أحدها : اعتباره مطلقا ، وهو ما ذكر الأستاذ أبو منصور البغدادىّ أنه الصحيح من مذهبنا . وقال ابن الصلاح : إنه الذى استقر عليه الأمر آخِرا .

والثانى : عدم اعتباره مطلقا ، وهو رأى الأستاذ أبى إسحاق الإسفَراينىّ ، ونقله عن الجمهور ، حيث قال : قال الجمهور : إنهم – يعنى نُفاة القياس – لا يبلغون رتبة الاجتهاد ، ولا يجوز تقليدهم القضاء ، وإن ابن أبى هريرة وغيرَه من الشافعيّين لا يعتدُّون بخلافهم فى الفروع .

وهذا هو اختيار إمام الحرمين ، وعَزاه إلى أهل التحقيق ، فقال : والمحقّقون من علماء الشريعة[2] لا يقيمون لأهل الظاهر وزنا . وقال فى كتاب « أدب القضاء » من « النهاية » : كل مَسلك يختصّ به أصحاب الظاهر عن القياسيِّين فالحكم بحُسنه منصوص[3] .

قال : وبحقٍّ قال حَبر الأصول القاضى أبو بكر : إنى لا أعدّهم من علماء الأمة ، ولا أبالى بخلافهم ولا وفاقهم .

وقال فى باب « قطع اليد والرجل » فى « السرقة » : كرّرنا فى مواضع فى الأصول والفروع أن أصحاب الظاهر ليسوا من علماء الشريعة ، وإنما هم نَقَلة إن ظهرت الثقة . انتهى .

---

(١) بعد هذا فى تاريخ بغداد ٨ / ٣٧٠ زيادة : « فإنه غير ثقة » .

(٢) فى المطبوعة « الشافعية » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٠٥ .

(٣) فى المطبوعة « فالحكم تحسبه منقوض » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

والثالث : أن قولهم معتبَر إلا فيما خالف القياسَ الجلىّ .

قلت : وهو رأى الشيخ أبى عمرو بن الصلاح .

وسماعى من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ، أن الذى صحّ عنده عن داود أنه لا ينكر القياس الجلىّ ، وإن نَقل إنكارَه عنه ناقلون ، قال : وإنما يُنكِر الخفىَّ فقط . قال : ومنكر القياس مطلقا ؛ جلِيّه وخفِيّه طائفة من أصحابه ؛ زعيمهم ابن حزم .

قلت : ووقفت لداود رحمه الله على رسالة ، أرسلها إلى أبى الوليد موسى بن أبى الجارود ، طويلةٍ ، دلّت على عظيم معرفته بالجدَل ، وكثرة صناعته فى المناظرة ، وقصدى من ذكرها الآن ، أن مضمونها الرد على أبى إسماعيل المُزَنىّ رحمه الله ، فى ردّه على داود إنكار القياس ، وشنّع فيه على المزنىّ كثيرا ، ولم أجد فى هذا الكتاب لفظة تدل على أنه يقول بشىء من القياس ، بل ظاهر كلامه إنكاره جملة ، وإن لم يصرِّح بذلك ؛ وهذه الرسالة التى عندى أصل صحيح قديم ، أعتقده كتب فى حدود سنة ثلاثمائة أو قبلها بكثير ، ثم وقفت لداود رحمه الله على أوراق يسيرة ، سماها « الأصول » نقلت منها ما نصه :

والحكم بالقياس لا يجب ، والقول بالاستحسان لا يجوز ، انتهى .

ثم قال : ولا يجوز أن يحرِّم النبىّ ﷺ ، فيحرِّمَ محرِّمٌ غيرَ ما حرّم ؛ لأنه يشبهه ، إلا أن يوقفنا النبىُّ ﷺ على علَّة من أجلها وقع التحريم ، مثل أن يقول : حرِّمت الحِنطة بالحِنطة ؛ لأنها مَكِيلة ، واغسلْ هذا الثوب ؛ لأن فيه دمًا ، أو اقتل هذا ؛ إنه أسود ، يُعلم بهذا أن الذى أوجب الحكمَ من أجله هو ما وَقف عليه ، وما لم يكن ذلك فالبعيد واقع بظاهر[1] التوقيف ، وما جاوز ذلك فمسكوت عنه داخلٌ فى باب ما عُفى عنه . انتهى .

فكأنه لا يسمِّى منصوص العِلّة قياسا ، وهذا يؤيد منقول الشيخ الإمام ، وهو قريب من نقل الآمِدىّ .

فالذى أراه الاعتبار بخلاف داود ووِفاقه. نعم للظاهرية مسائلُ لا يُعتدّ بخلافه فيها ؛ لا من حيث إن داود غيرُ أهل للنظر ، بل لخَرْقه فيها إجماعا تقدَّمه ، وعذره أنه لم يبلغه ،

---

(١) فى المطبوعة : « ظاهر » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

[أو][1] دليلا واضحا جدا ، وذلك كقوله فى التغوّط فى الماء الراكد ، وقوله : لا رِبا إلا فى الستة المنصوص عليها . وغير ذلك من مسائل وجَّهت سِهامَ الملام إليهم ، وأفاضت سبيل الإزراء عليهم .

ووقع فى كلام القاضى الحسين شيء موهِم ، نقله عنه ابن الرِّفعة فى « الكفاية » بعبارة تزيد إيهاما ، ففهمه الطَّلَبة عن ابن الرِّفعة فهما يزيد على مدلوله ، فصار غلطا على غلط ؛ وذلك أن ابن الرِّفعة ذكر فى « الكفاية » فى باب « صلاة المسافر » بعدما حكى أن إمام الحرمين ذكر أن المحقِّقين لا تقيم لمذهب أهل الظاهر وزنا ، ما نصه : وفيه نظر ؛ فإن القاضى الحسين نقل عن الشافعىّ أنه قال فى الكتابة : « وإنى لا أمتنع عن كتابة عبدٍ جمع القوّة والأمانة » وإنما استحَبّه للخروج من الخلاف ، فإن داود أوجب كتابة من جمع القوّة على الكسب والأمانة من العبيد ، وداود من أهل الظاهر ، وقد أقام الشافعىّ لخلافه وزنا ، واستحب كتابة مَن ذكره لأجل خلافه ، انتهى .

ففهم الطلبة منه أن هذه الجملة كلها من نص الشافعى ، من قوله : « قال فى الكتابة » إلى قوله : « من العبيد » وقرءوا « إنما أستحِب للخروج » بفتح الهمزة وكسر الحاء ، فعل مضارع للمتكلِّم[2] ، وليست هذه العبارة فى النص ، ولا يمكن ذلك ؛ فإن داود بعد الشافعى !

ورأيت بخط الشيخ الوالد رحمه الله على حاشية « الكفاية » عند قوله « والأمانة » قبيل قوله « وإنما استحب » ما نصه : هنا انتهى كلام الشافعى ، وإنما استحبّه القاضى الحسين ، وهو بفتح الحاء فى « استحب » ، ولا يحسُن أن يراد بالخلاف خلافُ داود ؛ فإن داود بعد الشافعىّ ، ولعل مُراد القاضى الخلافُ الذى داود موافِق له ، فلا يلزم أن يكون الشافعىّ أقام لخلاف داود وحده وزنا . انتهى كلام الوالد .

وأقول : من قوله « قال فى الكتابة » [إلى][3] « والأمانة » هو النص كما نبّه عليه

---

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ . ولعل المعنى : أو لم يبلغه ، حال كونه دليلا واضحا جدا .

(٢) فى الأصول « للمخاطب » .

(٣) ساقط من : د ، والنسخة ١٦٣ .

الشيخ الإمام ؛ ومن قوله « وإنما استحب » إلى قوله « من العبيد » هو كلام القاضى حسين ، وهو بفتح حاء استحب ، كما نبّه عليه الوالد . ولا شك أنه توهّم أن الشافعىّ راعى خلاف داود ، فأجاب الشيخ الإمام عنه بأنه راعى الخلافَ الذى داود موافِق له ، لا أنه نظر فى خصوص ذلك ؛ لعدم إمكان ذلك ، فإن داود متأخّر عنه ، ومن قوله «وداود» إلى قوله « لأجل خلافه » هو كلام ابن الرِّفعة ، ذكره كما نرى ردًّا على الإمام فى نقله أن المحقِّقين لا يقيمون له[1] وزنا ، فنُقض عليه بأن إمام المحقِّقين ، وهو الشافعىّ أقام لداود وزنا ، حيث اعتبر خلافه ، وأثبت لأجله حكما شرعيا ، وهو استحباب الكتابة ؛ وهو أشدّ إيهاما ، إذ يكاد يصرّح بأن الشافعىّ نظر خلاف داود بخصوصه !

ولابن الرِّفعة عذر ، وعن كلامه جواب ، كلاهما نبّه عليه الشيخ الإمام فى هذه الحاشية .

أمّا عذره فإن مراده الخلاف الذى داود موافِق له ، فصحّت نسبته لداود بهذا الاعتبار .

وأما جوابه فإنه لا يكون قد اعتبر مذهب داود لخصوصه ، بل إنما اعتبر مذهبًا داودُ موافق له ، والله أعلم .

● وعلى هذا الحمل[2] قول ابن الرِّفعة فى « المطلب » فى « المُصرّاة » : قال داود بإثبات الخيار فى الإبل والغنم ؛ لأجل الخبر ، ولم يثبته فى البقر ، لعدم ورود النص فيها . ومخالفته هى التى أحوجت الشافعىّ ... إلى آخر ما ذكره ، فالمراد به مخالفة المذهب الذى ذهب إليه داود .

ونظيره قول الإمام فى « النهاية » فى كتاب « اختلاف الحكام والشهادات » : لا يجب الإشهاد إلا على عقد النكاح ، وفى الرّجعة قولان ، وأوجب داود الإشهاد ، واستدل عليه الشافعىّ بأن قال : الله تعالى أثبت الإشهاد ، إلى آخر ما ذكره . وقد يوهم أن الشافعىّ

---

(١) فى : د ، والنسخة ١٦٣ : « لهم » وأثبتنا ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : « يحمل » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

احتج على داود نفسه ، وليس كذلك ، بل معناه أنه احتج على المذهب الذى ذهب إليه داود ، وإلا فإمام الحرمين لا يخفى عليه تأخُّرُ داود عن عصر الشافعىّ ، وقد قال فى « النهاية » فى « الظِّهار » فى باب « ما يُجزىء من العيون فى الرِّقاب » بعد ما حكى أن داود قال : يُجزىء كلّ رقبة : وقد قال الشافعىّ : لم أعلم أن أحدا ممّن مضى من أهل العلم ، ولا ذُكر لى ، ولا بقى أحد إلا يقسِّم العيوب ؛ يعنى إلى مجزىء وغير مجزىء . قال إمام الحرمين : وهذا داود نشأ بعده ، وعندى أنه لو عاصره لما عدَّه من العلماء . انتهى .

(ومن مسائل داود التى خرّجها على أصولنا)

●قال أبو عاصم العَبّادىّ : مِن اختيار أبى سليمان أنه إذا قال رجل لامرأتين : إذا ولدتما ولدا فعبدى حر ، يجب أن تلد كل واحدة منهما ولدا ، وهو اختيار بعض أصحابنا . واختيار المزنىّ : أيَّتهما وَلدت عَتَق . واختيار غيره أنه محال .

قلت : قول المزنىّ غريب .

●قال أبو عاصم : ومِن اختياره أن الجمعة تصلَّى فى مساجد العشائر ، كقول أبى ثَور .

٦٣

سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو بن عِمران الإمام الجليل أبو داود السِّجِسْتانىّ الأزدىّ صاحب السُّنن*

من سِجِسْتان ، الإقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند ، ووَهَم ابن خَلِّكان فقال : سِجِسْتان قريةٌ من قرى البصرة[1] .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١١ / ٥٤ ، تاريخ بغداد ٩ / ٥٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٥٢ ، تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١ / ٣١٦ ، شذرات الذهب ٢ / ١٦٧ ، طبقات الحنابلة ١/ ١٥٩ ، العبر ٢/ ٥٤ ، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٨ . وقيل بدل « عمران » : عامر . الجرح والتعديل ٤/ ١٠١ .

(١) إنما قال ابن خلكان : « والسجستانى – بكسر السين المهملة والجيم وسكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعد الألف نون – هذه النسبة إلى سجستان ، الإقليم المشهور . وقيل : بل نسبته إلى سجستان أو سجستانة قرية من قرى البصرة ، والله أعلم » . انظر وفيات الأعيان ٢ / ١٤٠

ولد سنة ثنتين ومائتين .

سمع من سَعْدُويه ،وعاصم بن على ، والقَعْنَبىّ ، وسليمان بن حَرْب ، ومسلم بن إبراهيم وعبد الله بن رجاء ، وأبى الوليد ، وأبى سَلَمة التَّبُوذَكِىّ ، والحسن بن الرَّبيع البُورانِىّ[١] ، وأحمد بن يونس اليَرْبُوعِىّ[٢] ، وصفوان بن صالح ، وهشام بن عَمّار ، وقُتَيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهُويه ، وأبى جعفر النُّفَيْلىّ ، وأحمد بن أبى شعيب ، ويزيد بن عبد ربِّه ، وخلْقٍ بالحجاز والعراق وخُراسان والشام ومصر والثغور .

روى عنه التِّرمِذىّ ، والنَّسائى ، وابنه أبو بكر بن أبى داود ، وأبو على اللُّؤلُؤىّ ، وأبو بكر بن داسَة ، وأبو سعيد بن الأعرابىّ ، وعلىّ بن الحسن بن العبد ، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك الرَّوّاس[٣] ، وأبوسالم محمد بن سعيد الجُلُودِىّ ، وأبو عمرو أحمد بن على ، وهؤلاء السبعة روَوا عنه سننه ، ولابن الأعرابى فيه فَوت . وأبو عَوانة الإسفراينىّ الحافظ ، وأبو بكر الخَلّال ، وأبو بِشر الدُّولابِىّ ، ومحمد بن مَخْلد ، وعَبْدان الأَهْوازىّ ، وزكريا الساجىّ ، وإسماعيل الصَّفَّار ، ومحمد بن يحيى الصُّولىّ ، وأبو بكر النَّجّاد ، وخلقٌ .

وكتب عنه الإمام أحمد حديث « العَتِيرة »[٤] ، وأحمد شيخه ، ويقال : إنه عرض عليه كتاب « السُّنن » فاستحسنه .

---

(١) بالباء الموحدة والراء المهملة والنون بعد الألف ، هذه النسبة إلى عمل البوارى التى تبسط ويجلس عليها . ويقال بالعراق : البورانى أيضا . اللباب ١ / ١٥٠ . ويقال فيه أيضا : البوارى . انظر المشتبه ٩٩ ، القاموس (ب و ر) .

(٢) بفتح الياء وسكون الراء وضم الباء الموحدة وسكون الواو ، وفى آخرها عين مهملة ، نسبة إلى يربوع بن مالك ، بطن كبير من تميم . اللباب ٣ / ٣٠٦ .

(٣) بفتح الراء وتشديد الواو وفى آخرها سين مهملة . هذه النسبة إلى بيع الرءوس المطبوخة . اللباب ١ / ٤٥١ ، ٤٧٨ .

(٤) فى المطبوعة : « العشيرة » وهو خطأ ، صوابه من : د ، والنسخة ١٦٣ ، تاريخ بغداد والبداية والنهاية . والعتيرة : شاة كانوا يذبحونها فى رجب لآلهتهم ، وهى أول ما ينتج . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١١ .

قال أبو بكر الصَّغانىّ : أُلين لأبى داود الحديثُ كما أُلين لداود عليه السلام الحديد ، وكذلك قال إبراهيم الحربىّ .

وقال موسى بن هارون الحافظ : خُلق أبو داود فى الدنيا للحديث ، وفى الآخرة للجنة ، ما رأيت أفضل منه .

وقال أبو بكر بن داسَة : سمعت أبا داود يقول : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسَمائة ألف حديث ، انتخبت منها ما ضمّنته كتاب « السنن » ، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، وما كان فيه وهْن شديد بيّنته .

قال شيخنا الذهبىّ رحمه الله تعالى : وقد وفَّى بذلك ؛ فإنه بيّن الضعف الظاهر ، وسكت عن الضعف المحتمَل ، فما سكت [عنه][1] لا يكون حسنا عنده ولا بُدّ ، بل قد يكون ممّا فيه ضعف . انتهى .

وقال زكريا الساجِىّ : كتاب الله أصل الإسلام ، وكتاب أبى داود عهْد الإسلام .

وقال أحمد بن محمد بن ياسين الهروىّ فى « تاريخ هَراة » : أبو داود السِّجِسْتانىّ[2] . كان أحد حُفّاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعِلله وسنده ، فى أعلا درجة النُّسُك والعفاف والصلاح والورع ، من فُرسان الحديث .

وقال الحاكم أبو عبد الله : أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مُدافعة .

وقال أبو بكر الخَلّال : أبو داود الإمام المقدَّم فى زمانه ، لم يُسبق إلى معرفته بتخريج العلوم ، وبَصَره بمواضعه ، رجلٌ ورِعٌ مقدَّم .

وقال الخَطَّابىّ : حدثنى عبد الله بن محمد المِسْكِىّ[3] ، حدثنى أبو بكر بن جابر ، خادم أبى

---

(١) من د ، والنسخة ١٦٣ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢١٤ .

(٢) كذا فى المطبوعة ، وفى : د ، والنسخة ١٦٣ : « السجزى » وهو نسبة إلى سجستان على غير قياس . اللباب ١ / ٥٣٣ .

(٣) بكسر الميم وسكون السين وفى آخرها كاف ، نسبة إلى المسك وبيعه والتجارة فيه . اللباب ٣ / ١٣٨ . وهو فى : د ، والنسخة ١٦٣ : « المنسكى » وأثبتناه من المطبوعة .

داود قال : كنت مع أبى داود ببغداد فصلّيت المغرب ، فجاء الأمير أبو أحمد الموفَّق فدخل ، فأقبل عليه أبو داود وقال : ما جاء بالأمير فى مثل هذا الوقت ؟ فقال : خِلالٌ ثلاث . قال : وما هى ؟ قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا ؛ لترحل إليك طلبةُ العلم فتعمُر بك ، فإنها قد خَرِبت وانقطع عنها الناس ، لما جرى عليها من محنة الزَّنْج . قال : هذه واحدة . قال : وتروى لأولادى « السُّنَن » فقال : نعم ، هات الثالثة . قال : وتُفرد لهم مجلسا ؛ فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامّة . قال : أمّا هذه فلا سبيل إليها ؛ لأن الناس فى العلم سواء .

قال ابن جابر : فكانوا يحضرون ويقعدون ، وبينهم وبين العامّة سِتر[1] .

قال شيخنا الذهبىّ رحمه الله : تفقّه أبو داود بأحمد بن حنبل ولازمه مدة ؛ قال : وكان يُشَبَّه به ، كما كان أحمد يشبَّه بشيخه وكيع ، وكان وكيع يُشبَّه بشيخه سفيان ، وكان سفيان يشبَّه بشيخه منصور ، وكان منصور يشبَّه بشيخه إبراهيم ، وكان إبراهيم يشبَّه بشيخه عَلْقمة ، وكان عَلْقمة يشبّه بشيخه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

قال شيخنا الذهبىّ : وروى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عَلْقمة ، أنه كان يشبّه عبد الله بن مسعود بالنبى ﷺ فى هَدْيه ودَلِّه[2] .

قلت : أما أنا فمِن ابن مسعود أسكت ، ولا أستطيع أن أشبِّه أحدا برسول الله ﷺ فى شىء من الأشياء ، ولا أستحسنه ، ولا أجوِّزه ، وغاية ما تسمح به نفسى أن أقول : وكان عبد الله يقتدى برسول الله ﷺ فيما تنتهى إليه قدرته ، وموهبته من الله عزّ وجل ، لا فى كلِّ ما كان عليه رسول الله ﷺ ، فإن ذلك ليس لابن مسعود ولا للصِّدِّيق ، ولا لمن اتخذه الله خليلا ، حشرنا الله فى زُمرتهم .

توفى أبو داود فى سادس عشر شوال ، سنة خمس وسبعين ومائتين[3] .

---

(١) معالم السُّنن (ضمن مختصر سنن أبى داود) ١ / ١٢ .

(٢) الدل : كالهدى ، وهما من السكينة والوقار ، وحسن المنظر . وانظر السِّيَر ١٣ / ٢١٦ .

(٣) بعد هذا فى الطبقات الوسطى زيادة : « بالبصرة » .

٦٤

عَبْدان بن محمد بن عيسى

الإمام الحافظ أبو محمد المَرْوزِىّ الزاهد الجُنُوجِرْدِىّ*

وجُنُوجِرْد ، بضم الجيم والنون ثم واو ساكنة ثم جيم مكسورة ثم راء ساكنة ثم دال مهملة : قرية من قرى مَرْو .

كان إمام أصحاب الحديث فى عصره بمَرْو ، وهو الذى أظهر بها مذهب الشافعىّ ، وعليه تفقّه أبو إسحاق المَرْوَزِىّ .

سمع قُتَيبة بن سعيد ، وعلى بن حُجْر ، وأبا كُرَيب ، وبُنْدَار ، وجُوَيْرِية ، والرَّبيع المُرادىّ ، وإسماعيل بن مسعود الجَحْدَرِىّ ، وعبد الجبار بن العلاء ، وعبد الله بن مُنير ، وطائفةً بخُراسان والعراق والحجاز .

روى عنه عمر بن عَلَّك[1] ، وأبو العباس الدَّغْولِىّ ، وأبو حامد بن الشَّرْقِىّ ، وأبو القاسم الطَّبَرَانِىّ ، وآخرون .

رحل إلى مصر ، وتفقّه على أصحاب الشافعىّ ، وبرع فى المذهب ، وكان يُضرب المثل باسمه فى الحفظ والزهد ، وكان مقيما بمَرْو ، وإليه مَرجِع الفتوى بها بعد أحمد بن سَيّار .

صنَّف « الموطّأ » وغير ذلك .

قال فيه أبو بكر بن السَّمعانىّ والد الحافظ أبى سعد : إنه الإمام الزاهد الحافظ ، إمام أصحاب الحديث فى عصره بمَرْو ، وهو أول من حمل « مختصر المُزَنِىّ » إلى مَرْو ، وقرأ علم الشافعىّ على المزنىّ والربيع ، وكان فقيهًا حافظًا للحديث .

وبسند أبى بكر بن السمعانىّ : أنه لما خرج إلى الحج وبلغ نَيْسابور ، أخذ محمدُ ابن إسحاق بن خُزَيمة يُنفذ إليه برِقاع الفتاوى ويقول : أنا لا أفتى بِبلدةٍ أستاذى فيها .

---

* له ترجمة فى : أنساب السمعانى ١٣٨ ب ، تاريخ بغداد ١١/ ١٣٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٣١ ، شذرات الذهب ٢ / ٢١٥ ، العبر ٢ / ٩٥ ، المنتظم ٦ / ٥٨ .

(١) بفتح العين واللام المشددة ، وقد يخففونها ، وفى آخرها كاف . اللباب ٢ / ١٤٨ .

قال أبو بكر بن السَّمعانىّ : وممَّن تخرَّج على عَبْدان فى الفقه من المَرَاوِزَة ، أبو بكر ابن محمد بن محمود المحمودىّ ، وأبو العباس السَّيَّارىّ ، وأبو إسحاق الخالِدابادىّ[1] المعروف بالمَرْوَزِىّ صاحب « الشرح »[2] .

وبإسناده عن بعض المشايخ : اجتمع فى عَبْدان أربعة أنواع من المناقب : الفقه ، والإسناد ، والورع ، والاجتهاد . انتهى .

قال الحاكم : سمعت أبا نُعَيم عبد الرحمن بن محمد الغِفارِىّ[3] بمَرْو يقول : سمعت عَبْدَان بن محمد الحافظ يقول : وُلدت سنة عشرين ومائتين ، ليلة عرفة فى ذى الحجَّة .

قال أبو سعد بن السمعانىّ : اسم عَبْدان عُبيد الله[4] ، وإن عَبْدان لَقَب . قال : وعَبْدان هو الذى أظهر مذهب الشافعىّ بمَرْو بعد أحمد بن سَيّار ؛ فإن أحمد بن سَيّار حمل كتب الشافعىّ إلى مرو ، وأعجب بها الناس ، فنظر فى بعضها عَبْدان وأراد أن ينسخها فمنعها أحمد بن سيّار عنه ، فباع ضَيعةً له بجُنُوجِرْد ، وخرج إلى مصر ، وأدرك الربيع وغيره من أصحاب الشافعىّ ، ونسخ كتبه ، وأدرك من المشايخ والفقهاء ما لم يدرك غيرُه ، وحمل عنهم ، ورحل إلى الشام والعراق ، وكتب عن أهل مصر ورجع إلى مرو ، وكان أحمد بن سَيّار فى الأحياء ، فدخل عليه مسلِّما ومهنئا بالقدوم ، فاعتذر أحمد بن سَيّار مِن منع الكتب عنه ، فقال عَبْدان : لا تعتذر فإن لك مِنَّةً علىّ فى ذلك ؛ وذلك أنك لو دفعتَ إلىّ الكتبَ كنتُ اقتصرتُ على ذلك ، وما كنت أخرج إلى مصر ، ولا كنت أُدرك أصحاب الشافعىّ . ففرح بذلك أحمد بن سَيّار .

قال أبو نُعَيم : توفى عَبْدان ليلة عرفة [أيضا][5] ، فى ذى الحجة ، سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

قلت : صحّ ، كذا مولده ليلة عرفة ووفاته ليلة عرفة .

---

(١) بفتح الخاء وبعدها ألف ولام ودال مهملة مفتوحة وباء موحدة بين ألفين وفى آخرها ذال معجمة . هذه النسبة إلى خالداباذ ، وهى قرية بمرو ، وقد خربت . اللباب ١ / ٣٣٨ . وانظر المراصد ٤٤٦ .

(٢) فى المطبوعة : « السرح » . والمثبت من الطبقات الوسطى ، وهو شرح على مختصر المزنى ، كما فى اللباب ١ / ٣٣٨ .

(٣) بكسر الغين وفتح الفاء وبعد الألف راء . نسبة إلى غفار بن مليل ، من كنانة . اللباب ٢ / ١٧٦

(٤) فى الأنساب « عبد الله » .

(٥) تكملة لازمة من سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٤ .

٦٥

عبد الله بن سعيد . ويقال عبد الله بن محمد
أبو محمد بن كُلّاب القَطّان*

أحد أئمة المتكلّمين ، وكُلّاب مثل خُطّاف لفظا ومعنى ، بضم الكاف وتشديد اللام ، لقِّب به ، لأنه كان لقوته فى المناظرة يجتذب من يناظره ، كما يجتذب الكُلّاب الشيء .

فإن قلت : كيف قيل ابن كُلّاب ، وهو على هذا كُلّاب لا ابن كُلّاب ؟

قلت : كما يقال ابن بَجْدة الشيء وأبو عُذْرَته ، وأنحاء ذلك .

● ذكره أبو عاصم العَبّادىّ فى طبقة أبى بكر الصَّيْرفىّ ، ولم يزد على أنه من المتكلمين .

وذكره ابن النَّجّار فى « تاريخ بغداد » ذِكْرَ من لا يعرف حاله فقال : ذكره محمد ابن إسحاق النَّديم فى كتاب « الفهرست » وقال : « إنه من أئمة[1] الحَشْويّة » . وله مع عَبّاد بن سليمان مناظرات ، وكان يقول : إن كلامَ الله هو الله ، وكان عَبّاد يقول : إنه نَصرانىّ بهذا القول . ثم ذكر كلاما قبيحا .

ثم ذكر ابن النجّار بإسناده حكاية طويلة بين ابن كُلّاب والشيخ الجُنَيْد رحمه الله ، زعم أنها اتفقت بينهما شِبه المناظرة ، ورأيت بخط شيخنا الذهبىّ على حاشية كتاب ابن النجّار بإزاء هذه الحكاية ما نصه : لا يصح ، فإن ابن كُلّاب له ذِكر فى زمان أحمد بن حنبل ، فكيف يتم له هذا مع الجُنَيد ! انتهى ، والأمر كما قال .

ووفاة ابن كُلّاب فيما يظهر بعد الأربعين ومائتين بقليل .

وليس ماذكره ابن النجار من شأنه ، ولا هو من أهل هذه الصناعة فماله ولها! وأما محمد بن إسحاق النَّديم فقد كان فيما أحسب معتزليا ، وله بعض المَسيس بصناعة الكلام ، وعَبّاد بن سليمان من رءوس الاعتزال ، فإنما يذكر مايذكره تشنيعا على ابن

---

* له ترجمة فى : الفهرست لابن النديم ٢٥٥ ، لسان الميزان ٣/ ٢٩٠ ، والوافى بالوفيات ١٧/ ١٩٧ ، ٤٩٢ .

(١) فى الفهرست « بابية » . ونظن أن ما عندنا فى الطبقات ، وما فى الفهرست خطأ ، وأن صوابه « نابتة » وهو اصطلاح معروف فى كتب الفرق . وكذلك جاء فى سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٥ .

كُلّاب ، وابن كُلّاب على كل حال من أهل السُنّة ، ولا يقول هو ولا غيره ممّن له أدنى تمييز إن كلام الله هو الله . إنما ابن كُلّاب مع أهل السنّة فى أنَّ صفات الذات ليست هى الذات ولا غيرها ، ثم زاد هو وأبو العباس القَلانِسىّ على سائر أهل السنَّة ، فذهبا إلى أن كلامه تعالى لا يتَّصف بالأمر والنهى والخبر[1] فى الأزل ؛ لحدوث هذه الأمور وقِدَم الكلام النَّفسى ، وإنما يتصف بذلك فيما لا يزال ، فألزمهما أئمتُنا أن يكون القَدْر المشترَك موجودا بغير واحد من خصوصياته .

فهذه هى مقالة ابن كُلّاب التى ألزمه فيها أصحابُنا وجودَ الجنس دون النوع ، وهو غير معقول ، وهى التى لعل عَبّادا قال له فيها ما قال ، مع أن ما قاله عَبّاد لا يَلزمه ، وإنما عَبّاد يقول ذلك كما يقول سائر المعتزلة للصِّفاتيَّة ، أعنى مُثبتى الصفات : لقد كفرتِ النَّصارى بثلاث ، وكفرتم بسبع . وهو تشنيع من سفهاء المعتزلة على الصِّفاتيَّة ، ما كفرت الصِّفاتيَّة ، ولا أشركت ، وإنما وحَّدت وأثبتت صفات قديم واحد ، بخلاف النصارى ؛ فإنهم أثبتوا قِدَما ، فأنَّى يستويان أو يتقاربان ؟

ورأيت الإمام ضياء الدين الخطيب والد الإمام فخر الدين الرازىّ قد ذكر عبدَ الله ابن سعيد فى آخر كتابه « غاية المرام فى علم الكلام » فقال : ومن متكلِّمى أهل السنة فى أيام المأمون عبدُ الله بن سعيد التَّميمىّ ، الذى دمّر المعتزلة فى مجلس المأمون ، وفضحهم ببيانه ، وهو أخو يحيى بن سعيد القَطّان ، وارثِ علم الحديث وصاحبِ « الجرح والتعديل » . انتهى .

وكشفت عن يحيى بن سعيد القَطّان هل له أخ اسمه عبد الله ؟ فلم أتحقق إلى الآن شيئا ، وإن تحققت شيئا ألحقته إن شاء الله .

---

(١) ذكره إمام الحرمين فى الإرشاد ١١٩ ، ووصف ابن كُلّاب بأنه « من أصحابنا » . ويعنى الشافعية . وانظر غاية المرام للآمدى ١٠٤ ، ١١٤ .

٦٦

عثمان بن سعيد بن بَشَّار
أبو القاسم الأنماطىّ الأحول*

صاحب المزنىّ والربيع .

وقد وَهَم العَبّادىّ فى كتابه فزعم أنه الحكَم بن عمرو ، وأن لأصحابنا آخَرَ يقال له محمد بن بَشّار ، وليس بأبى القاسم(١) .

قال ابن الصَّلاح : وأحسبه مَرَّ به ذِكر أبى القاسم الحكم بن عمرو من رواة الحديث ، فاعتقد أنه صاحبنا .

قال الخطيب : أبو القاسم الأحول الأنماطىّ ، كان أحد الفقهاء على مذهب الشافعىّ ، وحدَّث عن المزنىّ والربيع .

رِوى عنه أبو بكر الشافعىّ ، وروى أن ابن المُنادِى قال : كان للناس فيه منفعة .

قلت : هو الذى اشتهرت به كتب الشافعىّ ببغداد ، وعليه تفقّه شيخ المذهب أبو العباس بن سُرَيج .

قال أبو عاصم : الأنماطىّ لأهل بغداد كأبى بكر بن إسحاق لأهل نيسابور ؛ فإنه أول من حمل إليها عِلم المزنىّ .

قلت : كأنه أراد مشابهته لأبى بكر بن إسحاق فى هذا القَدْر ؛ وإلا فابن إسحاق أجلّ قدرا ، وأرفع خطرا ، وأوسع علما فيما يظهر لنا ، نعم للأنماطىّ جَلالة بمن أخذ عنه ؛ فقد حمل عنه العلم أبو العباس بن سُرَيج ، وأبو سعيد الإصْطَخْرِىّ ، وأبو علىّ ابن خَيران ، ومنصور التَّميمىّ ، وأبو حفص بن الوكيل البابْشامِىّ(٢) ، وهذه الطبقة العليا ، ولم يحصل لأبى بكر بن إسحاق مثل هؤلاء التلامذة .

---

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١١/ ٢٩٢ ، شذرات الذهب ٢/ ١٩٨ ، العبر ٢/ ٨١ ، مرآة الجنان ٢ / ٢١٥ ، وفيات الأعيان ٢ / ٤٠٦ .

(١) كنية محمد بن بشار عند العبادى أبو القاسم .

(٢) فى المطبوعة : « البارسانى » . وفى : د ، والنسخة ١٦٣ : « البارديانى » وأثبتنا الصواب من : طبقات الشيرازى ٩٠ وسيترجم له المصنف فى الطبقة الثالثة .

مات الأنماطىّ فى شوّال سنة ثمان وثمانين ومائتين .

● وحكى أن أبا سعيد الإصْطَخْرِىّ سأل الأنماطىّ فقال له : النَّصّ آكَدُ أم الاجتهاد ؟

فقال : النَّصّ .

فقال : أليس قد نَصّ النبىّ ﷺ على الشَّعير ولم ينصّ على البُرّ ؛ أفرأيت لو كان قُوته بُرًّا أيجوز له إخراج الشعير ؟

فقال : لا يجوز ذلك .

فقال : قد قَدَّمْتَ الاجتهادَ على النَّصّ .

فدخل ابن سُرَيج فأخبره بما جرى ، فقال : إن النَّصّ يُقدَّم على اجتهادٍ مُحتمِل ، فأما إذا كان ما وقع عليه النص تنبيها على ما هو أعلى قُدِّم عليه ؛ كالضرب مع التأفيف ، كذلك قصد النبىّ ﷺ بذلك إلى بيان ما يلزمهم أن يُخرجوا فى يوم الفِطر ، وجعل ذلك قُوتا ، فإذا اقتات الإنسان بُرّا لم يَجز له أن يُخرج شعيرا ، بخلاف العكس ؛ لأنه أعلى منه .

٦٧

عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السِّجِسْتانِىّ
الحافظ أبو سعيد الدَّارِمِىّ*

محدِّث هَراة ، وأحد الأعلام الثِّقات ، ومَن ذكره العَبّادى فى « الطبقات » ، قائلا : الإمام فى الحديث والفقه ، أخذ الأدب عن ابن الأعرابىّ والفقه عن البُوَيْطِىّ ، والحديث عن يحيى بن مَعِين .

قلت : كان الدارِمِىّ واسع الرِّحلة ، طَوّف الأقاليم ، ولقى الكِبار .

---

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١١/ ٦٩ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٧٧ ، شذرات الذهب ٢/ ١٧٦ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٢١ ، العبر ٢ / ٦٤ ، مرآة الجنان ٢ / ١٩٣ . والدارمى ، بفتح الدال وسكون الألف وكسر الراء وبعدها ميم ، نسبة إلى دارم بن مالك ، بطن كبير من تميم . اللباب ١ / ٤٠٤ .

سمع أبا اليَمان الحِمْصِىّ ، ويحيى الوُحاظِىّ ، وحَيْوةَ بن شُرَيح . بحِمْص .

وسعيد بن أبى مريم ، وعبد الغفار بن داود الحَرّانى ، ونُعيم بن حَمّاد ، وطبقتهم بمصر .

وسليمان بن حرب ، وموسى بن إسماعيل التَّبُوذَكِىّ ، وخَلقا بالعراق .

وهشام بن عَمّار ، وطائفةً بدمشق .

روى عنه أبو عمرو أحمد بن محمد بن الحِيرىّ[1] ، ومؤمَّل بن الحسن الماسَرْجِسِىّ[2] ، وأحمد بن محمد الأزهرى ، وأبو النَّضْر محمد بن محمد الطوسىّ الفقيه ، وحامد الرَّفّا ، وأحمد بن محمد بن عَبْدُوس الطَّرائفىّ ، وخلقٌ .

ومن مشايخه فى الحديث أحمد بن حنبل ، وعلى بن المَدِينىّ ، وإسحاق بن راهُويه ، ويحيى بن مَعِين ، وشيخه فى الفقه البُوَيْطِىّ .

قال أبو الفضل يعقوب الهروىّ القَرَّاب[3] : ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ، ولا رأى هو مِثل نفسه .

وعن عثمان الدارِمىّ : من لم يجمع حديث شُعبة ، وسُفيان ، ومالك ، وحَمّاد بن زيد ، وابن عُيَيْنة فهو مُفْلِس فى الحديث ، يعنى أنه ما بلغ رتبة الحُفّاظ فى العِلم .

قال شيخنا الذهبىّ : ولا ريب أن من حصَّل علم هؤلاء ، وأحاط بمرويّاتهم فقد حصل على ثلثى السنة ، أو نحوها[4] .

توفى الدارِمىّ رحمه الله فى ذى الحجة ، سنة ثمانين ومائتين .

قال الذهبىّ : ووَهَم من قال سنة اثنتين وثمانين .

---

(١) فى : د ، والنسخة ١٦٣ : « الجيزى » بالمعجمة . وأثبتناه بالمهملة من المطبوعة ، والمشتبه ١٨٥ ، وهو نسبة إلى حيرة نيسابور .

(٢) فى المطبوعة : « الماسرخسى » بالخاء المعجمة . والمثبت من الطبقات الوسطى واللباب ٣ / ٨٣ . والماسرجى بفتح الميم والسين المهملة وسكون الراء وكسر الجيم والسين الثانية ، نسبة إلى ماسرجس . وهو اسم جد .

(٣) فى المطبوعة « الفرات » . والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ ، وانظر المشتبه ٥٠٠

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٢٣ .

وللدارِمِىّ « كتاب فى الرد على الجَهْمِيّة » ، و « كتاب فى الرد على بِشْر المَرِيسىّ » و « مُسنَدٌ » كبير ، وهو الذى قام على محمد بن كَرّام ، الذى تنسب إليه الكرّامية ، وطردوه عن هَراة .

وكان من خبر ابن كَرّام هذا وهو شيخ سِجِسْتانِىّ مُجَسِّم ، أنه سمع يسيرا من الحديث ، ونشأ بسِجِسْتان ثم دخل خُراسان ، وأكثر الاختلاف إلى أحمد بن حرب الزاهد ، ثم جاور بمكة خمس سنين ، ثم ورد نَيْسابور ، وانصرف منها إلى سِجِسْتان ، وباع ما كان يملكه وعاد إلى نيسابور ، وباح بالتجسيم وقال : إن الإيمان بالقول كافٍ ، وإن لم يكن معه معرفة بالقلب . وكان من إظهار التنسُّك والتألُّه والتعبُّد والتقشُّف على جانب عظيم ، فافترق الناس فيه على قولين : منهم المعتقد ، ومنهم المنتقد ؛ وعُقدت له مجالسُ سئل فيها عما يقوله ، فكان جوابه أنه إلهام يُلهِمه الله ، ثم إن الأمير محمد بن طاهر بن عبيد الله بن طاهر حبسه بنَيْسابور مدة .

قال الحاكم أبو عبد الله : فكان يغتسل كلَّ يوم جمعة ، ويتأهب للخروج إلى الجامع ، ثم يقول للسَّجّان : أتأذن لى فى الخروج ؟ فيقول : لا . فيقول : اللهم إنى بذلت مجهودى ، والمنع من غيرى . ثم إنه أخرج من نَيْسابور فى سنة إحدى وخمسين ومائتين ، بعد أن مكث بالسِّجن ثمان سنين ، وتُوفِّى ببيت المقدس سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقيل تُوفِّى بزُغَر[1] ، وحمل إلى بيت المقدس .

قال الحاكم : لقد بلغنى أنه كان معه جماعة من الفقراء ، وكان لباسه مَسْك[2] ضأن مدبوغ غير مَخِيط ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَة بيضاء ، وقد نُصب له دُكّان من لَبِن ، وكان يُطرح له قطعة فَرْو فيجلس عليها ، فيعظ ويذكِّر ويحدِّث ، قال : وقد أثنى عليه فيما بلغنى ابن خُزَيْمة ، واجتمع به غير مرة ، وكذلك أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسين الحاكم ، وهما إماما الفريقين .

قلت : يعنى الشافعية والحنفية .

---

(١) زغر ، بوزن زفر : قرية بمشارف الشام . المراصد ٦٦٧ .

(٢) المسك : الجلد ، أو خاص بالسخلة . القاموس (م س ك) .

وقال أبو العباس السَّرَّاج : شهدت أبا عبد الله البخاريّ ، ودُفع إليه كتاب من محمد بن كَرّام سأله عن أحاديث ، منها : الزُّهْرِىّ ، عن سالم ، عن أبيه ، رَفَعه : « الإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ » . فكتب على ظهر كتابه : مَن حدَّث بهذا استوجب الضرب الشديد ، والحبس الطويل .

قلت : وصاحب سِجِسْتان هو الذى نفاه ، ولم يكن قصْد الساعين عليه إلا إراقة دمه ، وإنما صاحب سِجِسْتان هاب قتله ، لِمَا رأى عليه من مَخايل العبادة والتقشُّف ؛ ولقد افتتن به خَلْق كثير ، وهو عندنا فى مكان المشيئة لله أن يغفر له وأن يؤاخذه ؛ فإنه مُبتدِع لا محالة .

واعلم أن كَرّاما على ما هو المشهور بتشديد الراء ، ورأيتها كذلك مضبوطة بخط شيخنا الذهبىّ ، وكنت أسمع الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يحكى ، أن الشيخ صدر الدين ابن المُرَحِّل[1] قرأ مرة بحضرة السلطان الملك الناصر جزءًا ، وفيه ذكر محمد بن كرام ، فقال « كرام » وخفّف له الراء ، فرد عليه بعض الحاضرين ، فقال : لا ، إنما هو بالتخفيف ، فقد قال الشاعر :

الرأىُ رأىُ أبى حنيفةَ وحدَهُ ... والدِّينُ دينُ محمد بن كَرَامِ

قال الوالد : فظن الحاضرون أن الشيخ صدر الدين وضع هذا البيت على البديهة ، وأنه لا أصل له . هذا ما كان يحكيه لنا الوالد ، ثم رأيت أنا بخط الشيخ تقى الدين ابن الصَّلاح فى مَجاميعه ، أن محمد بن كرام بالتخفيف ، وأن أبا الفتح البُسْتِىّ أنشد :

إن الذين نُجِلُّهم لم يَقتدوا ... بمحمد بن كَرَامِ غيرُ كِرامِ[2]
الرأىُ رأىُ أبى حنيفةَ وحده ... والدِّينُ دينُ محمد بن كَرَامِ

فأريت ذلك للوالد ، فأعجبه وسُرّ به سرورا كثيرا ، ثم رأيت هذين البيتين بعينهما منسوبين إلى قائلهما البُسْتىّ فى كتاب « اليَمِينى » فى سيرة السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين .

---

(١) انظر تاج العروس (ر ح ل) ٧/ ٣٤٢ .
(٢) ملحق ديوانه ٣٧٠ . والوافى بالوفيات ٤/ ٢٧٦ .

(ومن غرائب أبى سعيد الدارِمىّ وفوائده)

● قال أبو عاصم : إن أبا سعيد ذهب إلى أن الثعلب حرامٌ أكلُه ، وروى فيه خبرا .

● قال : ورَوى عن بُرَيْدَة بن سفيان أن أهل مكة والمدينة يسمون النبيذ خمرا ، وهكذا رواه علىّ بن عبد الله المَدِينىّ . انتهى .

قلت : قوله بتحريم الثعلب غريب .

[1][والخبر الذى أشار إليه أورده عثمان بن سعيد المذكور فى كتاب « الأطعمة » من تأليفه ، ولفظه : عن عبد الرحمن السُّلَمِىّ قال : قلت : يا رسول الله ، ما تقول فى الذئب ؟ قال : « وَيَأْكُلُ ذٰلِكَ أَحَدٌ ؟ » قلت : يا رسول الله ، ما تقول فى الثعلب ؟ قال : « وَيَأْكُلُ ذٰلِكَ أَحَدٌ ؟ » .

قال أبو سعيد : وهذا الإسناد ليس بذاك القوىّ ! غير أن الذئب والثعلب دخلا فى نهى النبى ﷺ عن كل ذى ناب من السباع ، فلأجل ذلك لا يجوز أكلهما][1] .

٦٨
عَسْكر بن الحُصَين . وقيل عَسْكر بن محمد بن الحسين الشيخ أبو تُراب النَّخْشَبىّ*

بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتيـن وفى آخرها الباء الموحدة ، نسبة إلى نَخْشَب ، بلدةٍ من بلاد ما وراء النهر ، عُرِّبت فقيل لها : نَسَف .

كان شيخ عصره بلا مُدافعة ، جمع بين العلم والدين ، زاهدا ورعا متقشّفا متقلِّلا ، متوكّلا مَتبتِّلا .

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة ، وقد استكملناه من : د والنسخة ١٦٣ .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٥ ، حلية الأولياء : ١٠/ ٤٥ ، الرسالة القشيرية ٢٢ ، صفة الصفوة ٤ / ١٤٥ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٤٨ ، طبقات الشعرانى ١ / ٧١ ، طبقات الصوفية ١٤٦ ، العبر ١ / ٤٤٥ . وفى المطبوعة ض « وقيل عسكر بن محمد الحصين » وهو خطأ صوابه من : د ، والنسخة ١٦٣ .

صحب حاتما الأصمّ إلى أن مات ، وخرج إلى الشام وكتب الكثير من الحديث ، ونظر فى كتب الشافعىّ ، وتفقّه على مذهبه .

وحدَّث عن محمد بن عبد الله بن نُمَير ، ونُعَيم بن حَمّاد ، وأحمد بن نصر النَّيسابورىّ ، وغيرهم .

روى عنه أحمد بن الجَلّاء ، وأبو بكر بن أبى عاصم ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وآخرون .

قال الدُّقِّىّ[1] فيما رواه الخطيب بإسناده : سمعت أبا عبد الله بن الجَلّاء يقول : لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة ، أولهم أبو تُراب .

قال ابن الصلاح : والثلاثة الآخرون : أبوه يحيى الجَلَّاء ، وأبو عُبَيد البُسْرِىّ ، وذو النون المِصرىّ ، رضى الله عنهم أجمعين .

وروى الخطيب أن أبا تُراب قال : ما تمنَّتْ علىَّ نفسى قطُّ إلا مرةً ، تمنَّتْ علىّ خبزا وبيضا وأنا فى سَفرة ، فعدلت من[2] الطريق إلى قرية ، فلما دخلتُ[3] وثب إلىّ رجل فتعلّق بى وقال : إن هذا كان مع اللصوص ، قال : فبطحونى فضربونى سبعين جلدة [فوقف علينا رجل ، فصرخ : هذا أبو تُراب ! فأقامونى واعتذروا إلىّ ، وأدخلنى الرجل منزله ، وقدّم إلىّ خبزا وبيضا فقلت : كلهما بعد سبعين جلدة][4] .

وروى بسنده إلى أبى عبد الله ابن الجَلّاء قال : قدم أبو تُراب مرةً مكةَ فقلت له : يا أستاذ أين أكلت ؟ فقال : جئتَ بفُضولك ! أكلت أكلة بالبصرة ، وأكلة بالنِّباج[5] ، وأكلة عندكم .

---

(١) فى الأصول : « الرقى » بالراء ، وهو خطأ صوابه من الطبقات الوسطى ، وطبقات الصوفية ٤٤٨ ، واللباب ١ / ٤٢٢ ، وهو أبو بكر محمد بن داود .

(٢) فى المطبوعة « عن » والمثبت من الطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد ١٢ / ٢١٧ .

(٣) فى تاريخ بغداد : « دخلنا » .

(٤) تكملة من الطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد .

(٥) النباج ، بكسر أوله وفى آخره جيم : قرية فى بادية البصرة ، على النصف من طريق البصرة إلى مكة . المراصد ١٣٥٢ .

وروى بسنده أيضًا إلى أبى تُراب قال : وقفت خمسا وخمسين وقفة ، فلما كان مِن قابِل رأيت الناس بعرفات ، ما رأيت قطُّ أكثر منهم ، ولا أكثر خشوعا وتضرُّعا ، فأعجبنى ذلك فقلت : اللهم مَن لم تتقبَّل حَجَّته مِن هذا الخلق فاجعل ثواب حَجَّتى له . وأفَضْنا من عرفات ، وبتنا بجَمْع[1] ، فرأيت فى المنام هاتفا يهتف بى : تتسَخَّى علينا وأنا أسخى الأسخياء ! وعزَّتى وجَلالى ما وقف هذا الموقف أحدٌ قطُّ إلا غفرتُ له . فانتبهت فرحا بهذه الرؤيا ، فرأيت يحيى بن مُعاذ الرازىّ وقصصت عليه الرؤيا ، فقال : إن صدقتْ رؤياك فإنك تعيش أربعين يوما .

قال الراوى : فلما كان يوم أحد وأربعين ، جاءوا إلى يحيى بن معاذ الرازىّ فقالوا : إن أبا تراب مات ، فغسَّله وكفَّنه[2] .

وعن يوسف بن الحسين : كنت مع أبى تُراب بمكة ، فقال : أحتاج إلى كيس دراهم . فإذا رجل قد صبّ فى حجره كيس دراهم ، فجعل يفرّقها على مَن حوله ، وكان فيهم فقير يتراءى له أن يعطيَه شيئا فما أعطاه شيئا ، فنَفِدَت الدراهم ، وبقيت أنا وأبو تراب والفقير ، فقال له : تراءيتُ لك غير مرة فلم تعطنى شيئا ! فقال له : أنت لا تعرف المُعطِى .

وعن يوسف بن الحسين : صحبت أبا تُراب النَّخْشَبِىّ خمس سنين ، وحجَجت معه على غير طريق الجادّة ، ورأيت منه فى السفر عجائبَ يقصُر لسانى عن شرح جميعها ، غير أنا كنا مارِّين ، فنظر إلىّ يوما وأنا جائع وقد تورّمت رِجْلاى ، وأنا أمشى بجَهد ، فقال لى : مالك ؟ لعلك جعت ! قلت : نعم ، قال : ولعلّك أسأت الظن بربّك ! قلت : نعم ، قال : ارجع إلى ربّك ، قلت : وأين هو ؟ قال : حيث خلَّفته ، فقلت : هو معى ، فقال : إن كنت صادقًا فما هذا الهمُّ الذى أرى عليك ؟ قال : فرأيت الورَم قد سَكَن ، والجوع قد ذهب ، ونَشِطت حتى كدت أسبِقه . قال أبو تُراب : اللهمّ إن عبدك قد أقرّ لك بالآفة فأطعمْه ، ونحن بين جبال ليس فيها مخلوق ، فانتهينا إلى رابية ، فإذا كوزُ ماء ورغيفٌ

---

(١) جمع ، بفتح الجيم : هو المزدلفة . سمى جمعا ، لأنه يجمع فيه بين صلاتى العشاءين . المراصد ٣٤٦ .
(٢) مكان هذا فى الطبقات الوسطى : « ودفنه » .

موضوع ، فقال لى أبو تُراب : دونَك دونَك . فجلست وأكلت وقلت له : ليش ما تأكل أنت ؟ قال : يأكل مَن اشتهاه .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَبَّاز ، بقراءتى عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن حمَّاد العَسْقلانىّ ، وإبراهيم بن حَمْد[1] بن كامل المَقْدِسِىّ سماعا ، قالا : أخبرنا عبد العزيز بن مَنِينا ، وابن سُكَيْنة إجازة ، قالا : أخبرنا محمد ابن عبد الباقى الأنصارىّ القاضى ، أخبرنا الخطيب أبو بكر الحافظ ، أخبرنى عُبيد الله ابن أحمد الصَّيْرَفِىّ ، حدثنا أبو الفضل الزُّهْرِىّ ، حدثنى أبو الطيب أحمد بن جعفر الحَذَّاء ، قال : سمعت أبا علىّ الحسين بن خَيران الفقيه قال : مَرّ أبو تُراب النَّخْشَبِىّ بمُزَيِّن فقال له : تحلِق رأسى لله عز وجل ؟ فقال له : اجلس . فجلس ، فبينا هو يحلِق رأسه مر به أمير من أهلِ بلده ، فسأل حاشيته ، فقال لهم : أليس هذا أبا تُراب ؟ فقالوا : نعم . فقال : أيش معكم من الدنانير ؟ فقال له رجل من خاصّته : معى خريطة فيها ألف دينار . فقال : إذا قام فأعطه إياها واعتذِرْ إليه ، وقل له : لم يكن معنا غيرُ هذه . فجاء الغلام إليه وقال له : إن الأمير يقرأ عليك السلام ، وقال لك : ما حضر معنا غيرُ هذه ، فقال له : ادفعها إلى المُزَيِّن ، فقال المُزَيِّن : أيش أعمل بها ؟ فقال : خذها ، فقال : والله ، ولو أنها ألفا دينار ما أخذتها . فقال له أبو تُراب : مُرّ إليه فقل له : إن المُزَيِّن ما أخذها ، فخذها أنت فاصرفها فى مهمّاتك .

● قلت : سُقنا هذه الحكاية بالسند ، لما فيها من جليل الفوائد ، فمنها حال هذا المزيِّن وعدم أخذه العِوَض على عمل عمله لله تعالى ، فأرى الله أبا تراب خَلْقا من خلقه ، مُزَيِّنا بهذه الصفة .

ومنها ردّ أبى تراب هذا الذهب على هذا الوجه ، فإن أبا تُراب إن كان عرف أن هذا المزيِّن لا يأخذها فلعله دفعها إليه ليردّها فيراه غلام ذلك الأمير ، ويعرف ويحكى لأستاذه أن مزيِّن أبى تراب لا يرضى أن يأخذ ألف دينار على هذا العمل اليسير ، فما الظن بأبى تراب وإعراضه عن الدنيا ، وإن كان أبو تراب لم يعرف حال المزيِّن –وذلك بعيد عندنا– فيكون رد المزيِّن لها تعريفا من الله لأبى تراب بمقدار هذا المزيِّن ، وتربيةً أيضا

(١) فى المطبوعة : « أحمد » وأثبتنا ما فى الطبقات الوسطى ، د ، النسخة ١٦٣ .

لهذا الأمير ، وسلوكا لأحسن طريق فى رد ذهبه عليه ، وأنه أحوج من أبى تُراب إليه ، فإنه لا يبذل مثله لمزيِّن ، ومزيِّن أبى تُراب لا يرضى بِمِثْلِيْه ، ولا بأمثاله .

توفى أبو تُراب بالبادية . قيل : نَهشَتْه السِّباع . وقد قدّمنا أن يحيى بن مُعاذ تولّى غسله ، فلعله اطّلع على مكانه .

وكانت وفاة أبى تُراب سنة خمس وأربعين ومائتين ، قال أبو عِمران الإِصْطَخْرِىّ : رأيته فى البادية قائما ميّتا لا يُمسكه شيء .

(ومن الفوائد عن أبى تُراب رحمه الله تعالى)

● سئل أبو تُراب عن صفة العارف ، فقال : الذى لا يكدِّره شيء ، ويصفو به كلُّ شيء .

وقال أبو تُراب : الفقير قُوته ما وَجد ، ولباسه ما سَتر ، ومَسكنه حيث نزل .

وقال : إن الله يُنطق العلماء فى كل زمان بما يُشاكل أعمالَ [أهل][1] ذلك الزمان .

وقال : مَن شغل مشغولا بالله [عن الله][2] أدركه المَقْت من ساعته .

● وقال : شرط التوكّل طرح البدن فى العبوديّة ، وتعلّق القلب بالرُّبوبيّة ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أُعطىَ شَكَر ، وإن مُنع صَبَر ، وليس ينال الرضا مَن للدنيا فى قلبه مقدارٌ .

وقال : صحبت مائة شيخ ، ما نفعنى مثل شدّ رأس الجِراب ، يعنى القناعة والتقلل من الدنيا .

وقال : إذا رأيت الصوفىّ سافر بلا رَكْوَة فاعلم أنه عزم على ترك الصلاة .

---

(١) من طبقات الصوفية ١٥١ .

(٢) من طبقات الصوفية ١٤٩ .

(حكاية تشتمل على تحقيق التَّجلِّى)

● قال القاضي ناصر الدين بن المُنَيِّر المالكيّ فى كتابه « المقتفى » : وفى الحكاية المدوّنة فى كتب أهل الطريق أن أبا تُراب النَّخْشبىّ كان له تلميذ ، وكان الشيخ يرفُق به ويتفرّس فيه الخير ، وكان أبو تُراب كثيرا ما يذكر أبا يزيد البَسْطامِىّ ، فقال له الفتى يوما : لقد أكثرت من ذكر أبى يزيد ! مَن يتجلّى له الحق فى كلّ يوم مرَّات ماذا يصنع بأبى يزيد ؟ فقال له أبو تُراب : ويحك يا فتى ! لو رأيت أبا يزيد لرأيت مَرأًى عظيما ، فلم يزل يشوقه إلى لقائه حتى عزم على ذلك فى صحبة الشيخ أبى تُراب ، فارتحلا إلى أبى يزيد ، فقيل لهما : إنه فى الغَيْضة ، وكانت له غَيْضة يأوِى إليها مع السِّباع ، فقصدا الغَيْضة وجلسا على رَبْوة على مَمَرّ أبى يزيد ، فلما خرج أبو يزيد من الغَيْضة قال أبو تُراب للفتى : هذا أبو يزيد ، فعندما وقع بصر الفتى على أبى يزيد خرّ ميتا ؛ فحدّث أبو تُراب أبا يزيد بقصته ، وعَجِب من ثبوته لتجلِّى الحق سبحانه وتعالى ، وعدم تماسكه لرؤية أبى يزيد . فقال أبو يزيد لأبى تُراب : كان هذا الفتى صادقا ، وكان الحق يتَجلّى له على قَدْر ما عنده ، فلما رآنى تجلّى له الحق على قدرى فلم يُطق .

قال الفقيه ناصر الدين : واصطلاح أهل الطريق معروف ، وحاصله رتبة من المعرفة جليّة ، وحالة من اليقظة والحَضْرة سَرِيّة سَنِيّة ، والإيمان يَزيد ويَنقص ، على الصحيح ؛ ولا تظنهم يعنون بالتجلِّى رؤية البصر التى قيل فيها لموسى عليه السلام على خُصوصيته : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾[1] والتى قيل فيها على العموم : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[2] فإذا فهمت أن مُرادهم الذى أثبتوه غير المعنى الذى حصل الناس منه على الناس فى الدنيا ، ووُعد به الخواصّ فى الأخرى ، فلا ضير بعد ذلك عليك ، ولا طريق لِسبْق[3] الظن إليك ، والله يتولى السرائر .

---

(١) سورة الأعراف ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٠٣ .

(٣) فى المطبوعة : « لسوء » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ .

قلت : وكلام ابن المُنَيِّر هذا فى تفسير التجلِّى يقرُب من قول شيخ الإسلام وسلطان العلماء أبى محمد بن عبد السلام ، رحمه الله فى كتاب « القواعد » : إن التجلى والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان .

واعلم أن القوم لا يقتصرون فى تفسير التجلِّى على العلم ، ولا يعنون به إياه ، ثم لا يفصحون بما يعنون إفصاحا ، وإنما يلوِّحون تلويحا ، ثم يصرِّحون بالبراءة مما يوجب سوء الظن تصريحا ؛ وقد ذكر سيد الطائفة أبو القاسم القُشَيْرى رحمه الله فى « الرسالة » باب « السَّتر والتجلِّى »(١) ثم باب « المشاهدة »(٢) ولم يفصح بتفسير التجلِّى ، كأنه خشىَ على فهم مَن ليس من أهل الطريق ، وعرف أن السالك يفهمه ، فلم يحتج إلى كشفه له .

وحاصل ما يقوله متأخرو القوم أن التجلِّى ضَربان :

ضَرب للعوامّ ، وهو أن يكشف صورة ، كما جاء جبريل عليه السلام فى صورة دِحْية ، وكما فى الحديث : « رَأَيْتُ رَبِّى فِى صُورَةِ شَابٍّ » قالوا : وهذا تجلّى الصفة ، ويضربون لذلك المرآة مثلا فيقولون : أنت تنظر وجهك فى المرآة ، وليست المرآة محلّا لوجهك ، ولا وجهك حالًّا فيها ، وإنما هناك مثالها ، تعالى الله عن أن يكون له مثال ! وإنما يذكرون هذا تقريبًا للأفهام .

وحديث « فِى صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدَ » موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ .

وضرب للخواصّ ، وهو تجلّى الذات نفسها ، ويذكرون هنا لتقريب الفهم الشمس ، قالوا : فإنك ترى ضوء النهار فتحكم بوجود الشمس وحضورِها برؤيتك الضوءَ .

قالوا : وهذا تقريب أيضًا ، وإلا فنور البارى لو سَطع لأحرق الوجود بأَسْره إلا مَن ثبّته الله .

وقد يعتضِدون بحديث أبى ذَرّ رضى الله عنه : سألت النبىّ ﷺ : هل رأيت ربَّك ؟ قال : « نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » وفى لفظ قال « رَأَيْتُ نُورًا » .

---

(١) الرسالة ٥١ .

(٢) الرسالة ٥٢ .

أخرجه مسلم والتِّرمذىّ[1] ، ولكنه حديث مؤوَّل باتفاق المسلمين .

هذا حاصل كلام القوم . وأنا معترف بالقُصور عن فهمه ، وضيق المحلِّ عن بسط العبارة فيه .

وقد جالست فى هذه المسألة الشيخ الإمام الصالح العارف قطب الدين بركة المسلمين محمد بن اسفهبدا الأَرْدُبِيلِىّ ، أعاد الله من بركته وقلت له : أتقولون بأن الذى يراه العارف فى الدنيا هو الذى وعده الله فى الآخرة ؟

قال : نعم .

قلت : فبِمَ تتميّز رؤية يوم القيامة ؟

قال : بالبصر ؛ فإن الرؤية فى الدنيا فى هذين الضَّربين إنما هى بالبصيرة دون البصر .

قلت : فقد اختُلف فى جواز رؤية الله تعالى فى الدنيا .

قال : الحقُّ الجواز .

قلت : فلا فارقَ حينئذ ، وتجوز الرؤية بالبصر فى الدنيا .

قال : الفارق أنه فى الآخرة معلوم الوقوع للمؤمنين كلهم ، وفى الدنيا لم يثبت وقوعه إلا للنبىّ ﷺ ، وفى بعض ذوى المقامات العليّة .

هكذا قال .

ومما قلت له ، وقد ضرب المرآة مثلا : قد يقال إن هذا نوع من الحُلول ، والحُلول كُفر .

قال : لا ، فإن الحُلول معناه أن الذات تحُلّ فى ذات أخرى ، والمرآة لا تحُلّ الصورة فيها .

هذا كلامه .

قلت له : فما المشاهدة عن[2] التجلِّى ؟

---

(١) صحيح مسلم فى (باب فى قوله عليه السلام : نور أنى أراه . من كتاب الإيمان) ١ / ١٦١ . وجامع الترمذى فى (تفسير سورة النجم ، من كتاب التفسير) ٢ / ٢٢٣ . وقد اختار المصنف رواية مسلم .

(٢) فى المطبوعة : « غير » والمثبت فى د ، والنسخة ١٦٣ .

قال : المشاهدة دوام تجلّى الذات ، والتجلّى قد يكون معه مشاهدة ، وهو ما إذا دام ، وقد لا يكون . انتهى .

وأقول : إذا تبرأ القوم من تفسير التجلّى بما لا يمكن ولا يجوز وصفُ الربِّ تعالى به فلا لومَ عليهم بعد ذلك ، غير أنهم مصرِّحون بأنه غير العلم والعِرفان .

(حكاية ثانية يبحث فيها عن الكرامات)

قال أبو على الرُّوذْبارِىّ : سمعت أبا العباس الرَّقِّىّ يقول : كنا مع أبى تُراب النَّخْشَبِىّ فى طريق مكة ، فعدل عن الطريق إلى ناحية ، فقال له بعض أصحابه : أنا عطشان . فضرب برجله فإذا عينٌ من ماء زُلال ، فقال الفتى : أحب أن أشربه فى قدح . فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيضَ كأحسن ما رأيت ، فشرب وسقانى ، وما زال القدح معنا إلى مكة .

فقال لى أبو تُراب يوما : ما يقول أصحابك فى هذه الأمور التى يكرم الله بها عباده ؟ فقلت : ما رأيت أحدا إلا وهو مؤمن بها . فقال : من لا يؤمن بها فلقد كفر ، إنما سألتك من طريق الأحوال ! فقلت : ما أعرف لهم قولا فيه . فقال : بلى ! قد زعم أصحابك أنها خَدْع من الحق ، وليس الأمر كذلك ، إنما الخدع فى حال السكون إليها ، فأما من [لم][1] يقترح ذلك فتلك مرتبة الرَّبّانيِّين .

قلت : قد اشتمل كلام أبى تُراب هذا على فصلين مهمّين .

● أحدهما : أن الكرامات والمكاشفات ليست خَدعا إلا لمن يقف عندها ويجعلها شوقه[2] ومقصوده ، ولاشك فى هذا ؛ وقد بالغ قوم فى تعظيمها بحيث سلبوا بها المواهب ، وبالغ آخرون فى امتهانها ، بحيث لم يعُدُّوها شيئا ؛ والحق ما ذكره أبو تُراب من أن السكون إليها نقْص . فمن الواضح الجَلِىّ الذى لا ينكره عارف أن العارف لا يقف عندها ، وإنما مطلوبه وراءها ، وهى تقع فى طريقه ، وليس للواقع فى الطريق مِن الطريق

---

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) فى : د ، والنسخة ١٦٣ : « سوقه » والمثبت من المطبوعة .

صفة ، ومن وقف عندها سقط فى مَهاوِى الهَلَكات ، ومن كانت هى مطلوبَه فهو مغرور ، ويبعد وصوله إليها ، وإنما يصل إليها من لا يراها . فافهم ما يلقى إليك .

فإن قلتَ : فلأىّ معنى يُظهرها مظهروها ، وهى على ما تزعم أشياءُ لا يُلقون إليها بالاً ؟

قلتُ : ظهورها يقع على أنحاءٍ ربما لم يكن باختيار صاحبها ، وهو كثير ، بل صار بعض الأئمة كما نقل إمام الحرمين فى « الشامل » إلى أن الكرامات لا تكون أبدا إلا على هذا الوجه . فعلى هذا الوجه لا سؤال ؛ ولكن هذا مذهب ضعيف غير مَرْضِيٍّ عند المحصِّلين ، ولا سؤال عليه ، وربما كان هو المظهَر بها ؛ وإنما يكون ذلك لفائدة دينية ، من تربيـة أو بِشارة ، أو نِذارة ، أو غير ذلك حيث يؤذَن فيه ، ولا يجوز إظهارها حيث لا فائدة ، فذلك عند القوم غير جائز له .

● والفصل الثانى : أن الكرامات حق ، وقول أبى تُراب « مَن لا يؤمن بها فقد كفر » بالغ فى الحطّ من[1]منكريها ، وقد تُؤوِّل لفظةُ الكفر فى كلامه ، وتُحمَل على أنه لم يعن الكفر المخرِج من المِلَّة ، ولكنه كُفْر دون كُفْر .

وإنى لأعجب أشدَّ العجب من منكرها ، وأخشى عليه مَقْت الله ، ويزداد تعجبى عند نسبة إنكارها إلى الأستاذ أبى إسحاق الإسفَراينىّ ، وهو من أساطين أهل السنة والجماعة ! على أن نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كَذِبٌ عليه ؛ والذى ذكره الرجل فى مصنَّفاته أن الكرامات لا تبلغ مبلغ خَرْق العادة .

قال : وكلّ ما جاز تقديره معجزةً لنبيٍّ لا يجوز ظهور مثله كرامةً لولىّ .

قال : وإنما بالِغُ الكرامات إجابة دعوة ، أو موافاة ماء فى بادية فى غير موقع المياه ، أو مُضاهِى ذلك ، مما ينحطّ عن خَرْق العادة ، ثم مع هذا قال إمام الحرمين وغيره من أئمتنا : هذا المذهب متروك .

قلت : وليس بالغا فى البشاعة مبلغ مذهب المنكِرين للكرامات مطلقا ، بل هو مذهب مفصِّل بين كرامة وكرامة ، رأى أن ذلك التفصيل هو المميِّز لها من المعجزات .

---

(١) فى المطبوعة : « على » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ .

وقد قال الأستاذ الكبير أبو القاسم القُشَيْرِىّ فى « الرسالة »[1] : إن كثيرا من المَقْدورات يُعْلَم اليوم قطعا أنه لا يجوز أن يظهر[2] كرامةً للأولياء ، لضرورة أو شبه[3] ضرورة يعلم ذلك ، فمنها حصول إنسان لا من أبوين ، وقلْب جمادٍ بهيمةً أو حيوانا . وأمثال هذا يكثر . انتهى .

وهو حق لا ريب فيه ، وبه يتضح أن قول مَن قال : ما جاز أن يكون معجزةً لنبىٍّ جاز أن يكون كرامةً لولى . ليس على عمومه ، وأن قول من قال : لا فارِقَ بين المعجزة والكرامة إلا التحدى . ليس على وجهه ، ولعلنا نبحث عن هذا فى آخر الفصل ؛ وسبيلنا حيث انتهينا إلى هذا الفصل أن نستقصىَ شُبَهَ المنكرين للكرامات ، ونستأصل شَأْفتهم بتقرير الرد عليهم ، ثم نذكر البراهين الدالة على الإثبات ، ونختمها بتتمّات .

(شُبهة للقَدَرِيّة فى منع الكرامات ، وذكر فسادها)

● قالوا : تجويز الكرامة يُفضى إلى السَّفْسطة ؛ لأنه يقتضى تجويز انقلاب الجبل ذهبا إبْرِيزا ، أو البحر دما عَبِيطا ، وانقلاب أوانٍ يتركها الإنسان فى بيته أئمةً فضلاء مدقِّقين .

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

أحدها : أنا لا نسلِّم بلوغ الكرامة إلى هذا المبلغ ، كما اقتضاه كلام القُشَيْرِىّ .

والثانى : وهو ما اقتضاه كلام أئمتنا أنا نجوِّز بلوغها هذا المبلغ ، ولكن لا يقتضى ذلك سَفْسَطة ؛ لأن ما ذكرتم بعينه وارد عليكم فى زمان النبوة ، فإنه يجوز ظهور المعجزة بذلك ، ولا يؤدى إلى سَفْسطة .

والثالث : أن التجويزات العقلية لا تقدح فى العلوم العادية ، وجواز تغيّرها بسبب الكرامة تجويز عقلىّ فلا يقدح فيها .

---

(١) صفحة ٢٠٨ .

(٢) فى المطبوعة : « تظهر » والمثبت من الرسالة .

(٣) فى المطبوعة : « شبهة » وأثبتنا ما فى الرسالة ، د ، والنسخة ١٦٣ .

(شبهة ثانية لهم ، وتبيين الانفصال عنها)

● قالوا : لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة ، فلا تبقى للمعجزة دلالةٌ على ثبوت النبوة .

والجواب : منع الاشتباه ؛ وهذا لأن المعجزة مقرونة بدعوى النبوة ، ولا كذلك الكرامة ، بل الكرامة مقرونة بالانقياد للنبيّ ﷺ ، وتصديقه ، والسير على طريقه .

وقولهم : « إنما دلت المعجزة على تصديق النبيّ من حيث انخراقُ العادة ، فكذلك الكرامة » كلام ساقط ؛ فإن مجرد خَرْق العادة ليس المقتضِيَ للنبوّة ، ولو دلّ خَرْق العادة على النبوّة بمجرَّده[1] لوجب أن تدل أشراط الساعة وما سيظهر منها على ثبوت نبوة ، إذ العوائد تنخرق بها ، ومن أعظم البدائع فِطرة السمٰوات والنشأة الأولى ، ثم لم تقتض بدائع الفِطرة فى نشأة الخلق ثبوت نبيّ ! فاستبان أن مجرد خَرْق العادة لا يدل ؛ إذ لو دلّ لاطّرد ، بل لابد معه من التحدّى ، فلا اشتباه للكرامة بالمعجزة ، وأيضا فالمعجزة ، يجب على صاحبها الإشهار ، بخلاف الكرامة ، فإن مبناها على الإخفاء ، ولا تظهر إلا على النُّدرة والخصوص ، لا على الكثرة والعموم ؛ وأيضا فالمعجزة تجوز أن تقع بجميع خوارق العادات ، والكرامات تختص ببعضها ، كما بيّناه من كلام القُشَيْرِىّ ، وهو الصحيح . ولسنا نجوِّز ولدا إلا من أبوين ، ولا نحو ذلك . كما سنستقصى القول فيه .

(شبهة ثالثة لهم ، ووجه الانفصال عنها)

● قالوا : لو ظهرت لولىّ كرامة لجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك حَبّة من الحِنطة أو فَلْسا واحدا من الفلوس ، من غير بينة ؛ لظهور درجته عند الله تعالى المانعةِ من كذبه ، لا سيّما فى هذا النَّزر اليسير ، لكنه باطل ؛ لإجماع المسلمين المؤيَّد بقول رسول رب العالمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين : « الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ » .

---

(١) فى : د ، والنسخة ١٦٣ : « مجردة » والمثبت فى المطبوعة .

والجواب أن الكرامة لا توجب عِصمة الوَلىّ ، ولا صِدقَه فى كل الأمور ؛ وقد سئل شيخ الطريقة ، ومقتدَى الحقيقة أبو القاسم الجُنَيد رحمه الله : أيزنى الولىّ ؟ فقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾[1] وهب أن الظن حاصل بصِدقه فيما ادعاه إلا أن الشارع جعل لثبوت الدعوى طريقا مخصوصا ، ورابطا معروفا لا يجوز تعدِّيه ، ولا العدول عنه ، ألا ترى أن كثيرا من الظنون لا يجوز الحكم بها ؛ لخروجها عن الضوابط الشرعية .

(شبهة أخرى لهم ، وكشف عوارها)

● قالوا : لو جاز ظهور خوارق العادات على أيدى الصالحين لجاز سرًّا كما يجوز جهرا ، ولو جاز سرّا لما أمكننا أن نستدل على نبوّة الأنبياء بظهورها على أيديهم ، فثبت أن ظهورها على الصالحين سرًّا ممتنع ، وإذا لم يجُز ظهورها عليهم سرًّا فأولى أن لا تجوز جهرا ؛ لأن كل مَن جوَّز ظهورها عليهم لم يشترط أن تظهر علانية ، بل من أصول معظم جماعتكم أن الأولياء لا يُظهرون الكرامات ولا يَدْعون بها ، وإنما تظهر سرًّا وراء ستُور ، ويتخصص بالاطلاع عليها آحادُ الناس ، فثبت أنها لو جازت لجازت سِرًّا ، إذ لا قائل بالفَصل[2] ، ولأنه أولى بالجواز من العلانية ، لكن جوازها سِرًّا يُفضى إلى أن لا يُستدلّ بها على النبوّة ، لأنه يجوز ظهورها متواليةً على استمرار ، وإن كان ذلك مَخْفِيًا مستتِرا ، وتكون موجودة مستمرّة بحيث تلتحق بحكم المعتاد ، فإذا ظهر نبىّ وتحدّى بمعجزة ، جاز أن تكون هى بعض ما اعتاده أولياء عصره من الكرامات ، ولا يتحقق فى هذا النبىّ خرْقُ العوائد ، فكيف السبيل إلى تصديقه ؟

هذا حاصل شُبهتهم هذه، ثم حرروا عنهاعبارة فقالوا: إذا تكرر ما يَخرِق العوائد على الأولياء أفضى ذلك إلى التحاق خوارق العادات فى حقوقهم بالمعتادات، وصارت

---

(١) سورة الأحزاب ٣٨ .

(٢) فى المطبوعة : « بالتفصيل » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ .

عاداتهم خِلافَ العادات ، فلو ظهر نبيٌّ فى زمنهم كانت عوائدهم[1] فى انخراق العوائد فى أحوالهم تصدُّهم عن تصحيح النظر فى المعجزة .

ثم أخرجوا الشبهة على وجه آخر فقالوا : لو جاز إظهارها على صالح لجاز إظهارها على صالحٍ آخرَ إكرامًا له ، وهكذا إلى عدد كثير ، إذ ليس اختصاص عدد منهم بذلك أولى من عدد آخر ، وحينئذ يصير عادة فلا يبقى ظهورها دليلا على النبوة ، ويُطوَى بساط النبوة رأسا .

وجميع ما ذكروه فى هذه الشبهة تمويه ، لا حاصل تحته ، وقَعْقَعة لا طائلَ فيها . ولأئمتنا فى ردها وجهان :

فمن أئمتنا مَن منع توالى الكرامات واستمرارها حتى تصير فى حكم العوائد ، وخلَص بهذا المنع عن إلزامهم ، بل امتنع بعض المحقِّقين من تصوّر[2] توالى المعجزات على الرسل المتعاقبين ، إذ كان يؤدى إلى أن تصير المعجزات معتادة . فهذه طريقة فى الرد على هذه الشبهة ، حاصلها :

أنا إنما نجوّز ظهور الكرامات على وجه لا يصير عادة ، فاستبان أنه خاصٌّ بشبهتهم هذه ، وأنها لم تقدح فى أصل الكرامات ، وإنما تضمنت منع كُرورها ، والتحاقها بالمعتاد .

ومن أئمتنا – وهم المُعْظَم – من جوّز توالى الكرامات على وجه الاختفاء ، بحيث لا تظهر ولا تَشيع ولا تلتحق بالمعتاد ؛ لئلا تخرج الكرامة عن كونها كرامةً عند عامّة الخلق . ثم قالوا : الكرامة وإن توالت على الولِىّ حتى أَلِفَها واعتادها فلا يخرجه ذلك عن طريق الرشاد ، ووجه السداد فى النظر إذا لاحت المعجزة ، إن وافقه التوفيق ، وإن تعدّاه التوفيق سُلِب الطريق ، ولم يكن بولِىٍّ على التحقيق ، والمعجزة تتميز عمّن تكررت عليه الكرامةُ بالإظهار والإشاعة والتحدّى ودعوى النبوّة ؛ فإذا تميّزت الكرامة عن المعجزة لم ينسدّ باب الطريق إلى معرفة النبىّ .

---

(١) فى المطبوعة : « عادتهم » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) فى المطبوعة : « تصوير » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

ومن تمام الكلام فى ذلك أن أهل القِبلة متفقون على أن الكرامات لا تظهر على الفَسَقة الفَجَرة ، وإنما تظهر على المتمسكين بطاعة الله عز وجل .

وبهذا لاح أن الطريق إلى معرفة الأنبياء لا ينسدّ ؛ فإن الولىّ بتوفيق الله تعالى ينقاد للنبىّ إذا ظهرت المعجزة على يديه ، ويقول : معاشرَ الناس ، هذا نبىّ الله فأطيعوه . ويكون أولَ منقاد له ، ومؤمنٍ به .

والقاضى أبو بكر ، وإن شبّب بمنع هذا الإجماع وقال : لو جوّز مجوِّز ظهور بعض خوارق العادات على بعض الفَسَقَة استدراجا لكان مذهبا ، كما أنه لا يَبْعُد ظهورها على الرُّهبان المتبتِّلين وأصحاب الصوامع على كُفْرهم . فهذا كما قال إمام الحرمين فيه نظر ، ولسنا نثبت لراهبٍ كرامةً ، ولا كيد ولا كرامة . ومحلّ استيفاء القول على ذلك لا يحتمله هذا المكان .

والحاصل : أن ما يظهر على يد الرهبان ليس من الكرامات ، وأما توقف القاضى فى الفَسَقة والفَجَرة فأنا معه ، لكن لا على الإطلاق ؛ بل أفصِّل فأقول :

لو ذهب ذاهب إلى تجويز ظهور الكرامة على يد الفاسق إنقاذًا له مما هو فيه ، ثم يتوب بعدها ويثبت لا محالة ، وينتقل إلى الهدى بعد الضلالة ، لكان مذهبا ، ويقرُب منه قصة أصحاب الكهف التى سنحكيها ؛ فقد كانوا عَبَدَة أصنام ثم حصل لهم ما حصل ؛ إرشادًا وتبصرة ؛ ثم ما ذكره الخصوم من حديث اشتباه النبىّ بغيره إذا وافقت المعجزة الكرامة قد تبيّن الانفصال عنه .

وأنا أقول : مَعاذَ اللهِ أن يتحدَّى نبىّ بكرامة تكررت على يد ولىّ ! بل لابد أن يأتىَ النبىّ بما لا يوقعه الله على يد الولىّ ؛ وإن جاز وقوعه فليس كل جائز فى قضايا العقول واقعا . ولمّا كانت مرتبة النبىّ أعلا وأرفع من مرتبة الولىّ كان الولىّ ممنوعا مما يأتى به النبىّ على وجه الإعجاز والتحدِّى ؛ أدبًا مع النبىّ .

ثم أقول : حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه ، إنما يقع البحث فيه حيث لم تُختم النبوّة ،

أمّا مع مجئ خاتَم النبيّين الذى ثبتت نبوّته بأوضح البراهين ، وإخباره بأنه لا نبيَّ بعده ؛ فقد أمِنّا[1] الاشتباه ، فلو صح ما ذُكر من الاشتباه والانسداد لكان فى حكم الأولياء من الأمم السالفة ، لا فى [حكم][2] الأولياء من هذه الأمة ؛ لِأَمْنهم من أنه لا نبىَّ بعد نبيّهم ﷺ ، هذا لو صح ، ولن يصح أبدا .

(شبهة خامسة لهم ، وتقرير بطلانها)

قالوا : لو كان للكرامات أصل لكان أولى الناس بها أهل الصَّدر الأول ، وهم صَفوة الإسلام وقادة الأنام ، والمفضَّلون على الخليقة بعد الأنبياء عليهم السلام ، ولم يُؤثر عنهم أمرٌ مُسْتَقصًى[3] .

وهذا الذى ذكروه تعلُّل بالأمانىّ ، وهو قول مرذول مردود ! فلو حاول مُستقصٍ استقصاء كرامات الصحابة رضى الله عنهم لأجهد نفسه ، ولم يصل إلى عُشْر العُشْر ، ولا بأس هنا بذكر يسير من كرامات الصحابة رضى الله عنهم ، والكلام على السرّ فى ظهورها ، وإظهارها على وجه الاختصار ؛ ليُستفاد بكلامنا على ما نورده من القليل ما يستعان به على ما نُغفله من الكثير .

فنقول : اعلم أولا أن كل كرامة ظهرت على يد صحابى أو وَلىّ ، أو تظهر إلى يوم يقوم الناس لربّ العالَمين فإنها معجزة للنبى ﷺ ؛ لأن صاحبها إنما نالها بالاقتداء به ﷺ ، وهو معترف له بأنه مقدَّم خليقة الله ، وصفوتهم ، وسيّد البشر الذى مِن بحره تُستخرَج الدُّرَر ، ومن غيثه يُستنزَل المطر ؛ وهذا المعنى يصلح أن يكون سببا إجماعيا[4] عامّا فى الإظهار ، لاسيَّما فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ؛ فإن

---

(١) فى المطبوعة : « أقمنا » والتصويب من : د ، والنسخة ١٦٣ .
(٢) من : د ، والنسخة ١٦٣ .
(٣) فى المطبوعة : « مستفيض » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ .
(٤) فى المطبوعة : « إجماليا » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ .

الكفار إذا رأوا ما يظهر على يديهم من الخوارق آمنوا بنبيّهم ﷺ ، وعلموا أنهم على الحق ، فربما كان هذا سببا فى الإظهار . إذا علمت ذلك :

(فمن الكرامات على يد أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه)

ما صح من حديث عُرْوة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر الصدِّيق رضى الله عنه كان نَحَلَها جادَّ[1] عِشْرين وَسْقا ، فلما حضرته الوفاة قال : والله يا بُنيَّة ما مِن الناس أحد أحبّ إلىَّ غِنًى بعدى منك ، ولا أعزّ علىّ فقرًا بعدى منك ، وإنى كنت نحلتُك جَادَّ عِشْرين وَسْقا ، فلو كنت [جددته][2] وخزنْتِه كان لك ، وإنما هو اليوم مالُ وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك ، فاقتسموه على كتاب الله . قالت عائشة : يا أبتِ ، واللهِ لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هى أسماءُ فَمن الأخرى ؟ فقال أبو بكر : ذو بطن ؛ بنت أُراها جارية . فكان ذلك .

قلت : فيه كرامتان لأبى بكر .

إحداهما : إخباره بأنه يموت فى ذلك المرض ، حيث قال : « وإنما هو اليومَ مالُ وارث » .

والثانية : إخباره بمولود يُولد له ، وهو جارية .

والسر فى إظهار ذلك ، استطابة قلب عائشة رضى الله عنها فى استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه ، وإعلامها بمقدار ما يخصّها ؛ لتكون على ثقة منه ، فأخبرها بأنه مالُ وارث ، وأن معها أخوين وأختين لهذا ؛ ويدل على أنه قصد استطابة قلبها ، ما مَهّده أولا من أنه لا أحدَ أحبُّ إليه غنى بعده منها ، وقوله : « إنما هما أخواك وأختاك » . أى ليس ثَمَّ غريب ، ولا ذو قرابة نائية[3] ، وفى هذا من الترفُّق ما ليس يخفى ؛ فرضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) الجاد : بمعنى المجدود ، أى نخل يجد منه ما يبلغ عشرين وسقا . النهاية ١ / ٢٤٤ .
(٢) ساقط من : د ، والنسخة ١٦٣ .
(٣) فى : د ، والنسخة ١٦٣ : « ثابتة » وأثبتنا ما فى المطبوعة .

ومنها : ما فى البخارىّ[1] من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر ، وقول النبىّ ﷺ فى أهل الصُّفّة مرة : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ » ... الحديث[2] .

وفيه أن أبا بكر انطلق بثلاثة وغادرهم فى بيته ، وتعشّى عند النبىّ ﷺ ، ولبث حتى صلّى العِشاء مع رسول الله ﷺ ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله ، فقالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ قال : أَوَ ما عشّيْتِهم ؟ قالت : أَبَوْا حتى تجىء . ثم قال : كلوا . فقال قائلهم : وَايْمُ اللهِ ما كنا نأخذ من لقمة إلّا رَبا من أسفلها أكثرُ منها . حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبلُ ، فنظر أبو بكر فإذا شىء أو أكثر ، فقال لامرأته : يا أختَ بنى فِراس ، ما هذا ؟ قالت : لا ، وقُرّةِ عينى لَهِىَ الآن أكثر مما كانت قبلُ بثلاث مرات ، فأكل منها أبو بكر ... الحديث .

فنقول : السر فيه ، والعلم عند الله ، إن كان أبو بكر قصد تكثير الطعام احتياجَه إلى إشباع الأضياف ، الذين أمره النبىُّ ﷺ بهم ، وإن لم يكن قصد ذلك بل كثّره الله ببركته ، فهى كرامة أظهرها الله على يديه من غير قصد منه ، فلا يُبحث عنها .

(ومنها على يد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه)

الذى قال فيه النبىُّ ﷺ : « لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ ناسٌ مُحَدَّثُونَ[3] ، فَإِنْ يَكُ فِى أُمَّتِى أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ » .

(قصة سارية بن زُنَيْم الخُلْجِىّ[4])

كان عمر قد أمّر ساريةَ على جيش من جيوش المسلمين ، وجهّزه إلى بلاد فارس ، فاشتد على عسكره الحال على باب نِهاوَنْد ، وهو يحاصرها ، وكثرت جموع الأعداء ، وكاد

---

(١) صحيحه فى (باب السمر مع الضيف والأهل ، من كتاب المواقيت) ١ / ١٥٦ ، وفى (باب علامات النبوة فى الإسلام ، من كتاب المناقب) ٤ / ٢٣٦ .

(٢) إلى هنا انتهى سقط نسخة ج الذى بدأ فى صفحة ٢٥٧ .

(٣) المحدثون – بفتح الدال المشددة – هم الملهمون . كأنهم حدثوا بشىء فقالوه . النهاية ١ / ٣٥١ .

(٤) هما اثنان ، جعلهما ابن السُّبكى واحدًا : سارية بن زُنَيم الكنانى ، صاحب هذه القصة وسارية الخُلْجىّ . الإصابة ٣ / ٤ ، ٢٧٤ .

المسلمون ينهزمون ، وعمر رضى الله عنه بالمدينة ، فصعد المِنبر وخطب ، ثم استغاث فى أثناء خطبته بأعلا صوته : يا ساريةُ الجبلَ ، يا ساريةُ الجبلَ ، مَن استرعى الذئبَ الغَنمَ فقد ظلم . فأسمع الله عزّ وجلّ سارية وجيوشَه أجمعين ، وهم على باب نِهاوَنْد صوتَ عمر ، فلجأوا إلى الجبل ، وقالوا : هذا صوت أمير المؤمنين . فنجَوا وانتصروا .

هذا ملخصها . وسمعت الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يزيد فيها : أن عليا رضي الله عنه كان حاضرا ، فقيل له : ما هذا الذى يقوله أمير المؤمنين ؟ وأين ساريةُ منا الآن ؟ فقال كرّم الله وجهه : دَعُوه ، فما دخل فى أمر إلا وخرج منه . ثم تبيّن الحال بالآخِرة .

قلت : عمر رضى الله عنه لم يقصد إظهار هذه الكرامة ، وإنما كُشف له ، ورأى القومَ عَيانا ، وكان كمن هو بين أظْهُرهم ، أو طُويت الأرض وصار بين أظْهُرهم حقيقة ، وغاب عن مجلسه بالمدينة ، واشتغلت حواسُّه بما دَهَم المسلمين بِنِهاوَنْد ، فخاطب أميرَهم خطابَ مَن هو معه ، إذ هو حقيقة ، أو كمن هو معه .

واعلم أن ما يُجريه الله على لسان أوليائه من هذه الأمور يَحتمِل أن يُعرِّفوا بها ، ويَحتمِل أن لا يُعرِّفوا بها ، وهى كرامة على كلا الحالين .

(ومنها قصة الزَّلْزَلة)

قال إمام الحرمين رحمه الله فى كتاب « الشامل » : إن الأرض زُلْزِلت فى زمن عمر رضى الله عنه ، فحمِد الله وأثنى عليه ، والأرض تَرجُف وترتجّ ، ثم ضربها بالدِّرَّة وقال : أَقِرِّى ألم أعدِل عليك ؟ فاستقرّت من وقتها .

قلت : كان عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين على الحقيقة فى الظاهر والباطن ، وخليفة الله فى أرضه وفى ساكنى أرضه ، فهو يُعزِّر الأرض ويؤدبها بما يصدر منها ، كما يُعزِّر ساكنيها على خطيئاتهم .

فإن قلت : أيجب على الأرض تَعزيرٌ وهى غير مكلَّفة ؟

قلت : هذا الآن جهل وقصور على ظواهر الفقه ! اعلم أن أمر الله وقضاءه متصرِّف فى

جميع مخلوقاته ، ثم منه ظاهر وباطن ، فالظاهر ما يبحث عنه الفقهاء من أحكام المكلَّفين ، والباطن ما استأثر الله بعلمه ، وقد يُطلع عليه بعض أصفيائه ، ومنهم الفاروق سقى الله عهده ، فإذا ارتجّت الأرض بين يدىْ مَن استوى عنده الظاهر والباطن عَزَّرها ، كما إذا زَلَّ المرء بين يدى الحاكم . وانظر خطابه لها وقوله « ألم أعدِل عليك ؟ » والمعنى ، والله أعلم أنها إذا وقع عليها جَور الولاة جديرة بأن ترتجّ غير مَلُومة على التزلزُل بما على ظهرها ، وأما إذا لم يكن جَور ، بل كان الحكم بالقِسْط قائما ففيم الارتجاج ، وعلى مَ القلق ، ولم يأت الوقت المعلوم ؟ فما لها أن ترتجَّ إلا فى وقتين ؛ أحدهما الوقت المعلوم المشار إليه فى قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ فإن ذلك إليها ؛ وذلك إذا قال الإنسان : مالَها ؟ حدّثتْ هى بأخبارها ، وذكرت أن الله أوحى لها ، على ما قال تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنْسَانُ مَالَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[1] والثانى : وقت وقوع الجور عليها من الولاة ، فإنها تُعْذَر إذ ذاك[2] .

فإن قلت : من أين لك هذا ؟

قلت : من قول عمر الذى أشرنا إليه ، ويدل عليه أيضا : ﴿ تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا ﴾ لأنه دلّت على الأرض : تكاد تنشقُّ ، بالفجور الواقع عليها ، فلولا يمسكها الله لكان .

واعلم أن هذا الذى خُضناه بحر لا ساحل له ، والرأى أن نُمسك عِنان الكلام ، والموفَّق يؤمن بما نريد ، والشقىّ يَجهل ولا يُجدى فيه البيان ، ولا يفيد . ومنهم شقِىّ ومنهم سعيد .

ويقرُب من قصة الزَّلْزَلة .

---

(١) سورة الزلزلة ١ — ٥ .

(٢) فى هامش ج : « لما زلزلت المدينة فى أيام عمر بن الخطاب قال : يا أهل المدينة ما أسرع ما أحدثتم ، والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم . فخشى أن تصيبه العقوبة معهم . وهذا هو الصحيح عن عمر ، خلاف ما فى كلام المؤلف » .

(قصة النيل)

وذلك أن النيل كان فى الجاهلية لا يجرى حتى تُلقَى فيه جاريةٌ عذراءُ فى كل عام ، فلما جاء الإسلام وجاء وقت جَريَان النيل فلم يجر ، أتى أهلُ مصرِ عمرو بن العاص فأخبروه أن لِنيلهم سُنّة ، وهو أنه لا يجرى حتى تُلقى فيه جاريةٌ بِكرٌ بيْن أبويها ، ويُجعل عليها من الحُلِىّ والثياب أفضل ما يكون . فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكون ، وإن الإسلام يهدِم ما قبله . فأقاموا ثلاثة أشهر لا يجرى قليلا ولا كثيرا ، حتى هَمّوا بالجَلاء ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر : قد أصبتَ ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت إليك بطاقةً ، فألقها فى النيل . ففتح عمرو البطاقة قبل إلقائها ، فإذا فيها : من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد ؛ فإن كنت تجرى مِن قِبَلِك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهّار هو الذى يُجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يُجريَك . فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصَّليب ، وقد تهيأ أهلُ مصر للجَلاء والخروج منها ، فأصبحوا وقد أجراه الله ستّةَ عشرَ ذراعا فى ليلة .

فانظر إلى عمر ، كيف يخاطب الماء ويكاتبه ، ويكلّم الأرض ويؤدبها ، وإذا قال لك المغرور : أين أصل ذلك فى السنَّة ؟ قل : أيها المتعثّر فى أذيال الجهالات ، أيُطالَب الفاروق بأصل ؟ وإن شئت أصلا فهاك أصولًا لا أصلا واحدا ، أليس قد حَنّ الجِذع إلى المصطفى ﷺ حتى ضمّه إليه ؛ أليس شَكى إليه البعير مابه ؟ أليس فى قصة الظَّبية حجّةٌ ؟ والأصول فى هذا النوع لا تنحصر . وسنذكر مالك أن تضمّه إلى هذا فى ترجمة الإمام فخر الدين[1] ، فى مسألة تسبيح الجمادات ، حيث نرد عليه ثَمَّ إنكاره لذلك .

(ومنها قصة النار الخارجة من الجبل)

كانت تخرج من كهف فى جبل فتحرق ما أصابت ، فخرجت فى زمن عمر ، فأمر أبا موسى الأشعرىّ ، أو تَميما الدارىّ أن يُدخلها الكهف ، فجعل يحبسها بردائه حتى أدخلها الكهف ، فلم تخرج بعدُ .

قلت : ولعله قصد بذلك منع أذاها .

---

(١) فى الجزء الثامن ٩٤ .

ومنها أنه عرض جيشا يبعثه إلى الشام ، فعرضت له طائفة ، فأعرض عنهم ، ثم عُرِضت عليه[1] ثانيا ، فأعرض عنهم ، ثم عرضت ثالثا ، فأعرض ، فتبين بالآخِرة أنه كان فيهم قاتل عثمان وقاتل على .

(ومنها على يد عثمان ذى النُّورَيْن رضى الله عنه)

دخل إليه رجل كان قد لقى امرأة فى الطريق فتأملها ، فقال له عثمان رضى الله عنه : يدخل أحدكم وفى عينيه أثرُ الزنا ! فقال الرجل : أوَحْىٌ بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، ولكنها فِراسة .

قلت : إنما أظهر عثمان هذا تأديبا لهذا الرجل ، وزجرًا له عن سوء صنيعه .

واعلم أن المرء إذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله ، فلا يقع بصره على كَدِر أوصافٍ إلا عرفه ، ثم تختلف المقامات ؛ فمنهم من يعرف أن هناك كدرًا ولا يدرى ما أصله ، ومنهم من يكون أعلا من هذا المقام فيدرى أصله ، كما اتفق لعثمان رضى الله عنه ، فإنَّ تأمّل الرجل للمرأة أورثه كدرا ، فأبصره عثمان ، وفهم سببه .

وهنا دقيقة : وهو أن كل معصية لها كَدَرٌ وتورث نُكتة سوداء فى القلب بقَدْرها ، فتكون رَيْنا ؛ على ما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] إلى أن يستحكم والعِياذ بالله ، فيُظلم القلب ، وتُغلَق أبواب النور فيُطبع عليه ، فلا يبقى سبيلٌ إلى توبته ، على ما قال تعالى : ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[3] وقد أوضحنا هذا فى كتاب « رفع الحَوْبة بوضع التوبة » فى باب « أن المطبوع لا توبة له » .

إذا عرفتَ هذا فالصغيرة من المعاصى تورث كَدَرا صغيرا بقَدْرها ، قريب المحو بالاستغفار وغيره من المكفِّرات ، ولا يدركه إلا ذو بصر حاد ، كعثمان رضى الله عنه ، حيث أدرك هذا الكَدَر اليسير ، فإنّ تأمّل المرأة من أيسر الذنوب ، وأدركه عثمان وعرف أصله ، وهذا

---

(١) فى المطبوعة : « أعرضت ثانيا » والمثبت من : ج ، د .

(٢) سورة المطففين ١٤ .

(٣) سورة التوبة ٨٧ .

مقام عال يخضع له كثير من المقامات . وإذا انضم إلى الصغيرة صغيرةٌ أخرى ازداد الكَدَر ، وإذا تكاثرت الذنوب بحيث وصلت والعِياذ بالله إلى ما وصفناه من ظلام القلوب صار بحيث يشاهده كلّ ذى بَصَر ، فمن رأى متضمِّخا بالمعاصى قد أظلم قلبه ولم يتفرّس فيه ذلك ، فلْيعلم أنه إنما لم يُبصره لما عنده أيضا من العمى المانع للإبصار ، وإلا فلو كان بصيرا لأبصر هذا الظلام الداجىَ ، فبقدْر بصَره يُبصر ، فافهم ما نُتحفك به .

(ومنها على يد علىٍّ المرتضَى أمير المؤمنين رضى الله عنه)

رُوى أن عليا وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم سمعوا قائلا يقول فى جوف الليل :

يا مَن يُجيب دُعا المضطرِّ فى الظُّلَمِ ... يا كاشفَ الضُّرِّ والبَلْوى مع السَّقَمِ
قد نام وفدُك حولَ البيت وانتبهوا ... وعينُ جودِكَ يا قَيُّومُ لم تَنَمِ
هَب لى بجودك فضلَ العفوعن زَلَلِى ... يا مَن إليه رجاءُ الخلقِ فى الحَرَمِ
إن كان عفوُك لا يرجوه ذو خطإٍ ... فمَن يجودُ على العاصين بالنِّعَمِ

فقال على رضى الله عنه لولده : اطلب لى هذا القائل . فأتاه فقال : أجِبْ أمير المؤمنين . فأقبل يجر شِقّه حتى وقف بين يديه ، فقال : قد سمعت خطابك ، فما قصتك ؟ فقال : إنى كنت رجلا مشغولا بالطرَب والعِصيان ، وكان والدى يعِظُنى ويقول : إن لله سَطَواتٍ ونَقِمات ، وما هى من الظالمين ببعيد . فلما ألح فى الموعظة ضربته ، فحلف ليدعُوَنّ علىّ ، ويأتى مكة مستغيثا إلى الله ، ففعل ودعا ، فلم يتم دعاؤه حتى جف شِقّى الأيمن ، فندمت على ما كان منى ، وداريته وأرضيته إلى أن ضمِن لى أنه يدعو لى حيث دعا علىَّ ، فقدَّمت إليه ناقة ، فأركبته فنفَرت الناقة ورمت به بين صخرتين ، فمات [هناك][1] . فقال [له][1] على رضى الله عنه : رضَى الله عنك إن كان أبوك رضىَ عنك . فقال : الله كذلك . فقام على كرم الله وجهه وصلّى ركعات ودعا بدعوات أسرَّها إلى الله عز وجل ، ثم قال : يا مبارك

(١) زيادة من : ج .

قُم . فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان ، ثم قال : لولا أنك حلفت أن أباك رضى عنك ما دعوت لك .

قلت : أما الدعاء فلا إشكال فيه ، إذ ليس فيه إظهارُ كرامة ، ولكنا نبحث فى هذا الأمر فى موضعين : أحدهما فيما نحن بصدده من السر فى إظهاره كرَّم الله وجهه الكرامة فى قوله : « قم » .

فنقول : لعله لما دعا أُذِن له أن يقول ذلك ، أو رأى أن قيامه موقوف بإذن الله تعالى على هذا المقال ، فلم يكن من ذكره بُدّ .

والثانى : كونه صلى ركعات ، ولم يقتصر على ركعتين[1] .

فنقول : ينبغى للداعى أن يبدأ بعمل صالح يتنوَّر به قلبه ليعقبُه الدعاء ، ولذلك كان الدعاء عَقِيب المكتوبات أقرب إلى الإجابات ، ومن أفضل الأعمال الصلاة ، وقد جاء فى أحاديثَ كثيرة الأمرُ بتقديمها على الدعاء عند الحاجات ، وأقل الصلاة ركعتان ، فإن حصل نورٌ بها ، وأشرقت علائم القبول فالأولى الدعاء عَقِيبها ، وإلا فلْيُصلِّ المرء إلى أن تلوح أمارات القبول ، فيُعرض إذ ذاك عن الصلاة ، ويفتتح الدعاء ؛ فإنه أقرب إلى الإجابة . وللكلام فى هذا المقام سَبْحٌ طويل لسنا له الآن .

(ومنها على يد العباس عمِّ النبىِّ ﷺ)

فى استسقائه عامَ الرَّمادة . وذلك أن الأرض أجدبت فى زمان عمر رضى الله عنه ، وكانت الريح تَذرِى ترابا كالرماد لشدة الجدْب ، فسمِّى عامَ الرَّمادة لذلك . وقيل إنما سمِّى بذلك لكثرة مَن هلك فيه . والرَّمَد : الهلاك . فخرج عمر بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما يستسقى ، فأخذ بضَبْعَيْه[2] وأشخصه قائما ، ثم أشخص إلى السماء وقال : اللهم

---

(١) فى المطبوعة : « الدعاء » وأثبتنا ما فى : ج ، د .

(٢) الضبع ، بسكون الباء : وسط العضد ، وقيل : هو ما تحت الإبط . النهاية ٣ / ٧٣ .

إنا نتقرّب إليك بعم نبيّك وقَفِيَّةِ[1] آبائه ، وكُبْر[2] رجاله ، فإنك تقول وقولك الحق : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾[3] فحفظتهمالصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيَّك فى عمّه ، فقد دَلَوْنا[4] به إليك مستشفعين ومستغفرين . ثم أقبل على الناس فقال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ إلى قوله : ﴿ أَنْهَارًا ﴾[5] والعباس قد طال عُمَرَ[6] وعيناه تَنْضَحان[7] ، وَسَبَّابَتُهُ[8] تَجُول على صدره ، وهو يقول : اللهم أنت الراعى ، لا تُهمِلِ الضالَّة ولا تدعِ الكَسير بدارِ مَضْيعة ، فقد ضَرَع[9] الصغيرُ ، ورَقّ الكبيرُ ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثْهم بغِياثك قبل أن يقنَطوا فيَهْلِكوا ، فإنه لا ييأس من رَوْحك إلا القومُ الكافرون ، اللهم فأغثهم بغِياثك ، فقد تقرّب إليَّ القوم لمكانى من نبيّك عليه السلام . فنشأت طُرَيْرَةٌ[10] من سحاب ، وقال الناس : تَرَوْن

---

(١) فى الأصول : « وبقية » وأثبتنا ما فى الفائق ٢ / ٣٦٦ ، والنهاية . قال الزمخشرى : « قفية آبائه : تلوهم وتابعهم ، ذهب إلى استسقاء أبيه عبد المطلب لأهل الحرم ، وسقى الله إياهم به . وقيل : هو المختار ، من القفىّ ، وهو ما يؤثر به الضيف من الطعام . واقتفاه : اختاره » .

(٢) قال الزمخشرى : يقال : « هو كبر قومه ، بالضم : إذا كان أقعدهم فى النسب ، وهو أن ينتسب إلى جده الأكبر بآباء قليل » .

(٣) سورة الكهف ٨٢ .

(٤) فى الأصول : « دنونا » والمثبت من الفائق ٢ / ٣٦٦ ، والنهاية ٢ / ١٣٢ . وقال ابن الأثير : « أى توسلنا ، وهو من الدلو ؛ لأنه يتوصل به إلى الماء . وقيل : أراد به أقبلنا وسقنا ، من الدلو ، وهو السوق الرفيق » .

(٥) سورة نوح ١٠ – ١٢ .

(٦) فى الأصول : « قد طال عمره » والمثبت من الفائق ٢ / ٦٦٦ ، والنهاية ٢ / ٣٣٠ وقد أشار ابن الأثير إلى رواية « وقد طال عمره » ورجح عليها الرواية الأخرى . ثم قال : « طال عمر » أى كان أطول منه .

(٧) هكذا فى الأصول ، والفائق . ونضحت العين : فارت بالدمع . والذى فى النهاية ٢ / ٣٣٠ : « تنضمان » . وهناك رواية ثالثة : « تبصان » انظر حواشى النهاية .

(٨) هكذا فى الأصول . والذى فى الفائق ، والنهاية « وسبائبه » . قال الزمخشرى : « ولو روى : « سبابته » لكانت أوقع مما نحن بصدده من ذكر الدعاء ؛ لأن الداعى من شأنه أن يشير بالسبابة ؛ ولذلك سميت الدعاءة » .

(٩) ضرع ، بالكسر والفتح ضراعة : إذا خضع وذل . الفائق ٢ / ٣٦٨ .

(١٠) طريرة ؛ تصغير طرة : وهى القطعة المستطيلة من السحاب ، شبهت بطرة الثوب . الفائق ٢ / ٣٦٨

تَرَوْن ؟ ثم تلامّت واستتمّت ، ومشت فيها ريح ، ثم هَدّت[1] ودَرَّت . فما برح القوم حتى اعتلقوا الحِذاء وقلَّصوا المآزِر ، وخاضوا الماء إلى الرُّكَب ، ولاذ الناس بالعباس يمسحون أرْدانه ويقولون : هنيئًا لك ساقِىَ الحرمين . فأمرع[2] الله الْحَباب ، وأخصب البلاد ، ورحم العباد .

قلت : فهذه دعوة مستجابة ببركة نبينا محمد ﷺ ، ولم يكن فيها قصْد إلى إظهار كرامة ، بل استسقاء عند احتياج الخلْق .

وهى مثل ما ظهر على يد :

(سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه)

وذلك أنه كان يوم القادِسيّة متألّما من دُمَّل لم يستطع الركوب لأجله فجلس فى قصر يُشرف على الناس ، فقال فى ذلك بعض الشعراء مقالا بَلَغَهُ رضى الله عنه ، فقال : اللهم اكْفِنا لسانه ويده . فَخَرِس لسانُه وشَلَّت يدُه . وكان سعد رضى الله عنه مُجاب الدعوة ؛ لأن رسول الله ﷺ دعا له بذلك ، فقال : « اللَّهُمَّ سَدِّدْ سَهْمَهُ ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ » . فكان لا يدعو بشىء إلا أجاب الله عز وجل دعاءه فيه ، وكان الصحابة يعرفون ذلك منه ، ولما عزله عمر رضى الله عنه من الكوفة بشكوى أهلها ، وكان عمر رضى الله عنه قد قال : لا يشكو إلىّ أهل موضع عامِلَهم إلا عزلته . وذلك والله أعلم ، لمعنيين :

أحدهما لأنه رأى أن الصحابة رضى الله عنهم كلّهم عُدول ، والاستبدال ممكن .

والثانى أنه لم يكن للأوَّلِين رغبةٌ فى الولاية ، وإنما كانوا يفعلونها امتثالا لأمر أمير المؤمنين ، وانقيادا لطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ ، ورجاءَ ثواب الله فى إقامة الحق ، فإذا عُزل أحدهم كان العزل أحبَّ إليه من الولاية ، فلا يؤلم ذلك قلبَه ؛ فلذلك كان عمر رضى الله عنه ، والله أعلم ، يختار عزل المشكوّ على الإطلاق بمجرَّد الشكوى ، وإن كان عنده

---

(١) هدت ، من الهدة : صوت ما يقع من السماء . والهدأة — مهموزة : صوت الحبلى . وروى : « هدأت » على تشبيه الرعد بصرخة الحبلى . الفائق ٢ / ٣٦٨ .

(٢) فى المطبوعة « فأترع » والمثبت من : ج ، د .

عَدْلا وَرِعا منزَّها عمّا قيل فيه ؛ لأنه يجمع بعزله بين إدخال السرور على قلبه بالإقالة ، وعلى الشاكِين بقطع النزاع ، وكان مع ذلك لا يُغفل البحث عن أحوال الراعى والرعيّة ، حتى يطَّلع على صدق الشاكى من غيره ، فلما عَزل سعدا وولى مكانه عمّار بن ياسر رضى الله عنهما ، بعث مع سعد من يسأل عنه أهل الكوفة ، فلم يدع مسجدا حتى سأل عنه فيُثنون خيرا ، حتى دخل مسجدا لبنى عَبْس ، فقام رجل منهم يقال له أُسامة بن قتادة ، ويُكنى أبا سعدة ، فقال : أما إذ نَشَدْتَنَا فإن سعدا كان لا يسير بالسَّرِيّة ، ولا يقسم بالسَّوِيّة ، ولا يعدِل فى القضيّة . فقال سعد : أما والله لأدعونَّ بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا ، قام رياءً وسمعةً ، فأطِل عمره ، وأطِل فقره ، وعرِّضْه للفِتن . قال عبد الملك بن عُمَير من رواة الحديث : فأنا رأيته قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر ، وإنه ليتعرّض للجوارى فى الطريق يغمِزهنّ ؛ وكان بعدُ إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد .

وأراد عمر رضى الله عنه أن يردَّ سعدا بعد ذلك إلى الكوفة فامتنع .

وأقبل سعد يوما برجل يسب عليا وطلحة والزبير رضى الله عنهم فنهاه، فكأنما زاده إغراءً فقال له : ويلك ؛ ما تريد إلى أقوام خيرٍ منك ! لتنتهينّ أو لأدعونّ عليك . فقال : هاه ! فكأنما تخوِّفنى ، يعنى نبيا من الأنبياء ! فدخل سعد دارا ، فتوضأ ، ودخل مسجدا فقال : اللهم إن [كان][1] عبدك هذا يسبّ أقواما قد سبقت لهم منك الحسنى حتى أسخطك بسبّه إياهم ، فأرنى فيه اليوم آية تكون آيةً للمؤمنين . فخرجت بُخْتِيَّة[2] من دار قوم ، وأقبلت لا يصدّ صدرَها شىء حتى انتهت إليه ، وتفرّق الناس ، فجعلته بين قوائمها . ووطئته حتى طفئ .

(ومنها على يد ابن عمر رضى الله عنهما)

حيث قال للأسد الذى مَنَعَ الناسَ الطريقَ : تنحّ ، فبَصْبَصَ بذَنَبه وذهب .

---

(١) من : ج ، د .

(٢) البختية : الأنثى من الجمال البخت ، وهى جمال طوال الأعناق . واللفظة معربة . النهاية ١ / ١٠١ .

(وعلى يد العلاء بن الْحَضْرَمِىّ رضى الله عنه)

وقد بعثه النبىُّ ﷺ فى غَزاةٍ بجيش ، فحال بينهم وبين الموضعِ البحرُ ، فدعا الله ، ومشَوا على الماء .
وما جاء أنه كان بين يدىْ :

(سَلْمان وأبى الدَّرْداء)

رضى الله عنهما قَصْعَةٌ ، فسبّحَت حتى سمعا التسبيح .
وما اشتَهر أن :

(عِمْرَان بن حُصَيْن)

رضى الله عنه كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى ، فانحبس ذلك عنه ، ثم أعاده الله عليه .
وما اشتهر من قصة :

(خالد بن الوليد رضى الله عنه)

وهى أنه شرب السمّ ولم يضرّه .
●فإن قلت : ما بال الكرامات فى زمن الصحابة وإن كثرت فى نفسها قليلة بالنسبة إلى ما يُروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الأولياء ؟
فالجواب أولا : ما أجاب به الإمام الجليل أحمد ابن حنبل رضى الله عنه ، حيث سُئل عن ذلك فقال : أولئك كان إيمانهم قويّا ، فما احتاجوا إلى زيادة يقوَى بها إيمانهم ، وغيرهم ضعيف الإيمان فى عصره ، فاحتِيج إلى تقويته بإظهار الكرامة .
ونظيره قول الشيخ السُّهْرَوَرْدِىّ رحمه الله حيث قال : وخَرْق العادة إنما يُكاشَف به لموضع ضعف يقين المكاشَف ، رحمةً من الله تعالى لعباده العُبَّاد ثوابا معجَّلا .
وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحُجُب عن قلوبهم فما احتاجوا إلى ذلك .

وثانيا : أن يقال : ما يظهر على يدهم ربما استُغنى عنه اكتفاءً بعظيم مِقدارهم ، ورؤيتهم طلعةَ المصطفى ﷺ ، ولزومهم طريق الاستقامة الذى هو أعظم الكرامة ، مع ما فُتح على يديهم من الدنيا ، ولا اشْرَأَبُّوا لها ، ولا جَنحوا نحوها ، ولا استزلّت واحدا . فرضى الله عنهم ، كانت الدنيا فى أيديهم أضعاف ما هى فى أيدى أهل دنيانا ، وكان إعراضهم عنها أشدَّ إعراض ، وهذا من أعظم الكرامات ، ولم يكن شوقهم إلّا إعلاء كلمة الله تعالى ، والدعاء إلى جَنابه جلّ وعلا .

● فإن قلت : هب أنكم دفعتم شُبَه المنكرين للكرامات ، فما دليلكم أنتم على إثباتها ؟ فإن القول فى الدِّين نفيا وإثباتا محتاج إلى الدليل .

قلت : إذا اندفع ما استدلّ به الخصوم على المنع وبطلت الاستحالة لم يبق بعدها إلا الجواز ؛ إذ لا واسطةَ بين المنع والاستحالة ، ثم فيما ذكرناه من الواقعات على يد الصحابة مَقْنَع لمن له أدنى بصيرة ؛ ثم إن أبَيْتَ إلا دليلا خاصّا ليكون أقطع للشَّغَب وأنفى للشُّبَه .

فنقول : الدليل على ثبوت الكرامات وجوه :

أحدها ، وهو أوحدها ، ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معانِد من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين ، الجارى مجرى شجاعة علىّ ، وسخاء حاتم ، بل إنكار الكرامات أعظم مُباهتةً ؛ فإنه أشهر وأظهر ، ولا يعانِد فيه إلا من طُمِس قلبه والعِياذ بالله .

والثانى : قصة مريم من جهة حَبَلها من غير ذَكَر ، وحصول الرُّطَب الطَّرِىّ من الجِذع اليابس ، وحصول الرزق عندها فى غير أوانه ومن غير حضور أسبابه ، على ما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا ، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[1] وهى لم تكن نبيَّة ، لا عندنا ولا عند الخصوم .

أما عندنا فلأدلّة ، منها قوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾[2] ومنها الإجماع ، على ما نقل بعضهم .

---

(١) سورة آل عمران ٣٧ .

(٢) سورة المائدة ٧٥ .

وأما عند الخَصم فلأنه يَشترط أن يكون النبيُّ ذَكَرًا . ونحن لا نُخالفه فى ذلك ، بل نشترط الذكورة فى الإمامة والقضاء ، فضلا عن النبوّة . هكذا ذكر بعض أئمتنا ، فقال القاضى : لم يقم عندى من أدلة السمع فى أمر مريم وجه قاطع فى نفى نبوّتها أو إثباتها .

● فإن قلت : لم لا يجوز أن تكون معجزة لزكريا ، أو يكون إرهاصا لولدها عيسى عليهم[1] السلام ؟

قلت : لأن المعجزة تجب أن تكون بمَشْهد من الرسول والقومِ حتى يقيم الدلالة عليهم . وما حكيناه من كراماتها نحو قول جبريل لها : ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[2] لم يكن بحضور أحد ، بدليل قوله : ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا ﴾[3] . وأيضًا فالمعجزة تكون بالْتِمَاسِ الرسول ، وزكريا ما كان يعلم بحصول ذلك ، لقوله : ﴿ أَنَّى لَكِ هَٰذَا ﴾[4] . وأيضًا فهذه الخوارق إنما ذُكرت لتعظيم شأن مريم ، فيمتنع وقوعها كرامَةً لغيرها .

ولا يجوز أن تكون إرهاصا لعيسى عليه السلام ؛ لأن الإرهاص أن يُختص الرسول قبل رسالته بالكرامات ، فأما ما يحصل به كرامةُ الغير لأجل أنه سيجىء بعد ذلك ، فذلك هو الكرامة التى يدّعيها ، ولأنه لو جاز ذلك لجاز فى كل معجزة ظهرت على يد مدّعى الرسالة أن تكون إرهاصا لنبىٍّ آخر ، يجىء بعد ذلك ، وتجويز هذا يؤدى إلى سَدِّ باب الاستدلال بالمعجزة على النبوّة .

وقريب من قصة مريم قصة أم موسى عليه السلام ، وما كان من إلهام الله تعالى إياها حتى طابت نفسها بإلقاء ولدها فى اليَمّ ، إلى غير ذلك مما خُصَّت به . أفترى ذلك سُدًى ؟

قال إمام الحرمين : ولم يَصِرْ أحدٌ من أهل التواريخ ونَقَلَة الأقاصيص إلى أنها كانت نَبِيَّةً ، صاحبة معجزة .

---

(١) فى المطبوعة ، د : « عليه » والمثبت من : ج .
(٢) سورة مريم ٢٥ .
(٣) سورة مريم ٢٦ .
(٤) سورة آل عمران ٣٧ .

والثالث : التمسك بقصة أصحاب الكهف ؛ فإن لُبْثهم ثلاثَ مائةٍ سِنِين وأزْيَد ، نِيامًا أحياء من غير آفة ، مع بقاء القوة العادية بلا غذاء ولا شراب ، من جملة الخوارق ، ولم يكونوا أنبياء ، فلم تكن معجزة فتعين كونها كرامة .

وادّعى إمام الحرمين اتفاق المسلمين على أنهم لم يكونوا أنبياء[1] ، وإنما كانوا على دين ملِك فى زمانهم يعبد الأوثان ، فأراد الله أن يَهديَهم فشرح صدروهم للإسلام ، ولم يكن ذلك عن دعوة داعٍ دعاهم ، ولكنهم لما وقفوا تفكروا وتدبَّروا ونظروا ، فاستبان لهم ضلال صاحبهم ، ورأوا أن يؤمنوا بفاطر السموات والأَرَضين ، ومُبْدِع الخلائق أجمعين .

ولا يمكن أن يُجعل ذلك معجزة لنبىّ آخر .

أمّا أولا ؛ فلأنهم أخفَوْه حيث قالوا : ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[2] والمعجزة لا يمكن إخفاؤها .

وأما ثانيا ؛ فلأن المعجزة يجب العلم بها ، وبقاءهم هذه المدة لا يمكن عِلْم الخلق به ؛ لأن الخلق لم يشاهدوه ، فلا يُعلم ذلك إلا بإخبارهم لو صح أنهم يعلمون ذلك ، وإخبارهم بذلك إنما يفيد إذا ثَبت صدقهم بدليل آخر ، وهو غير حاصل ؛ وأما إثبات صدقهم بهذا الأمر فدَوْرٌ ممتنع ؛ لأنه إنما يثبت هذا الأمر إذا ثبت صدقهم ، فلو توقّف صدقهم عليه لَدارَ .

وأما ثالثا ؛ فإنه ليس لذلك النبىّ ذِكر ، ولا دليل يدل عليه ، فإثبات المعجزة له لا فائدةَ فيه ؛ لأن فائدة المعجزة التصديق ، وتصديق واحد غير معيَّن محال .

الرابع : التمسك بِقصص شتَّى ؛ مثل قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام فى حمل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتدَّ إليه طَرْفُه ، على قول أكثر المفسرين بأنه المراد بالذى عِنده عِلْمٌ مِن الكتاب ، وما قدّمناه عن الصحابة ، وما تواتر عمَّن بعدهم من الصالحين ، وخرج عن حد الحَصْر ، ولو أراد المرء استيعابه لما كفتْه أَوْساق أحمال ولا أَوقار جِمال . وما زال الناس فى الأعصار السابقة ، وهم بحمد الله إلى الآن فى الأزمان اللاحقة ، ولكنا نستدل بما كانوا عليه ، فقد كانوا من قبل ما نَبَغَ النابغون ، ونشأ الزائغون ، يتفاوضون

---

(١) الإرشاد ، لإمام الحرمين ٣٢٠ .

(٢) سورة الكهف ١٩ .

فى كرامات الصالحين ، وينقلون ما جرى من ذلك لعُبّاد بنى إسرائيل ، فَمَن بعدَهم ، وكانت الصحابة رضى الله عنهم من أكثر الناس خوضًا فى ذلك .

الخامس : ما أعطاه الله تعالى لعلماء هذه الأمة وأوليائها من العلوم ، حتى صنّفوا كتبا كثيرة ، لا يمكن غيرَهم نسخُها فى مدة عُمْر مصنِّفها ، مع التوفيق لدقائقَ تخرج عن حد الحَصْر ، واستنباطات تُطرب ذوى النُّهى ، واستخراجات لمعانٍ شتى من الكتاب والسنة تُطبّق طَبَق الأرض ، وتحقيق للحقّ ، وإبطال للباطل ، وما صبروا عليه من المجاهدات والرياضات ، والدعوى إلى الحق والصبر على أنواع الأذى ، وعُزوف أنفسهم عن لذّات الدنيا ، مع نهاية عقولهم وذكائهم وفِطنتهم ، وما حُبِّبَ إليهم من الدأب فى العلوم ، وكَدِّ النفس فى تحصيلها ، بحيث إذا تأمّل المتأمّل ما أعطاهم الله منه عَرف أنه أعظم من إعطائه بعض عبيده كِسْرَة خبز فى أرض منقطعة ، وشَرْبة ماء فى مَفازة ، ونحوهما مما يُعَدّ كرامة .

فإن قلت : قد أكثرتم القول فى الكرامات ، وما أفصحتم بالمختار عندكم من الأقوالِ المنقولات !

قلت : هذا مقامٌ معضِلٌ خَطِر ، والاحتجار على مواهب الله لأوليائه عظيمٌ عَسِر ، والاتساع فى التجويز آيل إلى فتح باب على المعجزات مسدود .

والذى يترجّح عندى القول بتجويز الكرامات على الإطلاق إذا لم تَخرِق عادة ، وبتجويز بعض خوارق العوائد دون بعض ؛ فلا أمنع كثيرا من الخوارق ، وأمنع كثيرا . ولى فى ذلك قدوة ، وهو أبو القاسم القُشَيْرِىّ رحمه الله تعالى .

فإن قلت : عرِّفنى ما تمنعه ومالا تمنعه ليتبيّن مذهبك .

قلت : أمنع ولدا من غير أبوين ، وقلب جماد بهيمةً ، ونحو ذلك . وسيتضح لك ذلك عند ذكر الأنواع التى أُبديها على الأثر إن شاء الله تعالى .

وأما جمهور أئمتنا فعمّموا التجويز ، وأطلقوا القول إطلاقا . وأخذ بعض المتأخرين يعدّد

أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة ، وهى أكثر من ذلك ، وأنا أذكر ما عندى فيها :

النوع الأول : إحياء الموتى . واستشهد لذلك بقصة أبى عُبيد البُسْرِىّ ؛ فقد صح أنه غزا ومعه دابّة فماتت فسأل الله أن يحييهَا حتى يرجع إلى بُسْر ، فقامت الدابّة تنفض أذنيها ، فلما فرغ من الغزوة ووصل إلى بُسْر أمر خادمه أن يأخذ السَّرْج عن الدابة ، فلما أخذه سقطت ميّتة .

والحكايات فى هذا الباب كثيرة . ومن أواخرها أن مُفَرِّجا الدَّمامِينىّ[1] وكان من أولياء الله من أهل الصعيد ذُكر أنه أُحضرت عنده فِراخ مشويّة فقال لها : طيرى فطارت أحياءً بإذن الله تعالى .

وأن الشيخ الأهدل كانت له هِرّة ضربها خادمه فماتت فرمى بها فى خَرابة ، فسأل عنها الشيخ بعد ليلتين أو ثلاث ، فقال الخادم : لا أدرى ؛ فقال الشيخ : أما تدرى ؟ ثم ناداها فجاءت إليه تجرى .

وحكاية الشيخ عبد القادر الكِيلانِىّ رضى الله عنه ووضعه يده على عِظام دَجاجة كان قد أكلها ، وقوله لها : قومى بإذن الله الذى يُحيى العِظام وهى رَميم ، فقامت دجاجةً سويّةً ، حكايةٌ مشهورة .

وذكروا أن الشيخ أبا يوسف الدُّهْمانىّ[2] مات له صاحب فَجزِع عليه أهلهُ ، فلما رأى الشيخ شدة جزعهم جاء إلى الميت وقال له : قم بإذن الله ، فقام وعَاش بعد ذلك زمنا طويلا .

وحكاية زين الدين الفارِقىّ الشافعىّ مدرّس الشاميّة ، شهيرة ، وقد سمعتها من لفظ ولده وَلىّ الله الشيخ فتح الدين يحيى ؛ فحكى لنا ما سنحكيه فى ترجمة والده ، مما حاصله أنه وقع فى داره طفل صغير من سطح فمات ، فدعى الله فأحياه .

---

(١) انظر الطالع السعيد ٣٦٩ .

(٢) بضم الدال وسكون الهاء وفتح الميم وبعد الألف نون . انظر اللباب ١ / ٤٣٤ .

ولا سبيل إلى استقصاء ما يُحكى من هذا النوع لكثرته ، وأنا أومن به ، غير أنى أقول :

لم يثبت عندى أن وليا حَيِىَ له ميت مات من أزمان كثيرة بعدما صار عظما رَميما ثم عاش بعد ما حَيى له زمانا كثيرا ؛ هذا القدر لم يبلغنا ، ولا أعتقده وقع لأحد من الأولياء ولا شك فى وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام ، مثل هذا يكون معجزة ، ولا تنتهى إليه الكرامة ، فيجوز أن يجىء نبىّ قبل اختتام النبوة بإحياء أمم انقضت قبله بدُهور ، ثم إذا عاشوا استمروا فى قِيد الحياة أزمانا ، ولا أعتقد الآن أن وليًّا يُحيى لنا الشافعىّ وأبا حنيفة حياة يبقيان معها زمانا طويلا ، كما عمّرا قبل الوفاة ، بل ولا زمانا قصيرا يخالطان فيه الأحياء كما خالطاهما قبل الوفاة .

النوع الثانى : كلام الموتى ، وهو أكثر من النوع قبله ، وروى مثله عن أبى سعيد الخَرَّاز رضى الله عنه ، ثم عن الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ، وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ولست أسمِّيه .

النوع الثالث : انفلاق البحر وجَفافه ، والمشى على الماء ، وكل ذلك كثير ، وقد اتفق مثله لشيخ الإسلام وسيد المتأخرين تقىّ الدين بن دَقيق العيد .

الرابع : انقلاب الأعيان ، كما حُكى أن الشيخ عيسى الهِتَار[1] اليَمنىّ أرسل إليه شخص مستهزئا به إناءين ممتلئين خمرا ، فصبَّ أحدهما فى الآخر وقال : بسم الله كُلوا ، فأكلوا فإذا هو سَمْن لم يُر مثل لونه وريحه . وقد أكثروا فى ذكر نظير هذه الحكاية .

الخامس : انزواء الأرض لهم ، بحيث حكوا أن بعض الأولياء كان فى جامع طَرَسُوس فاشتاق إلى زيارة الحَرَم ، فأدخل رأسه فى جُبَّته ثم أخرجه وهو فى الحَرَمَ . والقَدْر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغٌ مَبلغ التواتر ، ولا ينكره إلا مُباهت .

السادس: كلام الجمادات والحيوانات . ولا شك فيه، وفى كثرته. ومنه ما حُكى أن إبراهيم بن أدهم جلس فى طريق بيت المقدس تحت شجرة رمّان، فقالت له : يا أبا إسحاق أكرمنى بأن تأكل منى شيئا، قالت ذلك ثلاثا، وكانت شجرةً قصيرة،

---

(١) الهتار ككتاب . تاج العروس (هـ ت ر) .

ورمّانها حامضًا ، فأكل منها رمانة ، فطالت وحلا رمّانها وحملت فى العام مرتين ، وسمّيت رمّانةَ العابدين .

وقال الشِّبلىّ : عقدت أنى لا آكل إلا من حَلال ، فكنت أدور فى البَرارِى فرأيت شجرة تين ، فمددت يدى لآكل منها فنادتنى الشجرة : احفظ عليك عَقدك ولا تأكل منى ، فإنى ليهودىّ ، فكففت يدى .

السابع : إبراء العليل ، كما رُوى عن السَرِىِّ فى حكاية الرجل الذى لقيه ببعض الجبال يُبرىء الزَّمْنَى والعِميان والمرضى .

وكما حُكى عن الشيخ عبد القادر أنه قال لصبىّ مُقعد مَفلوج أعمى مَجذوم : قم بإذن الله ، فقام لا عاهةَ به .

الثامن : طاعة الحيوانات لهم ، كما فى حكاية الأسد مع أبى سعيد بن أبى الخير المِيهَنِىّ[1] ،وقبله إبراهيم الخَوّاص . بل وطاعة الجمادات ، كما فى حكاية سلطان العلماء شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام وقوله فى واقعة الفرنج : يا ريحُ خذيهم ، فأخذتهم .

التاسع : طىُّ الزمان .

العاشر : نَشْر الزمان . وفى تقرير هذين القسمين عُسْر على الأفهام ، وتسليمه لأهله أولى بذى الإيمان . والحكايات فيهما كثيرة .

الحادى عشر : استجابة الدعاء . وهو كثير جدا ، وشاهدْناه من جماعة .

الثانى عشر : إمساك اللسان عن الكلام وانطلاقه .

الثالث عشر : جَذْب بعض القلوب فى مجلس كانت فيه فى غاية النُّفْرة .

الرابع عشر : الإخبار ببعض المغيَّبات والكشف . وهو درجات تخرج عن حد الحَصْر .

---

(١) بكسر الميم وسكون الياء وفتح الهاء وفى آخرها نون ، نسبة إلى مدينة ميهنة ، بين سرخس وأبيورد . اللباب ٣ / ٢٠٣ .

الخامس عشر : الصبر على عدم الطعام والشراب المدة الطويلة .

السادس عشر : مقام التَّصريف . فقد حُكى عن جماعة منه[1] الشيء الكثير . وذُكر أن بعضهم كان يبيع المطر ، وكان من المتأخرين الشيخ أبو العباس الشاطر يبيع الأشغال[2] بالدراهم . وكثرت الحكايات عنه فى هذا الباب ، بحيث لم يبق للذهن مَساغ فى إنكارها .

السابع عشر : القُدرة على تناول الكثير من الغذاء .

الثامن عشر : الحفظ عن أكل الحرام ، كما حُكى عن الحارث المُحاسِبىّ أنه كان يرتفع إلى أنفه زُفُورة من المأكل الحرام فلا يأكله .وقيل : كان يتحرك له عِرق . وحُكى نظيره عن الشيخ أبى العباس المُرْسِىّ . وقيل : إن بعض الناس امتحنه وأحضر له مَأكلا حراما ، فبمجرّد ما وضعه بين يديه قال : إن كان المُحاسِبىّ يتحرك منه عِرق فأنا يتحرك منى عند حضور الحرام سبعون عِرقا ، ونهض من ساعته وانصرف .

التاسع عشر : رؤية المكان البعيد من وراء الحُجُب ، كما قيل إن الشيخ أبا إسحاق الشِّيرازىّ كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد .

العشرون : الهيبة التى لبعضهم ، بحيث مات مَن شاهده بمجرّد رؤيته ، كصاحب أبى يزيد البَسْطامِىّ الذى قدمنا حكايته[3] ، أو بحيث أُفحم بين يديه أو اعترف بما لعله كتمه عنه ، أو غير ذلك . وهو كثير .

الحادى والعشرون : كفاية الله إياهم شرَّ مَن يريد بهم سوءا وانقلابه خيرا ؛ كما اتفق للشافعىّ رضى الله عنه مع هارون الرشيد رحمه الله[4] .

● الثانى والعشرون : التطوُّر بأطوار مختلفة . وهذا الذى تسميه الصوفية بعالَم المُثُل ، ويثبتون عالَما متوسّطا بين عالَمى الأجسام والأرواح ، سمّوه عالم المِثال ، وقالوا : هو ألطف

---

(١) فى المطبوعة « منهم » وأثبتنا ما فى ج ، د .

(٢) فى المطبوعة « الأسعار » وأثبتنا ما فى : ج ، د .

(٣) صفحة ٣١١ .

(٤) صفحة ١٥٢ .

من عالم الأجسام وأكثف من عالم الأرواح ، وبنَوا عليه تجسّد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المِثال ، واستأنسوا له بقوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[1] ومنه ما حُكى عن قَضيب البان الموصلىّ ، وكان من الأبدال ، أنه اتهمه بعض من لم يره يصلّى بترك الصلاة وشدّد النكير عليه ، فتمثّل له على الفور فى صور مختلفة ، وقال : فى أىِّ هذه الصور رأيتني ما أصلّى ؟ ولهم من هذا النوع حكايات [كثيرة][2] .

ومما اتفق لبعض المتأخرين أنه وجد فقيرا شيخا كبيرا يتوضأ بالقاهرة فى المدرسة الشرفية من غير ترتيب ، فقال له : يا شيخ تتوضأ بلا ترتيب ؟ فقال له : ما توضأت إلا مرتَّبا ، ولكن أنت ما تبصر ! لو أبصرت لأبصرت هكذا ؛ وأخذ بيده وأراه الكعبة ، ثم مرّ به[3] إلى مكة ، فوجد نفسه فى مكة ، وأقام بها سنين ، فى حكاية يطول شرحها .

الثالث والعشرون : إطلاع الله إياهم على ذخائر الأرض ، كما قدمناه فى حكاية أبى تُراب ، لمّا ضرب برجله الأرض فإذا عينُ ماء زُلال[4] .

وعن بعضهم أنه عطِش أيضا فى طريق الحج فلم يجد ماء عند أحد ، فوجد فقيرا قد ركّز عُكّازه فى موضع والماء ينبُع من تحت عُكّازه ، فملأ قِربته ودلّ الحجيج عليه . فجاءوا فملأوا أوانيهم من ذلك الماء .

الرابع والعشرون : ما سُهِّل لكثير من العلماء من التصانيف فى الزمن اليسير ، بحيث وُزِّع زمان تصنيفهم على زمان اشتغالهم بالعلم إلى أن ماتوا فوُجد لا يفي بِهِ نَسخًا ، فضلا عن التصنيف . وهذا قِسم من نَشْر الزمان الذى قدمناه ، فقد اتفق النَّقَلة على أن عمْر الشافعىّ رحمه الله لا يفى بعُشْر ما أبرزه من التصانيف ، مع ما يثبت[5] عنه من تلاوة القرآن كل يومٍ خَتْمة بالتدبر ، وفى رمضان كلّ يوم خَتْمتين كذلك ، واشتغاله بالدرس

---

(١) سورة مريم ١٧ .

(٢) ساقط من : ج ، د .

(٣) فى المطبوعة : « فر » وأثبتنا ما فى : ج ، د .

(٤) صفحة ٣١٤ .

(٥) فى المطبوعة : « ثبت » والمثبت من : ج ، د .

والفتاوَى والذِكر والفكر ، والأمراض التى كانت تعتوره[1] ، بحيث لم يخلُ رضى الله عنه من علّة أو عِلتين أو أكثر ، وربما اجتمع فيه ثلاثون مرضا .

وكذلك إمام الحرمين أبو المعالى الجُوَيْنىّ رحمه الله حُسِب عمرُه وما صنّفه ، مع ما كان يلقيه على الطلبة ويذكّر به فى مجالس التذكير فوُجد لا يفى به .

وقرأ بعضهم ثمانى ختمات فى اليوم الواحد . وأمثال هذا كثير .

وهذا الإمام الربّانى الشيخ محيى الدين النَّوَوِىّ رحمه الله وُزِّع عمره على تصانيفه فوُجد أنه لو كان ينسخها فقط لما كفاها ذلك العمر ؛ فضلا عن كونه يصنِّفها ، فضلا عما كان يضمّه إليها من أنواع العبادات وغيرها .

وهذا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله إذا حُسب ما كتبه من التصانيف ، مع ما كان يواظبه من العبادات ، ويمليه من الفوائد ، ويذكره فى الدروس من العلوم ، ويكتبه على الفَتاوى ، ويتلوه من القرآن ، ويشتغل به من المحاكمات عُرف أن عمره قطعا لا يَفِى بثلث ذلك ، فسبحان مَن يبارِك لهم ويَطوِى لهم ويَنشُر .

الخامس والعشرون : عدم تأثير السمومات وأنواع المتلِفات فيهم ، كما اتفق ذلك للشيخ الذى قال له بعض الملوك : إمّا أن تُظهر لى آية ، وإلا قتلتُ الفقراء ، وكان بقُربه بَعْر جمالٍ ، فقال : انظر ، فإذا هى ذهب ، وعنده كوز ليس فيه ماء فأخذه ورمى به فى الهواء فأخذَه وردّه ممتلئا ماء وهو منكّس لم يخرج منه قطرة . فقال الملك : هذا سِحر ، وأوقد نارا عظيمة ثم أمرهم[2] بالسَّماع ، فلما دار فيهم الوَجد دخل الشيخ والفقراء فى النار ثم خرج ، فخطف ابنا صغيرا للملك فدخل به وغاب ساعة بحيث كاد الملك يحترق على ولده ثم خرج به وفى إحدى يدى الصبىّ تفاحة ، وفى الأخرى رمّانة . فقال له أبوه : أين كنت ؟ قال : فى بستان . فقال جلساء الملك : هذا صنعة ، لا حقيقة له . فقال له الملك : إن شربت هذا القدح من السمّ صدَّقتك ، فشربه وتمزّقت ثيابه عليه ، ثم ألقوا عليه غيرها فتمزّقت ، ثم هكذا

(١) فى المطبوعة : « تعتريه » والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : « أمر » وأثبتنا ما فى : ج ، د .

مِرارا إلى أن ثبتت عليه الثياب ، وانقطع عنه عِرق كان أصابه ، ولم يؤثر فيه السمّ ضررا .

وأظن أنواع كراماتهم تربو على المائة ، وفيما أوردته دلالة على ما أهملته ، ومَقْنع وبلاغ لمن زالت عنه غفلته . وما من نوع من هذه الأنواع إلا وقد كثرت فيه الأقاصيص والروايات ، وشاعت فيه الأخبار والحكايات ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولا بعد بيان الهدى إلا المحال ، وليس للموفَّق غير التسليم ، وسؤال ربه أن يلحقه بهؤلاء الصالحين ، فإنهم على صراط مستقيم . ولو حاولنا حصر ماجراياتهم لضيّقنا الأنفاس وضيّعنا[1] القِرطاس .

٦٩

القاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سَيّار
مولى الوليد بن عبد الملك . أبو محمد الأندلسيّ القرطبيّ*

أحد أعلام الأمة .

أخذ الفقه عن المُزَنِىّ ، ويونُس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن عبد الله[2] بن عبد الحكم ، وإبراهيم بن محمد الشافعيّ ، وإبراهيم بن المنذر الحِزامِىّ ، والحارث بن مِسْكين . وروى عنهم .

روى عنه أحمد بن خالد الجَبّاب[3] ، ومحمد بن عمر بن لُبابة ، وابنه محمد بن قاسم ، وسعيد بن عثمان الأعناق ، وغيرهم .

---

(١) فى المطبوعة : « لضيعنا الأنفاس وضيقنا القرطاس » وأثبتنا ما فى : ج ، د .

* له ترجمة فى : بغية الملتمس ٤٣١ ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١/ ٣٩٧ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٩٩ ، جذوة المقتبس ٣١٠ ، وفيه « مولى هشام بن عبد الملك » ، الديباج المذهب ٢٢١ شذرات الذهب ٢ / ١٧٠ ، العبر ٢ / ٥٧ .

(٢) من هنا سقط فى نسخة ج ، ينتهى بنهاية هذه الطبقة .

(٣) فى المطبوعة : « الحباب » بالحاء المهملة ثم الباء الموحدة ، وفى د ، والنسخة ١٦٣ : « الجناب » بالجيم المعجمة ثم النون . والتصحيح من ترجمته فى تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١/ ٤٢ . واللباب ١/ ٢٠٦ ، والمشتبه ٢٠٥ .

وصنّف كتاب « الإيضاح » فى الردّ على المقلِّدين ، مع ميله إلى مذهب الشافعىّ .

قال أحمد بن خالد : ما رأيت مثل قاسم فى الفقه ممن دخل الأندلس من أهل الرِّحَل . وله « مصنَّف جليل فى خبر الواحد » .

توفى سنة ست وسبعين ومائتين ، وقيل : سنة سبع وسبعين .

٧٠

موسى بن إسحاق بن موسى الأنصارىّ
القاضى أبو بكر الخَطْمِىّ*

نسبة إلى بطن من الأنصار يقال له : خَطْمة ، بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة ساكنة ثم ميم ، بن جُشَم ، بضم الجيم ثم شين معجمة مفتوحة ثم ميم .

ولد سنة عشر ومائتين .

وكان قاضيا مَهيبا فصيحا [مصمِّما][1] قيل : لم يُر متبسّما قطُّ . وهو الذى قالت له امرأة : أيها القاضى لا يحلّ لك أن تحكم بين الناس ؛ لأن النبى ﷺ قال : « لَا يَقْضِى الْقَاضِى بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ » وأنت عُمْرَك غضبان ! فتبسّم ، وسيرد نظير الحكاية فى ترجمة القاضى أبى بكر الشامى فى الطبقة الرابعة .

سمع أباه[2] .

٧١

كُنَيْز**

بضم الكاف وفتح النون وإسكان آخر الحروف آخره زاى معجمة .

كان خادما للمنتصر بالله بن المتوكل .

---

* له ترجمة فى : أنساب السمعانى ٢٠٣ ، البداية والنهاية ١١/ ١١١ ، تاريخ بغداد ١٣/ ٥٢ ، الجرح والتعديل ، القسم الأول من المجلد الرابع ١٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ٢٢٦ . طبقات القراء لابن الجزرى ٢ / ٣١٧ ، العبر ٢ / ١٠٩ .

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) وغيره ، كما فى سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٨٠ ، وذكر وفاته سنة (٢٩٧) .

** له ترجمة موجزة فى : تاج العروس (ك ن ز) ، المشتبه ٥٤٥ ، حسن المحاضرة ٢ / ٣٩٩ .

لما مات مولاه خرج إلى مصر .

وسمع من حَرْمَلة ، والربيع بن سليمان ، والزَّعْفَرانِيّ .

وروى عنه أبو القاسم الطَّبَرانيّ وغيره .

وكان يقرىء الفقه بجامع دمشق على مذهب الشافعيّ بعد أن أقام بمصر مدة يذُبُّ عن مذهبه ويناظر المالكيين حتى سعَوا به إلى أحمد بن طولون ، وقالوا إنه جاسوس قدم من بغداد ، فحبسه فلم يزل فى الحبس إلى مضىّ سبع سنين ، ومات ابن طولون فأخرج ومضى إلى الأسكندرية ، وأقام بها سبع سنين يُعيد كل صلاة صلاها فى الحبس ، لأنه كان محبوسا فى مكان قذِر . ثم ورد الشام .

٧٢

نوح بن منصور بن مِرْداس
أبو مسلم السُّلَمِىّ

سمع الحسن بن عَرَفة ، والحسن بن محمد بن الصَّبّاح الزَّعفرانىّ ، وغيرهما .

ورحل إلى مصر ، وكتب بها عن يونُس بن عبد الأعلى ، والربيع بن سليمان ، ثم استوطن بالآخِرة شِيراز ، إلى حين وفاته .

وروى عنه أبو القاسم الطَّبَرانىّ ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حَيَّان ، الملقب أبا الشيخ ، وغيرهما .

وكتب كُتب الشافعىّ عن يونس والربيع بمصر . ومات بشِيراز سنة خمس وتسعين ومائتين .

٧٣
أبو الفضل البُتَانىّ*

وبُتَّان ، بضم الباء المنقوطة بواحدة وفتح التاء المثناة من فوق المخففة وفى آخرها النون : من قرى طُرَيْثيث ، من نواحى نَيْسابور .

قال ابن ماكُولا : أحد الزهّاد والفضلاء من أصحاب الشافعىّ ، يحدِّث عن على ابن إبراهيم البُتَانىّ من أصحاب عبد الله بن المبارك .

روى عنه محمد بن عبد الرحمن البُتَانىّ[١] .

قلت : وتبع ابنُ السمعانىّ ابنَ ماكولا فلم يزد فى ترجمة الرجل على ما ذكره ، ثم تبعهما شيخنا الذهبىّ فذكره فى كتاب « المشتبه » مختصرا . والرجل فى هذه الطبقة .

[آخر الطبقة الثانية]

---

* له ترجمة فى : الإكمال ١/٤٤٦ ، أنساب السمعانى ١٦٥ ، المشتبه ٩٢ ، معجم البلدان ١/٤٨٨ .

(١) هذا النقل عن ابن ماكولا فيه خلط . والذى فى الإكمال ١ / ٤٤٦ :

« وأما البتانى ، بضم الباء وتخفيف التاء فهو على بن إبراهيم البتانى ، من أصحاب ابن المبارك ، روى عنه محمد ابن عبد الرحمن البتانى . ومحمد بن عبد الرحمن البتانى من آل يحيى بن أكثم روى عن على بن إبراهيم البتانى ، روى عنه عبد الله بن محمود . وأبو الفضل البتانى ساكن طريثين ، أحد الزهاد الفضلاء من فقهاء أصحاب الشافعى . وبتان : قرية من أعمال طريثيث ، يحدث عن ...... » انتهى ما فى الإكمال . وبعد كلمة « عن » بياض .

فهرس التراجم

(*) كل ما قرن بنجمة فهو من الطبقات الوسطى .

رقم الترجمة　　　　رقم الصفحة

رقم الإيداع ١٩٩٢/٥٨٠٨ م
I.S.B.N:977 - 256 - 078 - X

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة